

هُدًى إِلَى الرَّمْنِ فِي

أَخْبَارِ مَلِكِ الحِجِّ وَعَدَنَ

تَأليفُ

الأمير المؤرخ الشاعر الأديب

أحمد فضل بن علي مجسّن العبدلي

الشهير بـ «القنيدان» المتوفى سنة (١٣٦٢هـ)
رَحِمَهُ اللهُ

يَحْوِي

«أخباراً عن عدن ومن ملكها أو استعمرها وعن حج
وسلاطينها ووقائع وحروب وأحداث وغير ذلك»

قدّم له

وعني بتقويم نصوصه والتعليق عليه

أبوهمام محمد بن علي الصومعي البيضاني

عفا الله عنه بمنه وإحسانه



قصر السلطان العبدلي سلطان حج وعدن عام ١٩٣٦م



سلسلة قرة عيون المؤرخين (٢)

هَذَا سَبْرُ السَّمِينِ فِي

أَخْبَارِ مَلِكِ الْحِجْزِ وَعَدَنَ

تَأليفُ

الأمير المؤرخ الشاعر الأديب

أحمد فضل بن علي محسن العبدلي

الشهير بـ «القنديلان» المتوفى سنة (١٣٦٢هـ)

رحمه الله

يُجَوِّدُ

«أخباراً عن عدن ومن ملكها أو استعمرها وعن الحج
وسلاطينها ووقائع وحروب وأحداث وغير ذلك»

قدّم له

وعني بتقويم نصوصه والتعليق عليه

أبوهم محمد بن علي الصومعي البضاني

عفا الله عنه بمّنه وإحسانه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة التحقيق

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فقد كنت إبَّان عملي على كتابي «المنتخب المذهب من علماء عدن والواردين إليها» أراجع كتاب «هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن» لمؤلفه الشاعر الأديب أحمد بن فضل بن علي بن محسن العبدلي الشهير بـ«القُمندان»، فرأيت أن مؤلفه أبدع فيما كتبه أيما إبداع حتى صار كتابه مرجعاً مهمّاً وعمدَةً لا سيّما فيما تفرد به، فقد اعتمده بعض المؤلفين بل صار عمدتهم فيما نقلوا عنه، ومن بين هؤلاء المؤلف خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام»، فقد جعله عمدته في تراجم «آل العبدلي»، فقد نقل منه قدر خمس عشرة ترجمة، وهذا فقط فيما يتعلق بـ«آل العبدلي»، وكذلك عمر رضا كحالة، فقد نقل عنه كثيراً في كتابه «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة»، فقد نقل عنه تعريفه لمجموعة من «القبائل اليمنية»، وكان عمدَةً عنده في ذلك، وكذلك اعتمده كثيراً إبراهيم المقحفي في كتابه «معجم البلدان والقبائل اليمنية»، وكذلك اعتمده ممن اشتغلوا بالتاريخ جماعةً لا سيما في الوقائع والحوادث التي عايشها ونقلها عن كتب، منهم الأستاذ عبد الله محيرز في كتبه منها «صيرة» و«العقبة»، وكذلك من جاء بعد هؤلاء، فرأيته كتاباً لا يستهان به، ومع ذلك لم يُعطَ من الخدمة والعناية ما يستحقه من قبل المعتمنين بتراث أهل اليمن، فعزمت على العمل عليه، فبدأت بالبحث عن

مخطوطة للكتاب ولكني لم أظفر بشيء، بحثت في الفهارس الدالة على مخطوطات كثير من الكتب وراستت إلى مصر واليمن، وتواصلت مع «مركز جمعة الماجد» بـ«الإمارات» وهو صرح عظيم يصدق عليه المثل المعروف «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا»، فلما لم أتحصل على شيءٍ من ذلك عملت على الكتاب وكان العمل كالآتي:

١- قرأت الكتاب حتى أعرف مصادر المصنف وطريقته وأعرف كذلك إن كان هناك تصحيف لا سيما لما أعرفه من أسماء الأماكن والقبائل واعتمدت النسخة القديمة التي طبعت في حياة المصنف سنة (١٣٥١هـ).

٢- شرعت بعد تلك القراءة بمقابلة النصوص التي نقلها المصنف بمصادرها الأصلية وهنا بدأ يظهر الخلل في النص كالتصحيف والسقط.

٣- أصلحت ما وجدت من تصحيف أو سقط وهذا بعد التحري من ذلك وتحريه بمقابلته مع المصادر التي نقل منها المصنف، وأمّا ما دونه هو فقد وجدت عبارات لم يراع فيها قواعد علم اللغة العربية وإنما يراعي في ذلك السجع وكذلك عبارات أخرى كتبها باللهجة العامية فمثل ذلك تركته على حاله؛ لأن المصنف أراد ذلك كذلك.

٤- عرّفت ببعض الأماكن والبلدان والقبائل المذكورة في الكتاب تعريفاً مختصراً.

٥- ترجمت لبعض الأعلام والبعض الآخر أحلت إلى مصادر تراجمهم.

٦- خرجت ما ذكره المؤلف من أحاديث مع الحكم عليها حسب قواعد علم مصطلح الحديث إلا أنها قليلة جداً.

٧- علقت على بعض المواضع التي تحتاج إلى تعليق.

٨- جعلت فهارس علمية للكتاب.

وهنا أنه على بعض الأمور وهي كالآتي:

التنبيه الأول: وهو ما يختص بالتعريف بالأماكن والقبائل، فقد أخذت ذلك من كتاب «معجم البلدان والقبائل اليمنية» لإبراهيم المقحفي، ولكني قد لا أذكر المصدر في كثير من المواضع، والسبب هو أنه قد يأتي في الصفحة الواحدة عدة أماكن تحتاج إلى تعريف فرأيت أنه لا يُسْتَحْسَنُ ذكر ذلك المرجع بعد تلك التعريفات كلها في تلك الحاشية لما سيحصل من تكرار، ولهذا جرى التنبيه.

التنبيه الثاني: هو أنني إذا عرفت ذلك الموضوع فإنه عند تكرار مجيئه مرة أخرى لا أقوم بتعريفه مكتفياً بما تقدم، فمن أراد معرفة ذلك فعليه النظر في فهرس الأماكن والقبائل وحيثُ يَجِدُ مراده.

التنبيه الثالث: أن الكتب المصنفة في التواريخ والأحداث مثل هذا الكتاب لها طابع آخر يختلف عن الكتب الأخرى في الفنون الأخرى، فمن يُوَلَّفُ في «التاريخ» يكتب كل ما اطلَّع عليه وشاهده كيفما كان، فَهَمُّهُ وَمُهَمَّتُهُ نقل تلك الأحداث التي سمعها أو شاهدها أو قرأها دون زيادة أو نقصان ولَعَلَّ ما أُرِيدُهُ قد وصل وَفُهُمَ لِلْحَادِقِ الْفُهُمِ.

التنبيه الرابع: كانت في الكتاب بعض الصور سوداء بالحبر الأسود المشوّش قمت بحذفها ومن أراد الاطلاع عليها يمكن له ذلك بواسطة محرك البحث عبر شبكة المعلومات وهذا يسير جداً.

التنبيه الخامس: المؤلف بَشْرٌ مثل غيره من الناس يصيب ويخطئ وإذا كان أخطأ في بعض الأمور التي كتب فيها وتبناها ودافع عنها فلا يعني ذلك أننا لا نستفيد من كتابه هذا أبداً والإنصاف عزيز ولو قلنا بغير هذا لضاعت كثير من العلوم.

وبعد هذه التنبهات أقول: هذا هو خلاصة عملي على هذا الكتاب، وأنا لا أدّعي لعملي الكمال فطبيعة أعمال البشر النقصُ وارِدٌ عليها، ولكن حسبي أني قد أفرغت ما في وسعي لخدمته الخدمة التي أحسب أنها تليق به.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو همام محمد بن علي الصومعي البيضاني

اليمني الأصل المكي مجاوراً في بلد الله الحرام
مكة زادها الله شرفاً، وكان ذلك بمنزلي
الكائن بـ«محلّة العزيزية الجنوبية»
في ٢٦ / ١٠ / ١٤٤٤هـ

البريد الإلكتروني: abohammam333@gmail.com

ترجمة مختصرة للمصنف

أما بالنسبة لكتابة ترجمة عن المؤلف فلم أقف على مؤلفٍ تكلم عنه وعن حياته سوى ما كتبه بعض الكتاب ونشر في شبكة المعلومات «الإنترنت» وقد انتقيت منه ما رأيته مناسباً ليكون تعريفاً مختصراً به. فأقول:

- هو الأمير والمؤرخ والأديب والشاعر أحمد بن فضل بن علي بن محسن العبدلي الشهير بـ«القَمِنْدَان»، و«العبدلي» نسبة إلى أسرته التي حكمت «لَحْج» أيام الاستعمار البريطاني لـ«عدن».

مولده:

وُلِدَ في مدينة «الْحُوْطَة» عاصمة سلطنة «لَحْج» تلك المُدَّة، وكانت ولادته سنة (١٣٠٢هـ) وقيل: سنة (١٣٠٣هـ).

نشأته:

نشأ في منزل والده وتلقى مبادئ القراءة والكتابة فيه وهو صغير، ولما بلغ من العمر سبع سنين أدخله والده «دار العِلْم» فتعلم في تلك الدار الكتابة والقراءة والقرآن والتجويد، وتعلم كذلك في الكتاتيب والمساجد، ولم يكن في ذلك الوقت التعليم منتشرًا فدرس على جماعة من الفقهاء منهم:

- ١- أحمد بن علي السالمي مفتي «لَحْج» وهو مُعْجَاز من مدرسة «زبيد»^(١) درس عليه في «قواعد اللغة العربية» و«الفقه» و«الحديث».
 - ٢- علي الأهدل قاضي «لَحْج» درس عليه «النحو» و«الصرف» و«البلاغة».
 - ٣- قاسم بن عبد الله السالمي اللّحجي.
 - ٤- علوي بن علي الحداد.
 - ٥- طاهر بن شيخان الحضرمي.
- أخذ علي هؤلاء الثلاثة عدة علوم.

ميوله إلى الشعر والأدب:

مع أن القُمنْدان أخذ عدة علوم من علوم الشريعة على جماعة من علماء بلده كما تقدم حتى إن منهم من كان يطلق عليه لقب «الفقيه» إلا أن ميوله واتجاهه كان للأدب والشعر حتى إنه عُرف به، ولعل الذي جعله يتجه ذلكم الاتجاه هو حبه لكتب الأدباء والشعراء وكثرة القراءة فيها، فقد كان له اهتمام ببعض تلك الكتب مثل «ديوان المتنبي» و«شعر أحمد شوقي وأبي نُوَاس» وكذلك «مقدمة ابن خلدون» وغيرها من الكتب فلعل هذا هو ما جعله يميل إلى ذلك ويتجه.

حبه للزراعة:

كان القُمنْدان شديد الحب للزراعة، فله مشاركة كبيرة في تطوير الزراعة في

(١) وقد بنى له فضل بن علي العبدلي مدرسة في لَحْج وولاه أمر التدريس. كما ذكر ذلك المصنف في الكتاب وقال أن السالمي من «الأسلوم».

منطقة «لحج» حتى إنه امتلك بستاناً يُعرف بـ«بُستان الحُسَيْنِي» كان كثيراً ما يذكره في أشعاره، لقد كان يقرأ كل ما يقع في يده من الجرائد وغيرها مما لها تعلقٌ بالزراعة، وجلب لذلك البستان أشياء من الفواكه والأشجار والعطريات ما لم يكن موجوداً في اليمن في تلك الفترة من «مصر» و«الهند» و«أفريقيا».

وفاته:

توفي القُمنْدان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بداية شهر شعبان سنة (١٣٦٢هـ) الساعة السادسة مساءً، وكان ذلك في مستشفى «التَّوَاهِي» بـ«مدينة عَدَن»، وفي صباح اليوم التالي نُقل إلى «الحُوطة» ودُفِنَ بها. هذا ما اخترت كتابته عن المصنف باختصار.





النص المعنى به



فاتحة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وبه نستعين، والصلاة والسلام على أنبيائه هداة الأنام ومصاييح الظلام، صلاة نفوز بها من الله بالمغفرة، وننال سعادة الدنيا والآخرة، وبعد: فيقول العبد المقر بذنبه، الراجي عفو ربه أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: قد أعان الله تعالى ويسر لنا تأليف جملة صالحة من أخبار ملوك البلاد اللحجية و«بندرعدن»، نقلنا فيها ما توثقناه من أخبار الميِّه^(١) والرَّعَارِع^(٢) وآل زريع مما يُشَوِّقُ القراء الاطلاع عليه، وسميتها (هدية الزمن، في أخبار ملوك لحج وعدن). وجاءت بحمد الله أصدق ما كُتِبَ عن تاريخ هذا المخلاف بلا خلاف. وبما أني ابن البلاد اللَّحْجِيَّةِ، وقد رأيت أن ما يكتبه الكتاب عن بلادنا لا يخلو من الأغلاط الخفية والجلية، طالعتُ الأسفار، وتحققتُ الأخبار، وتحريتُ أبناء الصغار والكبار، فأَبْنَتُ عن واهيها ومكذوبها، وعلى حد المثل فإن (أهل مكة أدرى

(١) مِيَّهٌ: بكسر ففتح فتشديد الباء، موضع غربي مدينة الحُوطة عاصمة محافظة لَحْجٍ بالقرب من قرية الرَّعَارِعِ.

(٢) الرَّعَارِعِ: قرية مشهورة في وادي تُبِنَ «لَحْجٍ» كانت عاصمة لَحْجٍ في أيام الزُّرَيْعِيِّين وعهد الأتراك ثم أصبحت الحُوطة هي العاصمة من أيام عمَّال الإمام المتوكل، والرَّعَارِعِ الآن أنقاض على شكل تَلٍّ يُعْرَفُ الآن بـ«كَدَمَةُ الرَّعَارِعِ».

بشعابها). وقد لاقينا في جمعها من مشقة الحصول على بعض التواريخ اليمنية القلمية^(١) وصعوبة قراءة مخطوطها إما لِلِقَدَمِ أو لأنها غير منقوطة ولا مشكولة، وذلك ما يشكو منه الكثير من قراء التواريخ اليمنية المخطوطة. وإذا عثرنا على نسخة يندر العثر على غيرها للمقابلة والتصحيح. وعلى كل حال فقد وفقنا إلى ما تيسر ورحم الله من أعذر، وإن مد الله لنا في العمر وأطلعنا على ما فيه زيادة فائدة فسنضيفها إلى هذا الكتاب إن شاء الله عند الطبعة الثانية. والله المستعان وعليه الاتكال، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

أحمد فضل بن علي العبدلي

* * *

(١) أي: ما كانت مخطوطة بالقلم.

الفصل الأول

لَحْجٌ مخلاف ومدينة. مدينة القُرَيْطِيِّينَ. قرى لَحْجِ الدارسة. أصل مِيَّه (بَنَّا أَبَهُ)^(١). بستان ناصر الدين وبستان الآمدي. المَرَائِبُ في ساحل لَحْج. سليمان الرومي. المشاريج من ضواحي لَحْج. حصن مُنِيف. الزجاج في السيلة. حدود مخلاف لَحْج. مواضع القرى الدارسة. رأس الوادي القديم.

* * *

(لَحْج) مِخْلَافٌ باليمن ينسب إلى لَحْجِ بن وائل بن الغوث بن قطن بن عَرِيب بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسَعِ بن حَمِيرِ بن سَبَأَ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قحطان. وَمَدِينَةٌ منها ابن مَيْشٍ^(٢) شارح «التنبيه» في مجلدين. وسكن لَحْجًا الفقيه محمد^(٣) بن سعيد بن معن القريظي، صنف كتاب «المُستَصفَى»^(٤) محذوف الأسانيد، جمعه من الكتب الصحاح، قال خَدِيجُ بن عمرو أخو النجاشي بن

(١) باسم رجل من بني قُرَيْظَةَ، ومن هذه القرية العلماء بنو القُرَيْظِي وبني الواقدي.

(٢) لم أجد له ذكرًا سوى عند ياقوت الحموي في «معجم البلدان»، والمصنف نقل ذلك عنه كما سيأتي مع الإحالة إليه.

(٣) ينظر في «طبقات فقهاء اليمن» (ص ٢٢٠) لابن سُمْرَةَ، و«السلوك» (١/٣٧٦) للجندي.

(٤) «المستصفى في سنن المصطفى» وقد طبع بـ«دار المنهاج» بـ«جدة» سنة (١٤٢٦هـ)، وينظر:

«إتحاف الأكابر» برقم (٣٣٢) للشوكاني.

عمرو يرثي أخاه النجاشي:

فَمَنْ كَانَ يَبْكِي هَالِكًا فَعَلَى فَتَى تَوَى بِلَوَى لَحْجٍ وَأَبَتْ رَوَاحِلُهُ
فَتَى لَا يُطِيعُ الزَّاجِرِينَ عَنِ النَّدَى وَتَرْجِعُ بِالْعُضَيَّانِ عَنْهُ عَوَازِلُهُ

وقال ابن الحايك^(١): ومن مدن اليمن لحج، وبها الأصباح وهم ولد أصبح

ابن عمرو بن الحارث بن أصبح بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة وهو حَمِير الأصغر. ومن لَحْج كان مُسلم^(٢) بن محمد اللّحجي أديب اليمن، له كتاب «الأترنجة^(٣) في شعراء اليمن» أجاد فيه، كان حيًّا في نحو سنة ٥٣٠هـ، وقال عمرو بن معدي كرب:

هُمُ قَتَلُوا عَزِيزًا يَوْمَ لَحْجٍ وَعَلَقَمَةَ بِنَ سَعْدٍ يَوْمَ نَجْدٍ

انتهى من «معجم البلدان»^(٤)، قال قيس بن مَكْشُوح^(٥):

وَأَعْمَامِي فَوَارِسُ يَوْمَ لَحْجٍ وَمَرْجِحُ إِذْ شَكُوتَ وَيَوْمَ شَامٍ^(٦)

وفي موضع آخر من «معجم البلدان»: (مِخْلَافُ أُبَيْنَ) هو قرب عدن فيه

حصون وقلاع وبلدان، قال: (ومِخْلَافُ لَحْجٍ) هو قرب أُبَيْنَ، وله سواحل، وأكثر

(١) هو الهمداني صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب».

(٢) ذكره صاحب كتاب «إنباه الرواة على أنباه النحاة» (١/ ٣٦١).

(٣) وقع في المطبوع: «الأترنجة»، والمثبت من «معجم البلدان»، والمصنف ينقل منه، وذكره القفطي في «إنباه الرواة» (١/ ٣٦١) بـ«الأترجة» ونقل منه، وانظر كلامه عنه هناك.

(٤) (١٤/٥).

(٥) تنظر ترجمته من «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٢٠).

(٦) ذكر هذا البيت ياقوت في «معجم البلدان» (٣/ ٣١٥).

سكانه بنو أصبح رهط مالك بن أنس (١).

قلت: المدينة التي منها محمد (٢) بن سعيد بن معن القُرَيْظِي (٣) هي (بَنَاءَبَهُ) (٤) مدينة القريظيين الآتي ذكرها. ولفظ لَحْجٍ اسم لجميع المخلاف، وقد يطلق على أكبر مدينة في المخلاف كما يقال الآن لِلْحُوْطَةِ: لَحْجٍ (٥).

قال الهمداني (٦): ومن قرئ مخلاف لَحْجٍ (الْحَيْب) لبني أَحْبَل، و(الرُّعَيْض) يسكنها بنو جيل من الأصبحيين، و(الجَوَّار) (٧) يسكنها الأصبحيون. (والدار) يسكنها الواقديون، و(الرَّعَارِع) يسكنها الواقديون، و(فُور) (٨) يسكنها الأصبحيون، و(الغبراء) (٩) أقرب إلى عدن يسكنها الأصبحيون، و(بَنَاءَبَهُ) (١٠) يسكنها

(١) «معجم البلدان» (٦٧/٥).

(٢) تقدم قريباً مع الإحالة إلى مكان ترجمته.

(٣) وقع في المطبوع: «القريضي» بالضاد، والمثبت هو الصواب كما تقدم قريباً.

(٤) بَنَاءَبَهُ: لأن أول بانيها رجل من قريظة يقال له: «أَبَهُ» ثم صارت تعرف بـ«مُنِيَّة» إلا أن أغلب أهلها يقولون: (مِيَّه).

(٥) وكانت (الحُوْطَةُ) عاصمة البلاد اللَّحْجِيَّة إلى القرن الثاني عشر الهجري، وكانت (الرَّعَارِع) و(مِيَّه) عاصمَتِي لَحْجٍ في أيام الزريعيين ومن بعدهم الأتراك.

(٦) صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب».

(٧) ينظر لها: «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩١) مع تعليق المؤرِّخ محمد بن عليٍّ الأكوغ.

(٨) قرية خاربة في وادي لَحْجٍ.

(٩) بلدة خاربة بالقرب من عدن.

(١٠) عند الهمداني: (بني أْبَهُ).

(١١) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١٧/١).

من يافع، و(بناء)^(١) يسكنها قوم يعرفون بالأعدون منسوبون إلى عدن، وبنو طفيل، و(بنا الحبل)^(٢) يسكنها قوم من بني معجد، (الشراحي)^(٣) يسكنها الأصبحيون، (ذات الإقبال) يسكنها الأصبحيون، (تُبْن)^(٤) يسكنها الواقيديون وهي التي ذكرها السيد [ابن]^(٥) محمد بقوله:

«هَلَّا وَقَفْتَ عَلَى الْأَجْزَاعِ مِنْ تُبْنٍ»^(٦).

و(ثرى)^(٧) يسكنها الواقيديون، و(جنيب) يسكنها الواقيديون، و(الرَّحْبَة)^(٨) يسكنها الواقيديون، و(دار بني شعيب) يسكنها الواقيديون، و(الراحة) يسكنها الأصبحيون، و(الرواغ)^(٩) يسكنها الأصبحيون. اهـ^(١٠).

قلت: وكانت (الرَّعَارِع) من أشهر قرى لَحْجِ، وكانت عاصمة لَحْجِ على

(١) كذا: (وبناء) والذي عند الهَمْدَانِي: (بنو الحبل).

(٢) الذي عند الهَمْدَانِي: (وبنو طفيل من بني الحبل).

(٣) وقع في المطبوع: «الشراحي»، والمثبت من «صفة جزيرة العرب» للهَمْدَانِي، والمصنف ينقل عنه.

(٤) تُبْنٌ: بضم ففتح فسكون. ينظر لذلك: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٢٢١).

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من «صفة جزيرة العرب»، والمصنف نقل هذه منه، ولا بد منه، ويعرف بالسيد الحِمَيْرِي واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد، وكان غالباً يَسُبُّ السلف، ينظر

في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ١٣٠٨) للدارقطني، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٦٣٨) للذهبي.

(٦) وَتَمَامُهُ: وَمَا وَقُوفَ كَبِيرِ السَّنِّ فِي الدَّمَنِ.

(٧) هكذا: «ثرى» وهو كذلك عند الهَمْدَانِي، والنقل هنا عن طريقة، أمَّا المقحفي في «معجم

البلدان اليمنية» (١/ ٢٥٥) فجعلها: (ثري).

(٨) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٦٧٨).

(٩) ويقال لها اليوم: (المراغ) وهي من مركز (كِرْش) ومديرية (تُبْن).

(١٠) «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩١ - ١٩٢).

عهد الزريعيين وعهد الأتراك، وذكرها صاحب «معجم البلدان» في باب الزاي المعجمة، قال علي بن زياد المازني^(١):

خَلَّتِ الزَّعَارُغُ مِنْ بَنِي الْمَسْعُودِ فَعُهُودُهُمْ عَنْهَا كَغَيْرِ عُهُودِ
حَلَّتْ بِهَا أَلُ الزُّرَيْعِ وَإِنَّمَا حَلَّتْ أُسُودٌ فِي مَقَامِ أُسُودِ^(٢)

والصواب: (زَعَارِع)، قال الأهدل في «التحفة»: الرَّعَارِعُ براء ثم عين ثم راء أخرى مكسورة ثم عين أخرى مهملات، إحدى قرى مخلاف لحج، بفتح اللام وسكون الحاء المهملة ثم جيم. منها أبو [إسحاق]^(٣) إبراهيم بن أحمد اللخمي الرَّعْرَعِي نسبةً إلى الرَّعَارِعِ. كان تَرَبًّا^(٤) لأبي قُرَّة^(٥) ولكنه دون شهرة، وكان له ابن اسمه أحمد يُذكر بالعلم والورع.

حكى أن امرأة من الحِسان تعرضت لأحدهما وجردت درعها تريد فتنته

(١) كذا هو هنا تبعًا لما في «معجم البلدان» (٣/ ١٤١)، وصوابه: (المأربي) نسبة لـ(مأرب) كما في «خريدة القصر وجريدة العصر» (٢/ ٥٥٠) (الشاملة)، وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في «تبصير المنتبه بتحرير المشته» (٤/ ١٣٣٨)، وقد حصل هذا في «تاريخ المستبصر» لابن المجاور ونهت عليه (ص ٤٥٨) من الكتاب بتحقيقي.

(٢) «معجم البلدان» (٣/ ١٤١)، وينظر: «تاريخ المستبصر» (ص ٤٥٨) بتحقيقي.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط على الناسخ، وينظر: «السلوك» (١/ ١٤٦) للجندي، و«قلادة النحر» (٢/ ٤٠١) ليامخرمة.

(٤) أي: مساويًا.

(٥) وقع في المطبوع: «غرة» وهو تصحيف، والمثبت هو الصواب، وأبو قرّة هو موسى بن طارق

الزبيدي كما في «السلوك» (١/ ١٤٦)، و«قلادة النحر» (٢/ ٤٠١)، و«طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن» (١/ ١٨٠).

فأعرض عنها وقال:

لَا تَجْرُدِي الثُّوبَ فَإِنِّي رَعْرَعِي إِنَّ كُنْتَ جَرَدَتْ لِأَجْلِي فَادْرَعِي (١)

وفي الجزء الأول من «أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن» (٢) ذكر الرعاعي المذكور. قال: الرعاعي نسبة إلى قرية يقال لها: الرَّعَاع بفتح الراء الأولى والعين التي بعدها وكسر الراء الأخيرة، وآخر الاسم عين مهملة، وهي قرية من أعمال لحج بينها وبين عدن مرحلة (٣).

وفي «تحفة الزمن في تاريخ اليمن» للأهدل قال: ومن لحج (بناؤه العليا) بفتح الهمزة والباء الموحدة المشدودة، تنسب إلى بانيها وهو رجل من قُرَيْظَةَ (٤) يقال له: أبه، منها أبو عبد الله محمد (٥) بن سعيد القريظي مؤلف كتاب «المستصفى» (٦) وكتاب «القمر» (٧) و«مختصر إحياء علوم الدين» (٨)، وبها جامع

(١) قارن هذا البيت بما في «السلوك» (١/١٤٦).

(٢) هو «طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن» لأبي الحسن الخزرجي، وطبع كذلك باسم «العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن».

(٣) «طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن» (١/١٨٠) ترجمة برقم (٣).

(٤) ينظر: «السلوك» (١/٣٧٥) للجندبي.

(٥) تقدمت الإحالة إلى ترجمته قريباً.

(٦) في سنن المُصطفى. وتقدم قريباً أنه طبع بـ«دار المنهاج».

(٧) وذكر له هذا الكتاب أيضاً الجندبي في «السلوك» (١/٣٧٥).

(٨) ونسب هذا الكتاب له أيضاً الجندبي في «السلوك» (١/٣٧٥).

عظيم بناه محمد^(١) بن موسى بن جامع القُرَيْظِي. وفي الجزء الثاني من «التحفة» المذكورة قال: مخلاف لحج فيها جماعة من العلماء ممن تأخر فيهم محمد بن موسى بن جامع الخير القُرَيْظِي، وهو الذي بنى الجامع بقريته (بَنَّا أَبَّه العُليَا) وهذه القرية التي سماها الجَنْدِي^(٢) بَنَّا أَبَّه عُلْبَ عَلِي أُلْسِنَةَ^(٣) أَهْلِهَا وغيرهم (مِيَّةً) بميم مفتوحة ثم ياء مفتوحة ثم هاء ساكنة قبلها باء مشدودة^(٤)، وقولهم: (بَنَّا أَبَّه العُليَا) احترازًا من (السُّفْلَى) فإنهما قريتان متقاربتان، والعلماء في العُليَا أكثر، منهم علي^(٥) ابن مِيَّاسِ الوَاقِدِي، كان قَاضِي لَحْجٍ^(٦) ثم خلفه ابنه وكان ينوب الجَنْدِي في قضاء عدن ثم جُعِلَ حَاكِمًا فِي (بَنَّا أَبَّه) إِلَى أَنْ تَوَفِيَ سَنَةَ ٧١١ هـ^(٧).

وذكر الأهدل في «التحفة» قرية (النَّادِرَةَ)^(٨) من لَحْجٍ، قال: كان بها فقيه اسمه علي بن حاتم الكِنَانِي، كان عالمًا وله ولدان قارئان للِسَّبْعِ، غزا قريتهم عرب من العَجَالِمِ^(٩)

-
- (١) تنظر ترجمته في «السلوك» (٢/٤٤٠)، و«طراز أعلام الزمن» (٤/٢٠٤٥) برقم (١١٨٨).
- (٢) ينظر: «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١/٣٧٥).
- (٣) وقع في المطبوع «غلب علي ألسنة أهل السنة» والمثبت من «تحفة الزمن» والمصنف نقل النص منه.
- (٤) انظر: «السلوك» (١/٣٧٥).
- (٥) هو علي بن أحمد بن مِيَّاسِ، له ترجمة في «السلوك» (٢/٤٤١).
- (٦) بَعْدَ جَدِّهِ أَحْمَدَ عَمِّ وَالِدِهِ «السلوك» (٢/٤٤١).
- (٧) «تحفة الزمن» (٢/٤٠٧).
- (٨) النَّادِرَةَ قَالَ الْجَنْدِي فِي «السلوك» (٢/٤٤٢): وهي خراب الآن.
- (٩) العَجَالِمِ: قبيلة تسكن منطقة (عَيْن) مديريةية بِيْحَانِ وَأَعْمَالِ مَحَافِظَةِ شَبْوَةَ.

والأجعود (١) فقتلوهما (٢) سنة نيف وستين وستمائة (٣).

وفي «تاريخ ثغر عدن» لأبي الطيب (٤) قال: و(المبَاه) بفتح الميم والباء الموحدة، وهي صغيرة كانت تحت عدن (٥)، سميت مباه لأن من خرج من عدن أقام بها حتى يتكامل بقية الرفقة، والقوافل الواصلة إلى عدن كانت تقف بها حتى يتهيأ أصحابها للدخول إلى عدن، فلعله (المبَاه) بالهمزة والمد من التبوؤ، خففها العامة لَمَّا كثر استعمالها، قال: وأهلها صيادون للسمك ويحرقون النورة والحُطْم. وبها مسجد بناه السلطان صلاح الدين عامر عبد الوهاب. ولما ثارت الفتنة في اليمن بوصول الترك إليها وضعفت الدولة العامرية قويت شوكة المفسدين فصار البدو يهاجمون القرية ثم نهبوا وأحرقوها (٦). قال و(رُبَاك) (٧) بضم الراء وفتح الباء قرية عمّر فيها ناصر الدين ابن فاروت (٨) بستاناً حسناً

(١) الأجعود: ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية».

(٢) لأنهما خرجا ليُصدَّ القوم عن النهب فوقعوا بهم وقتلوهم جهلاً بهما كما في «السلوك» (٤٤٢/٢).

(٣) «تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن» (٢/٤٠٨) وينظر: «السلوك» (٤٤٢/٢) للجندي.

(٤) كذا قال لأبي الطيب والصواب للطيب وهو لَقَبٌ له أما كنيته فإنه يُكنى أبا محمد.

(٥) وحدد الأستاذ عبد الله مُحَيَّرز مكانها في كتابه «العقبه» (ص ٦٠) أنه الموقع الذي بخارج (عدن) وعُرف ب(دكّة الكباش)، وينظر كتابي: «المنتخب المهذب من علماء عدن والواردين إليها» (ص ٥٠).

(٦) «تاريخ ثغر عدن» (ص ١٠) للطيب بامْحَرَمَة.

(٧) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٦٧٠).

(٨) وقع في المطبوع: «قارون»، والمثبت من «تاريخ المستنصر» و«تاريخ ثغر عدن».

وغرس فيه النارج والأترنج والموز والنارجيل. قال: ويقال^(١): إن الناخوذة عمر الأمدي غرس بها بستاناً سنة ٦٢٥ هـ وحفر بها بركة^(٢) عظيمة وكانت الخلائق تقصدها من أبين ولحج وغيرها في أول شهر رجب^(٣)، وكان بها نخل كثير لأهل عدن وغيرهم. وكان الشيخ الصالح قاسم بن محمد العراقي كثيراً ما يخرج إليها للنزهة ويقيم بها أياماً، وكذلك الشيخ الجنيد وغيرهما، وكانت المراكب المارة إلى زَيْلَع^(٤) والحجاز تقصدها لاستقاء الماء، وكان بها آبار عذبة.

ولما انهزم الأمير سليمان الرومي وصاحبه حسين الكردي^(٥) من عدن سنة ٩٢٢ هـ نزل جماعة من أصحاب الأمير إلى رُبَاك ليستقوا منها فطردهم عسكر السلطان عبد الملك بن عبد الوهاب^(٦).

قال^(٧): و(لَحْجَة) ^(٨) بالتحريك قرية منها إلى عدن فرسخان إلا ربع، بناها

(١) والقائل هو ابن المجاور، وهذا في كتابه «تاريخ المستبصر» (ص ٢١٨) بتحقيقي.

(٢) الذي في «تاريخ المستبصر» وعنه «تاريخ ثغر عدن»: «بِرْكَاء».

(٣) إلى هنا نقله بامخرمة من «تاريخ المستبصر» لابن المجاور، ينظر في (ص ٢١٨) منه بتحقيقي.

(٤) زَيْلَع: جزيرة في البحر الأحمر ما بين أرض اليمن وبلاد الحبشة، استمرت تابعة لليمن حتى

استولت بريطانيا على عدن سنة (١٢٥٥ هـ) ثم استولت عليها الصومال.

(٥) ينظر: «قلادة النحر» (٦/ ٥٦٢) لِبِامْخَرْمَة.

(٦) «تاريخ ثغر عدن» (ص ٢٠ - ٢١).

(٧) أي: قال بامْخَرْمَة.

(٨) لَحْجَة أو الأَحْبَة وكذلك يقال: اللَّحْبَة، وهي قرية خاربة في ساحل أبين بالقرب من العِمَاد من

الجهة الشرقية من مدينة عدن بمسافة (١٤) كيلو ولزيادة معرفة عنه ينظر كتاب «العقبة»

(ص ١٢٣) لعبد الله محيرز.

الأمير الزَّنَجَبِيُّ (١) عامل السلطان تُوْران شاه (٢) على عدن، وكان ينقل منها الزجاج والآجر إلى عدن (٣)، ويسكنها جماعة من العرب منهم الأهدوب والعقارب (٤)، ولم تزل عامرة إلى أن استولى الشيخان عامر وعلي ابنا طاهر على عدن، فكان قُطَّاع الطريق يأوون إليها، ثم انتقل أهلها إلى الوَهْط (٥) والسَّيْلَة (٦): وفي «طبقات الشرجي» (المشاريح) من ضواحي لحج. اهـ.

ومن حصون لحج حصن مُنِيف (٧) كان للغسانيين وكان قبلهم لبني زريع (سيأتي ذكر ذلك في محله إن شاء الله تعالى)، وكان في (السَّيْلَة) معملة الزجاج وآثار ذلك ظاهرة إلى الآن. ووقفت في جملة تواريخ علي ذكر (الدَّعْيَس) (٨)

-
- (١) هكذا هو هنا: «الزَّنَجَبِيُّ» وهو كذلك في «تاريخ المستبصر» وباخرمة نقله منه، وللغائدة ينظر كتابي: «المنتخب المهدب» (ص ١٠٥)، والزنجبيلي تنظر ترجمته من «السلوك» (١/٤٦٣ - ٤٦٤)، و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (٥/١٧٣) برقم (١٩٦٤) للفاصي.
- (٢) تنظر ترجمته من «قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» (٤/٢٧٣) برقم (٢٥٤٤).
- (٣) انظر: «تاريخ المستبصر» (ص ٢٨٨) بتحقيقي.
- (٤) العقارب: قبيلة كبيرة في لَحْج تمتد ديارها من (بئر أحمد) غربي عدن حتى (رأس عِمْران) على الساحل.
- (٥) الوَهْط: مدينة واقعة بين عدن والحُوطة عاصمة لَحْج بجوار الوادي الكبير في شمال بئر أحمد.
- (٦) السَّيْلَة: موضع ما بين مدينة الشيخ عثمان في عدن ومدينة الوَهْط في لَحْج.
- (٧) ينظر له: «معجم البلدان والقبايل اليمنية» (٢/١٦٦٨).
- (٨) الدَّعْيَس: موضع في وادي تَبْنُ (لَحْج) غربي قرية (زايدة) بمسافة يسيرة، المصدر السابق (١/٦١٣).

وذكروا واقعة بين الأشرف والمويد ابني الملك المظفر الرسولي بالقرب منها^(١). زعم بعضهم أنها بجهة (أبين)، والدعيس موضع بلحج معروف إلى يومنا هذا بهذا الاسم. وعد الهمداني^(٢) (العارة والعُميرة) من بلاد بني مَجِيد. فيكون مخلاف لحج (على ما يظهر من كلام الهمداني وهو أضبط وأخبر مؤرخ وصف اليمن) بين وادي مُعَادَن^(٣) وأبين والبحر وجهة رَدْفَان^(٤) الغربية وصُهَيْب^(٥). والله أعلم.

واعلم أن أغلب هذه القرى دَرَسَتْ، وقد اجتهدت أن أحقق مواقعها بالضبط وقد تحققت أن قرية (الجوار) على مسافة ساعة تحت ملتقى الأودية في رأس وادي لحج. ذكر ذلك الهمداني عند ذكر الأودية ومآتي وادي لحج، قال: ثم يخرج هذا الوادي في (الجوار) ثم عند (ثرى والجنيب) ثم في وسط (الرّعارع) ثم (فُور)^(٦) ثم يخرج الفاض إلى بحر عدن. فتبين أن الجنيب فثرى فالجوار على عَدَوَتِي الوادي شمالي موضع الرّعارع المعروف، وهو على بعد ميل وربع شمالي مدينة الحُوَطَة، وأن فُور بين الرّعارع وعدن. وأما رأس الوادي فحيث يلتقي وِرَزَّان^(٧) وتَبْنُ في (حبيل امسويداء) فيكون موضع قرية الجوار على مسافة ساعة

(١) ينظر لذلك: «قلادة النحر» (٥٢٧/٥).

(٢) في «صفة جزيرة العرب» (ص ٩٢).

(٣) وادي مُعَادَن: وادٍ في جنوب حَيْفَان في الطريق منها إلى (طُور الباحة) في غربي لَحْج.

(٤) رَدْفَان: هي إحدى مديريات محافظة لَحْج.

(٥) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٩٢٣).

(٦) «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤٥) للهمداني.

(٧) وِرَزَّان: بفتحات، وادٍ مغيول مشهور في «دِمْنَة خَدِير» جنوب شرق مدينة تعز بمسافة (٣٥) كيلو،

ومنايع الوادي من جَبَل سامع في شرق جَبَل صَبِر ومن بلاد الأشعوب ومن شرق جَبَل الصُّلُو

تحت ملتقى الأودية حوالي الطنان أو قرب الحرقات. وهناك توجد إلى الآن شمالي الحرقات بين الطنان وجبل مُنَيْف آثار أبنية قديمة وبرك تدعى (جَوَيْر) فلعله موضع قرية (الجوار).

وأما موضع (بَنَّا أَبَّه) فمعروف إلى يومنا هذا بمِيْبَه بميم مكسورة ثم ياء مفتوحة وباء مفتوحة مشدودة وهاء ساكنة، وهو على مسافة نحو نصف ميل غربي مدينة «الحوطة»، وبالقرب من مدينة الحوطة من جهة الشرق أرض يقال لها: «أرض الباقي» على مقربة من قبر الشريف عبد الله بن أبي بكر باعلوي الأحذب المتوفى سنة ٩٦١هـ، فلعلها كانت لبعض الأبقور من يافع. وذكر بعض المؤرخين قرية «الهذابي»^(١) وهي القرية المعروفة بالزيادي^(٢) الآن. والهذابي اسم أرض مُزْدَرَعَة بالقرب من القرية المذكورة. وفي أعالي عبْر الثعلب أرض تعرف بالزُرَيْعِي، وبقرها آثار عُمران يعرف بسوق الليل، والظاهر أنها من آثار آل زُرَيْع ملوك لَحْج. وبالقرب من الفُيُوش آثار أبنية قديمة تعرف بامدْرَيْب قرية من قرى لحج الدارسة.

وأما موضع (الدَّعَيْس) فغربي «زَايِدَة»^(٣) على مسافة نحو ميل. وموقع

ومن بلاد الأعبوس ومن حَيْفَان، وجميع مياه خَدِير الذي يشقه وَرْزَان وجميع مياه حَمْر «ماوية» وتسيل مياهه بعد أن تلتقي بوادي عَقَّان إلى أراضي لَحْج ثم تفيض إلى بحر عدن.

(١) ينظر: «السلوك» (١/١٤٦).

(٢) تنظر ترجمة علي بن زياد الكناني الزَيَادِي من «طراز أعلام الزمن في طبقات أعلام اليمن»

(٣/١٤٢٣) برقم (٧٢٩) وما سيأتي قريباً عن المصنف.

(٣) هي قرية شمال الحوطة وقد أُقيم بها سدٌ يحوي أربع فتحات.

السَّيْلَةَ عَلَى مَسَافَةٍ نَحْوِ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ جَنُوبِي «الْوَهْطِ»، وَأَمَّا «الرَّاحَةُ» (١) و«المشاريح» فبأقيتان إِلَى الْآنَ؛ الْأُولَى غَرْبِي «جَبَلِ رَدْفَانَ» وَالثَّانِيَةَ بِلَادِ الْمَنَاصِرَةِ (٢) مِنَ الْأَصَابِحِ. وَأَمَّا «رُبَاكُ» فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ غَرْبِي الْحِسْوَةِ (٣).

وَفِي مِخْلَافٍ لَحْجٍ آثَارُ مَدَنٍ وَقُرَى دَارِسَةٍ لَا يُعْلَمُ عَنْهَا شَيْءٌ، يَدْعُونَهَا «المجاهيل» وَاحِدَتُهَا «مِجْهَالَةٌ»، وَتَدُلُّ الْآثَارُ أَنَّ صِنَاعَتِي الْخَزْفِ وَالزَّجَاجِ كَانَتَا عَمَلًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمِخْلَافِ.



(١) وَيَسْكُنُهَا الْأَصْبَحِيُّونَ.

(٢) الْمَنَاصِرَةُ: قَبِيلَةٌ وَبَلَدَةٌ فِي وَادِي «تُبْنُ» تَقَعُ بِالْقَرَبِ مِنَ الْحُوْطَةِ.

(٣) الْحِسْوَةُ: تَقَعُ غَرْبِي مَدِينَةِ «عَدَنَ» عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ عِنْدَ مَصَبِّ وَادِي لَحْجِ الْكَبِيرِ فِي الْبَحْرِ، وَتَمْتَازُ بِمَوْقِعِهَا الْمَطْلِّ عَلَى شَاطِئِ خَلِيجِ عَدَنَ، وَقَدْ أُقِيمَتُ فِي الْمَنْطِقَةِ «مِحْطَةُ الْحِسْوَةِ الْكَهْرُ وَحَرَارِيَّةٌ» الَّتِي تَنْتِجُ الطَّاقَةَ الْكَهْرِبَائِيَّةَ لِمَدِينَةِ عَدَنَ «العقبة» (ص ١٢٩) «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٤٦١ - ٤٦٢).

الفصل الثاني

الرَّعَارِعَ وَالْحُوْطَةَ. دَارَ حُمَادِي وَدَارَ عَبْدِ اللَّهِ. سَكَانَ الْحُوْطَةَ. السَّادَةَ
أَلْ مَسَاوِي. صُبْحِيَّةَ رَجَبٍ. الْمَنْصُورِي وَالْدَّارَسَ. حَارَاتِ الْحُوْطَةَ. قَرِي لَحْجٍ.
الشَّيْخَ سَفِيَانَ. الزِّيَادِي. مَجْدَدُ بَيْرِ أَحْمَدَ. مَفْتِي لَحْجٍ. قَاضِي لَحْجِ الشَّوْشِ.

* * *

وعاصمة لَحْجٍ في وقتنا الحاضر مدينة الحُوْطَةَ، وكانت الرَّعَارِعَ وَمِيْبَةَ
عَاصِمَتِي مَخْلَافَ لَحْجٍ فِي أَيَّامِ الزُّرَيْعِيِّينَ ثُمَّ الْأَتْرَاقِ. وَأَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ الْحُوْطَةَ
عَاصِمَةً لِلْحَجِّ عُمَّالُ الْإِمَامِ الْمُتَوَكَّلِ وَالْإِمَامِ الْمَنْصُورِ، وَكَانَ لَهُمْ فِيهَا دَارُ حَمَادِي
وَدارُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفَانِ بِمَوْضِعَيْهِمَا هُنَالِكَ إِلَى الْآنِ. وَلَمَّا اسْتَقْبَلَ بِالْبِلَادِ الشَّيْخَ
فَضْلَ بْنَ عَلِيِّ الْعَبْدَلِيِّ سَنَةَ ١١٤٥ هـ أَقْرَاهَا عَاصِمَةً لِمَلِكِهِ وَنَقَلَ عَائِلَتَهُ مِنْ
الْمِجْحَفَةِ^(١) إِلَيْهَا، وَيَتَرَاوَحُ عِدَدُ سَكَانِهَا الْآنَ بَيْنَ عَشْرَةِ آلَافٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ
نَفْسٍ كُلِّهِمْ عَرَبٌ وَفِيهَا مِنْ يَهُودِ الْيَمَنِ وَمِنَ الصُّومَالِ وَخَلْطَاءُ كَثِيرُونَ، وَفِيهَا الْآنَ
رِجَالُ الدَّوْلَةِ وَإِدَارَاتُ الْحُكُومَةِ وَأَحَدُ عَشَرَ مَسْجِدًا وَثَلَاثُونَ بَيْتًا لِلشَّرْبِ. وَأَشْهَرُ
مَسَاجِدِهَا جَامِعُ السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ الْمَسَاوِي بَنَاهُ سَنَةَ ١٠٨٣ هـ
وَنَقَلَ مِنْبَرَهُ مِنْ «جَامِعِ الرَّعَارِعِ»^(٢).

(١) وهي إحدى قرى الحُوْطَةَ التابعة لمحافظة لَحْجٍ.

(٢) وهذا المسجد ما زال قائمًا إلى يومنا هذا ويعرف بـ«مسجد مساوي».

وفي سنة ١٣٤٨هـ جدد بناءه ووسعه السلطان عبد الكريم فَضْلُ بن علي محسن العبدلي حتى صار من أفخم مساجد اليمن وأجملها.

و«مسجد الدولة»^(١) بناه السلطان أحمد محسن فَضْلُ وجدده أخوه محمد بن محسن سنة ١٢٩٢هـ، وهو من أجمل أبنية البلاد على شكل مساجد الهند.

وعائلة السادة آل مساوي من أقدم سكان مدينة الحُوطة، ويقال لها: الحُوطة الجفارية نسبة إلى الولي الشهير مزاحم بالجفار، وله زيارة في كل سنة من شهر رجب وتلك الزيارة^(٢) أو المولد^(٣) من أعظم أعياد البلاد اللَّحْجِيَّة، وأهل السَّلْع ينتظرون شهر رجب وأعياده كموسم الخير، فإن الوفود من كل جهة من البلدان المجاورة تصل إلى لحج فتروج سلع عديدة، ولذلك صار صباح اليوم

(١) وهذا المسجد أيضًا ما زال قائمًا بهذا الاسم.

(٢) هذه الزيارة بهذه الطريقة تُعدُّ من البدع، لأنه لا يجوز شد الرحال إلى القبور، لقوله ﷺ: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى» متفق عليه من حديث أبي هريرة واللفظ لمسلم، وقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رُدٌّ» رواه مسلم برقم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فالعبادات ليست بالذوق والعاطفة والاستحسان لأنها دين من عند الله، فما لم يكن كذلك فليس بدين، والمسلم عليه أن يكون منقادًا لذلك ولا يبتدع في الدين، وعلى كلِّ فقد ترك كثير من الناس ذلك بسبب انتشار العلم، لأن العلم نور والجهل ظلام، أما زيارة القبور للاعتبار وتذكر الآخرة مع الدعاء لأهلها فهذا أمر جائز ومشروع، وإنما الكلام عن شدِّ الرحال والسفر إلى قبور الأولياء كما يفعله بعض الناس، وسبب ذلك كما تقدم هو الجهل.

(٣) والقول في المولد هو كالتقول في شدِّ الرحال إلى القبور.

التالي للزيارة وعدًا وأجلًا لقضاء الدين، فيقال: إلى صبحية رجب، والمراد صبحية اليوم التالي لزيارة رجب. وأهل لحج يدعون السكة النحاسية المضروبة باسم السلطان العبدلي مَنَاصِيرًا^(١)، واحدها «منصوري»، كما كانوا يدعون عملة الإمام المنصور «منصورية»، وكانوا قبل ذلك يدعون العملة النحاسية «دارسًا»، وقد شرعوا الآن يدعونها «بَيْسَه» باللفظ الهندي.

وحارات مدينة الحُوطة ثلاث عشرة حارة وهي: حارة دار حُمَادي، وحارة دار عبد الله، وحارة الحَفِيرَة، وحارة دبان، وحارة المساوي، وحارة أبي الغيث، وحارة اليهود، وحارة قيصي، وحارة مزاحم، وحارة الحضارم، وحارة وحيدة، وحارة الحسينة، وحارة الشيخ سعيد. ومن أقدم أبنيتها مسجد السيد حسين بن أحمد المُسَاوِي بناه سنة ٨٩٢هـ. ومن قرى لحج الوهُط كانت لآل أبي السرور ثم انتقل إليها وإلى السَّيْلَة سكان لَحْجَة والمَبَاه كما تقدم.

وفي سنة ١٠٣٧هـ توفي فيها الحبيب العلامة عبد الله بن علي السقاف وكان قد انتقل إليها من حضرموت وعكف فيها على التدريس والعبادة. وبنى أحد الأتراك المسجد والقُبَّة المقبور فيها الحبيب عبد الله بن علي السقاف، ومن ذرية الحبيب عبد الله بن علي بلَحْج السادة سكان الوهُط، وفيها الزُّبيرة^(٢)، وفيها قبر جدهم الشيخ صلاح الزُّبيري وهو من الأولياء الذين تزار قبورهم وتقام عليها الأعياد^(٣).

(١) كذا كتبها المصنف «مناصيرًا» بيد أن هذا الوزن على وزن «مفاعيل» ممنوع من الصرف.

(٢) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٧٣٧).

(٣) أعياد المسلمين ثلاثة: الفطر والأضحى ويوم الجمعة، وما عدا ذلك فليس بعيد، وإنما ذلك

ومن قرى لَحْجِ الحمراء يسكنها أهل البان والمحارزة، وفيها تربي السلطان محسن فضل بعد أن قتل جده محسن فضل بن علي بأمر السلطان عبد الهادي، ثم انتقل منها إلى الحوطة بعد وفاة عمه السلطان أحمد عبد الكريم، وفي الحمراء ولد السلطان علي محسن والسلطان فضل محسن والسلطان أحمد محسن وأخواهم عبد الله ومحمد، ولذلك يعد أهل البان عكفة السلطان العبدلي. ومن قرى لَحْجِ صَبْرٍ وَجَلَّاجِلٍ وَبِيرِ عَمْرٍ وَبِيرِ مَكِّي وَالْوَعْرَةَ يسكنها العزيبية من أشهر قبائل لَحْجِ. ومن قرى لَحْجِ المَحَلَّةِ يسكنها آل ثَبَّتَانِ^(١) وآل أبي سعد. ومن قرى لَحْجِ الجَوْلِ يسكنها آل يمانِي. والمَجْجِفَةَ يسكنها آل سلام ومنهم الشيخ فضل بن علي العبدلي مؤسس السلطنة العبدلية، وفيها بعض من مواليه يُدْعَوْنَ الأُمراءِ إلى حال التاريخ. ومن قرى لَحْجِ الفَيُوشِ يسكنها الزُّبَيْرَةُ وآل صويلح. والدرب كانت للأدروب ثم انتقلوا منها وفيها بعضهم إلى الآن مع القَزَيْفَةَ^(٢) والبَطِينَةَ وآل أبي حَيْمِدٍ. ومن قرى لَحْجِ الثَّعْلَبِ يسكنها الأَقْدُورُ من الحَوَاشِبِ. والحضارم انتقلوا إليها مع الحبيب عبد الله بن علي من قرية الغُرْفَةَ^(٣) في

من البِدَعِ والمحدثات في الدين، ورحم الله العالم الجليل عالم مدينة «عدن» في وقته محمد بن سالم البيحاني لقد كان ناصحًا للمسلمين وكان يتألم من وجود هذه المظاهر، ومن اطلع على كتابه «إصلاح المجتمع» عَرَفَ ذلك.

(١) وآل ثَبَّتَانِ ينقسمون إلى الفخائد التالية: آل ناصر بوشعر، وآل راجح الوكُود، وآل صالح محمد قُرَيْن «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٢٥٢).

(٢) القَزَيْفَةُ: بضم القاف وتشديد الزاي.

(٣) ولمزيد معرفة عنها ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١١٧٢).

حضر موت، وسميت القرية الثعلب نسبة إلى علي بن أحمد الثعلبي كان حياً في سنة ١١٨٠هـ، ويسكنها أيضاً المَزَاقِمَةُ^(١) من ذي أصبح، والأَجْعُود من آل قطيب، وآل طرِيم من آل فَشَّاش في دَثِينَةَ^(٢)، وآل قيس بنو علي بن عبد الله القيسي. ومن قرى لحج نوبة المَسَاوِدَةَ^(٣) يسكنها المساودة وآل شَدَّاد^(٤) وآل شمل وآل فدَايم^(٥) والمحامرة^(٦).

ومن قرى لَحْج الحَاسِكِي يسكنها الزيديون من ذي أصبح^(٧). ومن قرى لَحْج الهَجَل^(٨) والكُدَام يسكنها آل النُّوم^(٩) وبنو الرَّعْوِي وآل أبي حنش. وبين القريتين قبور البراكنة بنو البركاني وهم مَنَاصِب^(١٠) لَحْج وأبين في سالف الزمان. ومن قرى لَحْج سُفَيَان وهي حُوْطَةُ الشيخ سفيان بن عبد الله ويلقب الحضورى

(١) لم أقف عليه عند غير المصنف، ونقله عنه عمر كَحَالَةَ في كتابه «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» (٣/١٩٤).

(٢) نقله عن المصنف عمر كحالة في المصدر المتقدم (٢/٢٥٣).

(٣) نقله عن المصنف عمر كحالة في «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» (٣/٢٠٢).

(٤) نقله عن طريق المصنف عمر كحالة في المصدر السابق (٣/١٤٥) بيد أن عنده: «شَدَّاد» وليس «آل شَدَّاد».

(٥) نقله عن المصنف عمر كحالة في المصدر السابق (٣/١١) وعنده: «فَدَايم» دون «آل».

(٦) نقله عمر كَحَالَةَ في «المصدر السابق» (٣/١٥٤).

(٧) ومنهم آل راجح وآل النمر «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٣٨٨).

(٨) الهَجَل: بفتح فسكون.

(٩) نقله كما هو عمر كحاله في كتابه «قبائل العرب القديمة والحديثة» (٣/٣٢٨).

(١٠) ينظر: المصدر السابق (٢/١٨٠٣).

والأبيني واليميني، سميت هذه القرية باسمه^(١). صحب الشيخ شهاب الدين بن أحمد بن إبراهيم المَزَنِي المغربي وانتفع به، واجتمع بالفقيه المقدم محمد بن علي، وأقام الشيخ سفيان بِلْحَجٍ وله ولد وهو علي بن سفيان من أهل العلم الفضلاء. ولعلي بن سفيان ولدان وهما عبد الرحمن^(٢) بن علي بن سفيان كان فقيهاً عارفاً تفقه على ابن الحرّازي^(٣) وابن الأديب^(٤) والزنجاني^(٥) ودرس بِلْحَجٍ وَعَدَنَ. ومحمد^(٦) بن علي سفيان تفقه ثم سافر إلى الهند وتزوج هنالك وتوفي في الهند^(٧)، ولم أقف على تاريخ وفاة الشيخ سفيان. وقد كان حياً في القرن الثامن للهجرة. ويسكن في سفيان جماعة من أولاد الشيخ سفيان وخُلَطَاءٍ من العرب وغيرهم. ومن قرئ لِحَجٍ الزِّيَادِي كانت تدعى الهَدَابِي^(٨) ولما قبر فيها الولي الشهير علي بن عمر الزيادي^(٩) الكناني القريظي سنة ٢٣٥هـ وقيل: سنة ٢٤٠هـ سماها أهل مِخْلَاف

(١) وهو مؤسس المدرسة السفيانية في عدن «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٧٩٤ - ٧٩٥).

(٢) ترجم له الجندي في «السلوك» (٢/٤٣٩).

(٣) له ترجمة في «السلوك» (٢/٤٢٥)، و«طراز أعلام الزَّمَنِ في طبقات أعلام اليمن» (٤/١٧٦٧) برقم (٩٤٩).

(٤) له ترجمة في «السلوك» (٢/٤٥١).

(٥) وقع في المطبوع: «الريحاني» وهو خطأ، والمثبت هو الصواب كما في ترجمة الزنجاني من «السلوك» (٢/٤٣٥) وترجمة عبد الرحمن منه (٢/٤٣٩).

(٦) ترجم له الجندي في «السلوك» (٢/٤٣٩).

(٧) سنة (٧١٦هـ) كما في «السلوك» (٢/٤٣٩).

(٨) تقدم الكلام عنها قريباً.

(٩) كذا قال المصنف: «علي بن عمر» والصواب: «علي بن زياد الكناني» وهو مشهور بصحبة أبي

قرة الرَّعْرَعِي، وله ترجمة في «الثقات» (٨/٤٧٠) لابن حِبَّانَ، و«السلوك» (١/١٤٦)

لَحْجُ الزِّيَادِي، يَسْكُنُهَا مِنَ الْمَحَامِرَةِ وَبَعْضُ مِنَ الْمَسَاوِدَةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَمِنْ قَرْيِ لَحْجِ «الرَّاحَةِ» وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِيمَا نَقَلْنَاهُ عَنِ الْهَمْدَانِيِّ عِنْدَ ذِكْرِ قَرْيِ لَحْجِ الدَّارِسَةِ، وَهِيَ بِالْقَرْبِ مِنْ «جَبَلِ رَدْفَانَ» تَحْتَوِي الْآنَ عَلَى جَمَلَةِ قَرْيِ صَغِيرَةٍ مِنْهَا «الْجَبَلَةُ» لآلِ يَحْيَى، «وَدَارُ الدَّوْلَةِ» لآلِ فَجَّارٍ^(١)، «وَالْمَجْبَاهُ» لِلْغُبْرَانِ، «وَالسُّوقُ» لِلْبَكِيرِيِّ، «وَدَارُ الْأَشْرَافِ» لِلْسَادَةِ آلِ حُمَادِي، «وَالْفَيْشُ» لِلْقَرِيشِيِّ^(٢)، وَ«دَارُ شَيْبَانَ» لآلِ شَيْبَانَ، «وَالنَّمَارَةُ»^(٣) لِلْمَشَائِخِ بَنِي وَهَيْبٍ، «وَالْحَجْرُ» لِلْعَمِيَانِ، «وَالْمِلَاحُ»^(٤) لِلرُّوَيْسِيِّ وَبَعْضُ الْمَشَائِخِ^(٥).

وَمِنْ قَرْيِ لَحْجِ «بَيْرِ أَحْمَدَ» يَسْكُنُهَا الْعَقَارِبُ، وَشَيْخُهُمُ الْآنَ فَضْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرَةَ مَهْدِيٍّ، وَهُوَ الَّذِي جَدَّدَ بِنَاءَ «بَيْرِ أَحْمَدَ» بِمَعَاوَنَةِ وَالِيِ عَدَنَ بَعْدَ أَنْ خَرِبَتْ فِي سَنَةِ ١٣٣٤ هـ بِسَبَبِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْأَتْرَاقِ وَالْبَرِيطَانِيِّينَ. وَمِنْ قَرْيِ لَحْجِ «الْحِسْوَةَ»^(٦) يَسْكُنُهَا بَعْضُ مِنَ «الْعَقَارِبِ»^(٧)، وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ عِنْدَ

=

لِلْجَنْدِيِّ، وَ«طَرَازُ أَعْلَامِ الزَّمَنِ» (١٤٢٣/٣) لِلخَزْرَجِيِّ بِرَقْمِ (٧٢٩)، وَذُكِرَ فِي تَرْجُمَتِهِ الْخِلَافَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ.

(١) «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ الْيَمِينِيَّةِ» (١٦٣١/٢) فِي «الْمِلَاحِ».

(٢) كَذَا هُنَا: «وَالْفَيْشُ لِلْقَرِيشِيِّ».

(٣) ذَكَرَهَا الْمُقْحَفِيُّ فِي «مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ الْيَمِينِيَّةِ» (١٦٣١/٢).

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (١٦٣١/٢).

(٥) يَنْظُرُ: «الْمَصْدَرُ السَّابِقُ» (١٦٣١/٢).

(٦) تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَنْهَا.

(٧) الْعَقَارِبُ: قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ، يَنْظُرُ لِذَلِكَ: «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ الْيَمِينِيَّةِ» (١٠٩١/٢).

مصّب وادي لحج الكبير في البحر. وشرقي «الحسوة» «دار الأمير» بناها السلطان فضل بن علي وجعل فيها الأمير سعد بن سالم سنة ١٢٩٩هـ، وسميت «دار الأمير ودار سعد»، وكان اسم الموضوع قبل ذلك «بئر أمحيط»^(١)، وفيها الآن الأمير صالح بن سعد بن سالم مؤلف كتاب «حوظة الفضائل» وهو من خواص السلطان وأدباء لحج الذين يشار إليهم بالبنان، وشرقي دار الأمير مساكن «آل بان أمهيدان»^(٢) و«بئر جابر» وهي محلات آل البان. ومن قرى لحج «بئر فضل» يسكنها جماعة من العقارب.

ومن قرى لحج «قرى عبر الأسلوم الثلاث» يسكنها الأسلوم، منهم المرحوم العلامة الشيخ أحمد بن علي السالمي مفتي الديار اللحجية، توفي سنة ١٣١١هـ ولم يخلف ذرية. والأدزوب انتقلوا إلى عبر الأسلوم من الدرب السابق ذكرها، وبنو البريكي^(٣) وآل عواضي وغيرهم. ومن قرى لحج «الشظيف» على ضفة الوادي الكبير يسكنها جماعة من السادة الهدلان، ومنها السيد العلامة علي بن أحمد الأهدل قاضي لحج، توفي سنة ١٣٢٩هـ ونقل يوم وفاته من الحوطة إلى الشظيف وقبر هناك، ويسكنها الحويجة والصيعر من ذي أصبح. ومن قرى لحج «عبر بدر»^(٤) يسكنها بنو النصري، «وطههور» يسكنها النفيلة وبنو

(١) ينظر: كتاب «العقبة» (ص ١١٨) لعبد الله محيّرز.

(٢) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/١٣١).

(٣) بنو البريكي، ونقله عن المصنف كحاله في «معجم قبائل العرب» (١/١٤١) وينظر: «معجم

البلدان والقبائل اليمنية» (١/١٦٧).

(٤) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٧٤٠) في «النصري».

أَمْهَيْثَمِي (١). ومن قرى لَحْجٍ «مُقَيَّرَة» يسكنها آل ظفر ومن آل صويلح وآل دَنَم (٢). ومن آل دَنَم في «امعلبيّة» مع جماعة من امشَحيرة والعبيدة.

ومن قرى لحج «بيت عياض» يسكنها آل عياض والمجاورة وغيرهم. ومن قرى لحج «دار المناصرة» يسكنها المناصرة من قبائل لَحْجٍ وكان منهم جماعة في «الفيوش»، ومنهم جماعة في «قرية العماد» من قرى مِخْلَافِ لَحْجٍ مع بعض من آل بان امهيدان. ومن قرى لحج «القريشي» بناها صالح بن سالم الشاءوش على عهد السلطان علي محسن. وصالح بن سالم الشاءوش من العقارب سافر إلى الهند «حيدر آباد الدكن» واستخدم عند النظام ونال حظاً في تلك الجهة ثم رجع إلى وطنه لَحْجٍ وبنى قرية وسماها القريشي باسم الضيعة التي بنيت فيها، وهي فلج القريشي، ثم نقل عائلته إليها، وهم بها إلى الآن يعرفون بآل الشاءوش. ومن قرى لَحْجٍ «الخَدَاد (٣) والشقعة وزايدة» وهذه القرى يسكنها دائماً خلائق مُتَنَقِّلَة من العمال الزراعيين، وفيها جماعة من أهل البلاد اللَّحْجِيَّة من سائر قرى لَحْجٍ، ومن حصون لحج (العند) فيه رتبة من طرف السلطان، «والحرقات» يسكنها آل الدُّكَيْمِ ورتبة من طرف السلطان، «وَجَوْلُ حَسَن» يسكنها بنو حسن بن نُعْمَان من ذي أَصْبَح.

(١) أي: الهيثمي، وأهل بعض الأماكن اليمنية يدلون اللام ميمًا وهي لغة حميرية، ولهذا قال ابن

هشام في كتابه «قطر الندى»: وإبدال اللام ميمًا لغة حميرية، وذكر قول الشاعر:

ذَاكَ خَلِيلِي وَدُوِّيَ وَأَصْلِي
يُرْمِي وَرَائِي بِأَمْسِهِمْ وَأَمْسِلِمَهُ

والشاهد منه هو قوله: «بأمسهم وأمسلمه» فقد أبدل الشاعر اللام ميمًا.

(٢) دَنَم: بفتح فتشديد، والنسبة إليها: دَنَمِي، فيقال: آل الدَنَمِي.

(٣) الخَدَاد: من قرى وادي تَبْنُ في شمال مدينة الحوطة.

ومن قرى لَحْجٍ «امْرِجَاع» يسكنها قوم من الأصباح يقال لهم: امرجيعة^(١) ومنهم جماعة في قرية الشَّظِيف. ومن قرى لَحْجٍ «الشيخ عثمان» سميت باسم الشيخ عثمان الولي الشَّهير المقبور فيها، يسكنها القَيِّم على قبر الشيخ وأهله، ومن الزبيرة وبقرها اختطت الدولة البريطانية قرية «الشيخ عثمان الجديدة»، ومن مراسي لَحْجٍ «مرسى إحسان» ويعرف الآن بـ«جبل إحسان» قال في «القاموس»^(٢): إحسان: مرسى قرب عدن.

* * *

(١) امرجيعة: جمع رجاعي، نسبة إلى قرية امرجَاع.

(٢) «القاموس المحيط» للفيروز آبادي، وهذا القول هو في (ص ١١٩٠).

الفصل الثالث

عدن في ساحل لَحْج. لحج منتهى اليمن. أقدم أسواق العرب. قابيل في عدن. أبونا آدم وجنته في عدن. بئر معطلة وقصر مشيد. عدن والقسطنطينية. مخزن الرومان الأحساء في الحِسْوَة. إرم ذات العماد. العجب والذهب في اليمن. عدن جزيرة. قنطرة المَكْسَر. لماذا سميت عدن. أعظم مراسي اليمن. النار في عدن. قصور عدن القديمة. ابن بطوطة في عدن. عدن اليوم. الصَّهَارِيح.

* * *

وعدن الآن شبه جزيرة على ساحل البحر في دَلْتَا وادي لحج أقرب إلى مصب الوادي الكبير، وعندها ينتهي مخلاف لَحْج كما أن مخلاف لحج منتهى اليمن من الجهة الجنوبية. قال الشاعر:

تَقُولُ عَيْسِي وَقَدْ وَافَيْتُ مُبْتَهَلًا لَحْجًا وَبَأَنْتَ لَنَا الْأَعْلَامُ مِنْ عَدَنِ
أُمَّتْهِى الْأَرْضِ يَا هَذَا تُرِيدُ بِنَا فَقُلْتُ كَلًّا وَلَكِنْ مُنْتَهَى الْيَمَنِ

قال أبو محمد الحسن بن أحمد الهَمْدَانِي^(١): عدن جنوبية تهامية وهي أقدم أسواق العرب، وهو ساحل يحيط به جبل لم يكن فيه طريق، فقطع في الجبل باب بُزْبِرِ الحديد فصار لها طريقاً^(٢) إلى البر، وموردها ماء يقال له: الحَيْقُ، أحساء في رمل

(١) في كتابه «صفة جزيرة العرب» (ص ٩٤).

(٢) وقع في المطبوع: «طريق» وهو خطأ، وجاء النص مستقيماً عند الهَمْدَانِي.

في جانب فلاة إرم، وبها في ذاتها آبار ملحة وشروب، وسكانها المربون والحماحميون والملاحيون. اهـ. قلت: وذكر بعضهم أن قاييل فر إليها بعد قتل أخيه هابيل. ومن علماء الدين الإسلامي جماعة قالوا: إن جنة آدم عليه السلام ليست جنة الخلد. منهم ابن قتيبة^(١) قال في كتاب «المعارف»^(٢) بعد كلام: ثم أخرج -يعني: آدم- من مشرق جنة عدن إلى الأرض التي أُخِذَ منها. قال وهب^(٣): وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن في شرقي أرض الهند. قال: واحْتَمَلَ قاييل أخاه حتى أتى به وادياً من أودية اليمن في شرق عدن. وقال غيره: فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس في قوله: ﴿أَهْطُوا﴾^(٤) هو كما يقال: هبط فلان أرض كذا وكذا، قال منذر^(٥) بن سعيد: وهذه الأخبار التي حكى ابن قتيبة إنما تنبئ عن أرض اليمن وعن عدن: وهي من أرض اليمن، وأخبر أن الله نصب الفردوس لآدم عليه السلام بعدن. انتهى ملخصاً عن كتاب «حادي الأرواح» لابن القيم^(٦).

(١) هو العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنَوْرِي، وقيل: المروزي، مات سنة (٢٧٦هـ) «سير أعلام النبلاء» (١٣/٣٠٠) ترجمة برقم (١٣٨).

(٢) (ص ١٤) من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. والمصنف نقل كلام ابن قتيبة من «حادي الأرواح» لابن القيم كما سيأتي.

(٣) هو وهب بن مُنَبِّه بن كامل اليماني العلامة الأخباري القَصْصِي، مات سنة (١١٠هـ) وقيل: (١١٤هـ) وقيل: (١١٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (٤/٥٤٤) ترجمة برقم (٢١٩).

(٤) [البقرة آية: ٣٨].

(٥) هو منذر بن سعيد البلوطي أبو الحكم الأندلسي، كان فقيهاً محققاً وخطيباً بليغاً مفوهاً، مات سنة (٢٦٥هـ) «سير أعلام النبلاء» (١٦/١٧٣) ترجمة برقم (١٢٧).

(٦) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (١/٥٢ - ٥٤).

وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾^(١): البئر هي بئر الرس وهي بعدن^(٢). وذكر بعض مؤرخي الإفرنج: أن مدينة عدن زهت بتجاريتها على عهد الرومان حتى نافست تجارة القسطنطينية، فجاء أساطيل الرومان وأخربوا عدن لمنافستها لعاصمتهم. وذكر بعضهم أنها دخلت تحت حكم الرومان وكانت مركزاً تجارياً مهماً، ودعاها الرومان يومئذ «رومانيوم امبوريوم» أي: مخزن الرومان^(٣).

قلت: أما الأحساء الذي ذكره الهمداني^(٤) في رمل في جانب فلاة إرم فالظاهر أنه موضع القرية المعروفة الآن بالحِسْوَة^(٥)، والحسوة والأحساء بمعنى واحد، وكان الماء يحمل من الحِسْوَة إلى عدن حتى إلى عهد قريب، وفلاة إرم التي ذكرها الهمداني خارج عدن في سواحل مخلاف لَحْجٍ. وفي شرقي فلاة إرم مزار وقرية صغيرة يقال لها: العِمَاد^(٦).

(١) [الحج آية: ٤٥].

(٢) ونصه عند القرطبي في «التفسير» (٤١٧/١٤): «... أن البئر الرُّس، وكانت بَعْدَنَ باليمن بحضرموت، في بلدٍ يقال له: حَضُور».

(٣) مخزن أو فُرْصَة بلاد الرومان. «تاريخ عدن واليمن عبر العصور إلى عهد العبادلة» (ص ٥٤) للدكتور محمد علي البار.

(٤) في «صفة جزيرة العرب» (ص ٩٤).

(٥) تقدم التعريف بها.

(٦) وكانت تعرف في المصادر العربية القديمة باسم «إرم ذات العِمَاد»، وأما اليوم فكما قال المصنف: «العِمَاد» وهي منطقة صحراوية بالشمال الشرقي من مدينة عدن فيما بينها وبين منطقة أَيْبِن، تقع محاذة الساحل.

وقد حكى جملة من المؤرخين^(١) والمفسرين^(٢) أنه كان لعاد بن عوص بن إرم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده، فهلك شديد وخالص الملك لشداد ودانت له ملوك اليمن، فسمع وصف الجنة فقال: لأبنيّن مثلها، فبنى مدينة إرم في صحاري عدن، قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الياقوت والزبرجد^(٣).

ذكر قصة مدينة «إِرم ذاتِ العِمَاد» جملة من المؤرخين والمفسرين ونقلوا حكاية عبد الله بن قلابة المشهورة^(٤). قال ابن خلدون^(٥): وهذه المدينة لم يُسَمَّعْ لها خبرٌ في شيء من بقاع الأرض. وصحاري عدن التي زعموا أنها بنيت في مسقط اليمن وما زال عمرانها^(٦) متعاقبًا، والأدلاء تقص طرقها^(٧) من كل وجه، ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الإخباريين ولا من الأمم، ولو

(١) منهم ابن خلدون في «تاريخه» (١٤/١).

(٢) منهم القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/٢٦٩ - ٢٧٠) في تفسيره للآية رقم (٨) من سورة الفجر.

(٣) وهذه كلها أخبار وقصص لا سند لها يعتمد عليه، وينظر تنبيه الحافظ ابن كثير في كتابه «تفسير القرآن العظيم» (١٤/٣٤٤) عند تفسيره للآية رقم (٧) من سورة الفجر.

(٤) وحكايته قال عنها الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١٤/٣٤٤): «فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها...».

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مات سنة (٧٣٢هـ) له ترجمة في «دُرّة الحِجَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ» برقم (١٠٠٩) للمكناسي.

(٦) وقع في المطبوع: «عمرانه»، والمثبت من «تاريخ ابن خلدون» وبه يستقيم السياق.

(٧) وقع في المطبوع: «طرقه»، والمثبت من «تاريخ ابن خلدون».

قالوا: إنها دَرَسَتْ لكان أشبهه، إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة^(١).

قلت: لا سبيل لعاقل إلى قبول خبر وجودها وأنه لا يعثر عليها إلا بعض الناس دون بعض كما وقع لعبد الله بن قلابة. وما ذكر ابن خلدون لا ينفي جواز خبر بناء مدينة إرم بصورة معقولة، ومن الناس من جعل المبالغة في وصف بناء المدينة من أن قصورها من الذهب وأساطينها من الياقوت والزَّبْرَجَد دليل على عدم صحة الحكاية بحذافيرها، وهو استدلال غير سديد، فإن المبالغة لا تدل على عدم صحة الخبر بل على الخلط فيه^(٢).

فقد حكى المؤرخون من غير العرب ما يشبه ذلك. قال ديودوروس الصقلي المتوفى سنة ٨٠ قبل المسيح: كأن خزانات الدنيا كلها وثوراتها في بلاد العرب السعيدة اجتمعت في سوق واحد. ووصف أغاثر سيدس المتوفى سنة ١٤٥ قبل المسيح بلاد اليمن وتجارها ومحصولاتها والوارد إليها في عهد القيصر الروماني «بتولمي فيلوماتير» أو بنحو مائتي عام قبل المسيح. وقال: إنه كان يوجد في سبأ كل شيء يجلب السعادة لبني آدم. وغير المحصولات المشهورة يوجد فيها اللبان والمر والقرفة، وكانوا يطبخون مأكولاتهم بالأخشاب ذات الروائح الزكية، وكانوا في أرغد عيشة وفي راحة ونعمة يحسداهم عليها الأمراء والولاة، دعائم بيوتهم كانت تلمع بالذهب والفضة، وأبوابهم من العاج مزينة بالجواهر

(١) «تاريخ ابن خلدون» (١/١٤).

(٢) هذا يُسَلَّمُ به إذا كان أصل القصة صحيحًا ثابتًا بأسانيد صحيحة، فحينئذٍ نقبل أصل القصة ونرد ما زاد على ذلك الأصل، وهذا ما يفعله علماء النقد من أهل التحقيق في قبولهم للروايات الواردة في مثل ذلك، وهذه مسألة تحتاج إلى بسط لكن ليس هذا مكاناً له.

وباطنها يشبه خارجها، وأوانيتهم وفرشهم وموائدهم وأثاثهم تفوق كل ما رآه الأوربيون. اهـ.

وهكذا وصفها المؤرخ أريان المتوفى سنة ١٦٠ بعد المسيح، ووصف المؤرخ إسترابون المتوفى سنة ٢٤ بعد المسيح مدينة مأرب كما نقله المؤرخ جُرْجِي زِيدَان^(١) في أول كتابه «التمدن الإسلامي» قال: وذكر إسترابون الرحالة اليوناني في القرن الأول قبل الميلاد: أن مأرب كانت في زمانه مدينة عجيبة، سقوف أبنيتها مصفحة بالذهب والعاج والحجارة الكريمة، وفيها الآنية الثمينة المزخرفة مما يبهر العقول.

قال جُرْجِي زِيدَان: وذلك يُهَوِّنُ علينا سماع ما ذكره العرب عن إرم ذات العماد، وكانت عدن جزيرة في البحر قرب ساحل مخلاف لَحْج. قال في «القاموس»: عدن أبين جزيرة أقام بها أبين^(٢). وقال أبو الطيب^(٣) في «تاريخ نجران»: فبقيت عدن جزيرة والبحر محيط بها، ومن أراد السفر إلى جهة من الجهات حمل متاعه في الزوارق إلى أن يتعدى البحر وتجيء الحوامل من الجمال

(١) هو جُرْجِي بن حبيب زيدان، منشئ «مجلة الهلال» بـ«مصر» وصاحب التصانيف الكثيرة، ولد وتعلم في بيروت ورحل إلى مصر فأصدر «مجلة الهلال» لمدة ٢٢ عامًا، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٣٢هـ) له ترجمة في «الأعلام» (١٧/٢) للزركلي.

(٢) «القاموس المحيط» (ص ١٢١٤).

(٣) هو الطيب عبد الله بن عبد الله بن أحمد بامخرمة، مؤرخ فقيه باحث من أهل عدن، ولد وتوفي فيها وولي قضاءها، وأصله من حضرموت، مات سنة (٩٤٧هـ) وله ترجمة في كتاب «الأعلام» (٩٤/٤).

والبغال وترفعه من المَكْسَر^(١). وقال في موضع آخر: والمَكْسَر^(٢) قنطرة بناها الفرس الذين تولّوا عدن على سبع قواعد. قال: ويقال: إنما بناها شداد بن عاد^(٣)، وطول المَكْسَرِ على ما قاله المستبصر^(٤) في «تاريخه» [ثلاث]^(٥) مائة وستون^(٦) خطوة، وقد خرب وجدد عمارته الشيخ عبد الله بن يوسف بن محمد المسلماني^(٧) العطار، وأوقف على عمارته مستغلات^(٨) أراضي مزروعة بوادي لَحْجِ^(٩)، قال: وكانوا أولاً لا يعبرون في هذه المواضع إلا بالسنايق، قال: ومن المَكْسَرِ إلى جَبَلِ حَدِيدٍ نصف فرسخ^(١٠)، والمِملّاح وهو المحافر خارج عدن أبعد من المَكْسَرِ، ويقال: إن بعضه صار للسلطان سيف الدين أتابك اشترى نصفه

(١) «تاريخ ثغر عدن» (ص ٨ - ٩).

(٢) وهو ما يعرف اليوم بـ«خَوْر مَكْسَر»، وللفاءة ينظر: كتاب «العقبه» (ص ٨٤) لعبد الله محيرز.

(٣) «تاريخ المستبصر» (ص ٢١٩) بتحقيقي.

(٤) مؤلف الكتاب هو أبو بكر بن محمد بن مسعود البغدادي النيسابوري، مات بعد سنة ٦٢٦هـ)، وينظر (ص ٩) من مقدمة تحقيقي للكتاب.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع.

(٦) وقع في المطبوع: «وستين»، والمثبت من «تاريخ المستبصر».

(٧) وقع في المطبوع: «التلمساني»، والمثبت من «تاريخ المستبصر».

(٨) وقع في المطبوع: «مستقلاً» ولا معنى لذلك، والمثبت من «تاريخ المستبصر»، والمصنف نقل النصّ منه.

(٩) هذا النص نقله المصنف من «تاريخ المستبصر» (ص ٢٨٨) ما عدا قوله: «أراضي مزروعة بوادي لحج» وكأنه أراد تفسير المستغلات وذكر مكانها والله أعلم، ثم تبين أن المصنف نقل ذلك من «تاريخ ثغر عدن» لبا مخرمة بنصّه وبا مخرمة نقله من «تاريخ المستبصر».

(١٠) «تاريخ المستبصر» (ص ٢١٩) مع تصرف في بعض العبارات منه.

بألف دينار^(١)، وأن سيف الدين ما ظلم أحدًا غير أهل المملاح^(٢).

واختلف المؤرخون في سبب تسمية «عدن» وسبب إضافتها إلى «أبين» فقال صاحب «معجم البلدان»^(٣): وتضاف عدن إلى أبين وهو مخلاف عدن، قلت: الصواب أن عدن واقعة على الساحل في دلتا^(٤) وادي لَحْج لا على ساحل أبين. وقال في «القاموس»: أقام بها أبين^(٥). وقال جملة من مؤرخي اليمن: ويضيفها بعضهم إلى أبين فيقال: عدن أبين احترازًا من عدن لآعَة التي بجهة حَجَّة^(٦). ويقول بعضهم: عدن الساحل لهذا السبب^(٧). وقال ابن خلدون: وكان من حَمِيرَ أبين بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حَمِيرَ، وقال: وإليه تنسب عدن أبين^(٨). وقال عمارة بن الحسين^(٩) الشاعر اليمني: أبين موضع في

(١) من قوله: «ويقال: إن بعضه...» هو في «تاريخ المستبصر» (ص ٢٨٨).

(٢) «تاريخ المستبصر» (ص ١٩٤ - ١٩٥) بتحقيقي.

(٣) (٨٩/٤) لياقوت الحموي.

(٤) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٦١٨).

(٥) «القاموس المُحيط» (ص ١٢١٤) للفيروز آبادي.

(٦) وينظر: «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» (ص ٦٣).

(٧) قال عمارة اليمني في «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» (ص ٦٣): وهذه لآعَة إلى جانبها قرية

لطيفة يقال لها: عدن لآعَة، وليست «عدن أبين الساحليَّة».

(٨) «تاريخ ابن خلدون» (١/٥٥٢) من «الطبقة الثانية من العرب» وقارن به.

(٩) كذا هو هنا، والمصنف نقل ذلك نصًا عن ياقوت الحموي من «معجم البلدان» وإلا فصوابه

عُمارة بن علي، وهو صاحب كتاب «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» مات سنة (٥٦٩هـ) وله

ترجمة في «العبر» (٤/٢٠٨) للذهبي.

رأس جبل عدن (١). وقال المؤرخون (٢): سميت عدن من العدون إليها وهو الإقامة (٣). وقال بعضهم: عدن وأبين هما ابنا عدنان (٤). وقال بعضهم: أبين بن زهير بن أيمن بن حمير (٥).

وقد استغرب بعضهم ما نقله الطبري أن أبين وعدن هما ابنا عدنان، وقال: انفرد به الطبري (٦). وفي «صبح الأعشى» للقلقشندي (٧) قال: وباليمن عدة مدن منها عدن. قال في «تقويم البلدان» (٨): بفتح العين والذال المهملتين ونون في الآخر، وهي من تهائم اليمن، قال: وهي خارجة إلى الجنوب عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة. قال في «الأطوال» (٩): حيث الطول سبع وستون درجة، والعرض تسع عشرة درجة. قال في «الروض المعطار»: وأول من نزلها عدن بن

(١) «معجم البلدان» (١/٨٦) لياقوت الحموي.

(٢) وقع في المطبوع: «المؤرخين» وهو خطأ.

(٣) ينظر: «العقبة» (ص ٤١ - ٤٢)، وكتابي «المنتخب المهذب من علماء عدن والواردين إليها» (ص ١٨ - ١٩).

(٤) هذا القول عزاه ياقوت في «معجم البلدان» (٤/٨٩) للطبري.

(٥) كما في «نسب معد» (٢/٥٣٥) لهشام الكلبي «شاملة».

(٦) الذي وقفت عليه هو قول ياقوت في «معجم البلدان» (٤/٨٩) قال: «وهذا عجب لم أر أحداً ذكر أن عدنان كان له ولد اسمه عدن غير ما ورد في هذا الموضوع».

(٧) هو أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي الشافعي نزيل مصر، مات سنة (٨٢٢هـ) وله ترجمة في «إنباء العمُر بأبناء العمُر» (٣/١٧٨) لابن حجر.

(٨) ما زال الكلام للقلقشندي.

(٩) ما زال الكلام للقلقشندي، وسيستمر نقله إلى مكان الإحالة إلى كتاب «صبح الأعشى».

سبأً فعرفت به. قال في «تقويم البلدان»: ويقال لها: عدن أَيْنَ بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة التحتية ثم نون. وقال في «المشترك» عن سيبويه: بكسر الهمزة، وهو رجل من حَمِيرٍ أضيفت إليه عدن. قال في «العبر»: وهو أبين بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير. وذكر «الأزهري»^(١) أن سبب تسميتها بذلك أن الحبشة عبرت في سفنهم إليها وخرجوا منها فقالوا: عدونَه، يريدون خرجنا، وسميت عدن، وقيل: مأخوذ من قولهم: عدن بالمكان إذا أقام به. وهي على ساحل البحر ذات حط وإقلاع، قال في «مسالك الأبصار»: وهي أعظم المراسي باليمن وتكاد تكون ثلاثة تَعَزَّ وَرَبِيدٌ في الذكر، وبها قلعة حصينة وهي خزانة [مال]^(٢) ملوك اليمن، إلا أنه ليس بها زرع ولا ضرع، وهي فُرْصَةُ اليمن ومَحَطُّ رحال التجار، ولم تزل بلد تجارة من زمن التبابعة إلى زماننا هذا، وإليها تَرَدُّ المراكب الواصلة من الحجاز والسند والهند والصين والحبشة، ويمتار^(٣) أهل كل إقليم منها ما يحتاج إليه إقليمهم من البضائع.

قال صلاح الدين بن الحكيم: ولا يخلو أسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى ومتاجر متنوعة، والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجائر مربحة، ولحطُّ المراكب عليها وإقلاعها مواسم مشهورة، فإذا أراد ناخوذة^(٤) السفر إلى

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري اللُّغوي الهَرَوِي، مات سنة (٣٧٠هـ) له ترجمة في «البلغة في تاريخ أئمة اللغة» برقم (٢٩٤).

(٢) زيادة من «صبح الأعشى»، والمصنف نقل هذا النص منه.

(٣) أي: يجمعون الميرة وهي ما يحتاجونه من القوت والطعام والبضائع.

(٤) النَّاخُوذَةُ: هو رئيس السفينة وربانها، وجمعه النَّوَخِدَةُ، وهي كلمة فارسيَّة مركبة من لفظَيْن:

جهة من الجهات أقام فيها علمًا برنك^(١) خاص به، فيعلم التجار بسفره ويتسامع الناس ويبقى كذلك أيامًا، ويقع الاهتمام بالرحيل وتسارع التجار في نقل أمتعتهم وحولهم العبيد بالقماش السري والأسلحة النافعة، وتنصب على شاطئ البحر الأسواق ويخرج أهل عدن للتفرج هناك^(٢).

وذكر بعضهم النار في عدن أو في قعر عدن، فقال بعضهم: تخرج النار من قعر عدن، ذكر ذلك بعض المحدثين في رواياتهم^(٣). وقال بعضهم^(٤): تخرج هذه النار من البئر التي في قعر جبل صيرة^(٥)، وأنها موجودة إلى الآن وكامنة فيه، وأن بعضهم^(٦) منذ زمن قريب أدلى فيها حبلًا فخرج طرفه محترقًا. كذا في «تاريخ ثغر عدن»^(٧)، قلت: وهذا يشبه خبر مدينة إرم ذات العماد وعثور عبد الله بن قلابة

(ناو) بمعنى (سفينة) و(خَوَاذَة) بمعنى (سيد)، وينظر: «البحرية في مصر الإسلامية» (ص ٢٧٤)، و«إفادة الأنام بذكر أخبار بيت الله الحرام» (٢/٥٠٣) مع التعليق عليه.

(١) بالفارسية معناه اللون والصبغة، وفي المصطلح التاريخي بمعنى الشعار والبنديرة. قاله محقق كتاب «صبح الأعشى» (٩/٥).

(٢) هنا ينتهي ما نقله المصنف من «صبح الأعشى» (٨/٥ - ٩).

(٣) لأنه جاء عند الإمام مسلم في «صحيحه» برقم (٢٩٠١) أنه ﷺ قال عند ذكره لأشراط الساعة الكبرى: «نارٌ تخرج من قُعرِ عدن ترحلُ الناس» ومعناه كما قال أهل العلم: أي تخرج من أقصى قعر أرض عدن و«ترحل» أي: تأخذهم بالرحيل وتزعجهم.

(٤) هو ابن المجاور.

(٥) «تاريخ المستبصر» (ص ٢٢٩).

(٦) والناقل لذلك هو بامخرمة في كتابه «تاريخ ثغر عدن» (ص ١٧).

(٧) (ص ١٧).

عليها، والحقيقة أن عدن فوهة بركان عظيم انطفأ منذ آلاف من الأعوام، والإنكليز يَدْعُونَهَا الآن (ايدن كرتير Aden Cratar) أي: فوهة بركان عدن، والظاهر أن العرب تناقلت خبر هذا البركان عن الأسلاف جيلاً بعد جيل، ومع تداول الأجيال أدخلوا فيه من الخرافات ما يناسب عقولهم وتفكيرهم (١). وأما بعد الإسلام فقد ذكر المؤرخون أن علياً دخل عدن وخطب بها خطبة بليغة (٢).

وقال أبو الطيب (٣) في «تاريخ ثغر عدن»: وكان بمعالها أشجار كبار ذات شوك كالسَّمُرِ والعَوْسَجِ وغير ذلك، ولذلك سميت الحَافَّةُ العليا بجرم الشوك، وكانت المراكب تمر بها وتجاوزها إلى الأهواب (٤) وغُلافِقة (٥) وغير ذلك من البَنَادِر (٦)،

(١) الذي يظهر أن المصنف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يريد استبعاد قبول الحديث الصحيح الوارد في ذلك من خروج النار من قعرة عدن، أو أنه لا يعلم بصحته فقال ما قال.

(٢) أما ذهاب علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى اليمن فهو ثابت، لكن ليس هناك ما يثبت أنه دخل عدن وخطب هذه الخطبة فيها.

(٣) صوابه: قال الطيب، وهو با مخرمة، ويكنى أبا محمد، والطيب لَقَبٌ له.

(٤) الأهواب: ميناء صغير قديم غربي مدينة «زبيد» يمتاز بنظافة ساحله وحلو مائه وتحيط به أشجار النخيل.

(٥) وقع في المطبوع: «غليفقة»، والتصويب هو من «تاريخ ثغر عدن»، والمصنف نقل ذلك منه، والكلام هنا هو عن ميناء «غلافقة» لا عن بلدة «غليفقة»، و«غلافقة» ميناء قديم على ساحل البحر الأحمر بالغرب من مدينة «زبيد»، كان فُرْضَةُ «زبيد»، ولَمَّا أسس الملك الناصر أحمد الرسولي سنة (٨٢٢هـ) ميناء «الفازة» صَعَفَتْ «غلافقة» واقْفَرَتْ، ثم تعرضت للدمار في القرن العاشر الهجري.

(٦) البَنَادِر: جمع بَنَدَر، وهو مرسى السُفُن، وكذلك يطلق على المُدُن الكبيرة.

وَتَمَّتْ^(١) عَلَى هَذَا الْحَالِ إِلَى أَنْ اسْتَوْلَى بَنُو زِيَادٍ مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ عَلَى الْيَمَنِ بِأَسْرِهِ وَأَمَّنْتَ الطَّرِيقَ، فَتَرَدَّدَتِ النَّاسُ إِلَى عَدَنِ وَقَصَدَتْهَا الْمَرَاقِبُ وَرَأَوْا أَنَّهَا أَقْرَبُ لَهُمْ وَأَخْلَصُ مِنْ غَيْرِهَا، فَتَرَدَّدُوا إِلَيْهَا وَكَانَ غَالِبَ بَيْوتِهَا الْخَوْصُ، قَالَ: وَكَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى بِنَاءِ الْبُيُوتِ الْحِجْرَ إِلَّا أَوْلُو الثَّرْوَةِ إِلَى أَيَّامِ آلِ زُرَيْعٍ وَصَلَ إِلَى عَدَنِ أَبُو الْحَسَنِ [عَلِيِّ بْنِ] ^(٢) الضَّحَّاكَ الْكُوفِيَّ وَرَغِبَ فِي سَكْنِي عَدَنِ فَاشْتَرَى عَيْدًا زَنُوجًا وَجَعَلَ عَيْدَهُ يَقْطَعُونَ لَهُ الْحِجَارَةَ مِنْ جِبَالِ عَدَنِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْمِقْلَاعَ ^(٣)، وَالْمِقْلَاعُ مَوْضِعٌ يَقْلَعُونَ مِنْهُ الْحِجَارَةَ ^(٤).

وَكَانَتْ عَدَنُ عَامِرَةً عَلَى عَهْدِ الزَّرِيْعِيِّينَ، وَازْدَادَتْ عِمْرَانًا فِي عَهْدِ الْغَسَّانِيِّينَ، وَأَوَّلُ مَنْ بَنَى سُورَ عَدَنِ آلُ زُرَيْعٍ مِنْ حِصْنِ جَبَلِ التَّعْكَرِ إِلَى جَبَلِ حُقَّاتٍ، وَجَعَلُوا لَهُ أَبْوَابًا وَهِيَ بَابُ حَقَاتٍ وَبَابُ الصَّبَاغَةِ ^(٥) وَبَابُ حَوْمَةِ وَبَابُ السَّائِلَةِ وَكَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ السَّيْلُ، ثُمَّ دُعِيَ بَابُ مَكْسُورٍ بَعْدَ أَنْ كَسَرَهُ السَّيْلُ مَرَارًا،

(١) أَي: بَقِيَتْ.

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ سَاقِطٌ مِنَ الْمَطْبُوعِ وَتَمَّ اسْتِدْرَاكُهُ مِنْ «تَارِيخِ ثَعْرِ عَدَنِ»، وَالْمَصْنَفُ نَقَلَ هَذَا النَّصَّ مِنْهُ، وَبِامْتِخَانِهِ إِنَّمَا نَقَلَهُ مِنْ «تَارِيخِ الْمُسْتَبْصِرِ».

(٣) «تَارِيخِ ثَعْرِ عَدَنِ» (ص ١١)، وَيَنْظُرُ: «تَارِيخِ الْمُسْتَبْصِرِ» (ص ٢٥٢) بِتَحْقِيقِي.

(٤) كَذَا قَالَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ الْآلَةُ الَّتِي تُقَطَّعُ بِهَا الْحِجَارَةُ وَتُقْلَعُ، وَلِلْفَائِدَةِ يَنْظُرُ: «تَارِيخِ الْمُسْتَبْصِرِ» (ص ٢٥٢).

(٥) كَذَا هُوَ هُنَا، وَكَذَلِكَ فِي «تَارِيخِ ثَعْرِ عَدَنِ»، وَالْمَصْنَفُ نَقَلَهُ مِنْهُ بِتَصَرُّفٍ وَابْتِخَارٍ فِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ، يَبْدُو أَنَّ الَّذِي عِنْدَ ابْنِ الْمَجَاوِرِ فِي «تَارِيخِ الْمُسْتَبْصِرِ»: «الصَّنَاعَةُ» وَلَيْسَ «الصَّبَاغَةُ»، وَبِامْتِخَانِهِ نَقَلَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُ: كِتَابُ «صَيْرَةَ» (ص ٣٩٣) لِعَبْدِ اللَّهِ مَحْيِرِزٍ.

وباب الفرضة وباب مشرف^(١) ثم دعي باب الساحل، وذكر بعضهم^(٢) أن محمد بن عثمان بن علي الزنجبيلي عامل تُورَانَ شاه عليّ عدن جدد هذه الأسوار. وذكر بعضهم^(٣) قصور عدن، وقال: ومن قصور عدن «دار السعادة» بناه سيف الإسلام طُغْتِكَيْنُ بن أيوب من جهة حُقَات^(٤). قال صاحب «تاريخ ثغر عدن»: والمشهور عند الناس أن المجاهد الغساني بنى دار السعادة المذكور يشرف عليّ البحر، وقيل: كانت لبني الخطباء من أهل مصر كانوا بعدن^(٥). ومن قصور عدن «دار المَنْظَر» وكانت للداعي محمد بن سبأ الزريعي، ذكرها الأديب أبو بكر بن أحمد العندي^(٦) في شعره بقوله:

(١) «تاريخ ثغر عدن» (ص ١٤)، وينظر: «تاريخ المستبصر» (ص ٢٥٦) بتحقيقي.

(٢) وهو ابن المجاور، وهذا في كتابه «تاريخ المستبصر» (ص ٢٥٦).

(٣) وهو ابن المجاور.

(٤) «تاريخ المستبصر» (ص ٢٢٨).

(٥) «تاريخ ثغر عدن» (ص ١١) وقارن به، وللفادة ينظر: كتاب «صيرة» (ص ٤٠٣) لعبد الله مُحَيْرَز.

(٦) وتنظر ترجمته في «المفيد من أخبار صنعاء وزبيد» (ص ٢٧٩). والعندي بالنون بعد العين: نسبة إلى الأعنود من ضواحي أَيْن، كما قال ذلك الجَنْدي في «السلوك» (١/ ٣٧٠)، وقال العلامة محمد بن سالم البيحاني عالم عدن في زمنه: «العندي» من «العند» شمال «حُوطة لَحْج».

قلت: وقد أشكلَ ضبط ذلك عليّ بعض المحققين فأرسل رسالة إلى العلامة عبد الرحمن المعلمي يسأله عن ذلك، فأرسل المعلمي رسالة إلى البيحاني فأجاب عليّ ذلك بجواب ينظر في «المدخل إلى آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن المُعَلِّمي» (١/ ٣٢٧) و(٣٣٢).

دَارٌ تُعَظَّمُ بِالْمَعْظَمِ شَأْنُهَا وَازْدَادَ عِزًّا بِالْمَكِينِ مَكَانُهَا

ومن قوله فيها:

بِالتَّعَكَّرِ المَحْرُوسِ أَوْ بِالمَنْظَرِ الـ مَأْتُوسٍ نَجْمِي فَرَقَدٌ وَسِمَاكُ

وكانت «دار المنظر» على جبل حُقَّات. ومن قصور عدن «دار الطويلة» بناها ابن الحابي^(١) على محاذاة الفرضة^(٢). ومن دور عدن «دار البندر» أمام المرسى بناها الشيخ عبد الوهاب بن داود^(٣)، ودخل عدن الرحالة الشهير ابن بطوطة ووصفها على عهد الغسانيين بني رسول قال: وهي مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم، والجبال تحف بها، ولا مدخل إليها إلا من جانب واحد، وهي مدينة كبيرة ولا زرع بها ولا شجر ولا ماء، وبها صهاريج^(٤) يجتمع فيها الماء أيام المطر، والماء على بعد منها، فربما منعته العرب وحالوا بين أهل المدينة

=

قال المؤرخ محمد بن عليّ الأكوخ: إنه منسوب إلى قبيلة الأعدود، وكان الأنسب في النسبة أن يقال: الأعدودي، ولكن هكذا جرت النسبة على ألسنة العرب. ينظر تعليقه على «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» (ص ٢٧٩)، ووقع في «معجم البلدان» (٤/ ٨٩): «العيدي» بالياء بعد العين، وهو خطأ.

(١) كذا هنا: «الحابي»، وفي «تاريخ ثغر عدن»: «الخائن»، وبامخرمة هو نقله من «تاريخ المستبصر»، والذي وقفت عليه عنده كما في مخطوطته هو: «الجابين».

(٢) «تاريخ المستبصر» (ص ٢٢٨)، «تاريخ ثغر عدن» (ص ١١)، و«صيرة» (ص ٤٠٥).

(٣) «تاريخ ثغر عدن» (ص ١٢ - ١٣).

(٤) وهذه الصَّهَارِيجُ موجودة إلى يومنا هذا، وللفادة ينظر: كتاب الأستاذ عبد الله محيرز بعنوان «صهاريج عدن».

وبينه حتى يصانعوهم بالمال والثياب، وهي شديدة الحر، وهي مرسى أهل الهند تأتي إليها المراكب العظيمة من (كنبايت وتانة وكولم وقلقوتا وفندرانبة^(١)) والشاليات^(٢) ومنجروور^(٣) وفاكنور وسندابور وهنور) وغيرها، وتجار الهند ساكنون بها وتجار مصر أيضًا، وأهل عدن ما بين تجار وما بين حمالين وصيادين للسّمك، وللتجار منهم أموال عريضة وربما يكون لأحدهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه غيره لسعة ما بين يديه من الأموال ولهم في ذلك تفاخر ومباهاة.

(حكاية) ذُكِرَ لي أن بعضهم بعث غلامًا ليشتري له كبشًا وبعث آخر منهم غلامًا برسّم ذلك أيضًا، فاتفق أنه لم يكن بالسوق في ذلك اليوم غير كبش واحد، فوَقعت المزايدة فيه بين الغلامين، فانتَهى ثمنه إلى أربعمائة دينار، فأخذه أحدهما وقال: إن رأس مالي أربعمائة دينار، فإن أعطاني مولاي ثمنه فحسن وإلا رفعت فيه رأس مالي ونصرت نفسي وغلبت صاحبي، وذهب بالكبش إلى سيده، فلما عرف سيده بالقضية أعتقه وأعطاه ألف دينار، وعاد الآخر إلى سيده خائبًا فضربه وأخذ ماله ونفاه عنه.

قال: ونزلت في عدن عند تاجر يعرف بناصر الدين الفأريّ، فكان يَحْضُرُ طعامه كل ليلة نحو عشرين من التجار، وله غلمان وخدم أكثر من ذلك، ومع هذا

(١) وقع في المطبوع: «قندرانبة» بالقاف، والمثبت من «رحلة ابن بطوطة» من الطبعة المغربية.

(٢) وقع في المطبوع: «والثاليات»، والمثبت من «رحلة ابن بطوطة».

(٣) وقع في المطبوع: «منجروور»، والمثبت من «رحلة ابن بطوطة».

كله فهم أهل دين وتواضع [وصلاح] (١) ومكارم أخلاق يحسنون إلى الغريب ويؤثرون الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما يجب.

قال: ولقيت بهذه المدينة قاضيها الصالح سالم بن عبد الله الهندي وكان والده من العبيد الحمالين، واشتغل ابنه بالعلم فرأس وساد وهو من خيار القضاة وفضلائهم، أقمت في ضيافته أيامًا وسافرت (٢).

قلت: وعدن اليوم سوق التجارة وميدان الربح والخسارة، أمُّ مُدُنِ اليمن التي عليها العماد، والزمَامُ الذي به يقاد. يقال في وصفها: هيفاء حسناء وفيها نور الكهرباء والأطباء والدواء والبَخَارُ والبريد والحديد. والإنكليز أهل صخر وبحر، وهي من أهم نقاط المواصلات بين الشرق والغرب، ومن أحصن حصون البريطانيين ومركزهم لأساطيلهم البحرية والجوية، ومحطة تَمَوَّنَ منها البواخر بالفحم والقاز وما يلزم، وهي مع ذلك سوق تستمد منه جميع الأسواق في بلاد العرب، وفيها التجار الأغنياء، وقد يملك التاجر العظيم فيها من الأموال أكثر مما يملك جميع تجار مدينة بأسرها، يبلغ عدد سكانها مع ضواحيها قرابة خمسين ألفًا من سائر الأجناس، إذ فيها الإفرنجي والفارسي والهندي والصومالي ومن سائر شعوب أفريقيا وآسيا.

وعجبية عدن «الصهاريج» أسداد الماء وهي من أجمل الأعمال الهندسية في العالم، تَسْعُ «ثمانين مليون جالون ماء»، وتاريخ إنشاء هذه الأسداد مجهول،

(١) زيادة من «رحلة ابن بطوطة».

(٢) «رحلة ابن بطوطة» (١١٣/٢) ط: المغربية.

فمن المؤرخين من قال: إنها بنيت في القرن الخامس بعد المسيح، ومنهم من رجع بها إلى ألف وخمسمائة سنة قبل المسيح رجماً بالغيب، وكانت هذه الأسداد مردومة عند احتلال الإنكليز لعدن ثم كشفت ورممت في سنة ١٢٧٢هـ^(١).

* * *

(١) وينظر: كتاب «صهاريج عدن» لعبد الله مُحَيْرِز.

الفصل الرابع

واشتهر أهل عدن بالأدب ونبغ منها جملة أدباء منهم الأديب العندي^(١)، وللشاعر التكريتي العدني القصيدة الشهيرة بالتركيبية، امتدح بها المنجوي صاحب مِرْبَاط، وقال فيها بعض الأدباء: كُتِلَ الشَّعْرُ يَدْرُسُ^(٢) إلا ما كان من قصيدة التكريتي، وهي هذه:

عُجْ بِرَسْمِ الدَّارِ فَالطَّلَلِ	فَالكَثِيبِ الفَرْدِ فَالائْتَلِ
فَبِمَأْوَى الشَّادِنِ العَزَلِ	بَيْنَ الظَّالِ وَالجَبَلِ ^(٣)
فَإِذَا مَا بَانَ بَانَ قُبَا	وَبَلَّغْتَ الرَّمْلَ وَالكُثْبَا
نَادِ أَهْلَ الرَّبْعِ وَاحْرَبَا	وَاسْبِلِ العَبْرَاتِ ثُمَّ سَلِ ^(٤)
وَإِبْكَ فِي أَثْرِ الدُّمُوعِ دَمَا	هَبْ كَأَنَّ الدَّمْعَ قَدْ عُدِمَا ^(٥)
وَإِنْدَبِ العَيْدَ الدُّمَامَا نَدَمَا	وَاقْفُ إِثْرَ الظُّعْنِ وَالإِبِلِ

(١) تقدم قريباً.

(٢) أي: يذهب ويفنى.

(٣) كذا هنا وهو كذلك في «السلوك»، وأما «طراز أعلام الزمن» ففيه: «والحُلل».

(٤) في «السلوك»: «ناد يا ذا الربيع»، وفي «طراز أعلام الزمن»: «ناد يا ذا الركب».

(٥) في «طراز أعلام الزمن»: «وابل في أثر الربوع» بالراء.

كُنْتُ يَوْمَ الْبَيْنِ بَيْنَهُمْ
 رَبِّ سَارٍ ضَلَّ فِي السَّبِيلِ
 وَهُمْ فِي خَاطِرِي وَمَعِي
 فَفُؤَادِي عَنْكَ فِي شُغْلِ
 أَشْتَكِي وَجِدِي وَبُعْدَهُمْ
 وَأَقْضِي الدَّهْرَ بِالْأَسْلِ (١)
 وَحَمَامِ الْأَيْكِ تُسْعِدُنِي
 بِالْبُكَاطُورِ وَالْبَجْدَلِ (٢)
 أَنْحَسَّيْ الدَّمْعِ مُضْطَبِحًا
 وَأَنَا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
 وَسُقَامِي لِلضَّنَا وَرَثَا
 كُلِّ مَنْ رَامَ الْحِسَانَ بِلِي
 أَذْهَبَ الْأَكْدَارَ وَالْوَسَخَا
 وَقَعَّتْ صِفِينِ وَالْجَمَلِ (٣)
 وَأَكْفُ الْبَيْنِ تَقْمَعُنَا (٤)

آه لَوْ أَدْرَكْتُ بَيْنَهُمْ
 لَيْتَ شِعْرِي الْآنَ أَيْنَ هُمْ
 كَيْفَ أَتْنِي عَنْهُمْ طَمَعِي
 كُفَّ عَنِّي اللَّوْمُ لَسْتُ أَعِي
 هَا أَنَا فِي الرَّبْعِ بَعْدَهُمْ
 أَسْأَلُ الْأَيَّامَ وَعَدَهُمْ
 فَدُمُوعُ الْعَيْنِ تُنَجِدُنِي
 فَهِيَ تُدْنِينِي وَتُبْعِدُنِي
 خَلَّفُونِي فِي الرُّسُومِ ضَحَى
 كُلِّ سَكْرَانٍ وَعَى وَصَحَا
 رَقِّ رَسْمِ الدَّارِ لِي وَرَثَا
 لَيْسَ سُقْمِي بَعْدَهُمْ عَبَّأ
 آه لَوْ جَادَ الْهَوَى وَسَخَا
 فَالْجَوَى وَالصَّبُّ قَدْ نَسَخَا
 مَا لِهَذَا الدَّهْرِ يُطْمَعُنَا

(١) كذا هنا: «بالأسل»، وفي «السلوك» و«طراز أعلام الزمن»: «بالأمل».

(٢) كذا هنا، وفي «السلوك» و«طراز أعلام الزمن»: «وبالجدل» بالبدال.

(٣) كذا هو هنا: «فالجوى والصب»، وفي «السلوك» و«طراز أعلام الزمن»: «فالجوى والصبر».

(٤) وقع في المطبوع: «يطعمنا»، والتصويب من «السلوك» و«طراز أعلام الزمن»، والنخطأ فيه واضح.

أَتَرَى الْإِيَّامَ تَجْمَعُنَا
 أَتَرَى بِالْمَشْعَرَيْنِ نَرَى
 وَنَزُورُ الْحِجْرَ وَالْحَجْرَا
 كَمْ لَنَا بِالْمَرْوَتَيْنِ أَسَى
 يَنْجَلِي عَنِ رَبِّمَا وَعَسَى
 يَا أَصِيحَابِي وَيَا لَزَمِي
 إِنَّ أُمَّتٌ لَا تَأْخُذُوا بِدَمِي
 عَادَةٌ فِي خَصْرِهَا هَيْفُ
 فَهَيْامُ الْقَلْبِ وَالشَّغْفُ
 فَبِيَّاضِ الصُّبْحِ غُرَّتْهَا
 دُمَيْةٌ كَالشَّمْسِ بَهَجَتْهَا
 أَصْلُ دَائِي غُنْجٌ مُقْلَتِهَا
 أَتَرَى عَمْرًا بِنَظَرَتِهَا
 رَيْقُهَا وَالْمَبْسَمُ الشَّيْبُ
 لَوْلَوْ رَطْبُ هُنَا الْعَجَبُ
 وَصَفُوا هُنْدًا وَمَا وَصَفُوا
 قُلْتُ هَذَا مِنْكُمْ سَرَفُ
 بِمَنْىَ وَالْخَيْفِ وَالْجَبَلِ
 عَيْسَهُمُ وَالرَّكْبَ قَدْ نَفَرَا
 وَنَضُّمُ الرُّكْنِ لِلْقُبُلِ
 مَا لَهُ غَيْرُ الْخُضُوعِ أَسَى
 وَالْوَرَى فِي غَايَةِ الْوَجَلِ
 غَيْرُ خَافٍ عَنكُمْ أَلَمِي
 غَيْرَ ذَاتِ الدُّلِّ وَالْكَسَلِ
 دَنَفٌ كُلُّ بِهَا دَنَفُ
 بَيْنَ ذَلِكَ الْخَضِرِ وَالْكَفَلِ
 وَسَوَادُ اللَّيْلِ طُرَّتْهَا
 وَهِيَ فِي حَمْسٍ مِنَ الْحَمَلِ
 وَدَوَائِي لَنْتُمْ وَجَنَّتِهَا
 أَوْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي
 خَنْدَرِيْسٌ فَوْقَهَا حَبَبُ
 بَحْرُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
 عَكَّسُوا الْمَعْنَى وَمَا عَرَفُوا
 أَيَقَاسُ الْكُحْلِ بِالْكَحَلِ

فَعَلَّتْ بِي غَيْرَ مَا وَجَبَا عَاقَبْتُ مَا رَاقَبْتُ رُقَبَا (١)
صِحْتُ فِي الْأَحْيَاءِ وَاحْرَبَا أَيَحِلُّ الْقَتْلُ بِالْحَجَلِ
كَمْ كَرَّرْتُ مِنْ مُقَلَّتِي مَنَعْتُ حَبَّذَا لَوْ أَنَّهَا قَنَعْتُ
مُذَبَدَتْ صَنْعَاءُ وَمَا صَنَعْتُ جَمْعُ ذَاكَ اللَّحْظِ بِالْمَقَلِ (٢)
إِنْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ هَانَ دَمِي هَا صَبَابَانِي وَهَانَ دَمِي
فَدَمِي فِي ثَابِتِ الْقَدَمِ وَرَشَادِي ضَلَّ فِي الْأَزَلِ
بَدَرْتُ مِنْ بَدْرِ جَارِيَّةُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ جَارِيَّةُ
نُمَّ قَالَتْ وَهِيَ جَارِيَّةُ أَرْفُقِي يَا هِنْدُ بِالرَّجْلِ
فَأَجَابَتْ وَهِيَ مُعْرِضَةٌ وَمَرَاضُ اللَّحْظِ مُمْرِضَةٌ
أَنْتِ لِي يَا سَعْدُ مُبْغِضَةٌ قَدْ سَقَيْتِ النَّفْسَ مِنْ عَلِي (٣)
قَالَتْ الْبَدْرِيَّةُ أَتَيْدِي وَعَدِي ذَا الْمُبْتَلَى وَعَدِي
مَا الَّذِي يُنْجِي مِنَ الْقَوْدِ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ
طَالَمَا فِيكَ الْهَوَى عَبْدَا مَا عَدَا مِمَّا لَدَيْكَ بَدَا
لَيْسَ يَخْفَى قَتْلُهُ أَبَدَا مِنْ مَرَوَى الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
الْإِمَامُ الطَّاهِرُ النَّسَبُ الزَّكِيُّ الطَّيِّبُ الْحَسَبُ

(١) وقع في المطبوع: «راقب» بدل «راقبت»، والتصويب من «السلوك» و«طراز أعلام الزمن».

(٢) كذا في «السلوك» و«طراز أعلام الزمن» «صنعاء»، ولعل الصواب «صنعًا».

(٣) في «السلوك» و«طراز أعلام الزمن»: «شفيت» بدل «سقيت».

السَّحَابُ السَّائِبُ اللَّجَبُ الهَتُونَ الْعَارِضُ الْهَطِلُ
الهِزْبُ الْمُنْجَبُ وَيُّ إِذَا أَلْقَتِ الْحَرْبُ الْعَوَانَ أَدَى
هُوَ تَاجُ وَالْمُلُوكُ حِذَا بَلْ حَضِيضٌ وَهُوَ كَالْقَلْلِ
طَالَمَا قَدْ ضَنَّتِ السُّحُبُ وَأَشْرَابَ الْمَحَلِّ وَالسَّغْبُ
وَعَوَادِي كَفَّهِ السَّهْبُ بِالضُّحَى تَهْمَى وَبِالْأَصْلِ (١)
لَوْ هَمَّتْ يَوْمًا غَمَائِمُهُ بِأَطَى نَاحَتْ حَمَائِمُهُ
فَهُوَ مُذْنِبَتْ تَمَائِمُهُ مُوَلِّعٌ بِالْحَيْلِ وَالْحَوَلِ
يَمْنَحُ السُّؤَالَ قَبْلَ مَتَى سَأَلَ الْمُضْطَرُّ أَوْ سَكَّتَا (٢)
لَوْ أَتَى بَعْدَ الرَّسُولِ فَتَى كَانَ حَقًّا خَاتَمَ الرُّسُلِ
وَعَدُولٌ بَاتَ يَعْدِلُهُ وَلَدَيْهِ الْمَالُ يَبْدُلُهُ
قَصْدُهُ عَنِ ذَاكَ يَعْدِلُهُ وَهُوَ لَا يُصْغِي إِلَى الْعَدْلِ
حَكَتِ الْأَنْوَا أَنَامَلُهُ وَهِيَ تَخْشَى أَنْ تُقَابَلَهُ (٣)
فَإِذَا مَا هَزَّ ذَابِلُهُ قَرَنَّ الْأَرْوَاحَ بِالْأَجَلِ
مَالَهُ مِثْلُ يَمَائِلُهُ لَا وَلَا شَكْلُ يُشَاكِلُهُ
وَلَهُ فِيمَا يُحَاوِلُهُ هَمَّةٌ تُعْلَوُ عَلَى زُحَلِ

(١) في «السلوك» و«طراز أعلام الزمن»: «الشهب» بدل «السهب».

(٢) وقع في المطبوع «السائل» والمثبت من «السلوك» و«طراز أعلام الزمن» وبه يستقيم السياق.

(٣) في «السلوك» و«طراز أعلام الزمن»: «أقاتله» بدل «تقابله».

وَنَدَاهُ نَحُونَا بَسَّطًا (١) كَفَّ كَفُّ الدَّهْرِ حِينَ سَطَا
 بَعْدَ ذَلِكَ الخَوْفِ وَالْوَجَلِ فَعَدُونَا أُمَّةً وَسَطًا
 وَأَبُو عَبِيدِ الإِلَهِ لَنَا كَيْفَ نَخْشَى بَعْدَهُ الزَّمَنَا
 حَلَالًا نَاهِيكَ مِنْ حُلَلِ ارْتَدَى مَجْدًا وَالْبَسَانَا
 وَلَوْيُّ فِي صَبَاحَتِهِ (٢) هُوَ قُسٌّ فِي فَصَاحَتِهِ
 وَابْنُ عَبَّاسٍ لَدَى الجَدَلِ وَهُوَ مَعْنٌ فِي سَمَاحَتِهِ
 يُعَدِّرُ الجَانِي وَيُحْتَمَلُ إِنْ يَكُنْ فِي نَظْمِهَا حَلُّ
 عَنِ كِتَابِ العَيْنِ وَالجَمَلِ اهـ خَاطِرُ المَمْلُوكِ مُشْتَعِلُ

وذكروا أنه أجازه بمركب وشحنته. وكان ملك اليمن يومئذ سيف الإسلام
 طغتكين بن أيوب، فنقل إليه الشعر فاغتاظ من قوله: «هو تاج والملوك حذا»
 فأوصى نائبه بعدن أنه متى قدم أقدمه إليه حيث كان، ففعل النائب ذلك، فلما
 وقف بين يديه قال: كيف تقول: «هو تاج والملوك حذا» قال: لم أقل حذا بكسرها
 إنما فتحتها، فأعجب سيف الإسلام ذلك وأطلقه كرمًا. وهذا منه تورية، وإلا
 فقوله: «بل حَضِيضٌ وَهُوَ كَالْقَلَلِ» لا يطابق هذا المعنى فتأمله. وكان قد اتصل
 الخبر بالمنجوي أنه قبض عليه وعلى ماله فبعث إليه بمركب آخر وشحنته وقال:
 يترك مع بعض العدول ينفقه ويكسوه حتى يأتيه الله بالفرج، فوصل المركب الثاني

(١) في «السلوك» و«طراز أعلام الزمن»: «ويده» بدل «ونداه».

(٢) وقع في المطبوع «قيس» والمثبت من «السلوك» و«طراز أعلام الزمن» والمُرَاد به «قُسٌّ بن

سَاعِدَةَ»؛ لأنه هو الذي كان أَفْصَحَ العَرَبِ.

وقد أطلق فسلموه إليه، ونقل الخبر إلى سيف الإسلام فقال: يحق لمادح هذا أن يقول فيه ما شاء^(١).

* * *

(١) ينظر: «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١/٤٥٦ - ٤٦١)، و«طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن» (٤/١٧٨١ - ١٧٨٦).

الفصل الخامس

مَاتِي وادي لحج: وادي الرَّغَادَة. وادي الأَحْوَاض. وادي وَرَزَانَ. وادي الجَنَات. وادي حُرْز. وادي حَقْب. وادي ذَابَه. وادي الذَّوْيَة. وادي عَلْصَانَ. رأس وادي لحج. الرَّعَارِعِ عَلَى عَدَوْتِي الوادي. سيلة بَلَه. سد عرائس. رأس وادي لحج الجديد. الواديين وأعبارها. الزراعة في لحج.

* * *

قال (الهمداني): وما بين بلد بني مجيد وأبين من الأودية المنتهية إلى البحر ذات الجنوب إلى حَيِّزِ عدن، فأول واد منها من تلقاء المشرق وادي الرَّغَادَة^(١) قوم من حَمِير، فجبل صُرَّر^(٢) من أرض السكاسك^(٣)، فجبل الحُشَاء^(٤) من بلد السَّكَّاسِك، فَبَعْدَانِ وَرَيْمَانَ^(٥) والشَّعْرِ^(٦)

-
- (١) وادي الرَّغَادَة: أسفل بلاد السَّكَّاسِك «ماوية» في شرقي تعز، وهو من روافد وادي تُبْنُ.
 (٢) وقع في المطبوع: «ضرر» بالضاد، والمثبت من «صفة جزيرة العرب»، والمصنف نقله منه.
 (٣) السَّكَّاسِك: بطن من كِنْدَة من كهلان بن سبأ، مواطنهم شَرْقِي مدينة تَعِز في «الجند» و«ماوية» و«الحُشَاء» و«حدير» ومنهم طائفة في وادي عَمَاقِيْن من بلاد شَبْوَة.
 (٤) الحُشَاء: بضم فتح: جَبَلٍ واسع بالشرق الشمالي من مدينة تعز في محاذة جبل «سُورِق» من جهة الشرق.
 (٥) رَيْمَانَ: جبل عالٍ منيف يطل على مدينة «إب» من الجهة الشرقية.
 (٦) الشَّعْرِ: بفتح فكسر، مديرية من أعمال محافظة «إب» تبعد عن مدينة «إب» بمسافة نحو (٤٥) =

من بلد الكَلَاع (١)، وسَحْلان (٢) ودَلال (٣) ومَيْتَم (٤) وتَبْنُ مَيْتَم وهي تَبْنُ ابن الرُّوِيَّة غير تَبْنُ لَحْج، والثَّجَّة (٥) من جبل التَّعَكْر، مفضى هذه المياه إلى وادي الأحواض من السكاسك، ويصب الأحواض من غريبه وَرَوَّة (٦) من حصون السكاسك، وجبل حُمَر (٧) من حصون السكاسك

كيلو، قيل: إنها سُمِّيَتْ نسبةً إلى الشَّعْر بن عدي بن الحارث بن شرحبيل.

- (١) الكَلَاع: وتشمل ما يعرف اليوم باسم: «العُدَيْن» و«حَيْش» و«ذي السُّفال» و«السُّحول» و«إبَّ».
- (٢) سَحْلان: كذا وهو كذلك في «صفة جزيرة العرب» للهمداني، والمصنف نقل ذلك منه إلا أن محقق الكتاب محمد بن علي الأكوخ اجتهده وأثبتها بالخاء «سَحْلان» بيد أن الذي يظهر أن ذلك بالخاء المهملة، وقد أثبت ذلك المقحفي في «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٧٧٤) فقال: «سَحْلان» بطن من ذي رُعيْن من ولد سَحْلان بن غلس بن الشَّعْر بن عدي بن الحارث... لهم بقية في «الشَّعْر وثمة قرية مُهدَّمة في بلاد العَوْد تسمَّى «سَحْلان».
- (٣) دَلال: بالفتح منطقة في جَبَل بَعْدان وهي منطقة مشهورة.
- (٤) بفتح وسكون، وبلاد مَيْتَم هي في بلاد الكَلَاع من بلاد «إبَّ» وهناك «وادي مَيْتَم» الواقع أسفل جَبَل بَعْدان.
- (٥) ينظر لـ«الثَّجَّة»: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٢٥٣)، وتعليق المؤرخ محمد بن علي الأكوخ على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤١).
- (٦) وَرَوَّة: بلدة وحصن في بلد عواس من السكاسك، وَرَوَّة أيضًا بُلَيْدَة من عَزلة الأزارق شرقي الجند، وهي من «الجَنْد» وهي أيضًا من السكاسك. قاله الأكوخ تعليقًا على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤١).
- (٧) حُمَر: زِنَة عُمَر، و«جَبَل حُمَر» يحتفظ باسمه، وقد يقال له: «جبل القَمَاعِرَة»، وكان مخلافًا في القديم مع «خَدِير» و«الجَنْد» و«الحُشا» وكلها من أرض السكاسك. قاله الأكوخ تعليقًا على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤١).

وهو غير حَمَرِ جُبْلَانَ (١)، ثم ينتهي إلى جبل النُّسُور (٢) وهو الحد بين السكاسك والأصْنَعَةَ (٣) من حَمِيرَ.

ومما يخالط هذا الوادي من غَرْبِيَّهِ أوطانُ السكاسك، منها قرية الصَّرْدَفَ (٤) وأرض السُّلْفَ (٥) والربيعيين (٦) وَمِنْجَلَ (٧) وجبل الصردف، ثم تنتهي هذه المياه في وادي السودان (٨) من شرقي الجند، ثم يصب فيه قيعان

(١) حَمَرِ جُبْلَانَ هذا في غربي ذمار، وهناك «حَمَر» في شمال «فَعَطْبَةَ»، وهو غني بالمسانيد القتبانية. قاله الأكوغ تعليقاً على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤١).

(٢) جَبَلُ النُّسُور: باسم الطير المعروف الذي مفرده «نَسْر»، وهو يحتفظ باسمه إلى هذه الغاية، وهو من المخلاف المذكور -السكاسك-، ولعل تسميته بذلك أن النُّسُور كثيراً ما تأويه وتسكن فيه. قاله الأكوغ تعليقاً على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤٢).

(٣) الأصْنَعَةُ: قبيلة تسمى الحواشب، واليوم منهم فرقة تسمى الأصْنَعَةُ تسكن وادي تونة هنالك. قاله الأكوغ تعليقاً على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤٢).

(٤) الصَّرْدَفَ: جبل شاهق شرقي مدينة الجند، فيه قرى ومزارع، ويسمى قديماً بـ«جَبَلِ سَوْرَق» وممن ينسب إليه الفقيه العلامة إسحاق بن يوسف الصَّرْدَفِي مؤلف كتاب «الكافي في الفرائض».

(٥) ينظر له: «الإكليل» (٢/٢٩)، و«صفة جزيرة العرب» (ص ١٤٢) مع تعليق المؤرخ الأكوغ عليهما.

(٦) الربيعيين: ثنية ربيعة، هي مواضع، وهي اليوم خرائب وأنقاض شرقي جبل الصَّرْدَفَ. قاله الأكوغ تعليقاً على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤٢).

(٧) مِنْجَلُ: بكسر الميم وسكون النون آخره لام، وهو ما يسمى اليوم «مِنْجَلُ» بالراء بعد الميم بدلاً عن النون، ويقع أيضاً شرقي جبل الصَّرْدَفَ. قاله الأكوغ تعليقاً على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤٢).

(٨) ويقال له: «السودان الأسفل» قاله الأكوغ ووقع في المطبوع «من وادي السودان» بدل «في»

الأجناد، فكلها من أجناد لألاءة^(١)، فإلى العرمة^(٢) من حازة من جبل صبر من شرقيه نجد الصُّداري^(٣) ووادي العرمة وهو موضع بني أبي كهيل السكسكي، فشرقي جبل سَامِع^(٤)، فشرقي جبل الصُّلو وجبل أبي المَغْلَس^(٥)، وجميع مياه الدَّمْلُوة^(٦) قلعة ابن أبي المَغْلَس تهبط إلى وادي الجَنَّات^(٧) من شمالها، ثم المَسَاقِي شمال سوق الجُوة^(٨) إلى خَدِير، ووادي الجَنَّات هذا يشبه في الصفة

والمثبت من «صفة جزيرة العرب».

(١) لألاءة: ينظر: «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤٢) مع تعليق الأكوغ.

(٢) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٠٥٢).

(٣) كذا هو هنا تبعاً لما في «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤٢)، وكذا ذكره الأكوغ تعليقاً على الكتاب، يُد أن المقحفي في «المعجم» (٢/١٧٢٠) قال: «نجد الصُّراري» فجعله بالراء، قال: وهو ما يسمى اليوم «نجد الصُّبري» على اسم «جبل صبر».

(٤) وهو شرقي المواسط من بلاد الحُجَريّة.

(٥) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٥٩٨).

(٦) وقع في المطبوع: «الدمائة» وهو خطأ، والمثبت من «صفة جزيرة العرب»، والمصنف نقله منه، و«الدَّمْلُوة» قلعة منيعة مشهورة فوق قرية المنصورة من جبل الصُّلو على بعد (٦٠) جنوب شرق تعز، اشتهرت بحصانتها ومناعتها، ولعبت أدواراً في الحروب التي شهدتها المنطقة أيام بني أيوب ومن بعدهم من بني رسول، وهي اليوم خراب وفيها آثار قديمة.

وينظر: «تاريخ المستبصر» (ص ٢٩٩ - ٣٠١) بتحقيقي، و«معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٦٢١).

(٧) وادي الجَنَّات: وهو بين جبلي «الصُّلو» و«الأقروض» من «صبر».

(٨) الجُوة: بضم الميم ثم واو مهموزة وقد تشدد الواو مع حذف الهمزة، بلدة عداها اليوم في مدينة «خدير» وأعمال محافظة تعز.

وادي ظَهْر^(١)، وهو كثير الغيول والمسائل، فيه الأعناب والورس مختلطة في أعاليه مع جميع الفواكه، وأسفله جامع للمَمُوز وقصب^(٢) السكر والأترنج والخيار والذرة والقثاء والكزبرة وغير ذلك، فيلتقي مياه هذا الوادي بما أمده مما ذكرناه بوادي وَرَزَانَ الشاق في وسط خَدِيرٍ مما سمينا من صدور سامع والعَرَصَة^(٣) والنُّبيرة^(٤) - وهي قرية عبد الجبار ابن ربيع الحَوْشَبِي - في صَدْرِ صَبِرٍ، فإذا خَافَ طَلَعَ صَبِرٍ إِلَى قَلْعَةٍ لَهُ تَسْمَى «ذات العم»^(٥)، وهذه النُّبيرة كثيرة الأعناب والفواكه، والغُيول الحاملة إِلَى أن يتصل بِعَتَدَانِ صَبِرٍ من شرقيهِ وَعَتَدَانِ هذا كثير الأعناب والفواكه فيلتقي هذان الواديان وادي الجَنَّاتِ ووادي وَرَزَانَ بجميع خَدِيرٍ إِلَى موضع يقال له: «كَرَش»^(٦)، ثم يعترضها وادي حُرُزٍ^(٧) ومآتبه من شرقي جبال الصَّلُو، وشماليه الرِّيَّسَة، وجنوبه جَبَلُ الرَّمَاءِ^(٨)، فتلتقي هذه الأودية الثلاثة إِلَى مسير ساعة من كَرَشٍ.

ثم تلقى هذه الأودية أودية السكاسك أيضًا من شرقيها وشمالها وادي

(١) وهو شمال «صنعاء» بمسافة نحو عشرة أكيال.

(٢) وقع في المطبوع: «والقصب السكر»، والمثبت من «صفة جزيرة العرب».

(٣) العَرَصَة: تسمى اليوم العارضة، وهي قَرْبُ النُّبيرة، قاله الأكوغ.

(٤) النُّبيرة: بضم النون وفتح الباء وسكون الياء وقد تفتح النون وتكسر الياء. قاله الأكوغ.

(٥) و«ذات العم» تحتفظ باسمها ورسمها إِلَى عَهْدِنَا. قاله الأكوغ.

(٦) كَرَش: وهي على خط الطريق ما بين «الرَّاهِدَة» و«لَحْج».

(٧) بضم الحاء والراء، وهو جنوب مركز الراهدة اليوم من أسافل خَدِيرٍ.

(٨) جَبَلُ الرَّمَاءِ: بتشديد الراء في «القَبِيْطَة جنوب الصَّلُو من بلاد الحجرية».

حَقَب (١) ووادي ذَابَه (٢)، فوادي ذابَه هو وادي عبد الله بن أحمد السكسكي وعبد الله بن أبي ثومَة بن أحمد السكسكي، وهما ببلد السكاسك، وهو وادٍ لا شيء فيه سوى الدُّرَة، مَاتِيَه جَرْبان (٣) حصن عبد الله بن أحمد السكسكي، ونُدْيَة (٤) قرية في أصل الجبل شمال الوادي وهو رأسه، وشرقيه جَبَل حُمَر ويسكنه القَوَادِر من السكاسك ووادي ذابَه (٥) للأخاضر (٦) من السكاسك وهم رؤسائهم، وعُهَامَة (٧) يسكنها الأعهوم (٨) من السكاسك شرقي الوادي، ووادي الذَّوِيَة (٩) وهو موضع موسى بن الهرامي الحِميري، وفي رأس الوادي

(١) حَقَب: يقع غربي حُمَر، وما زال يحتفظ باسمه. قاله الأكوغ.

(٢) ذَابَه: هو في منطقة «أصرار» من مديرية «ماويَة».

(٣) وجَرْبان: هو جَبَل في «ماويَة» تسكنه بعض قبائل «الحواشب» و«القماعرَة»، وفيه مآثر حِميريَّة وسدود وآثار بيوت منحوتة في الصخر عليها كتابات بالخط المُسنَد الحِميري.

(٤) نُدْبَة: تصحف في المطبوع إلى «نُدْيَة»، والمثبت من «صفة جزيرة العرب» للهمداني، والمصنف نقله منه، وقال المؤرخ الأكوغ معلقاً على ذلك: نُدْبَة بضم النون وسكون الدال ثم باء موحدة وهَاء، أهْلَة بالسكان من «آل هريش من أعيان السكاسك».

(٥) تقدم قريباً.

(٦) وقع في المطبوع: «للأخاضر» بالحاء، والمثبت بالخاء من «صفة جزيرة العرب»، والمصنف نقله منه، وانظر «ذابَه» من «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٦٤١) فقد قال: هو وادٍ لا شيء فيه سوى الدُّرَة وهو للأخاضر...

(٧) عُهَامَة: بضم العين، ويقال لهم: «الأعهوم» وديارهم في جَبَل الأَصْرَار.

(٨) وقع في المطبوع: «الأعموم» بالميم بعد العين وهو خطأ، والمثبت من «صفة جزيرة العرب»، والمصنف نقله منه، وينظر التعليق الذي قبل هذا.

(٩) الذَّوِيَة: وهو في بلاد «ماويَة» بالشرق الشمالي من مدينة «تعز».

حصنه جبل لطيف^(١)، ومآتي هذا الوادي جبل الحُشَاءِ شرقي الوادي ومنجل شمالي الوادي وجبل حُمَرِ غربي الوادي، ملتقى جميع هذه الأودية إلى جبل النُّسُور، ثم ينزل فيلقتي وادي عَلَصَانَ^(٢)، ومآتي وادي عَلَصَانَ من شمالي جبل حُرُز^(٣) وثُعُوبَةَ^(٤) من غربيهِ جَبَلِ أَسْحَمِ^(٥) وواي صَعَةَ، ومن شرقيه مَجَازِعِ الطريق اليمني من مَحَجَّةِ عدن إلى الجند وغيرها.

تلتقي هذه الأودية في رأس وادي لَحْجِ على مسير ساعة من قرية الجَوَّار، ثم يَخْرُجُ^(٦) هذا الوادي في الجَوَّار، ثم عند ثَرِيٍّ والجُنَيْبِ^(٧)، وهما للواقديين، ثم وسط الرَّعَارِعِ، ثم يخرج الغائض^(٨) إلى بحر عدن. انتهى كلام الهمداني باختصار من كتاب «صفة جزيرة العرب»^(٩).

وما ذكره الهمداني من مرور وادي لحج وسط مدينة الرَّعَارِعِ قد ذكره غيره،

(١) كذا هو هنا: «حصنه جبل لطيف» بيد أنه لا وجود لـ«جبل» في «صفة جزيرة العرب».

(٢) عَلَصَانَ: هو وادٍ غربي مدينة «الحُوْطَةَ» أعلى وادي «لَحْج».

(٣) حُرُز: بضم الحاء والراء، وقد تقدم قريباً.

(٤) ثُعُوبَةَ: وقع في المطبوع: «ثعوبة» بالياء بعد الواو، وهو خطأ، والتصويب من «صفة جزيرة العرب»،

وهي بضم الثاء قرية في مركز «كِرَش» مديرية «تَبِن» وأعمال محافظة «لحج» تسكنها «الأصابع».

(٥) وهو جبل معاند لعَلَصَانَ من الجنوب الغربي، ويرى من أعلى وادي لحج، قاله الأكوغ.

(٦) وقع في المطبوع «ينحرج» والمثبت من «جزيرة العرب» والمصنف نقل منه.

(٧) هذه الثلاثة المواطن قال المؤرخ الأكوغ: كلها خرائب لا تعرف.

(٨) تصحف في «صفة جزيرة العرب» إلى «الغائط».

(٩) «صفة جزيرة العرب» (ص ١٤١ - ١٤٥).

فلعله الوادي الصغير بدليل بقاء آثار الميِّبَةِ (١) المعاصرة للرَّعَارِعِ، اللهم إلا إذا كان تحويل الوادي صناعياً إلى حيث يجري الآن وهو ما لم يذكره أحد. فإن مجرى الوادي الكبير الآن على مسافة نحو ميل ونصف غربي موضع الرِّعَارِعِ، وأما مجرى الوادي الصغير فعلى بعد نصف ميل شرقي الرِّعَارِعِ، وأما بِلَهَ (٢) فينزل إليها ماء سائلة الدَّاحِمَةِ ورأسها الفَرِيعُ، وماء سائلة النخيلة رأسها ثلثثة والسبط تنزل على أَمْسَادَةِ، وسائلة مُسَيِّمٍ ينزل ماؤه إلى أَمْسَادَةِ فإلى بِلَهَ، والحناء ينزل ماؤه من مراد إلى بِلَهَ، والمَخْلَا ينزل ماؤه من مَنزُوعَةٍ ومُثَيِّفَةٍ، والخبخب ينزل ماؤه من جهة الشق البحري من جبل مُنِيفٍ، تختلط هذه المياه بما يأتي إلى بِلَهَ من المياه النازلة من جهة البرِّقَةِ إلى حميد، والشق الغربي من الرَّحْبَةِ إلى جدد وأم الأدبر والصريف وفرَّعَه والخشب تجتمع هذه المياه بما أمدها مما ذكرناه من السوائل في وادي بِلَهَ ثم تختلط بوادي لَحْجٍ تحت حصن العنَدِ، وكانت بِلَهَ في الزمن السابق تمر في الجهة الشرقية من وادي طَيْرٍ إلى جهة الصافية فتذهب مياهها عبثاً، فحولها سلاطين لَحْجٍ العبادلة إلى الوادي الأعظم، ويُدْعَى وادي لَحْجٍ وادي تُبْنُ، ذكره السيد ابن محمد في مطلع قصيدته:

"هَلَا وَقَفْتَ عَلَى الْأَجْزَاعِ مِنْ تُبْنٍ" (٣)

والأجْزَاعُ مَعَابِرُ الوادي ومنعطفاته، وزعم الهمداني أنه أراد بذلك قرية تُبْنُ كما تقدم في الفصل الأوَّل فتأمل.

(١) تقدم التعريف بـ«ميِّبَةِ».

(٢) بِلَهَ: بكسر ففتح، وينظر: «معجم البُلْدَانِ والقبائل اليمنية» (١/ ١٩٥).

(٣) هذا البيت ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٢).

وفي عصر التبابعة كان بهذا الوادي سَدٌ لَحْجٍ وهو «سَدُّ عَرَائِسَ» تجتمع فيه المياه وتتوزع على الأراضِي، ولم نعثر على أثره، اللهم إلا إن كان في الموقع المعروف بـ«المَسِيحِدِ»^(١) قرب العَدَنَ، وأن تلك الأحجار العظيمة الموجودة على عَدْوَةِ الوادي هنالك من بقاياها، والله أعلم.

واعلم أن رأس وادي لَحْجٍ المذكور هو غير الموضع المعروف الآن برأس وادي لَحْجٍ، فذاك حيث يلتقي فيه الوادِيَانِ تَبْنُ وَوَرَزَانَ، وهذا حيث ينقسم وادي لَحْجٍ فرعين تحت قرية زَائِدَةَ^(٢)، فالفرع الشرقي هو الوادي الصغير وكان يعرف بِعَبْرِ لِرَّانِ أو وادي لِرَّانِ. والفرع الغربي هو الوادي الكبير يمر شرقي الصَّرْدَاحِ^(٣) فبين الخَدَّادِ^(٤) والحَاسِكِيِّ^(٥) فبين الكَدَّامِ^(٦) والثُّوبَةِ فبين الشَّطِيفِ^(٧) والجَوْلِ، ثم يمر شرقي الوَهْطِ فغربي السيلة فشرقي بَيْرِ أَحْمَدِ،

(١) ويعرف باسم «حَبِيلِ المَسِيحِدِ» وتسكنه المَنَاصِرَةُ.

(٢) زَائِدَةُ: أو «زَائِدَةُ» وهي شمال الحُوْطَةِ بالقرب منها من جهة الجنوب، وقد أُقِيمَ بها سَدٌّ يحوي أربع فتحات لِكُلِّ وادٍ فتحتان.

(٣) الصَّرْدَاحِ: هي إحدى قرى الحُوْطَةِ بمديرية تَبْنُ.

(٤) الخَدَّادِ: من قرى وادي تَبْنُ في شمال مدينة الحوطة بمسافة (١٠) أكيال.

(٥) الحَاسِكِيِّ: تصحف في المطبوع إلى «الحاسكني»، و«الحَاسِكِيِّ» قرية في وادي لَحْجٍ ما بين بَلَدَتِي «مَيْبَةَ» و«الخَدَّادِ» يسكنها الزيديون من ذي أصبح، ومنهم «آل راجح» و«آل النُّور».

(٦) الكَدَّامِ: قرية في وادي لَحْجٍ بالقرب من بلدة «الرَّيْدَةَ»، ومن ساكنيها: «آل النُّوم» و«آل الرَّعْوِي».

(٧) الشَّطِيفِ: تقع على ضَمَّةِ الوادي الكبير بِلَحْجٍ، ويسكنها طائفة من «آل الأهدل» منهم العلامة علي بن أحمد الأهدل قاضي «لَحْجٍ» المتوفى سنة (١٣٢٩هـ)، وكذلك يسكنها الحَوِيَّجَةُ

ثم ينزل من قرب الحِسْوَةِ ويصب في بحر عدن أمام مرسى المُعَلَّا.

ويمر الوادي الصغير شرقي الخَدَادِ فبين الثَّعَلْبِ (١) وَعُبرِ بَدْرٍ (٢) فشرقي المَجْحِفَةِ فشرقي هِرَّانِ فشرقي الفُيُوشِ فغربي بَيْرِ جَابِرٍ، ويصب نادراً في البحر بقرب قرية العِمَادِ (٣). ويتفرع على عُدْوَتَيْ كُلِّ مِنَ الوَادِيَيْنِ فروع أو قنوات تدعى أعباراً واحدها عُبْرٌ. فأعبار الوادي الكبير بالترتيب من الشمال إلى الجنوب: الخَبْرُ فالمخرج فالسعديين ففالج النينة ففالج العود ففالج عياض (٤) فَعُبْرُ بني جيل فَعُبْرُ السادة فَعُبْرُ عجيل فَعُبْرُ الخَبْتِ فَعُبْرُ الجَدِيدِ فَعُبْرُ الفَقِيهِ فالأفح فالسكيني فَعُبْرُ الخضراء فالمجاهد فالجبير فبرت العبيد فالعند فَعُبْرُ الشرح فَعُبْرُ الدرب فعماري فعبر المنصب فَعُبْرُ الشيخ الأعلى فَعُبْرُ الشيخ الأسفل فَعُبْرُ رواد خيري فشقة عمر بن علي فشقة مشهور فعقمة جينة فعقمة العثراب. وأعبار الوادي الصغير أولها: الهدارة فالإحسان فالحسيني فينزع فالثعلب فَعُبْرُ الحضارم فَعُبْرُ يعقوب فَعُبْرُ سلام فعبر الرواد فالجديد فالسمين فعبر الرجحي فبرت ويس فبرت سالم فالبستان فعبر البروت فالجيل فعبر الجديد فعبر المحاجفة فعبر مذيهب

والصَّيْعَرِ من ذي أَصْبَحٍ.

(١) الثعلب: هي إحدى قرى الحُوطة بمديرية تَبْنُ التابعة لمحافظة لَحْجٍ.

(٢) عبر بدر: هي إحدى قرى الحُوطة بمديرية تَبْنُ التابعة لمحافظة لَحْجٍ.

(٣) قال الأستاذ عبد الله مُحَيْرِز: ويطلق عليه بئر العِمَادِ أحياناً، تقع شمال شرقي الشيخ عثمان

على الطريق القديمة إلى أْبِينِ، اكتسبت أهميتها بأنها مَوْرِدُ ماءٍ وأنها آخر مستوطن على وادي

لَحْجٍ قبل أن يصب في البحر. كتاب «العَقَبَةُ» (ص ١٢٠).

(٤) وكلها في مديرية «تَبْنُ».

فعبّر حيدرة فعبّر فتوت فعبّر بقعي فعبّر منقصر فعبّر خادم بقعي فعبّر شلبي فعبّر
الفرضة فعبّر الصافية.

وما فوق رأس الوادي المذكور أراض زائدة وأعبارها شامية وخلاف ومِشلا
والجَوْلُ والعباب والسحاولة. وتتفرع الأعبار إلى سواقي ويقال لها: أشرج واحدها
شَرْج، ويقال للحقل الكبير (وهو كل أرض تَسَوَّمَتْ^(١)) بحائط من التراب لحفظ
الماء): فَلَجٌ أو دِهْلٌ، وما دونه جِرْبَةٌ، ودون الجِرْبَةِ الفَنْحَةُ، وما كان منها في معالي
العَبْرِ أو الوادي فهو المَرْدَعُ، وما كان في أسفل العَبْرِ أو في أسفل الوادي فهو
المنتاء، ولكل جِرْبَةٍ أو دِهْلٍ اسم يتميز به عن سواه (كَدَوْمَانٍ والجَاهِمَةُ وأم القفع
وجبو رياحين) ويزرع وادي لحج أنواع الذرة الحمراء وأجودها البكر، والبيضاء
وأجودها الصيف والشام، ويقال له في لحج: الهِنْدُ، والسَّمْسِمُ والدُّخْنُ وأنواع
البطيخ والقثاء والقَرَعُ والدُّبَاءُ، ومن الفواكه البرتقال والنَّارِجُجُ والأْتُرْجُجُ والليمون
بأنواعه والرُّمَانُ والموز والعنب والجوافة والعَاطُ^(٢) وهو السيتافل بالهندية،
والأحمر منه رام فل، والبَلَسُ وهو التَّيْنُ، والنارجيل وهو الجَوْزُ الهندي، والتمر
الهندي والخَرْثُوبُ والشيكو من أشجار الهند وهي من أحلى وألذ فواكه الدنيا،
والبَيْدَانُ وهو من الأشجار الجميلة المنظر وهو نوع من اللوز، ولفظ بيدان محرفة
من بادام الهندية، ومعناها لوز، وفي لحج أشجار العنباء^(٣) والبَابِيَّ^(٤) وفواكه كثيرة

(١) أي: وضع لها سَوَمٌ وهو الحدُّ الفاصل بين كُلِّ أرضٍ وأخرى من الأراضي الزراعية.

(٢) ويسمى في بعض البلدان «القشطة».

(٣) وكذلك منهم من يسميه «عَمْبًا».

(٤) أو «البابا».

من فواكه الهند أهمها المانجو.

وأما الخضار فقلما عرفنا نوعاً من الخضروات لا يزرع في وادي لَحْجٍ، وإنما يوجد أغلب الخضار في أيام الشتاء، ويسيل وادي لَحْجٍ عادة من نيسان إلى أواخر أيلول، ويزرع في سائر فصول السنة، فهو من الأودية المباركة في اليمن. ولم أعثر على مورد أستقي منه ما ينبغي أن أنقله في هذا المقام عن تاريخ الزراعة في وادي تُبْنٍ غير ما تقدم عن ابن الحائك^(١) في مآتي وادي لَحْجٍ، مع أن التبابعة الذين بنوا الصخر في الواد وشيدوا الأسداد وعمروا البلاد قد بنوا في لَحْجٍ سدَّ عرايس^(٢) في سالف العصر. وفي «تاريخ ثغر عدن» أن الأمير ناصر الدين بن فاروت^(٣) عمَّر بستاناً في قرية رُبَاكٍ من لَحْجٍ وغرس أشجار النارج والأترنج والموز والنارجيل، وأن الناخوذة عمر الأمدي غرس بها أشجار (الشَّكِّيِّ البركي)^(٤)، وأن ثمره ينبت من بَدَنِ الشجرة خلاف باقي الأشجار، وذلك سنة (٦٢٥ هـ)^(٥)، وأنه كان في رُبَاكٍ

(١) هو الهمداني صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» وكلامه تقدم قريباً.

(٢) ولا يعرف اليوم عنه شيء.

(٣) وقع في المطبوع: «قارون» وما أثبتته هو الصواب، وهو عند بامخرمة في «تاريخ ثغر عدن»، والمصنف نقله عنه، بل هو كذلك في المصدر الذي نقل منه بامخرمة وهو «تاريخ المستبصر» كما ستأتي الإحالة إليهما.

(٤) وقع في المطبوع: «تشكي التركي»، وعند بامخرمة: «الشكي التركي»، والمثبت من «تاريخ المستبصر»، وهو ما نقل منه بامخرمة، وينظر لضبط اسميهما ووصفهما: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» (١/ ٨٤) للإدريسي، و«رحلة ابن بطوطة» (٣/ ٩٤).

(٥) وقع في المطبوع: (٦٢١ هـ) وهو خطأ، والمثبت عند بامخرمة في «تاريخ ثغر عدن» هو ما أثبتته، بل هو أيضاً عند من نقل عنه بامخرمة وهو ابن المجاور، وهذا في كتابه «تاريخ المستبصر»،

حفرة الأسد وكان غالب أشجارها النخل وكانت متنزهًا حسنًا لأهل عدن وغيرهم (١).

ولذلك اقتصرْتُ على كتابة ما تيسر من تاريخ الزراعة اللَّحْجِيَّة في عهد السلطنة العبدلية وكيف بدأت تسير متقدمة بعد الركود القديم، وهي إلى الآن لم تزل في طُورِ النشوء، ولكنها على كل حال تقدمت شوطًا بعيدًا عما كانت عليه قبل ستين عامًا. فقد كانت لَحْجٍ وعدن وما جاورهما قبل أن يتخذ الإنكليز عدن ميناء لتموين مراكبهم تقريبًا في عزلة عن العالم بَعِيدَةً عن الأسواق فلا تجارة ولا زراعة.

لا يزرع أهالي لَحْجٍ في وادي ثُبُنٍ غير شيء من الذرة والسَّمْسِم بقدر ما يكفي لقوتهم وعَلْفِ مواشيمهم، ولا يعرفون شيئًا من المخضرات والفواكه، ولا يزرعون من المزارع إلا ما كانت قريبة من قراهم حيث لا تصل إلى سَلْبٍ محصولاتها أيدي أعدائهم من الأعراب، وكانوا يحرثون أراضيهم ويحصدونها غالبًا تحت وابل من رصاص البنادق دفاعًا عن الضَّمْد والسَّبُولَة (٢)، حتى إن السلطان علي محسن كان يدافع برصاص بُنْدُقِهِ المَمْتُول الذي لا يخطئ به هدفًا غزوات العَوَالِقِ، وأحمد بن عبد الله الفَضْلِي على بِقْرِ الحَرث في طين الشَجِيرَات.

(حكاية) أغار السلطان أحمد بن عبد الله الفَضْلِي على لَحْجٍ بسرية من آل فَضْلٍ، ورأى بقيرًا كثيرًا تحرث أرض الشَجِيرَات، فَهَمَّ بِنَهَبِهَا، ولما دنا من

وكتب عندهما هكذا: (غرسه سنة خمس وعشرين وستمائة).

(١) «تاريخ نجر عدن» (ص ٣٠)، و«تاريخ المستبصر» (ص ٢١٨) بتحقيقي، وقارن به.

(٢) الضَّمْد والسَّبُولَة أي: البقرتان اللتان يحرثون عليهما وحبُّ الذرة الذي في سُبُلِهِ.

الفدّادين أصابت سنانه رصاصة أسقطت نَصلَ الرمح إلى الأرض، وأدرك السلطان أحمد بن عبد الله أنها رصاصة المَنتُول^(١)، وأن السلطان علي لا يريد به مكروهاً^(٢)، فثنى عِنَان جواده قائلاً: ارجعوا آلَ فَضْل إنَّ فيها علي محسن.

وفي سنة ١٢٦٥هـ احتاج المعتمد البريطاني في عدن أن يدرج في المعاهدة بينه وبين السلطان علي مادة يتعهد فيها السلطان علي أن يُنَشِّطَ العبادل على زراعة البقول والخضروات في لحج، وكانت حكومة عدن تُهدي السلطان كل سنة ما يكفي من البذور، ومع ذلك فقد كانت الصناديق تتكدس يأكلها السوس في خزانة السلطان لا يزرع منها إلا القليل. وعلى كل حال يحق لنا أن نؤرخ بعام ١٢٦٥هـ بداية الحركة الزراعية الحاضرة في لحج، ولما تصافى^(٣) السلطان علي محسن مع السلطان منصّر بن بُو بكر العولقي والسلطان عبيد بن يحيى الفجّاري وتمكن من حماية حصن زَايِدِهِ شَرَعَ العبادل يزرعون الأراضي المهجورة لسبب الغزوات التي كان يشنها أهل فضل والعوالق على لحج عندما كانوا يتحينون مواسم الحصاد في لحج، فيأتون لحصد ما تصل إليه أيديهم من المزارع ويحملون الحبوب إلى بلادهم ينشدون أرجوزتهم المشهورة:

ذَرَّتْ العرْسَهُ. وَتَصَرَّفَ التيسُ^(٤)

(١) وهو بُنْدُق كما تقدم قريباً.

(٢) يعني أنه أراد بتلك الرصاصة تنبيهه وتحذيره.

(٣) يقال: تصافوا: أي: اصطلحوا ولم يبق في قلب أحدهم على الآخر شيء.

(٤) معناه أن غيرهم زَرَعَ وتعب وهم أخذوه بغير عَنَاءٍ أو تعبٍ، هذا هو معناه.

وقام السلطان علي محسن بتوسيع الوادي الصغير، وكان قبل ذلك ضيقاً يدعو أهله لحج عبر لزان، ووادي لزان. وأول من اعتنى بغرس الأشجار في لحج ناصر فضل الصَّمَصَامَ ومحمد صالح الجَرِيْبِي (١) والشيخ باقي، وتُعرف مواضع بساتينهم إلى الآن بِحَيْطِ الصَّمَصَامِ وحيط الجَرِيْبِي وحيط باقي، وكان لا يوجد في لحج من الأشجار غير العنب والموز والليمون ونوع من النخل رديء التمر يعرف (بالمَقْصَابِ والكَلْبَةِ والخضاري) وفي عهد السلطان فضل محسن استعارت حكومة عدن من السلطان فضل أرضاً في لحج غرست فيها بستاناً يُعرف موضعه إلى الآن بِحَيْطِ السركال، جُلِبَتْ إليه أشجار فواكه الهند، ثم عمَرَ المِرْزَا حسن علي رجب علي من تجار عدن بستاناً آخر، ومن هذين البستانين نقل أهل لحج غرس الأشجار المجلوبة من الهند كالبدام والقشطة والجوافة وغير ذلك، ورغب الناس في غرس الأشجار وعمران البساتين، ومع ذلك استمر السلاطين يوالون جلب الأشجار والنخل من الهند ومصر وصنعاء وزبيد وغيرها، وكان الوالد السلطان فضل بن علي أكثر السلاطين العبادل نشاطاً في الزراعة، عمرت في أيامه الأرض حتى مَسَّتِ الحاجة إلى زيادة في المياه عما يوجد به وادي تَبْنُ وَوَرَزَانَ، وحاول السلطان أحمد فضل محسن أن يسد هذا النقص ببناء خزان في أعالي وادي تَبْنُ من مخلاف لَحْجٍ، وجاء ببعض المهندسين من الإنكليز، وبعد تجارب واختبارات عديدة تقرر أن ما سيزيد من الماء ببناء الخزان إنما يكفي لري مئات من الفدادين لا تقوم بنفقات ترميم الخزان وغلة مما ينفق من النقود في بنائه، وكما مست الحاجة لزيادة المياه فقد أحست البلاد بحاجة إلى أسواق غير أسواق عدن،

(١) نسبة إلى «الجَرِيْبِيَّة» قرية في منطقة «حدابه» من مديرية كَرِش وأعمال محافظة لَحْجٍ.

فإن فواكه لَحْجٍ وخضرواتها تتكدر في سوق عدن فتباع بأبخس ثمن.

وقد أدخل السلطان عبد الكريم فضل الحالي إلى لَحْج الآلات البخارية والمولدات الكهربائية لتنوير البلاد ورفع الماء من الآبار، وهو يهتم الآن بتشويق الرعية إلى زراعة التبغ وما يمكن إرساله إلى أسواق بعيدة حيث يلقى أسعارًا مناسبة.

وللزراعة في لَحْج نظام خاص بها وخبراء مُعَيَّنُونَ. ممن اشتهر منهم الشيخ سعيد بن ناصر وفضل محسن السالمي ومَرْمَش الدَّرَبِي وعوض محمد عياض ومَعْوِضَة بهادي ظفر وسعيد بو سعد ومحمد علي السروري وناصر عبيد الحنَّيشي وعبد العزيز الثعلبي وهادي امبُوصي ومحمد عبد الباقي وسالم سعيد البان ويحيى بن أحمد محرز وهيثم مَرْمَش الدَّرَبِي ومحسن فضل السالمي وسالم محمد عياض وحاصل محمد عياض وسُبَيْت بحيدرة محرز والسَّوْبَحِي وفضل الحكم وسعيد بحيدرة شمل وعبيد جديب دَنَم وسالم سيلان العبس ظفر ومحمد صَوَيْلِح الجبلي وسعيد جعيدي وعلي سالم محمد عياض والشيخ عوض محمد السَّرُورِي وفضل محمد ثَبَّتَان والسيد محمد عليو.

والمذكورون ممن اشتهروا بخدمة الزراعة في لَحْج، والعادة أن ينتخب السلطان ناظرًا للزراعة وَيُعَرَف بالشيخ تلتف حوله هيئة من هؤلاء الخبراء وتكون بصفة مجلس شورى الزراعة، وإلى هذا المجلس تسند جميع أمور الزراعة وتستعين به المحكمة الشرعية وتنفذ قراراته. وقد يرأس المجلس أحيانًا القاضي الشرعي أو السلطان نفسه إذا لزم الحال.

الفصل السادس

لَحْجٌ مِنْ مَخَالِيفِ حِمَيْرَ. أَنْسَابُ قَبَائِلِ لَحْجٍ. قُرَى آلِ سَلَامٍ. آلُ مَحْسِنٍ مِنْ آلِ سَلَامٍ. مَعَاصِرَةُ أَحْمَدَ صِلَاحٍ لِحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ. قَبَائِلُ لَحْجٍ خَلِيطٌ مِنْ قَحْطَانَ. الْإِنْتِمَاءُ إِلَى الْعَبْدَلَةِ أَمْرَاءِ الضَّالِعِ مِنْ حَالِمِينَ. عِلَاقَةُ آلِ سَلَامٍ بِأَمْرَاءِ يَافِعٍ.

* * *

واعلم أن مخلاف لحج هو من مخاليف حِمَيْرَ، وأغلب سكان هذا المخلاف من قبائل حِمَيْرَ كما قال السيد ابن محمد^(١) في قصيدته التي مطلعها:

هَلَّا وَقَفْتَ عَلَيَّ الْأَجْزَاعِ مِنْ تُبْنٍ حَيْثُ قَالَ:
لِي مَنْزِلَانِ بِلَحْجٍ مَنْزِلٌ وَسَطٌ مِنْهَا وَلِي مَنْزِلٌ بِالْعُرِّ مِنْ عَدَنٍ^(٢)
حَوْلِي بِهَا دُورُ عَيْنٍ فِي مَنَازِلِهَا وَذُو كِلَاعٍ وَهَمْدَانٍ وَذُو يَزَنٍ^(٣)

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) وقع في المطبوع: «بالقرب» بدل «بالعُرِّ» وهو خطأ، والصواب ما أثبتته، كما هو عند الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٢)، وياقوت في «معجم البلدان» (٤/١٠٠) وبه استدل علي أن «العُرَّ» جبل عدن، ولزيادة فائدة ينظر كتابي «المنتخب المهذب من علماء عدن والواردين إليها» (ص ١٧).

(٣) «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٢)، «معجم البلدان» (٤/١٠٠) وقارن بذلك، والعُرُّ هو اليوم ما يعرف بـ«جبل شمسان» فتنبه.

وقال عائد بن عبد الله وقد أرسله قومه الأزدي رائداً لبلاد أخوتهم حمير:

لَقَدْ رُدْتُ صَيْدًا وَالسَّحُولَيْنِ بَعْدَهُ وَعَيْنُهُمَا السِّيَالُ بَيْنَ الذَّنَائِبِ (١)
وَعَوَّرْتُ حَتَّى طُفْتُ أَبِينِ بَعْدَمَا خَبَرْتُ لَكُمْ لَحْجَ الرَّبَا وَالسَّبَاسِبِ
فَلَمْ أَرِ فِيمَا طُفْتُ مِنْ أَرْضِ حَمِيرٍ لِمَأْرِبِنَا مِنْ مُشْبِهِ أَوْ مُقَارِبِ (٢)

وقال الهمداني: سكان لحج الأصابع ولد أصبح بن عمرو بن الحارث...

إلخ كما تقدم. وذكر أن منهم بني جيل، وعبر بني جيل (٣) معروف بهذا الاسم إلى الآن في لحج وهو ملك الأدراب. قال لي الشيخ يحيى سعيد اليماني: أدركت جدي صنبول اليماني وهو في نحو التسعين أو المائة من عمره، وكان يخبرنا مراراً أنه سمع عن السابقين يذكرون عن سبقتهم أنه كان عبر بني جيل قبل أن يُحَدَّثَ عَبْرَ عَجِيلٍ، وكانت تسقى منه أطيان أهل الدرب. قال يحيى سعيد: والأدروب انتقلوا من الدرب إلى عبر الأسلوم وبعضهم في الدرب إلى الآن، وسُمُّوا أَدْرُوبَ نسبة إلى قريتهم الدرب، فالأرجح أن الأدروب هم بنو جيل، فإن عبر بني جيل لهم من قديم الزمن، والذين يملكون بعض أراضيه الآن فإنما اشتروها من الأدروب، والله أعلم.

(١) كذا في المطبوع «وعينهما»، وهو كذلك في «صفة جزيرة العرب» (ص ٣٢٨) للهمداني إلا أن المؤرِّخ الأكوخ في تعليقه على الكتاب قال: «إن هذا ما وجده في جميع الأصول الخطية للكتاب وأن صوابه «عَنَّة» وصوبه إلى «عَنَّة» و«عَنَّة» تُعَدُّ من الكلاع».

(٢) هذان البيتان عند الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (ص ٣٢٨).

(٣) الذي عند الهمداني في «صفة جزيرة العرب»: «بنو حبيل»، وينظر: «حبيل» من «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (ص ٤١٤).

وكان قوم من ذي أصبح يسكنون أْبَيْنَ، ومن قراهم فيها (شَوْكَان) ^(١) وخنْفَرُ والجَشِيرُ والعُقُّ ^(٢) والرَّوْضَةُ وَحَكَمَةَ ذكر ذلك الهمداني ^(٣) قال: وكان لهم أيضًا قرى بـ«دَثِينَةَ» وكان لبعضهم مزارع ونخيل وأراض واسعة بوادي «يَرَامِس» ^(٤) وأودية العارضة. اهـ.

وإلى الآن يقول العامة: إن رقوش بن أحمد وصبيح بن أحمد وذَيْبُ بن أحمد أخوة من حِمَيْرٍ، فلعل مقصدهم أن المَرَاقِشَةَ ^(٥) وآل ذَيْبٍ ^(٦) والصَّبِيحَةَ ^(٧) فَخَذَ من ذي أصبح من حمير. وذكر الهمداني فيمن سكن لحجًا من الأصابع والأعمور وجماعة من البحرين من الصدف، قال: ومنهم أوس بن عمرو قاتل

(١) قال المؤرخ محمد الأكوخ تعليقًا على «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٠) عن «شَوْكَان»: وهي اليوم خراب وأنقاض، وفيها مآثر حِمَيْرِيَّة نَقَّبَ على بعضها العالم الأثري الإنجليزي «ميلن» وأخرج منها تماثيل.

(٢) العُقُّ: كذا هنا «العُقُّ» بالعين، والذي عند الهمداني: «الفُقُّ» بالفاء.

(٣) ينظر: «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٠ - ١٩١).

(٤) يَرَامِس: تقع بالشرق الجنوبي من مدينة «زُنْجَبَار» بمسافة (١٧) كيلو، تتبع في أعمالها مركز «جَعَار» من مديرية «خَنْفَر» بمحافظة «أْبَيْن»، وهي منطقة أثرية، لمزيد فائدة عنها ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/ ١٩٠٤).

(٥) المَرَاقِشَةَ: قبيلة تسكن قرى مركز «جَعَار» من مديرية «خَنْفَر» وأعمال مدينة «أْبَيْن»، وانظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/ ١٤٧٩).

(٦) آل ذَيْبٍ: ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٦٥٧).

(٧) الصَّبِيحَةَ: من أصحاب المعافر، وتمتد بلدانهم على الساحل من «باب المَنْدَب» حتى «رأس عمْران في غربي وادي لَحْج، وأهم قراهم «طَوْر الباحة» و«الرَّجَاع».

الجُوع، وفيه يقول الشاعر وهو ابن البَيْلَماني^(١):

أَلَا إِنَّ أَوْسًا قَاتِلَ الْجُوعِ قَدْ مَضَى وَوَرَّثَ عِزًّا لَا تُنَالُ أَطَاوُلُهُ^(٢)

وأما الأعمور فهم العامريون من ولد الأشرس بن كنده بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان، وأما الحواشب فمن ولد السكاسك بن وائل بن حمير. قال الهمداني: ولهم بجبل صبر وما حوايلها بلاد واسعة شمالاً من الجند وخدير إلى نخلان ومشرق إلى ناحية وراخ^(٣) ومغرب إلى حدود الركب وجنوب إلى حدود الأصابع بلحج. قال: وإليهم تنسب الإبل السكسية^(٤). وأما العقارب ففي «لب اللباب في علم الأنساب»^(٥) قال: هم بنو عقارب بن ربيعة بن سعد بن خولان بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير.

وذكر الهمداني أن قرية الحبل بلحج لبني مجيد، فلعل منهم الماجيد بلحج،

(١) وقع في المطبوع: «السليمانى» وهو خطأ، والمثبت من «صفة جزيرة العرب»، والمصنف نقل ذلك منه، وتنظر ترجمة ابن البيلماني في «تاريخ دمشق» (٢١/٦٨)، وقد ذكر شعره في ترجمته.

(٢) «صفة جزيرة العرب» (ص ٩) وقوله: «لا تُنال» وقع في المطبوع: «ينال».

(٣) وراخ: ويقال له اليوم: «يراخ»، جبل في منطقة «الحيفي الأعلى» من مديرية «الحشا» وأعمال محافظة تعز.

(٤) «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٥ - ١٩٦) ونقله المصنف منه بتصريف يسير.

(٥) كذا ذكر اسمه ولعله يريد «لب اللباب في تحرير الأنساب» للسيوطي، مع أني لم أقف على هذه النسبة فيه.

واحدهم مجيدي، رفع الهمداني نسبهم إلى مجيد بن عمرو بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير. وبلاد بني مجيد مَوْزَع ووادي الحِنَّا (١) والمَنْدَب (٢) والْعَارَةَ (٣) والعُمَيْرَةَ. وأما الأشعوب فمن ولد شعب بن عمرو بن شعبان بن عمرو بن جُشَم بن عبد شمس بن حَمِير. كذا قال الهمداني (٤)، وأما صاحب «سبائك الذهب» (٥) فقد رفع نسبهم إلى شعبان بن زهير بن الهَمَيْسَع بن حمير.

وأما الأصابع فمن ولد أصبح بن عمرو بن الحارث بن أصبح بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدَد بن زرعة وهو حَمِير الأصغر.

وأما آل سلام (٦) فمن يافع القارة، قال أبو العباس بن علي نور الدين المكي الحسيني الموسوي (٧) في الجزء الثالث من رحلته المسمى «نزهة الجليس

(١) وادي الحِنَّا: وادٍ معروف مشهور في أعلى مَوْزَع بالغرب الجنوبي من مدينة تعز.

(٢) هو الفتحة الجنوبية لمدخل البحر الأحمر الجنوبي.

(٣) العارة: منطقة شرقي «باب المَنْدَب»، وهي مركز إداري من مديرية «طَوْر الباحة» وأعمال محافظة «لَحْج»، ومن بلدانها «خور العُمَيْرَةَ» «كهوب» «النابية» و«هويرب».

(٤) انظر: «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٢ - ١٩٣) وقارن به.

(٥) «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» ومؤلفه هو محمد أمين بن علي بن محمد بن عبد الله السُوَيْدي أبو الفَوَز، توفي بقرية بريدة إحدى قرى نَجْد، عائداً من الحج سنة (١٢٤٦ هـ) وقيل: (١٢٤٤ هـ) له ترجمة في «معجم المؤلفين» (٧٦/٩).

(٦) وانظر كذلك آل السَّلَامِي من «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٨٠٢).

(٧) المتوفى سنة (١١٨٠ هـ)، له ترجمة في «الأعلام» (٣/٢٦٢).

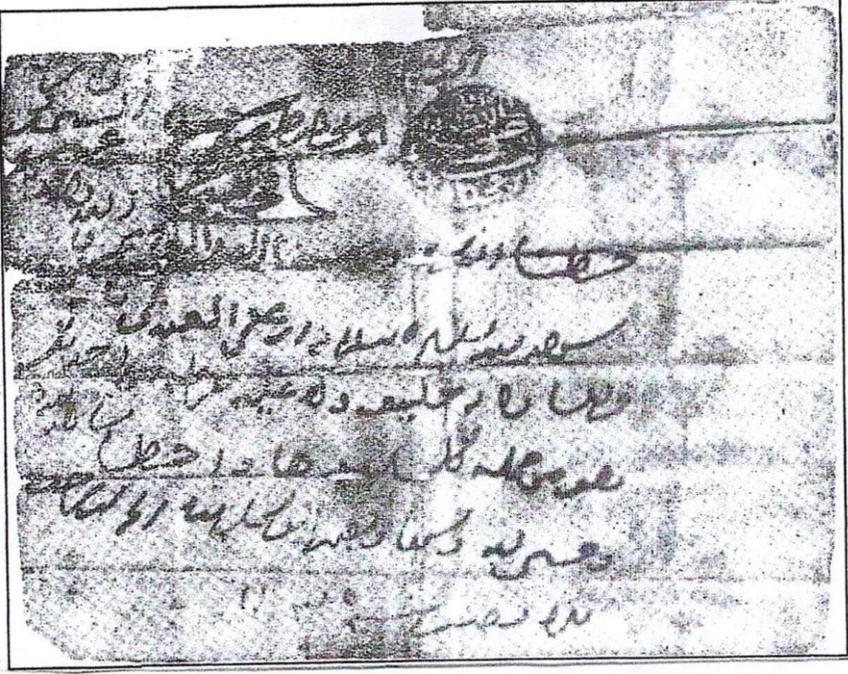
ومنية الأديب الأنيس^(١) عند ذكر مدينة المَخَا في ترجمة الشيخ علي بن عمر الشاذلي الولي الشهير في مدينة المَخَا، فقال: وَبُنِيَتْ عَلَى قَبْرِهِ قَبَّةٌ مَعْظَمَةٌ مَتْقَنَةٌ مَحْكَمَةٌ بَنَاهَا قَوْمٌ مِنْ يَافِعِ الْقَبِيلَةِ الْمَشْهُورَةِ مِنْ قِبَائِلِ حَمِيرِ الْأَكْبَرِ سَبَأَ الْأَكْبَرِ بْنِ يَشْجَبِ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ يُقَالُ لَهُمْ: آلُ سَلَامٍ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ. اهـ.

قلت: آل سَلَامٍ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ فَخُذْ مِنْ كَلْدٍ، قَرِيْتَهُمْ فِي يَافِعٍ تَسْمَى بِرَكَاتٍ، غَرْبِي جَبَلٍ مَوْفِجَةٍ، وَهُمْ فِيهَا إِلَى الْآنَ، مِنْهُمْ آلُ سَلَامٍ الْعِبَادِلَةُ فِي لَحْجٍ، وَكَانَ فِي لَحْجٍ مَعَ آلِ سَلَامٍ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي السَّلِيمَانِيِّ مِنْ آلِ سَعْدٍ مِنْ يَافِعٍ، مِنْهُمْ الْأَمِيرُ حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ صَاحِبُ لَحْجٍ وَعَدَنَ وَأَبِينُ، وَالْأَمِيرُ نُعْمِيُّ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ، وَالشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ. وَأَطْلَعْتُ فِي الْوُثَائِقِ الْقَدِيمَةِ بَيْنَ وَثَائِقِ آلِ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَلَى ذِكْرِ قَدْرِيَّةِ بِنْتِ الْأَمِيرِ نُعْمِيِّ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ السَّلِيمَانِيِّ كَانَتْ عَائِشَةَ عَامَ ١٠٨٩ هـ لَعَلَّهَا زَوْجَةُ الشَّيْخِ فَضَّلِ بْنِ عَلِيٍّ أَوْ أَحَدِ أَقَارِبِهِ. وَأَطْلَعْتُ عَلَى وَثِيْقَةٍ أُخْرَى بِخَتْمِ السُّلْطَانِ سَيْفِ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ عَفِيفٍ نَصُّهَا:

«خَطْنَا الْكَرِيمَ وَرَسَمْنَا الْعَلِيَّ الْفَخِيمَ شَاهِدُ بِيَدِ الشَّيْخِ سَلَامٍ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبْدَلِيِّ بِأَنَّهُ مِنَّا وَإِلَيْنَا، وَأَنَّهُ حَلِيفٌ وَلَا عَلَيْهِ عُرْضَةٌ مِنْ أَحَدٍ، بَلْ هُوَ مِنْ جَمَلَةٍ كَلْدٌ^(٢)، وَهَذَا خَطْنَا شَاهِدُ بِيَدِهِ، وَحَسْبِي اللَّهُ وَكَفَى وَنَعْمَ الْوَكِيلُ. بِتَارِيخِ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ١١٣٥ هـ».

(١) انتهت من تأليفه في اليوم الرابع من شهر شوال لعام (١١٤٨ هـ)، وجعله هديته إلى الوالي الخزندار.

(٢) كَلْدٌ: بَطْنٌ مِنْ قِبَائِلِ يَافِعِ السُّفْلِيِّ، دِيَارُهُمْ مِنْ مَدِيرِيَةِ الْقَارَةِ رُصْدٌ، وَأَعْمَالُ مَحَافِظَةِ أَبِينِ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ، وَيَنْظُرُ: «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ وَالْقِبَائِلِ الْيَمِينِيَّةِ» (٢/١٣٥٠).



وثيقة السلطان سيف بن قحطان بن عفيف

والشيخ سلام المذكور هو شقيق فضل بن علي العبدلي نال الشاهد المذكور من السلطان سيف بن قحطان عندما انْحَاذُوا^(١) إلى يافع تجنبًا من اضطهاد عمال الإمام بلحج، وحالفوا السلطان سيف بن قحطان، وذلك عندما عادت جنود الإمام واستردت لحج كما سيأتي ذكر ذلك في محله.

وقرى آل سلام في لحج «المَجْحِفَة» و«دَار خَمِير»، وسكن منهم جماعة في «خَنْفَر» من عمال أَبِين، وسكن منهم قوم في مدينة «المَخَا» منذ مدة قديمة منهم يحيى بن سلام السَّلامِي.

(١) أي: انضموا.

حدثني السيد علوي بن حسن الجفري قال: أدركت سعد بن سلام السَّلَامي وأنا في المَخَا، وأخبرني أنه من عائلة سَلَامِيَّة قديمة في مدينة المَخَا، وهم فَخَذٌ من آل سَلَامِ القَبيلة المشهورة في لَحْج، وكان سعد بن سلام يشتغل رُبَانًا في السفن الساعية بين الهند والمَخَا، ورأيت في خزانة كتب والدي حسن بن علوي نسخة من كتب يحيى بن سَلَامِ السَّلَامي، وكان قَوْمٌ من آل سَلَامِ عسكراً عند الحاكم السيد عبد الله بن دُرَيْبِ الزَّيْدِي بالمَخَا الذي قتله تُرْكِي بَلْمَاز^(١) في المَخَا، وكان عنده أيضًا عسكر من العَقَارِبِ من قبائل لَحْج، وفي المخا بقايا من آل سَلَامِ إلى الآن. اهـ.

وأما آل محسن سَلَاطِينِ لَحْجٍ فَفَخَذٌ من آل سَلَامِ من ذرية السلطان محسن^(٢) بن فَضْلِ بن محسن بن الشيخ فضل بن علي بن صلاح بن سَلَامِ بن علي السَّلَامي، وينقسم آل سلام إلى آل طالب وآل عبد الله وآل محمد والحَسِينِيَّة^(٣) وآل صلاح وآل محسن وآل عبد الكريم. وقد انقرض آل عبد الكريم وآل عبد الله وآل محمد، ولم يزل آل صلاح^(٤) وآل طالب في المَجْحِفَةِ، منهم مشايخ المَجْحِفَةِ الآن.

(١) واسمه محمد آغا، من المماليك، من رجال محمد علي باشا والي مصر، وقد حاول احتلال «عدن» ولكن انتهى أمره سنة (١٢٤٨هـ) باللُّجُوءِ إلى مركبٍ بريطانيٍّ حَمَلَهُ مع نحو (١٥٠) من أصحابه إلى الهند. ذكر ذلك الزُّرْكَلي في ترجمة محسن بن فضل العبدلي من «الأعلام» (٢٨٩/٥).

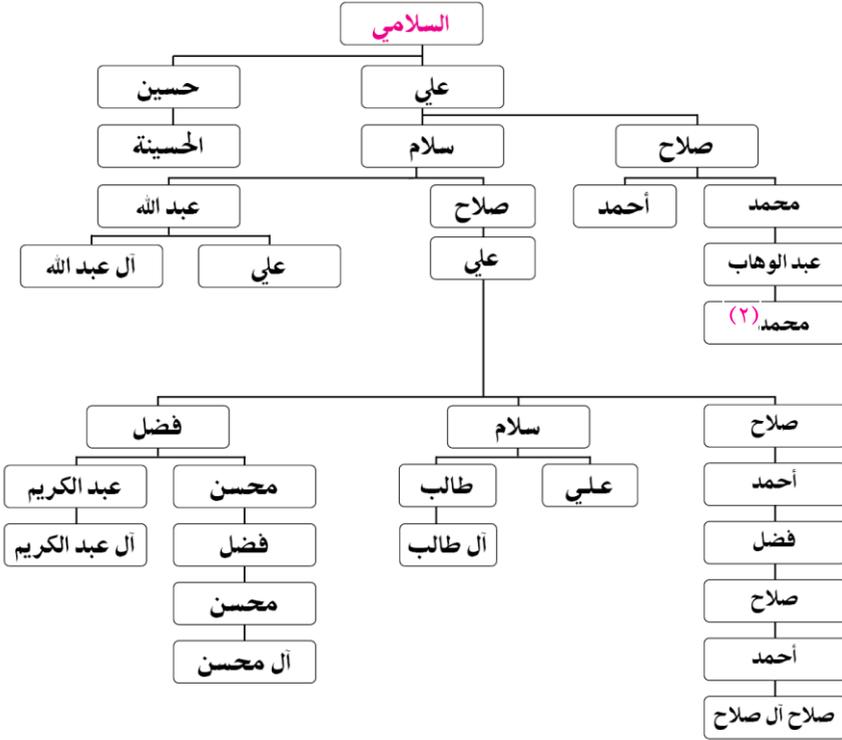
(٢) له ترجمة في «الأعلام» (٢٨٩/٥) للزُّرْكَلي.

(٣) كذا سُكِّلتُ في المطبوع «الحَسِينِيَّة».

(٤) أي: ولم يزل سوى آل صلاح...

وآل محسن العائلة الحاكمة في لحج. وفي قرية المَجْحِفَة المذكورة وُلِدَ الشيخ فضل بن علي.

وثبت لَدَيَّ من الوثائق الشرعية القديمة أن صلاح بن سَلَام جد الشيخ فضل (١) بن علي وابن عمه أحمد بن صلاح بن علي السَلَامِي عاصراً الأمير حسين بن عبد القادر الياضي صاحب لحج، وكان جدهم الشيخ سَلَام وأبوه الشيخ علي مشايخ لحج في عصر الحكم التركي.



(١) وتنظر ترجمة فضل في «الأعلام» (٥/ ١٥٠).

(٢) كان حياً سنة (١٠٨٧هـ) قرأت ذلك بقلمه على بعض كتبه هكذا: بملك محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن صلاح بن علي السَلَامِي العبدلي في يوم الاثنين ثاني وعشرون يوماً من شهر محرم الحرام سنة سبعة وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية. تعليق المؤلف.

وإن في اختلاف لَهَجَاتِ وتقاليد وأزياء وأسماء مختلف جهات اليمن وحصرموت لمُسَاعِدًا كبيرًا للباحث على أن يستدل من ذلك على نَسَبِ أَوْ جِهَةِ من اشتبه عليه نَسَبُهُ أَوْ جِهَتُهُ، فالخبير بأحوال هذه الجهة وتاريخها وتقاليدها يدرك بسهولة إذا عُرِضَتْ عليه الأسماء الآتية، وهي قحطان بن سيف وبارزعة وقياد فارع وعلي بَخْضَر ومحمد امفَصل، أن الأول يافعي والثاني حضرمي والثالث جبلي من نحو لواء تعز والرابع حَوْشِي أو أَصْبَحِي والخامس فَضْلِي، وبذلك نميِّز بين آل باعزوب وآل عَزَب، فباعزوب وباعزب من الأسماء المستعملة في حضرموت وملحقاتها، وعَزَب من الأسماء الشائعة في يافع القارَة، والعزبيَّة في لَحْج يتداولون الخبر الشائع بينهم إلى حال التاريخ^(١)، وذلك أن علي عَزَب اليافعي وراجح عَزَب العبدلي أَخَوَان، وأن ذرية علي عَزَب باقية في يافع، ومن ذلك نفهم أن العزبيَّة في لَحْج من يافع القارَة، يدل على ذلك مشاركة العزبيَّة لآل سَلَام في مشيخة لَحْج الموروثة من يافع، فالمشاركة في الميراث تدل على القرابة، وأقلها أن يكون آل عَزَب من يافع.

وقد أطلعني المرحوم الصنو محسن على وثيقة قديمة جاء فيها ذكر عَزَب مَكِّي عَزَب العبدلي السَلَامِي، وذلك صريح بأن العزبيَّة من آل سَلَام من يافع، وتلقبوا بالعزبيَّة إما انتماءً إلى جددهم عَزَب، أو إلى القرية التي انتقلوا منها وهي المعزبيَّة^(٢) التي قال فيها الشاعر اليافعي:

(١) أي: تاريخ كتابة هذا الكتاب.

(٢) المعزبيَّة: اسم يطلق على عدد من القرى في يافع، ينظر لذلك: «معجم البلدان والقبائل اليمنية»

قَالَ بُوَسَيْفٌ بِيَدِي سَيْفٌ بُوَفْتَقْتَيْنِ وَأَتَقَفَّلِي يَا طَرِيقَ الْمُعْرَبَةِ وَالطَّرِيبَةَ

وَأَمَّا الْحُسَيْنِيُّ فَسَلَامِي بِلَا شَبْهَةٍ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ سَلَامِيَّتَهُ مَنْ ظَنَّ جَهْلًا أَنَّ السَّلَامِيَّةَ انْتِمَاءً إِلَى سَلَامِ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ الْمَجْحَفَةِ. وَذَلِكَ خَطَأً. فَإِنَّمَا آلُ سَلَامِ الْمَجْحَفَةِ بَيْتٌ مِنْ بِيُوتِ آلِ سَلَامِ الْيَافِعِيِّ الْمُنْتَشِرَةِ فِي لَحْجٍ وَيَافِعٍ وَالْمَخَا.

وَمِنْ الْقَبَائِلِ الْعَبْدَلِيَّةِ الْمُنْتَمِيَةِ إِلَى يَافِعٍ «الْمُنْتَصِر» وَفِي «الرُّوَيْ» (١) مِنْ بِلَادِ يَافِعٍ فَرِيقٌ مِنْهُمْ إِلَى الْآنَ. وَكَانَ الْأَبْقُورُ مِنْ يَافِعٍ يَسْكُنُونَ لَحْجَ قَرِيَّتِهِمْ «بَنَاءُ أَبَّة».

وَمِنْ آثَارِهِمُ الْبَاقِيَةُ إِلَى الْآنَ الْأَرْضُ الْمَعْرُوفَةُ بِأَرْضِ الْبَاقِرِيِّ، ثُمَّ انْتَقَلُوا مِنْ لَحْجٍ إِلَى الضَّالْعِ وَسَكَنُوا هُنَاكَ مَعَ إِخْوَتِهِمْ أَبْقُورِ الضَّالْعِ وَهُمْ الشُّعَارُ (٢). وَمَا زَالَ فَخَذَ مِنَ الشُّعَارِ فِي الضَّالْعِ يَعْرِفُ بِاللَّحْجِيِّ أَوْلَئِكَ مِنْ سَلَالَةِ الْأَبْقُورِ الْمُنْتَقِلِينَ مِنْ لَحْجٍ، وَمِنْ الْمُنْتَمِينَ إِلَى يَافِعٍ فِي لَحْجٍ وَأَطْرَافِهَا مَشَايخُ آلِ عَلِيٍّ بِصُهَيْبٍ وَالخِرْمَانَ مَشَايخُ آلِ قَطِيبٍ، فَالْخِرْمَانُ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْكَسَادِيِّ (٣)، وَآلُ عَلِيٍّ مِنْ ذِي نَاحِبٍ مِنْ يَافِعٍ.

وَأَمَّا الْأَسْلُومُ فَسَلَمِيُّونَ مِنْ ذِي سَلْمَةٍ، مِنْهُمْ بَلْحَجٍ وَمِنْهُمْ بِخَدِيرٍ وَالضَّالْعِ وَأَبِينِ، وَأَمَّا بَنُو الثَّعْلِيِّ فَمِنْ آلِ أَحْمَدَ بَيْنِ الضَّالْعِ وَالْحَوَاشِبِ وَأَصُولُهُمْ أَبْعُوسُ مِنْ يَافِعٍ، وَمِنْ الْأَبْعُوسِ أَيْضًا آلُ عَلِيٍّ عَامِرٌ فِي حَالَمِينَ وَفِي الْأَزَارِقِ آلُ ابْنِ سَبْعَةَ وَأَصُولُهُمْ مِنْ آلِ ابْنِ سَبْعَةَ فِي يَهْرَ مِنْ يَافِعِ بَنِي قَاصِدٍ.

(١) كَذَا شَكَلَهَا الْمَصْنُفُ «الرُّوَيْ».

(٢) وَيَنْظُرُ لِلشُّعَارِ: «مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ الْيَمِينِيَّةِ» (١/ ٨٦٧).

(٣) وَيَنْظُرُ لِآلِ الْكَسَادِيِّ: «مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ الْيَمِينِيَّةِ» (٢/ ١٣٤٣).

وأما اليماني فمن آل يماني الدَّغاري انتقلوا إلى لَحْجٍ من ضِرَاءَ^(١) وَعَبْدَانَ من أرض العَوَالِقِ^(٢)، وهناك بقية منهم إلى الآن. وإذا وجد في لَحْجٍ من ينتمي إلى أَرْحَبٍ فلا يبعد أن يكون هم بنو الهَرَاني نسبة إلى هِرَّانَ من بلاد أَرْحَبِ^(٣). وأما بقية قبائل لَحْجٍ فمن ذي أَصْبَحَ.

ويظهر لك الآن أن قبائل لَحْجٍ خَلِيطٌ من العَجَالِمِ والحَجَّافِلِ والأَعْمُورِ والحَوَاشِبِ والعَقَارِبِ ويافع. والقسم الأكثر من سكان لَحْجٍ من ذي أَصْبَحَ.

قال ياقوت في «معجم البلدان»^(٤): مخلاف لَحْجٍ بالقرب من أَيْبِنَ وله سواحل، وأكثر سكانه من بني أَصْبَحَ رهط مالك بن أنس. اهـ. وكذلك قال الهمداني^(٥). وذكر الهمداني^(٦) وغيره أن من سكان لَحْجٍ الأَبْقُورِ من يافع ومدينتهم مَيْبَةَ، وذكر بعضهم العقارب وقريتهم لَحْبَةَ والحَجَّافِلِ والعَجَالِمِ من سكان لَحْجٍ، والاختلاط ظاهر حتى اليوم. فالأَقْدُورِ حَوَاشِبِ، وبنو العامري من الأَعْمُورِ، والمَسَاوِدَةَ من ذي أَصْبَحَ، وبنو الرَّعُويِ من العَجَالِمِ، وكلهم من فَرْعِي الشجرة القحطانية حَمِيرَ وَهَمْدَانَ.

أما لفظ عِبَادِلٍ فالراجح إنما تَسَمَّتْ به قبائل لَحْجٍ بعد أن استولَى على لَحْجٍ

(١) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/٩٤٤).

(٢) ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١١٣٨).

(٣) أَرْحَبِ: قبيلة ومديرية من أعمال محافظة صنعاء.

(٤) (٦٧/٥).

(٥) «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٢).

(٦) «صفة جزيرة العرب» (ص ١٩٢).

الشيخ فضل بن علي العبدلي السَّلَامِي، فانتمى قبائل لحج إليه فتسموا عِبَادِلَ بالانتماء إلى الحاكم، كما قال (١) للخاضعين لِحُكْمِ آلِ عَثْمَانَ: عَثْمَانِيَّينَ.

ومما لا شك فيه أن البلاد اللَّحْجِيَّة كانت تحت حكم الأمير حسين بن عبد القادر اليافعي حتى داهمها أحمد بن الحسن بالجنود الإِمَامِيَّة، وفر أميرها الحسين بن عبد القادر إلى يافع، وأن الشيخ فَضْل بن علي وآبائه كانوا يدفعون مقداراً معيناً من المال زكاةً لَحْجٍ إلى يدِ عُمَّالِ الإِمَامِ، وكانوا يلتجئون إلى يافع عندما يحدث الخلاف بينهم وبين عمال الإِمَامِ.

ومن المُحَقَّق أن الشيخ فضل كَرَّ بجموع يافع على الجنود الإِمَامِيَّة التي في لَحْجٍ، وأن السلطان سيف بن قحطان جاء بنفسه إلى لَحْجٍ وحاصر أصحاب الإِمَامِ جُمْلَةً أَشْهُرٍ حتى أرجع الشيخ فضل بن علي إلى حكم لَحْجٍ وعدن وأخرجوا منها الرتبة الإِمَامِيَّة. وعلاقة الشيخ فضل بن علي وصهارته بأمراء يافع وتردده إلى يافع كل ذلك معلوم وسيأتي ذكر بعض ذلك. ولم تكن المصَاهِرَة قاصرة بين أمراء العِبَادِلِ وأمراء يافع، بل هي بين أمراء يافع وسائر أفراد آلِ سَلَّامِ.

ولما قُتِلَ أحمد بن صلاح السَّلَامِي في السَّعْدِيَّين انتقلت زوجته -وهي من أميرات يافع- بأولادها إلى يافع وسكنوا مع أقاربهم من أمراء يافع في خَنْفَرِ. فعلاقة آلِ سَلَّامِ بيافع وانتمائهم إليها قديماً وحديثاً مشهور ليس فقط في عموم قبائل يافع بل من أشرف العائلات اليافعية في كَلْدَ.

* * *

الفصل السابع

أذواءُ اليمنِ ودُوْلَةُ الكَبْرِى. عَادَ وَحِمَيْر. سَقَمَ تَارِيخَ اليَمَنِ قَبْلَ الإِسْلَامِ. ذُو نُوَاسِ وَأَصْحَابُ الأَخْدُودِ. سَقُوطُ دَوْلَةِ حِمَيْر. مَجِيءُ الحَبَشَةِ إِلَى اليَمَنِ اسْتِنجَادُ سَيْفِ بَنِ ذِي يَزْنَ بِكِسْرَى. دَخُولُ الإِسْلَامِ فِي اليَمَنِ. عَدَمُ التَّفَاتِ الخُلَفَاءِ إِلَى اليَمَنِ. قَلَاقِلُ اليَمَنِ وَفِتْنَةُ.

* * *

ذَكَرَ فِي تَارِيخِ «العرب قبل الإسلام» أَنَّ اليَمَنِ كَانَتْ فِي أَقْدَمِ أَزْمَانِهَا وَأَصْلُ نِظَامِهَا تَقَسَّمُ إِلَى مَحَافِدٍ، جَمْعُ مَحْفَدٍ، وَالمَحْفَدُ إِلَى قِصُورٍ^(١)، وَالقِصْرُ كَالْحِصْنِ أَوْ القَلْعَةِ يُحِيطُ بِهِ سُورٌ وَيُقِيمُ فِيهِ شَيْخٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ وَجِيهٌ، يَحْفُفُ بِهِ الأَعْوَانُ وَالحَاشِيَةُ وَالخِدمُ، وَيُعْرَفُ صَاحِبُ المَحْفَدِ بِلَفْظِ «ذُو» أَي: صَاحِبُ يَضَافُ إِلَى اسْمِ المَحْفَدِ فيقال: «ذُو غَمْدَانَ» أَي: صَاحِبُ غَمْدَانَ، «وَذُو مَعِينٍ» أَي: صَاحِبُ مَعِينٍ، وَتَعْرِفُ هَذِهِ الطَّبَقَةُ مِنَ الحُكَّامِ بِالأَذْوَاءِ أَوْ الدَّوِينِ. وَكَانَتْ هَذِهِ المَحَافِدُ عَدِيدَةً لِكُلِّ مِمَّا حَكَومَةُ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا، وَأَشْهُرُ المَحَافِدِ أَوْ القِصُورِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْنَا أَسْمَاؤُهَا: (غَمْدَانَ وَتَلْغَمَ وَنَاعِطَ)^(٢) وَصَرْوَا حَ وَسَلْحِينَ وَظَفَّارَ وَشَبَّامَ وَبَيْتُونَ

(١) المَحْفَدُ -بَلْغَةُ اليَمَنِ القَدِيمَةِ- هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ قِصُورِ المُلُوكِ أَوْ المَدِينَةِ الَّتِي يُحِيطُ بِهَا السُّورُ،

وَيَنْظُرُ «مَعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِية» (٢/ ٤٣١).

(٢) وَيَنْظُرُ لـ«نَاعِطَ»: «مَعْجَمُ البُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ اليَمَنِية» (٢/ ١٧١١).

وَرِيَّامَ وَبَرَّاقِشَ وَرَوْثَانَ وَأَزْيَابَ وَعَمْرَانَ) وغيرها.

وظهرت في اليمن دول كبرى (كالمَعِينِيَّةِ والسَّبَبِيَّةِ) ولكن هذه الدُّوَلُ الصغرى قد عاصرت تلك الدول الكبرى. والأذواء هم حكام البلاد الأصليين، ومنهم نبغ الملوك الذين أسسوا الدول الكبرى، وهم في القصيدة الحميرية طبقات، طبقة سماها الملوك المثامنة وهم ثمانية أذواء كانوا أقياء: (ذو نُعْلَبَانَ وذو خليل وذو شجر وذو جَدَنَ وذو صُرُوحَ وذو مَعَارَ وذو جَرَفَزَ وذو عثكلان)، والطبقة الثانية أذواء مستقلون منهم ذو مَرَّافِدَ وذو دَفِينَ وذو الرُّمَحِينَ وذو يَزَنَ وذو أَصْبَحَ وغيرهم. ودون الأذواء الأقيال، فهم صغار الملوك الذين يقتصرون على مملكة صغيرة كالمَحْفَدَ الكبير أو مؤلفة من بضعة قصور، فلم تخل اليمن من الأذواء حتى في إِبَّانَ سيادة الدول الكبرى. ولما ذهبت دولة حِمَيْرَ ودخلت اليمن في حوزة الأحباش ظل أولئك الأذواء والأقيال يتصرفون بشئون أنفسهم ولهم ثروة ونفوذ إلى ما بعد الإسلام بقرن ونصف قرن كما ذكره ابن خلدون. اهـ.

وإذا اعتبرنا معنى سلطان وأمير وشيخ يقابل ذو من الطبقة الأولى وذو من الطبقة الثانية وقيل، فنظام اليمن الآن لا يختلف عن ذلك النظام. ويظهر أن أيدي الدول الإسلامية القوية التي فتحت اليمن عجزت أن تُحوَّلَ اليمن عن نظامها القديم، بل هو باق على ذلك النظام مع إبدال لفظ أذواء وأقيال بسلاطين وأمراء، فكلما قويت دولة أخضعت من استطاعت منهم بعامل القوة ثم تعود البلاد عند ضعف تلك الدولة إلى نظامها القديم. وكان مِخْلَافُ لَحْجٍ وَعَدَنَ من قَبْلِ الإسلام بلادَ ذِي أَصْبَحَ من حِمَيْرَ.

وحِمَيْرَ من أشهر العرب القحطانيين، وهم أقرب عهدًا من السبأيين، وزعم

بعضهم أن حَمِيرَ أبعد عهداً من عاد وثمود، فبادت عاد وبقيت حمير. نقل ذلك بعض مؤرخي صنعاء عن نَشْوَان^(١) بن سعيد الحَمِيرِي. وهو زعم باطل، ومؤرخو اليمن لا يفرقون بين سبأ وحمير، بل يعدونهم أمة واحدة، وأن الدولة السبئية هي الدولة الحَمِيرِيَّة، وذلك غير صواب، كما أن أخبار تواريخ اليمن عن ملوك حَمِيرَ وأيامهم في غاية السخافة^(٢)، وتاريخ «العرب قبل الإسلام»^(٣) من أسقم التواريخ، والذي يصح أن نقوله في هذا المقام هو أن تاريخ العرب القحطانية وتمدنهم لا تزال آثاره مطمورة تحت الرمال وأخبارهم مبعثرة في أحجار سناخب^(٤) شوامخ الجبال، لم تسمح الأيام بالتنقيب عن تلك الدفائن المهمة في داخلية البلاد لمشقة وصول العلماء البَحَّاثِينَ إليها. وورد في القرآن طرف من أخبار العرب اليمانية وسدودهم وجناتهم ونحتهم للجبال وملوكهم وشوراهم. أما ما ذكره مؤرخو العرب عن أُبُهَّةِ تلك الدول وفتوحات ملوكها فقد

(١) كانت وفاته سنة (٥٧٣هـ)، وله ترجمة في «معجم الأدباء» (٦/ ٢٧٤٥) برقم (١١٧٧) لياقوت الحموي.

(٢) زعم مؤرخو صنعاء أن لغة عاد وثمود وسبأ وحَمِيرَ هي العربية كما هي الآن، وذكروا أن من شعر بعضهم:

فَأَحْمَدُنَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَأُمَّهُ أَحْمَدَ خَيْرُ الْأُمَمِ
هُوَ الْمُصْطَفَى وَأَخُو الْمُرْتَضَى وَأَكْرَمُ مَنْ حَمَلَتْهُ قَدَمٌ

فها هو ذا شاعر سبأ القدموس عربي مثلنا اليوم هو مسلم مؤمن بسيد المرسلين، وهو زيادة على ذلك شيعي يرى أن المصطفى أخو المرتضى. تعليق المؤلف.

(٣) كتاب «العرب قبل الإسلام» لمؤلفه جُرْجِي زيدان، وقد تقدم التعريف به.

(٤) أي: أعالي.

فاق بعضه طور الاحتمال. وكان أهل العصور القديمة إذا رأوا اليمن وجننها وذهبها وتمائيلها وقصورها وجَوهرَها وجنانها وبخورها يقولون:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانَ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادًا بَعْدُ أَبْوَالًا

وناهيك بما كتبه مؤرخو أوروبا قبل الميلاد من أن قصور اليمن كانت مصفحة بالذهب، وأبوابها وطاقاتها من العاج مزركشة بالجواهر، وأهلها يطبخون طعامهم بالأخشاب ذوات الروائح الذكية، وأن أثاثهم وأوانيهم وموائدهم تفوق كل ما رآه الأوربيون.

واتفق أهل الأخبار أن الملك ذا نُؤاس لما تغلب على مُلْكِ آبائه تَسَمَّى يوسف وتعصب لدين اليهودية. وحمل عليه قبائل اليمن وكان أهل نَجْرَان من بين العرب يَدِينُونَ بالنصرانية، فدعاهم ذو نُؤاس إلى دين اليهودية فأبوا فسار إليهم بقومه وعرض عليهم اليهودية أو القتل فلم يزداهم إلا جماعًا، فَخَدَّ لَهُم الأَخَادِيدَ وقتل وحرَّق حتى أهلك منهم فيما قال ابن إسحاق: عشرين ألفًا أو يزيدون، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿فُتِلَّ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾^(١) الآية. وفي بعض أساطير «المؤرخين»^(٢) أنه لما طغى أهل اليمن وبغى ملوكهم سلط الله عليهم الخلد وهو الجُرْدُ، فنقب سدهم من أسفله فأغرق السيل جناتهم وخربت أرضهم وتمزق ملكهم وصاروا أحاديث^(٣). وقد عجب بعض الناس كيف يثقب

(١) [البروج، آية: ٤].

(٢) هو «تاريخ ابن خلدون».

(٣) «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٥٥٤).

الفأر السدود القوية، ولو علموا ما يفعل الآن الفأر (بزم راتا) (Bisam Ratte) في سكسونيا^(١) من فَتْكَ وَثَقَبِ الْبِرْكَ وَأَبْنِيَّةِ الرِّي حَتَّى أزعج حكومة سكسونيا لم يجد لعجبه هذا محلاً.

والذي يظهر من كلام المؤرخين أن سبب سقوط الدول الحِميرية اضطرابات وحروب دينية، وأنهم غيروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم. والخلافات الدينية أضعفت تلك الأمة المجيدة حتى إنهم لم يعودوا قادرين على إصلاح ما فسد في السد لتفرقهم وشتات كلمتهم. وقد ذكر بعض المؤرخين أنهم أدركوا ذلك فترح بعضهم عن البلاد قبل سقوط السد^(٢).

وقد ذكر بعض علماء العصر من أوروبا أن هندسة السد كانت غاية في الإتقان تدل على ما بلغه السبئيون من إتقان علم الهندسة. وذكر المؤرخون أن أحد نصارى نجران يقال له: (دوس ذو ثعلبان) فر من ذي نواس وقدم على قيصر صاحب الروم واستنصره على ذي نواس، وأعلمه بما وقع وأراه الإنجيل وقد أحرق بعضه، فكتب قيصر إلى النجاشي ملك الحبشة يحثه للأخذ بثار النصارى، فبعث النجاشي سبعين ألفاً وملكوا اليمن ودخلت اليمن في حكم الحبش^(٣).

(١) هي مملكة ساكسونيا، كانت دولة قائمة بين عامي (١٨٠٦ و ١٩١٨ م) وكانت عضواً مستقلاً في التحالف النابليوني، وبعد مؤتمر فيينا صارت جزءاً من الاتحاد الألماني، وفي سنة (١٨٧١ م) جزءاً من الإمبراطورية الألمانية قبل أن يتم تحويلها في عام (١٩١٨ م) بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى إلى ولاية في جمهورية فايمار عاصمتها «درسدن». «ويكيديا».

(٢) ينظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣٥ - ٣٦)، و«تاريخ المستبصر» (ص ٣٧٥ - ٣٧٦) بتحقيقي.

(٣) ينظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ١٢٣) وما بعدها.

ثم إن سيف بن ذي يزن استنجد بكسرى ملك الفرس وأمهه بعسكره تحت قيادة رجل اسمه وهزّر، فخرجوا إلى ساحل عدن واقتتلوا قتالاً شديداً قُتِلَ فيه زعيم الحبش فانهزمت الحبشة وصار أمر اليمن تحت سيطرة الفرس.

وكتب وهزّر إلى كسرى يبشره بفتح اليمن، فكتب إليه كسرى يأمره أن يملك سيف بن ذي يزن وَيَقْدَمَ هو إليه، فخلف سيفاً على اليمن (١)، وفي ذلك يقول أبو الصلت:

لَمْ يُدْرِكِ الشَّارَ أَمْثَالَ ابْنِ ذِي يَزْنَ
أَسْبَحَ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالَا
أَتَى هِرْقَلٌ وَقَدْ شَالَتْ نِعَامَتُهُ
فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَا
ثُمَّ انْحَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ تَاسِعَةٍ
مِنَ السِّنِينَ لَقَدْ أَبْعَدَتْ إِنْغَالَا
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَبِهْرَامِ الْجُنُودِ لَهُ
وَمِثْلُ وَهَزَّرِ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ جَالَا
لِللَّهِ دَرُهُمْ مِنْ عَضْبِيَّةٍ خَرَجُوا
مَا إِنْ رَأَيْنَا لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا
صَيْدًا جَحَاجِحَةً بِيضًا خَضَارِمَةً
أُسْدًا تَرَبَّتْ فِي الْعَابَاتِ أَشْبَالَا
أَرْسَلَتْ أُسْدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ
عَادَرَتْ أَوْجُهُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَفْلالَا (٢)

وذكر بعضهم هذه القصة فقال: إن الإمبراطور قسطنطين بعث في سنة ٣٤٣ بعد الميلاد (تيوفيل Theophile) ليدعو أهل اليمن إلى دين النصرانية، وتهود

(١) ينظر: «تاريخ ابن خلدون» (١/٥٦٦).

(٢) هذه الأبيات جاءت في بعض المصادر باختلاف في بعض الألفاظ عما هنا، والذي هنا وجدته موافقاً لما في «العقد الفريد» (١/١٩٠) ط: «دار الكتب العلمية».

أبو نواس المتسلطن على الحميرية آخر القرن الخامس، فدعا إلى دين اليهودية نصارى نجران في سنة ٥٢٤ بعد الميلاد، فأبوا فأمر بقتلهم، وبلغ الخبر إلى العاهل جوستين (Justin) الأول فأمر النجاشي صاحب الحبشة المتدين بالنصرانية بالانتقام من ذي نواس، فبعث القائد أرياط فدخل اليمن بلا مشقة وانهزم ذو نواس فألقى نفسه في البحر سنة ٥٢٥ بعد الميلاد، ومات خليفته (علس ذو جدن) وتولى أرياط اليمن نيابة عن النجاشي ونفذت كلمته، فغار منه الضابط المسمى أبرهة الأشرم فقتله غدراً وتولى بدله نيابة عن النجاشي بعد أن جعل سائر الحبشة تحت قيادته وحارب عدة حروب كان له فيها الظفر.

وكتب بأمره (غريجنطيوس Gregentius) أسْقُفٌ^(١) مدينة ظفار قوانين نسختها الأصلية المدونة باليونانية محفوظة بـ«كتبخانة» و«يانة»، ثم استغاث ملك الحيرة بكسرى أبرويز فتوقف ثم أجابهم. وبعث سنة ٥٧٥ بعد الميلاد أسطولاً هزم الحبشة وأجلاهم عن اليمن سنة ٥٩٧^(٢) هـ. وقد عثر الكمندر هينس البريطاني فاتح عدن^(٣) على حجر منقوش عليه بالخط المسند ما ترجمه الإنكليز إلى لغتهم بما معناه:

(١) والأُسْقُفُّ: هو العالم من علماء النصارى ورؤسائهم.

(٢) من كتاب العالم (سيديو Sedeillot) المؤلف.

(٣) بل احتل عدن وكان احتلال البريطانيين لها عام (١٨٣٩م)، وينظر: «عدن في العصر الحديث

من الاحتلال البريطاني (١٨٣٩م) إلى الاستقلال (١٩٦٧م) ونتائجه» (ص ١٠ - ١١)

لمحمد علي البار.

هجمنا بسوط الغضب على الأحباش والبرابرة، وتقدمنا ببأس وشدة على
حثة الجنس البشري.

We assailed with cries of hatred and rage the Abyssinians and we
rode Podes together wrathfully against this refuse of mankind.

ثم لما جاء الإسلام أرسل النبي ﷺ إلى اليمن المهاجر بن أبي أمية
المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري صاحب اليمن يومئذ بدعوة قومه
إلى دين الإسلام، فأسلموا في العام السابع للهجرة وتركوا تلك الأديان التي كانت
وبالآ عليهم وعلى بلادهم، وصار أمر اليمن للنبي ﷺ (١). ولما مات النبي ﷺ
ارتد أهل اليمن فحاربهم أبو بكر ﷺ فأرجعهم إلى الإسلام وصار أمر اليمن بعد
الخلفاء الراشدين لمعاوية فابن الزبير فخلفاء بني أمية فخلفاء بني العباس. وطول
تلك المدة لم يكن أحد من الخلفاء أو الملوك يفكر في إعادة مجد اليمن وتشيد
سدودها وإنهاض أهلها، بل كانوا يجتهدون في جمع الأموال من اليمن وتحصيل
الزكاة والخراج وأخذ الجنود، واشتغلوا بالفتوحات المجيدة المشهورة في
التاريخ، ولم تستفد اليمن من مجد التمدن الإسلامي فائدة تذكر، ولم يتمكن
اليمنيون من التفكير في أسباب سقوطهم لأن أمرهم بيد غيرهم من الحكام
المستبدين. واليمنيون إلى اليوم يتنازعون ويتعادون لمجرد الخلاف في أفضلية
علي بن أبي بكر، وهل يلعن معاوية أو يرضى عنه؟ وهل أنت ناصبي شافعي أو
زيدي رافضي خامسي؟ فاشتغل أهل اليمن القحطانيون مئات من السنين بهذه

(١) ينظر: «السيرة لابن هشام» (٢/١٠٣٢) تحت عنوان: «قدوم رسول حمير بكتابهم».

الترهات والسخافات^(١)، فتمكن الخلاف وتعذر الائتلاف، يقاتل بنو قحطان بعضهم بعضًا باسم المذهبية لإرضاء الحاكمين، فما انتهينا من حرب القرامطة حتى ابتدأت فتنة الإسماعيلية، وما استرحنا من فتنة الإسماعيلية حتى قام بنو عبد النبي، وما خلصنا من فتنة مهدي بن عبد النبي حتى ظهرت القلاقل الزيدية، فكلها فتن مذهبية وحقيقة المقصد منها الملك والسلطان لا غير. مسكينة قبائل قحطان، تَفْنَى رِجَالُهَا وَتَذْهَبُ أَمْوَالُهَا وَتَسِيلُ دِمَاؤُهَا وَتَحْرَبُ بِلَادُهَا لِنَصْرَةِ الدِّعَاءِ وَالْمَتَهَوِّسِينَ، فتمادت قحطان في الهبوط وطال عليها القعود فالثياب جلود، وفي البلاد دمار وفي السَّلْعِ بوار وفي الرزق إقتار، والجوع موجه والفقر مدقع، والجهل فاحش والحالة توحش، فهل يُصَدِّقُ من رآهم اليوم أن أجداد هؤلاء بَنَوْ قِصُورَهُمْ بِالذَّهَبِ الْوَهَّاجِ وَبِالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَرَضَعُوا أَبْوَابَهُم المصنوعة من العاج وطبخوا طعامهم بخشب العود والصندل وكانت أوانيهم وأثاثاتهم وموائدهم ومحاسنهم مما تبهر الألباب وتبعث بالعجب العجائب. فإلى متى هذه الغفلة، فيا سامع خفي البكاء، إليك وحدك الشكاء.

* * *

(١) هذه أمور لا بد من إيضاح لها حتى يفهم الأمر العقلاء، وهو أن أسَّ البلاء وأساسه من الرافضة؛ لأنهم أطلقوا ألسنتهم في سبِّ الصحابة حملة الدين، والظعن فيهم يعتبر طعنًا في الدين، لأنه وصلنا عن طريقهم، وأما أهل السنة شافعية كانوا أو غير شافعية، فهم بعيدون كل البعد عن ذلك، وأما اليوم فقد اتضح أمر الشيعة الرافضة للعالم، ولعل المصنف لم يكن على دراية كاملة بخطورة الشيعة الروافض ولا نحتاج إلى براهين على انحراف الروافض.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

الفصل الثامن

عُمَالُ بني العباس. حُكْمُ آلِ زياد. اسْتِقْلَالُ ابنِ أَبِي العلاء. ذِكْرُ علي بن الفضل القُرْمَطي. دُخُولُ الإمامِ الناصرِ عَدَن. اسْتِرْجَاعُ الحسين ابنِ سلامة لِلْحَجِّ وَعَدَن. دَوْلَةُ (الصُّلَيْحِيِّينَ) فِي لَحْجٍ وَعَدَن. آلُ زُرَيْعٍ ومعاركِ الرَّعَارِعِ.

* * *

ولما تولى السَّفَّاحُ العباسي استعمل على اليمن والحجاز عمه داؤد بن علي بن عبد الرحمن. وكان أول من قدم اليمن نائباً لنبي العباس فأقام بصنعاء شهراً ومات، فبعث السفاح محمد بن زيد الحارثي فولي صنعاء وبعث أخاه إلى عدن. ولما صار الأمر إلى المأمون العباسي وبلغه اختلال أمر اليمن بعث الأمير محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد والياً على اليمن، وبعث معه جيشاً سنة ٢٠٣هـ، فسار محمد إلى اليمن وانتزعها من يد المتغلبين وبنى مدينة زبيد.

وفي سنة ٢٠٦هـ أمده المأمون بجيش آخر ففتح اليمن بأسرها ولحجاً وعدناً ثم صار اليمن لآل زياد. أما لَحْجٍ وَعَدَن فإنه استقل بها بنو أبي العلاء وهم من ذي أصبح، عند ابتداء ضعف دولة آل زياد، فصار أمر لحج وعَدَن وأبين لبني أبي العلاء وهم الذين حاربوا علي بن الفضل وهزموه في لَحْجٍ. قال صاحب «قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون»^(١): وأما علي بن الفضل فهو رجل من أهل اليمن

(١) «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» ومؤلفه هو: عبد الرحمن بن عليّ الدَّيَّع الشيباني الزبيدي

خنفري النسب من ولد خَنْفَرِ بْنِ سَبَأِ الْأَصْغَرِ، كَانَ سَاقِطًا فِي أَوَّلِ عَمْرِهِ لَا شَهْرَةَ لَهُ إِلَّا إِنَّهُ كَانَ أَدِيبًا ذَكِيًّا شَجَاعًا فَصِيحًا، رَحَلَ إِلَى الْكُوفَةِ وَتَعَلَّمَ مَذْهَبَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ (اثنًا عشرًا)^(١)، وَرَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ وَطَلَعَ إِلَى الْجَنْدِ^(٢) ثُمَّ إِلَى أَبِيئِنَّ ثُمَّ إِلَى يَافِعِ فُوجِدَهُمْ رَعَاعًا، فَجَعَلَ يَتَعَبَدُ فِي بَطُونِ الْأُودِيَّةِ وَيَأْتُونَهُ بِالطَّعَامِ فَلَا يَأْكُلُ شَيْئًا وَإِنْ أَكَلَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا يَسِيرًا وَيُرِيهِمْ أَنَّهُ يَدِيمُ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، فَفَتَنُوا بِهِ وَجَعَلُوا أَمْرَهُمْ بِيَدِهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَنْزَلَ مِنْ جَبَلٍ كَانَ يَخْتَلِي فِيهِ لِلْعِبَادَةِ بِزَعْمِهِ، فَشَرَطَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَرَادُوا ذَلِكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَةِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِعِمَارَةِ حَصْنٍ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْقِ^(٣) فَفَعَلُوا وَأَنْهَبَهُمْ أَطْرَافَ الْبِلَادِ زَاعِمًا أَنَّهُ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلْعَاصِينَ لِيَدْخُلُوا فِي دِينِ اللَّهِ طَوْعًا وَكَرْهًا. وَكَانَ يَوْمَئِذٍ بِلَحْجٍ وَأَبِيئِنَّ رَجُلٌ يَعْرِفُ بَابَنَ أَبِي الْعَلَاءِ، فَقَصَدَهُ ابْنُ الْفَضْلِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ يَافِعٍ وَغَيْرِهِمْ فَهَزَمَهُمْ ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ إِلَى صُهَيْبِ^(٤) وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ خَلْقًا كَثِيرًا، فَقَالَ ابْنُ الْفَضْلِ بِصُهَيْبِ^(٥) لِأَصْحَابِهِ: الرَّأْيُ أَنْ نَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فُورًا وَنَهْجِمَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَمْنُوا، فَوَافَقُوهُ وَلَمْ يَشْعُرْ ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ بِخَنْفَرٍ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ،

المتوفى سنة (٩٤٤هـ)، له ترجمة في «الأعلام» (٣/٣١٨) للزركلي.

(١) قوله: «وكان اثنا عشرًا» - كذا - لم أجدها في هذا السياق في الكتاب المشار إليه.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى «الجبل»، والمثبت من «قرة العيون» والمصنف نقله منه.

(٣) الذي في «قرة العيون»: «السرو» بدل «الشرق».

(٤) وهي أسفل جبل الضالع بالجنوب الشرقي من قعطبة، تعرف قديمًا باسم «سبأ الصهيب».

(٥) وقع في المطبوع: «باصهيب»، والمقصود أنه أشار عليهم في منطقة صهيب بالرجوع.

وافترق من أصحابه، فُقْتِلَ ابن أبي العلاء في طائفة من عسكره واستباح ما كان لهم، يقال: إنه وجد في خزانة ابن أبي العلاء سبعين بدرة، البَدْرَةُ عشرة آلاف درهم. وعاد إلى بلاد يافع فَعَظُم شأنه وشاع ذكره. اهـ (١).

وكان ذلك حوالي سنة ٢٩٠هـ، ودخل الإمام الناصر عدن في جموع من أهل اليمن استفزهم لقتال القرامطة في سنة ٣٠٢هـ (٢). وهلك علي بن الفضل سنة ٣٠٣هـ، ثم استرجع الحسين ابن سلامة (٣) مولى آل زياد كثيرًا من البلدان التي سقطت من أيديهم، من جعلتها لَحْجٍ وعدن، وجدد الحسين ابن سلامة عمارة «جامع عمر بن عبد العزيز» في عدن (٤). وبعد وفاة الحسين ابن سلامة صار أمر لَحْجٍ وعدن في سنة ٤١٠هـ إلى بني معن (٥) إلى أن قام الصُّلَيْحِي علي بن محمد ودخل عدن سنة ٤٤٠هـ وأقرَّ بني معن عمالًا من طرفه في لَحْجٍ وعدن، وفي سنة ٤٥٩هـ عزم الصليحي على حج بيت الله الحرام واستخلف على اليمن ابنه أحمد المكرم، وأخذ معه إلى الحج خمسين ملكًا من ملوك اليمن خوفًا من أن يحدثوا شيئًا في غيبته، من جعلتهم صاحب عدن ولحج من بني معن. فلما قُتِلَ الصليحي في أثناء الطريق (٦) كان صاحب لَحْجٍ وعدن فيمن نجا، فجاء إلى لَحْجٍ وعدن

(١) ينظر ذلك في «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ١٦٣ - ١٦٥).

(٢) وفي «اللطايف السنية» سنة (٣١٠هـ)، المؤلف.

(٣) وسلامة هي أمُّه، وله ترجمة في «قلادة النحر» (٣/٣٠٧) برقم (١٧٧٦).

(٤) وذكر هذا عمارة اليمن في «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» (ص ٧٠).

(٥) ينظر: «المفيد» (ص ٨١) لعمارة.

(٦) تنظر قصة مقتله في «المفيد» (ص ١١١) و(ص ١٦٧)، و«قرة العيون» (ص ٢١٣ - ٢١٤).

وترك طاعة بني الصليحي، فقصدهم المكرم الصليحي إلى لحج، وكان علي الصليحي عندما زَوَّجَ ابْنَهُ المكرم علي السيدة بنت أحمد جعل خراج لحج وعدن صداقها، فلما تمنع علي ذلك بَنُو مَعْنٍ وقصدهم أحمد المكرم إلى لَحْجٍ وعدن أخرجهم منها وولاهها العباس ومسعودًا ابني المكرم الجُشَمِي اليامي، واستخلفهما للحرّة السيدة بنت أحمد، وكانت لهما سابقة محمودة بقيام الدعوة مع والده ثم معه يوم أنقذ أمه أسماء من أسر سعيد الأحول، فجعل للعباس حصن التَّعْكَرَ بعدن وباب البر وما يدخل إليه، وجعل لمسعود حصن الخضرا وباب البحر وما يخرج ويدخل منه، وإليه أمر مدينة عدن، وجعلهما عمالاً للحرّة السيدة بنت أحمد (١) ويقال لها: بَلْقِيس (٢) الصغرى.

ومآثر السيدة بنت أحمد مشهورة في اليمن إلى حال التاريخ، واسمها سيدة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، فَوَّضَ الأمر إليها زوجها فانفردت بالأمر في حياته وبعد وفاته. وكانت كاملة عاقلة، وهي التي عملت الحيلة في قتل سعيد الأحول (٣).

قال في «قرة العيون تاريخ اليمن الميمون»: (فصل في ذكر دولة بني زريع واستيلائها على عدن) قال: قال الإمام علي بن الحسين الخزرجي رحمه الله تعالى:

(١) ينظر ذلك في «المفيد» (ص ١٤٨ - ١٤٩).

(٢) لم أقف في شيء من المصادر المعتمدة أن اسمها «بلقيس»، وإنما تذكر بالحرّة والسيدة وذكر هذا الاسم هنا لم يذكره «المفيد» ولا غيره إنما الذاكر له هو المصنف.

(٣) وهو قاتل علي بن محمد الصليحي «المفيد» (ص ١٦٤).

كان السبب في تملك [آل] (١) زريع عدن وما ناهجها من البلاد أن الصليحي لما استولى على البلاد وافتتح عدن كان فيها بنو معن قد تغلبوا عليها وعلى لَحْجٍ وأبَيْنَ والشُّحْرَ وحضرموت، فأبقاها تحت أيديهم وجعلهم نوابًا من قبَلِه. فلما زوج المكرم ابنه بالسيدة جعل الصليحي صداقها عدن وما ناهجها، وكان بنو معن يرفعون خراجها إلى السيدة في أيام الصليحي، فلما قتل الصليحي تغلبت بنو معن على ما تحت أيديهم، فقبضهم (٢) المكرم وأخرجهم منها وولاه العباس ومسعودًا ابني المكرم الهَمْداني، وكانت لهما سابقة محمودة في قيام الدولة المستنصرية مع الداعي علي الصليحي وولده المكرم يوم نزوله إلى زيد واستنقاذه لأُمَّه (٣)، فجعل للعباس حصن التعكر بعدن وباب البرِّ وما يدخل منه، وجعل لمسعود حصن الخضرا وباب البحر وما يدخله، وأمر المدينة إليه، واستخلفهما للحررة السيدة، وكان ارتفاع (٤) عدن يحمل إلى السيدة كل سنة مائة ألف دينار، وقد يزيد وقد ينقص، إلى وفاة العباس بن المكرم، فخلفه ولده

(١) تم استدراكه من «قرة العيون» (ص ٢٥٨).

(٢) في «قرة العيون»: «فقصدهم» بدل «فقبضهم».

(٣) لأن علي بن محمد الصليحي عندما عزم للحج كما تقدم كان أخذ معه زوجته أمَّ المكرم، وهي أسماء بنت شهاب، فلما قتله أسرها، وينظر: ذلك مع قصة استنقاذ المكرم إياها في «المفيد» (ص ١١١ - ١١٢).

(٤) كذا هو في المطبوع وكذلك في «قرة العيون»، وقد علق المصنف العبدلي بقوله: كلمة (ارتفاع) كذا في الأصل لعلها «انتفاع».

قلت: ولعل المقصود: الخراج.

زريع بن العباس علي ما كان متولياً، وأبقاه عمه مسعود علي ما هو عليه، وكل منهما يحمل ما هو عليه، فملك زريع الدُّمْلُوة سنة ٤٨٠ هـ.

فلما بعثت السيدة المفضل ابن أبي البركات إلي زيد كتب إلي زريع وعمه مسعود أن يلقياه بزبيد، فلقياه وقاتلا معه وقتلا علي باب زبيد، فانتقل أمر عدن إلي ولديهما أبي السعود بن زريع وأبي الغارات بن مسعود، فتغلبا علي الحرة، فبعثت إليهما المفضل في جيش عظيم فقاتلتهما، ثم اتفق الأمر علي نصف الخراج خمسين ألف دينار كل سنة، فلما مات المفضل تغلبا علي الحرة أيضاً، فبعثت إليهم ابن عم المفضل أسعد بن أبي الفتوح فقاتلتهما، ثم اتفقوا علي الربع من الارتفاع. ثم تغلبوا علي الربع حتى توفي أبو السعود وولي جهته سبأ بن أبي السعود، ثم توفي أبو الغارات وتولي بعده جهته ولده محمد بن أبي الغارات، ثم توفي محمد وولي جهته أخوه علي بن أبي الغارات وهو صاحب حصن الخضراء والمستولي علي باب البحر والمدينة، وكان للداعي سبأ حصن التّعكر وباب البر وما يدخل منه، ومن البر الدُّمْلُوة وسامع ومطران^(١) ويمين^(٢) وذُبْحَان وبعض المعافر وبعض الجند، وكانت أعماله كبيرة واسعة، وكان له من الأولاد علي الأعز^(٣) ومحمد

(١) مَطْرَان: تثنية «مطر» وهو حصن من جبل قَدَس من المعافر «الحجرية» جنوب تعز، والقريه ما زالت عامرة والقصر قد صار خراباً.

(٢) يَمِين: بضم ففتح فسكون، حصن أثري قديم في جبل «العرايز» من مديرية الشَمَائِيَّتِينَ وأعمال محافظة تعز، يقع في الغرب الشمالي من «تُرْبَة ذُبْحَان».

(٣) وقع في المطبوع «الأغر»، وصوابه «الأعز» كما في «المفيد»، والمصنف ينقل منه، و«الأعز» هو «علي بن سبأ».

الداعي وزياذ وروح^(١).

وكان السبب في استيلاء الداعي سبأ بن أبي السعود وزوال ابن أبي الغارات أن نواب علي بن أبي الغارات انبسطت أيديهم على نواب الداعي سبأ وعائوا وأفسدوا، ولم ينههم مولاهم عن ذلك، ولم يزلوا يتكلمون بما يوجب الغيظ، والداعي في ذلك مهتم بجمع الأموال والغلات سرًا، فكان كل من يلوذ بالداعي يهتضم والصولة لنواب علي بن أبي الغارات، فكاد الأمر يخرج من يد الداعي سبأ لشدة احتماله. ثم عزم على مشاجرة القوم حين بلغه أن ابن عمه علي ابن أبي الغارات ينتقصه^(٢) وهم برفع يده عن عدن، فخرج الداعي إلى الدُمْلُوة وقدم قائده الشيخ بلال فولاه عدن وأمره بِمُقَاتَحَةِ القوم وتحريك القتال بعدن، وكان شهيمًا بأسلاً، ففعل وجمع الداعي سبأ من هَمْدان وخولان وحمير ومدحج وهبط من الدُمْلُوة، فنازل القوم بقرية وادي لَحْج، وكانت القرية «بَنَاءُ أَبَّة» له فنزلها، وكانت قرية الرَّعَارِع لابن عمه فنزل كل واحد منهما في قريته واقتتلوا أشد قتال.

حكى الداعي محمد بن سبأ قال: كنت يومًا في طلائع خيل والدي فواجهنا علي بن أبي الغارات وعمه مَنيع بن مسعود ولم تحمل الخيل يومئذ أفرسَ منهما ولا أشجع، فقال لي مَنيع: يا صبي، قل لأبيك يثبت، فلا بد العشية من تقبيل الجُشَمِيَّات^(٣) والبكور اللواتي في مضربه، فأخبرت أبي بذلك فركب بنفسه وقال

(١) وقع في المطبوع: «رواح»، والمثبت هو الصواب كما هو في «قرة العيون»، و«المفيد»، وصاحب «قرة العيون» إنما نقله من «المفيد» يعرف ذلك عند المقابلة.

(٢) وقع في المطبوع: «ينتقصه» بدل «ينتقصه».

(٣) وقع في المطبوع: «الحشمت» وهو خطأ، والمثبت من «قرة العيون»، والمصنف نقله منه، بل

لمن حضر من بني عمه: إن العرب المستأجرة^(١) لا تصبر على حر الطعان، فalcقوا بني عمكم بأنفسكم وإلا فهي الهزيمة والعار، قال: ثم التقى القوم فحمل منا فارس على مَنيع بن مسعود فطعنه طعنة شَرَمَ بها شفته العليا وأرنبه أنفه، وكثر الجِلاَد بالسيف وعُقِرَ كثير من الخيل، ثم حملت همدان ففرقت بين الفريقين، وتحاجر القوم على عُدوتَي الوادي، وأقبل وادي لَحْجِ دافعًا بالسيل، فوقفوا جميعًا على عدوتي الوادي يتجاوبون، فقال الداعي سبًا لَمَنيع بن مسعود: كيف رأيت تقبيل الجُشمِيَّاتِ؟ فقال: وجدته كما قال المتنبي: «والطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّهِنَّ كَالْقُبْلِ».

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لموافقته شاهد الحال.

قال عُمارة^(٢): وأقامت فتنة الرَّعَارِعِ ستين^(٣)، وكان ابن أبي الغارات أولاً ينفق الأموال جزافًا، والداعي ممسك، فلما ضعف حال ابن أبي الغارات بذل الداعي سبًا ما لم يخطر ببال أحد أنه يبذله. وحكى ولده محمد بن سبًا أيضًا قال: قدم رجل من همدان إلى الداعي وهو في خيمته فقال: يا أبا حَمِيرَ، إن الحرب نار وحطبها الرجال، فادفع لي ديتي ألف دينار، ففعل. ثم قال: ودية ولدي فلان

هو كذلك في «المفيد»، وفيه: «فلا بُدَّ العشيَّة من تقبيل الجشميات اللواتي في مضاربه». و«الجشميات» نسبة إلى جدِّ آل زريع جُشم.

(١) وقع في «قرة العيون»: «المتشاجرة» وهو خطأ، والمثبت هنا هو الصواب كما هو في «المفيد».

(٢) هو عمارة اليمني، تقدمت ترجمته، وهذا في كتابه «المفيد» كما سيأتي.

(٣) وقع في المطبوع: «سنين» بدل «ستين»، والتصويب من «قرة العيون» و«المفيد».

وأخيه، فأعطاه ألفي دينار. قال: وثَمَنَ (١) الخيل إن عقرت (٢)، فأعطاه خمسمائة دينار، قال: بَقِيَّتْ خصلة ما أظن أن كرمك يردني عنها، قال: وما هي؟ قال: عزمت على نكاح فلانة وليس معي مال أقابل به أهلها لشرفهم، فأعطاه مئة دينار، فقال: أنعمت إلا أنه قبيح علي أن أتزوج وأنا أشيب ولي ولدان شبابان بلا زواج، فدفعت إليه مائتين، فقال الهمداني: فلما بلغ باب الخيمة رجعت فقال: لا أسألك حاجة بعد هذه التي رجعت لأجلها، فقال: ما هي؟ فقال: إن لي بنتاً لا زوج لها، وقبيح أن أتزوج أنا وأخواها وتبقى هي أرملة، قال الداعي: فماذا يكون؟ قال: تدفع لي مالاً أزوجهها به، فدفعت له مائة أخرى، ثم تمثل الداعي بقول الشاعر (٣):

استتفت لحيه زيد فانترف

ثم إن علي بن ابن أبي الغارات انهزم إلى جهة صُهَيْب، ثم تحصن هو وبنو عمه بحصن مُنَيْف. ومن الانفاقات العجيبة أن بلال (٤) بن جَرِيرِ المحمدي افتتح الحصن بعدن (٥) وأنزل بهجة أمّ علي بن أبي الغارات في اليوم الذي افتتح فيه سبأ الرّعاع، فأرسل كل منهما بشيراً إلى الآخر بما فتح الله عليه، فالتقى البشيران في الطريق، فوجد بلال بن جَرِيرِ المحمدي في الخضراء عند أمّ علي بن أبي الغارات ما لا يوصف، وأقامت أمّ علي بعدن حتى توفيت (٦).

(١) وقع في المطبوع: «ولمن» بدل «وثمن»، والتصويب من المصدرين السابقين.

(٢) وقع في المطبوع: «عقرت» بدل «عقرت».

(٣) الذي في «قرة العيون» و«المفيد»: «الراجز» بدل «الشاعر».

(٤) له ترجمة في «قلادة النحر» (٤/ ١٥٤) برقم (٢٣٦٠).

(٥) وهو حصن الخضراء كما في المصدرين السابقين.

(٦) نقل المصنف ذلك من «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٢٥٨ - ٢٦٣) للدّبيع،

قلت: وفي ذلك يقول علي بن زياد المأربي^(١):

حَلَّتِ الرَّعَارُغُ مِنْ بَنِي الْمَسْعُودِ فَعُهُودُهُمْ عَنْهَا كَغَيْرِ عُهُودِ
حَلَّتْ بِهَا أَلُ الرُّزَيْعِ وَإِنَّمَا حَلَّتْ أُسُودٌ فِي مَقَامِ أُسُودِ

قال في «قرة العيون»: قال الجندي^(٢): ودخل الداعي سبأ عدن فوقف فيها سبعة أشهر ثم توفي سنة ٥٣٢هـ. ودفن بسفح التّعكر بعدن.

وفي تلك السنة توفيت الحرة السيدة بنت أحمد في ذي جِبَلَة.

ولما توفي الداعي سبأ تولى بعده عليّ المعروف بالأعز^(٣)، فلم يلبث إلا قليلاً وتوفي سنة ٥٣٤هـ. وكان له أربعة أولاد أوصى بالأمر إلى ولده حاتم بن علي، وكان الشيخ بلال بن جرير نائبه بعدن، وكان يكره الأعز، والأعز يكرهه، وكان محمد بن سبأ يومئذ هارباً من أخيه علي بن سبأ، فكتب إليه بلال وهو عند المنصور بن أبي البركات فأمره بالمبادرة إلى عدن ووعدته بالقيام معه بالروح والمال، فخرج مع الهمدانيين، ولما قرب من عدن تلقاه بلال وترجل بين يديه

والديع نقله من «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» (ص ١٤٨ - ١٥٧)، وينظر: «تاريخ المستبصر» (ص ١٦٦ - ١٦٧) و(ص ٢٤٥ - ٢٥٤) بتحقيقي.

(١) وقع في المطبوع: «المازني» بدل «المأربي»، وقد تقدم، وأن صوابه (المأربي) نسبة إلى «مأرب» المدينة اليمنية المشهورة.

(٢) هو صاحب كتاب «السلوك في طبقات العلماء والملوك» له ترجمة في «الأعلام» (٧/ ١٥١).

(٣) وقع في المطبوع هنا: «الأعز» وهو خطأ، وصوابه: «الأعز» كما هو في «قرة العيون» و«المفيد»، و«الأعز» هو علي بن سبأ.

وسار معه إلى «دار المنظر» وأقعدته فيه واستحلف له العسكر جميعاً، فاستولى على البلاد وأطاعه كل من كان تحت طاعة أبيه من أهل السهل والجبل ببركة بلال بن جرير ويؤمنه، وزوجه بلال ابنته، وصرف في جهازها أموالاً جزيلة، ثم قدم من مصر رسول من خليفة مصر بتقليد الدعوة علي بن سبأ فوجده قد مات، فقلد الدعوة أخاه محمد بن الداعي سبأ، ونعته بالمعظم، وكان الداعي محمد بن سبأ ملكاً كريماً^(١) جواداً مدحه جماعة من الشعراء منهم القاضي يحيى بن عبد السلام بن أبي يحيى وبنو أبي يحيى قضاة صنعاء. ومن مدحه فيه -وقد عزم إلى ذي جبلة- قوله:

النَّضْرُ مِنْ قَرْنَاءِ عَزْمِكَ فَاعْزِمِ وَالذَّهْرُ مِنْ إِسْرَاءِ حُكْمِكَ فَاحْكِمِ

ومن شعر الشريف يحيى بن محمد الحسيني فيه قوله:

جَلَّالُكَ أَلْبَسَ الْعَيْدَ الْجَلَّالَا وَمَجْدُكَ فِيهِ مَجْدُ الْعَيْدِ طَالَا
وَعَزُّكَ أَلْبَسَ الْأَعْيَادَ عَزًّا تَتِيهُ بِهِ فَصَارَ لَهَا جَمَالَا

ومن مداحه الشيخ الأديب سالم بن عمران، فمن قوله فيه:

هَلْ لِلْفَضَائِلِ عَنْ مَدِيحِكَ مَعْدَلُ أَمْ هَلْ لَهَا مِنْ دُونِ بَابِكَ مَوْئِلُ
شَغَلَتْ صِفَاتُكَ أَلْسِنَ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَنْ يَنْسَبُوا مَعَهَا وَأَنْ يَتَغَزَّلُوا

(١) إلى هنا نقله صاحب «قرة العيون» من «المفيد» لعُمارة، فإنه فيه بئصه.

ومن مُدَّاحِهِ أَيضًا دُجَانَةُ بن محمد الصنعاني، ومن شعره فيه قوله:

قَسَمًا بِمَجْدِكَ إِنَّهُ لَمَشِيدٌ حَقًّا وَإِنَّكَ فِي الزَّمَانِ وَحِيدٌ (١)
فَأَقْعُدْ بِدِسْتِ الْمَلِكِ غَيْرَ مُنَازِعٍ وَالْبَسُّ رَدَاءَ الْمَجْدِ فَهُوَ جَدِيدٌ
وَأَفْخَرُ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُمْ خَوْلٌ وَإِنَّكَ فِيهِمْ لَمَسُودٌ (٢)

ومن مُدَّاحِهِ الأديبُ أحمد بن محمد (٣). ومن قوله فيه:

هِيَ الدَّوْلَةُ الغَرَاءُ والعِزُّ والنَّصْرُ وَطِيبُ الثَّنَا وَالْمَجْدُ وَالْفَضْلُ وَالْفَخْرُ
لِمَنْ قَوْلُهُ فَضْلٌ وَبَاطِنُهُ حَبَى وَظَاهِرُهُ بِشْرٌ وَنَائِلُهُ غَمْرٌ (٤)

وفي أيامه توفي الشيخ بلال بن جرير المحمدي في سنة ٥٤٥هـ، واستخلف الداعي ولده مُدَّافِعٌ (٥) بن بلال. وفي سنة ٥٤٧هـ ابتاع الداعي محمد بن سبأ من السلطان منصور بن المفضل بن أبي البركات جميع ما تحت يده من المعازل

(١) القَسَمُ هنا لا يجوز، لأنه أقسم بغير الله، وهذا منهي عنه، والنهي يقتضي التحريم، فقد ثبت عن نبينا ﷺ أنه قال: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصُمْتُ» متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري، وقد كان بعض اليهود في عهد النبي ﷺ سمع من المسلمين أنهم يقولون: والكعبة، فيحلفون بالكعبة، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «وَرَبُّ الكعبة» رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٤/٤٣٦) برقم (٤٦٩٦) وهو صحيح، فالرسول ﷺ أقره على أن هذا الفعل شِرْكٌ، فَلَيَتَنَبَّهُ المسلمون وبالأخص الشعراء لذلك.

(٢) الخَوْلُ: الحَشَمُ وقوله: «لَمَسُودٌ» الذي في «قرة العيون» «لَعَمِيْدٌ».

(٣) الخباز كما في «قرة العيون».

(٤) النائل هو: العطاء، وغمْر على وزن جَمْر وهو: الكثير.

(٥) كذا هو في «المفيد»، وأما «قرة العيون» ففيه: «محمد» ومؤلفه إنما نقل من «المفيد».

والحصون والمدن بمائة ألف دينار، وتوفي الداعي محمد بن سبأ بالدمْلُوة سنة ٥٤٨ هـ فقام بالأمر بعده ولده عمران^(١) بن محمد بن سبأ، فاقتضى طريقة أبيه مع زيادة لائقة وأخلاق رائقة، وكان جواداً كريماً. ومما شاع من كرمه أن الأديب أبا بكر بن أحمد العندي^(٢) مدحه بقصيدة اقترحها عليه الداعي عمران بن محمد بن سبأ وصف بها مجلسه وما يحتوي عليه. أولها:

فَلَكُ مَقَامُكَ وَالنُّجُومُ كُؤُوسُ سَعْدُ بِهَا التَّثْلِيثُ وَالتَّسْدِيسُ
وَالْبَدْرُ وَجْهُكَ طَالَعًا فِي دَسْتِهِ لَا الْبَدْرُ أَحْلَى وَجْهَهُ الْحَنْدِيسُ
يَا وَالِدَ الْعَرَبِ الَّذِي يَسْمُو بِهِ قَوْمُ التَّفَاخُرِ مَجْدُهُ الْقُدْمُوسُ^(٣)
يَا مَنْ تَطَابَقَ فِعْلُهُ وَمَقَالُهُ فَسَمًا بِهِ التَّطْبِيقُ وَالتَّجْنِيسُ
حَقُّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَكُونَ مَدَائِحًا لَكَ وَالْبُرُوجُ صَحَائِفٌ وَطُرُوسُ

فسلم إليه ولده أبا السعود بن عمران وقال: قد أجزتك بهذا، فأقعه على يمينه، فلم يلبث أن خرج أستاذ الدار يستأذن بدخول الصبي إلى أمه فأذن له، فالتفت الداعي عمران إلى الأديب أبي بكر فقال له: إذا رغبت في بيعه فاستنصف الثمن، فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج الولد وفي يده قرح من فضة فيه ألف دينار وسبعمائة دينار وخلعة، فقال له الداعي: بكم أتاك الولد: فأعلمه بالمبلغ، فقال له:

(١) له ترجمة في «الأعلام» (٧١ / ٥) للزركلي.

(٢) تقدمت ترجمته والكلام على نسبته.

(٣) وقع في المطبوع: «العدوس»، والمثبت من «قرة العيون»، والمصنف نقله منه والمراد بالقدموس هنا «العظيم».

ولك من عُشُور المركب الفلاني ألف دينار^(١).

ومن مدحه فيه أيضًا القصيدة المشهورة التي أولها:

حَيَّاكَ يَا عَدَنُ الْحَيَا حَيَّاكَ وَجَرَى رَضَابُ لَمَاهُ فَوْقَ لَمَاكَ
وافتَرَّ ثَغْرُ الرَّوْضِ فِيكَ مُضَاحِكًا بِالْبِشْرِ رَوْنَقُ ثَغْرِكَ الضَّحَاكَ
وَعَلَامٌ أَسْتَسْقِي الْحَيَالَكَ بَعْدَمَا ضَمِنَ الْمُكْرَمُ بِالنَّدَا سُقْيَاكَ
وَهَمَّتْ مَكَارِمُهُ عَلَيْكَ فَصَافَحَتْ عَن كَفِّهِ مَعْنَى الْغِنَى مَعْنَاكَ
فَلْيَهْنَكِ الْفَخْرُ الَّذِي أَحْرَزْتَهُ بِعِلَاهُ حَسْبِكَ مَفْخَرًا وَكَفَاكَ^(٢)
قَرَّتْ عَيْوُنُ الْخَلْقِ بِاسْتِقْرَارِهِ بِكَ فَلْتَقَرَّ بِقُرْبِهِ عَيْنَاكَ
شَرَفَتْ رَبَاكَ بِهِ فَقَدَ وَدَّتْ لَنَا زَهْرُ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَهْزُرَ رَبَاكَ
مُتَبَوِّئًا سَامِي حُصُونِكَ طَالِعًا مِنْهَا طُلُوعَ الْبَدْرِ فِي الْأَفْلَاكَ
بِالتَّعَكُّرِ الْمَحْرُوسِ أَوْ بِالْمَنْظَرِ الـ مَأْنُوسِ نَجْمِي فَرَقْدٍ وَسَمَاكَ^(٣)
وَلَهُ الْحُصُونُ الشُّمُّ إِلَّا أَنَّهُ يَحْلُو لَهُ بِكَ طَالِعًا حُصْنَاكَ
وَالْمِسْكُ بَيْنَ تُرَابِ أَرْضِكَ مُذْ عَدَا بِكَ قَاطِنًا وَالدُّرُّ مِنْ حَصْبَاكَ

(١) الذي في «قرة العيون»: «بألفي دينار».

(٢) وقع في المطبوع «بعلا وحسبك»، والمثبت من «المفيد» و«طراز أعلام الزمن».

(٣) وقع في المطبوع: «النظر» والصواب «المنظر»: وينظر: كتابي «المنتخب المهذب من علماء

عدن والواردين إليها» (ص ٤٨)، وكذلك وقع هنا: «يحمي» بدل «نجمي»، والمثبت من

«طراز أعلام الزمن» و«المفيد».

وَكَاَنَّ بَحْرَكَ جُودُهُ مُتَدَفِّقًا لَوْلِم تَخْضُهُ سَوَائِرُ الْأَفْلَاكِ (١)
 أَدْنَى مَوَاهِبِهِ الْأُفُوفِ شَرِيعَةً مَتَفَرِّدًا فِيهَا مِنَ الْإِشْرَاكِ
 فَالْجُودُ مُبْتَسِمُ النَّغُورِ بِبَدْلِهِ أَبَدًا وَبَيْتُ الْمَالِ مِنْهُ شَاكِ (٢)
 وَوَشَتَ حَدَائِقُهُ عَلَيْكَ مَطَارِفًا يَخْتَالُ فِي حَبْرَاتِهَا عِطْفَاكِ
 فَلَقَدْ خُصِّصَتْ بِسَرِّ فَضْلِ أَصْبَحَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ وَهَنَّ مِنْ أَسْرَاكِ
 مَا اخْتَصَّتِ الدُّنْيَا سِوَاهُ بِفَضْلِهِ مُلْكًا مِنَ الْبَاقِينَ وَالْهُلَاكِ
 مِنْ دَوْحَةِ الشَّرَفِ الزُّرْعِيِّ الَّذِي رَسَخَتْ بِأَصْلِ فِي الْمَفَاخِرِ زَاكِ

وهي طويلة مشهورة. ومن مدائحه القصيدة المشهورة أيضًا التي أولها:

ذِكْرُ الْعُذَيْبِ وَمَائِهِ وَقِيَابِهِ وَقَفَ الْفُؤَادُ عَلَى الْإِيمِ عَذَابِهِ (٣)
 اللَّهُ أَيَّامُ الْعُذَيْبِ وَإِنْ مَلَّتْ قَلْبِي الْمَعْنَى الْمُسْتَهَامَ لِمَا بِهِ (٤)
 وَسَقَى نَدَا كَفِّ الْمُكْرَمِ مُلْتَقَى عَقَلَاتِ أَجْرَعِهِ وَشَمِّ هِضَابِهِ
 مَلِكٌ لَوْ اسْتَسْقَى الزَّمَانَ بِجُودِهِ أَغْنَاهُ عَنِ سُقْيَاهُ مَلَتْ سَحَابِهِ

(١) وقع في المطبوع: «تخص سرائر» بدل «تخضه سوائر»، والمثبت من «طراز أعلام الزمن» و«المفيد».

(٢) كذا هو هنا وكذلك في «طراز أعلام الزمن» «شاك»، وفي «المفيد» «باك».

(٣) هنا ذكر العذيب ومائه، وفي «قرة العيون»: «ومايلات» بدل «ومائه»، وفي «معجم الآداب في معجم الألقاب»: «وماثلات»، وفي «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»: «وماثلات».

(٤) كذا هنا «وإن ملّت»، وفي «المفيد» و«طراز أعلام الزمن»: «وإن ثبت»، والبيت الذي بعد فيه هنا: «عقلات»، وفي «المفيد» و«طراز أعلام الزمن»: «عقدات».

مَلِكُ أَفَاضَ عَلَى الزَّمَانِ بَهَاءَهُ
 مَلِكٌ يَلُوحُ عَلَيْهِ نُورٌ كَمَالِهِ
 دَانِيٌ مِثَالِ الْجُودِ مِنْ زُؤَارِهِ
 فَكَأَنَّ مُجْتَمَعَ الْفَضَائِلِ وَالْغِنَى
 فَكَفَى بِقَحْطَانِ بْنِ هُودٍ مَفْخَرًا
 يَزْدَادُ حُسْنَ الْمَدْحِ فِيهِ وَإِنَّمَا
 وَأَعَادَهُ فِي عُثْفَوَانَ شَبَابِهِ
 فَيَكَادُ يَلْحَظُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ
 نَجَلٌ يُزِيلُ الْمَحَلَّ عَنْ طَلَابِهِ (١)
 مَا بَيْنَ نَائِلِهِ وَبَيْنَ خِطَابِهِ
 أَنْ أَصْبَحَتْ تُعْزِي إِلَى أَنْسَابِهِ
 يَبْدُو جَمَالَ الشَّيْءِ فِي أَرْبَابِهِ (٢)

ومن قول الأديب العندي المذكور في الداعي عمران هذه القصيدة:

وَأَفَى الرَّبِيعُ يَزْفُ فِي أَلْوَانِهِ
 وَسَرَى يُجَرُّ فِي مَطَارِفِ زَهْرِهِ
 مُتَوَشِّحًا بِالْخَضِرِ مِنْ أَوْرَاقِهِ
 مُسْتَوِطِنًا بِالْعَضْبِ مِنْ جِيرَانِهِ
 أَبْدَى الْغَرَائِبِ مِنْ بَدَائِعِ حُسْنِهِ
 عَرَّشُ يُيَاهِي فِي الْبَهَاءِ مُجَاوِرًا
 مَدَّ النَّعِيمِ عَلَيْهِ فَضْلَ رِدَائِهِ
 وَاخْتَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ فَكَأَنَّهَا
 فَكَأَنَّهَا عَدَنٌ بِهِ عَدَنٌ جَلَا
 مَا بَيْنَ وَشِي رِيَاضِهِ وَجِنَانِهِ
 أَذْيَالُ مَخْضَلِ النَّدَا رُمَانِهِ
 مُتَرَنَّحًا بِالْهَيْفِ مِنْ أَعْصَانِهِ
 عَدْنَا وَأَنْ جَلَّتْ عَنِ اسْتِيْطَانِهِ
 عَرَّشُ تَبَسَّمَ عَنْهُ قَبْلَ أَوَانِهِ
 أَقْصَى مَدَاهُ وَمُنْتَهَى إِمْكَانِهِ
 مُتَكَمِّيًا وَالْيَمْنُ ظِلُّ أَمَانِهِ
 عَادَ الشَّبَابُ بِهِ إِلَي رَيْعَانِهِ
 رِضْوَانٌ فِيهَا النُّورُ مِنْ رِضْوَانِهِ

(١) وقع في المطبوع: «وأنا» بدل «داني»، والمثبت من «قرة العيون».

(٢) ينظر «طراز أعلام الزمن» (٥ / ٢٣٥٤ - ٣٥٥) للخزرجي.

أَوْصَافُهَا وَفَقَّا عَلَيَّ اسْتِحْسَانِهِ
 فَكَأَنَّمَا دَارِينَ فِي أَرْدَانِهِ
 قَامَ السَّمَاعُ بِهَا مَقَامَ عِيَانِهِ
 مُتَوَقِّدُ الإِشْرَاقِ مِنْ سُلْطَانِهِ
 هَزَّ النَّسِيمُ بِهَا مَعَاطِفَ بَانِهِ
 أَوْ كَلَّ مُرْتَاحِ الصَّبَا نَشْوَانِهِ
 مِنْ مُتْرَعَاتِ كُوُوسِهِ وَدَنَانِهِ
 مَا تَصْطَفِي النَّعْمَاتُ مِنْ أَلْحَانِهِ
 فِي ضَبْجَةِ النَّعْمَاتِ مِنْ عِيدَانِهِ (١)
 لَمَّا اسْتَخْصَّ بِهِ عَظِيمَ زَمَانِهِ
 فَفَخَّرِينَ صَاحِبِ وَقْتِهِ وَزَمَانِهِ
 دُونَ المُلُوكِ بِنُصْرَةِ عِمْرَانِهِ
 بُيِّتَتْ قَوَاعِدُهُ عَلَيَّ كِيَوَانِهِ
 فِي دُسْتِ دَارِ العِزِّ مِنْ إِيَوَانِهِ
 مِنْ سُحْبِ رَاحَتِهِ وَفَيْضِ بِنَانِهِ
 فَلْيَكْتُبِ الشَّانِي تَعَاظِمَ شَانِهِ
 أَفْكَارُ دَرِّ فَرْنِيدِهِ وَجُمَانِهِ

بَهَّرَتْ مَحَاسِنُهُ العُقُولَ فَحَيَّرَتْ
 وَتَأَرَّجَتْ مِسْكَ النَّظَائِمِ جُودَهُ
 عَمَّ البَسِيطَةَ وَضَفُّهُ فَكَأَنَّمَا
 وَكَأَنَّمَا إِشْرَاقُ أَنْوَارِ الضُّحَى
 وَاهْتَرَّتِ الأَعْطَافُ مِنْهُ كُلَّمَا
 مِنْ كُلِّ مُشْتَاقِ الفُؤَادِ طُرُوبِهِ
 دَارَتْ عَلَيْهِ مُتْرَعَاتُ سُرُورِهِ
 وَهَفَا بِرَاجِحَةِ العُقُولِ تَمَائِلًا
 وَتَجَاوَبَ الأَصْوَاتِ مِنْ نَايَاتِهِ
 وَسَمَا بِمَفْخَرَةِ الزَّمَانِ تَعَاظُمًا
 وَقَضَى تَقَارُبَ نِيرَبِهِ بِأَنَّ ذَا الـ
 دَاعِي دُعَاةِ الدِّينِ سَيْفِ أَمَامِهِ
 مَلِكُ تَفَرَّعٍ فِي المَعَالِي مَنْزِلًا
 مُتَجَاوِزًا أَقْصَى العِلَاءِ وَإِنْ غَدَا
 مُتَهَلِّلُ الإِشْرَاقِ مِنْهَلِّ النَّدَا
 مَا شَأْنُهُ إِلَّا المَفَاخِرَ مَكْسَبًا
 تُمْلَى مَآئِرُهُ المَدِيحَ فَتَنْظُمُ الـ

(١) وقع في المطبوع «باتاتة»، وكذلك «في حجه» بدل «ناياتة»، و«في ضبجة»، والتصويب من «المفيد».

فَالدُّرُّ بَيْنَ بَنَانِهِ وَبَيَانِهِ
 فِي كَفِّهِ وَالسَّيْفُ عَضْبُ لِسَانِهِ
 تَعَبَتْ بِيَوْمِ ضِرَابِهِ وَطِعَانِهِ
 جَالَ الْمُكْرِبُ بِهِ عَلَى فَرْسَانِهِ
 بِالْمَاضِيَيْنِ حُسَامِهِ وَسِنَانِهِ
 وَتَنَى لِطِيبِ الْعَيْشِ فَضْلَ عَنَانِهِ
 مَتَدَفَّقًا بِالْفَضْلِ مِنْ إِحْسَانِهِ
 أَمْوَالٍ لَا الْأَمْوَاهِ مِنْ سَهَّانِهِ
 بِشَرِيفِ عُرْسٍ شَفَّ عَنْ كِتْمَانِهِ
 فِي سِرِّهِ أَبَدًا وَفِي إِعْلَانِهِ
 فِي سَلْوِهِ وَتَجْوُلٍ فِي مِيدَانِهِ (١)
 مِنْ دُرِّ أَبْحُرِهِ وَمِنْ مَرْجَانِهِ
 وَالْفَضْلُ مُتَضِحٌّ سَنَا بُرْهَانِهِ
 مَا تَجْتَلِي الْأَبْصَارُ مِنْ عُنْوَانِهِ
 بِمَكَانِ نُورِ الطَّرْفِ مِنْ إِنْسَانِهِ
 فِي الشُّعْرِ مَجْرَى الرُّوحِ مِنْ جُثْمَانِهِ (٢)

فَإِذَا تَصَّوَّرَ كَاتِبًا أَوْ خَاطِبًا
 فَكَأَنَّمَا الْقَلَمُ الدَّقِيقُ مُثَقَّفٌ
 إِنْ كَانَ رَوْحٌ رُوحَهُ فَلَطَّالَمَا
 أَوْ جَالَ فِي فَلَكِ السُّرُورِ فَطَّالَمَا
 مُتَوَرِّدًا قَلْبَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعِدَا
 وَالْآنَ حِينَ قَضَى لِبَانَاتِ الْوَعَى
 وَأَفَاضَ فِي الْعَافِينَ رَاحَةَ جُودِهِ
 وَهَمَّتْ عَلَى الْمُسْتَمَطِّرِينَ سَحَابُ الْدُ
 نَهَجَ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
 مُتَلَطِّفًا فِي أَنْ يَفِيضَ هَبَاتِهِ
 فَلْتَجْرِ فَرْسَانُ الْقَرِيضِ سَوَابِقًا
 وَلْتَنْظِمِ الْفِكْرُ الْفَوَائِدَ مَا اصْطَفَتْ
 وَالْمَجْدُ سَامٍ وَالْفَخَارُ مُشَيَّدٍ
 وَالصُّبْحُ يُخْبِرُ عَنْ ضِيَاءِ نَهَارِهِ
 وَالْمَدْحُ مِنْ شَرَفِ الْمَكَارِمِ فِي الْعُلَا
 مَا زَالَ يَجْرِي وَسَطَ بَاهِرِ فَضْلِهِ

(١) في «المفيد» «شأوه» بدل «سلوه».

(٢) وقع في المطبوع «ظاهر» بدل «باهر»، والمثبت من «المفيد».

فَلْتَبَقَ نَاضِرَةً رِيَاضَ نَعِيمِهِ فِي الْمُلْكِ عَامِرَةً رَبًّا أَوْطَانَهُ

وكان الداعي عمران بن محمد بن سبأ في غاية السماح والجود، وما أَحْسَنَ قَوْلَ عُمَارَةَ^(١) فيه:

لله در الداعي عمران ما أَغْزَرَ دِيمَةَ جُودِهِ، وَأَكْرَمَ بَعَّةَ عَوْدِهِ.

وقال أيضًا: لا يكذب من قال: إن الجود والوفاء ملة عمران حاتمها بل خاتمها^(٢).

قال صاحب «العقد الثمين»: ولما تولى مهدي بن علي بن مهدي بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٤هـ أغار على لَحْجٍ مرتين^(٣)، وقتل من أهلها عددًا كثيرًا، وسبي الحرير والأموال الجزيلة. اهـ.

قال الكِيسِيُّ^(٤) في «اللطائف السننية»^(٥): وفي سنة ٥٥٨هـ أغار علي^(٦) بن مهدي الرُّعيني على لَحْجٍ فدخلها وقتل كثيرًا من أهلها وانتهبها أصحابه. قال: في سنة ٥٥٩هـ قام عبد النبي بن علي بن مهدي بعد أخيه وغزا أبين فحرقها. اهـ. قال الجندي^(٧): وصالحه الداعي عمران بن محمد بن سبأ عن مدينة عدن

(١) هو عمارة اليميني صاحب كتاب «المفيد في أخبار صنعاء وزيد».

(٢) ينظر لما تقدم «قرة العيون» (ص ٢٥٨ - ٢٧١)، و«المفيد» (ص ١٩١ - ١٩٢) و(ص ٣٠١ - ٣٠٣).

(٣) وفي بعض المصادر أنه أغار ثلاث مرات كما في «الأعلام» (٣١٣/٧) للزركلي.

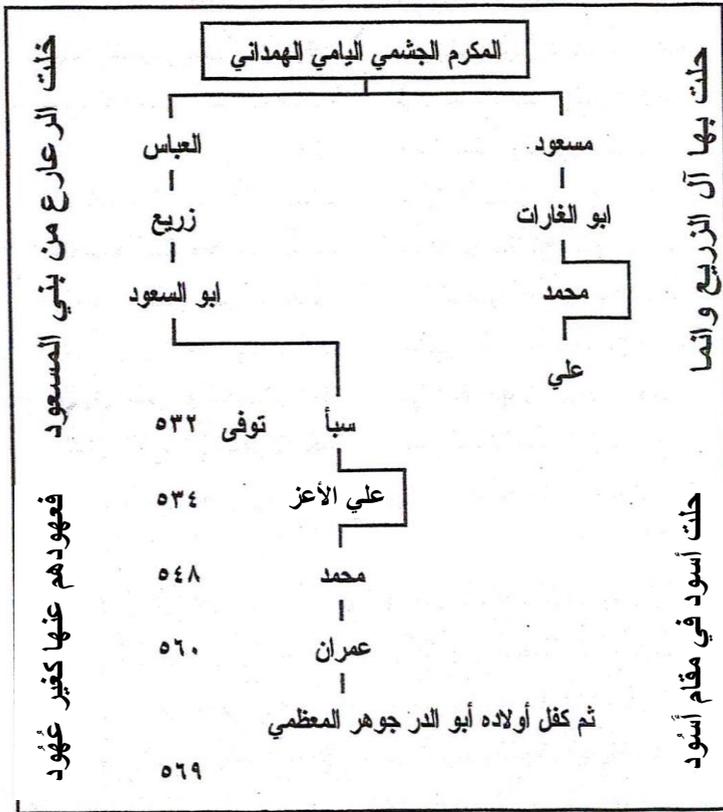
(٤) هو محمد بن إسماعيل الكيسبي مات سنة (١٣٠٨هـ) له ترجمة في «الأعلام» (٣٨/٦).

(٥) «اللطائف السننية في أخبار الممالك اليمنية» ص ٩٤.

(٦) ترجم له عمارة في «المفيد» (ص ١٩٦ - ٢٠٣) وذكر شيئاً عنه وعن مذهبه ومعتقده.

(٧) تقدمت الإحالة إلى ترجمته قريباً.

والدُّمْلُوهُ بِجُعَلٍ مَعْلُومٍ^(١)، وتوفي الداعي عمران سنة ٥٦٠هـ فنقل جثته الأديب العندي إلى مكة، وتوفي عن ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحُلُمَ، فجعل كفالتهم إلى الأستاذ أبي الدر جوهر المعظمي^(٢) أمير الدُّمْلُوهِ.. وكان أمير عدن ياسر بن بلال بن جرير، وبقيت الحالة على ذلك إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٥٦٩هـ حيث استولى على عدن السلطان توران شاه الأيوبي، واستولى على الحُجَجِ وأبَيَّنَ وغيرها.



(١) «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (٢/٥١٨).

(٢) له ترجمة في «قلادة النحر» (٤/٣٧٩).

الفصل التاسع

تُورَان شاه في عَدَن. كتاب تُورَان لِصَلَاحِ الدِّين. ولاية عُثْمَانَ الزنجبيلي.
ذِكْرُ الأديبِ العَندي. استفحال أمر الزنجبيلي. نيابةُ عُمَرَ بنِ علي رسول.

* * *

ولما دخل السلطان تُورَان شاه^(١) عدن قبض على أولاد الداعي عمران
ومحمد بن سبأ بن أبي السُّعود وعلى الشيخ ياسر بن بلال^(٢). ومدحه الأديب
أبو بكر بن أحمد العندي بهذه القصيدة:

أَعْسَاكِراً سَيَّرْتَهَا وَجُنُودَا أَمْ أَنْجَمَّا أَطْلَعْتِهِنَّ سُعُودَا
أَمْ تَلِكْ مَاضِيَةُ الْعَرَائِمِ أَرْهَقَتْ بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَجَرَّدَتْ تَجْرِيدَا
أَمْ تَلِكْ أَقْدَارُ الإِلَهِ وَنَضْرُهُ رَفَعَتْ عَلَيْكَ لِيَوَاءِهَا المَعْقُودَا
فَسَمَوْتَ تَطْوِي البِيدَ مُعْتَسِفًا بِهَا حَتَّى لَكَادَتْ أَنْ تَبِيدَ البِيدَا^(٣)
وَنَهَضْتَ لَا الصَّعْبَ المَرَامَ رَأَيْتُهُ صَعْبًا وَلَا المَرْمَى البَعِيدَ بَعِيدَا

(١) تنظر ترجمته من «سير أعلام النبلاء» (٢١/٥٣).

(٢) ينظر: «تاريخ المستبصر» (ص ٢٥٣) لابن المُجاور بتحقيقي.

(٣) في «قرة العيون»: «متسقاً».

مَتْنُ الْفَلَاةِ بَرَكُضِهَا مَعْقُودًا (١)
 عَقْبَانِ تَحْمِلُ فِي الْحَدِيدِ أُسُودًا
 كَالْبَحْرِ فَاضٍ عَوَارِيًا وَمُدُودًا
 وَفَتَحَتْ بَابَ فُتُوحِهَا الْمَسْدُودًا
 مِنْهَا الْبِلَادُ تَلْهَبًا وَوَقُودًا (٢)
 وَجِيَادُ رَكُضٍ لَا تَحِفُّ لُبُودًا
 إِلَّا رَبَا يَمَنٍ لَهْنٌ عُمُودًا (٣)
 كَادَتْ تُزِيلُ عَنِ الْوُجُودِ زَبِيدًا
 فَرَأَتْكَ أَقْوَى عُدَّةً وَعَدِيدًا
 قَبْلَ ارْتِدَادِكَ لَحْظِكَ الْمَرْدُودًا
 مُسْتَعْرِقًا فِي نَصْرِكَ الْمَجْهُودًا
 مَا تَقَشَّعِرُ الْأَرْضُ مِنْهُ جُلُودًا
 صَدَقَتْ وَعِيدًا فِي الْوَرَى وَوَعُودًا
 مِنْهَا الْجَمِيعُ مُطْنَبًا مَعْمُودًا
 وَجَعَلَتْ تُرْبًا صَخْرَهَا الْمَصْحُودًا
 مِنْهَا الصُّدُورُ مَكَاسِبًا وَنُقُودًا

وَاقْتَدَتْهَا قَبِ الْبَاطِنِ غَادَرَتْ
 شَعْنًا تَطِيرُ بِهَا الْمَرَّاحُ كَأَنَّهَا أَلْ
 فَاضَتْ عَلَى الْبَرِّ الْفَضَا فُحْدُودُهَا
 وَسَدَدَتْ مِنْ فَتْحِ الْفَضَاءِ بِنَفْقِهَا
 وَشَهَرَتْ بِيضَكَ وَالْعَزَائِمُ فَالْتَطَّتْ
 فَسُيُوفٌ بِأَسٍ لَا تَفِلُّ مُضَارِبًا
 جَرَدَتْهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ مَا ارْتَضَتْ
 حَتَّى صَدَمَتْ بِهَا زَبِيدًا صَدَمَةً
 لَاقَتْكَ بِاسْتِعَادِهَا وَعَدِيدِهَا
 وَفَتَحَتْهَا بِاللَّحْظِ حِينَ لَمَحَتْهَا
 نَصْرٌ سَمَا الْإِسْلَامُ مِنْهُ بِنَاصِرٍ
 فَلَيْمَلَأَنَّ الْأَرْضُ مِنْ أُنْبَاءِهِ
 وَسَمَتْ إِلَى عَدَنِ عَزَائِمُكَ الَّتِي
 وَضَرَبْتَ سَامِيَةَ الْخِيَامِ فَمَا انْتَهَى
 حَتَّى دَكَّكَتْ دُرُوبَهَا وَجِبَالَهَا
 وَأَبَحَتْ مَعْنَمَهَا الْعَسَاكِرَ مَالًا

(١) في «قرة العيون»: «الأباطل».

(٢) في «قرة العيون»: «وشهت نصرك».

(٣) وقع في المطبوع «عمودا» بالعين، والمثبت من «قرة العيون».

بِكَ فِي الْبَرِّيَّةِ صَافِيًا مَمْدُودًا
 فَالْبَاسُ شَابَ لَهُ الزَّمَانُ وَلِيدًا
 أَنْ قَدْ أَسْرَتَ لَهَا الْمُلُوكَ عَبِيدًا
 أَنْوَارُ طُلُعَتِكَ اللَّيَالِي السُّودَا
 خَرَّتْ لِعِزِّكَ رُكْعًا وَسُجُودًا
 فَرَشْتَ لِمَقْدَمِكَ الْبِقَاعَ خُدُودًا
 لَرَأَى مَقَامَكَ فِي الْعُلَا مَشْهُودًا
 بِالنَّصْرِ سُدِّدَ عَزْمُهُ تَسَدِيدًا
 بِالنَّصْرِ أُتِّدَ عَزْمُهُ تَأْيِيدًا
 وَعَزَائِمًا وَصَوَارِمًا وَجُنُودًا
 وَالشَّمْسُ مَا أَنْ تَسَامَ التَّرْدِيدَا
 نَصَرَ الْهُدَى وَالِدَيْنِ وَالتَّأْيِيدَا
 وَنَدَا يَفِيضُ عَلَى الْأَنَامِ وَجُودَا
 شَمْسَ النَّهَارِ إِنْارَةً وَوُقُودَا
 فَاتَتْ بِكَ التَّكْيِيفَ وَالتَّحْدِيدَا (١)
 فِي كُلِّ أَرْضٍ بِالسَّمَاعِ وَقِيدَا
 فَكَأَنَّهَا يَسْقِينَهَا الْقَنْدِيدَا

وَمَدَدَتْ فِيهَا ظِلًّا أَمْنٍ لَمْ يَزَلْ
 وَأَعَدَّتْ رَيْعَانَ الشَّبَابِ لِعَضْرِهَا
 فَلْيَأْتِ أَرْضَ الشَّامِ عَنْكَ وَمِضْرَهَا
 وَطَلَعَتْ شَمْسًا إِذْ طَلَعَتْ فَكَشَفَتْ
 لَوْ أَنَّ أَمْلَاكَ الْبَسِيطَةَ أَنْصَفَتْ
 وَلَوْ أَنَّهَا وَفَتْ مَقَامَكَ حَقَّهُ
 وَلَوْ أَنَّ نَجْمَ الدِّينِ كَانَ مُشَاهِدًا
 وَلَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّكَ الْمَلِكُ الَّذِي
 أَوْ لَسْتَ شَمْسَ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ الَّذِي
 مَلَأَ النَّوَاطِرَ وَالْحَوَاطِرَ هَيْبَةً
 مُتَرَدِّدًا كَالشَّمْسِ فِي أَفْلَاكِهَا
 يَا أَوْحَدَ الدُّنْيَا وَوَاوَحِدَهَا الَّذِي
 يَا مَنْ تَفَرَّدَ فِي الزَّمَانِ مَكَارِمًا
 حَلَّاكَ شَمْسُ الدِّينِ شَمْسًا أَخْجَلَتْ
 اللَّهُ مِنْكَ مَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ
 وَوَقَائِعٌ أَضْرَمَتْ فِي يَمَنِ بِهَا
 هَزَّتْ بِكَ الْبَيْضَ الرَّقَاقَ مَعَاظِفًا

(١) فِي «قِرَّةِ الْعِيُونِ»: «اللَّهُ مَلِكٌ».

وَحَوَيْتَ عَنْهَا الْمُلُوكَ مُنْفَرِدًا بِهِ
 وَنَشَرْتَ سَعِيكَ فِي الزَّمَانِ مَآثِرًا
 وَحَبَيْتَهَا بِقِيَامِ بَأْسِ غَادِرِ الْـ
 وَنَثَرْتَهَا فِي الْخَافِقَيْنِ مَآثِرًا
 فَاسْتَفْتَحَ الدُّنْيَا بِسَيْفِكَ إِنَّهُ
 فَلَقَدْ تَطَاوَلَتِ الْبِلَادُ وَمُهَّدَتْ
 وَتَنَافَسَتْ فِيكَ الْبِقَاعُ مَشَارِقًا
 وَتَلَا مَدَائِحِكَ الزَّمَانُ وَغَرَّدَتْ
 وَبَقِيَتْ مَنْصُورَ اللَّوَاءِ مُظَفَّرًا
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْـ
 مُسْتَخْدَمًا فِيهِ الْمُلُوكَ الصَّيْدَا
 نَظَمْتُ عَلَى جِيدِ الزَّمَانِ عُقُودَا
 أَفْلَاكِ فِي ذُلِّ الْخُضُوعِ قُعودَا
 مَلَأَ الْعُيُونَ بَوَارِقًا وَرُعودَا
 حُكْمَ الْقَضَاءِ مُشَدَّدًا تَشْدِيدَا (١)
 لِلْعِزِّ مِنْكَ دَسَوْتَهَا تَمَهِيدَا (٢)
 وَمَغَارِبًا وَتَهَائِمًا وَنُجُودَا
 وَرَقَ الْحَمَامِ بِوَصْفِهَا تَغْرِيدَا
 وَغَدَا الزَّمَانُ لِمَا أَرَدْتَ مُرِيدَا
 مُخْتَارٍ مَا اسْفَرَّ الزَّمَانُ جَدِيدَا (٣)

ولما اشتاق توران شاه إلى أرض الشام بعد أن وصله كتاب من أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي يسأله عن حاله، ويخبره بوفاة السلطان نور الدين محمود صاحب الشام، ويعلمه أيضًا باستيلائه على مملكة الشام بعد السلطان نور الدين، أشار إلى الأديب أبي بكر بن أحمد العندي أن يجيب عنه أخاه وأن يستأذنه في الوصول إلى الجنب. فأنشأ الأديب هذه القصيدة وأتبعها بالرسالة الفريدة الآتية فقال:

(١) في «قرة العيون»: «مُسَدَّدًا تَسْدِيدًا».

(٢) في «قرة العيون»: «واستوت تمهيدًا».

(٣) تنظر هذه الأبيات في «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٣٢٠ - ٣٢١).

مَا رَنَّحَ الشُّوقُ أَعْطَافِي وَتَذْكَارِي
 وَقَدْ تَعَوَّضْتُ عَنْ مِصْرٍ بِأَمْصَارِ
 كَانَتْ مَطَالِعَ أَوْطَانِي وَأَقْطَارِي (١)
 تَجِلُّ أَخْطَارُهَا فِي عُظْمِ أَخْطَارِي
 بِسِحْرِ بَابِلَ عَنْ إِنْشَاءِ سَحَارِ
 لِبَارِقِ مَنْ نَوَاحِي أَرْضِكُمْ سَارِي
 أَوْطَانِ شَجْوَى وَلَا الْأَوْطَارُ أَوْطَارِي
 وَالسُّوْلُ مِصْرٌ وَفِي الزُّورَاءِ مِرْدَارِي (٢)
 وَلَا زَيْدٌ وَلَا أَكْنَافُ تَعْشَارِ
 عَالٍ وَلَكِنَّهُ مِنْ دُونَ مِقْدَارِي
 وَقُدَّتْهُمْ قَوْدَ إِذْ لَالٍ وَإِضْغَارِ (٣)
 إِضْمَارِ شَوْقِكَ مَا يُخْفِيهِ إِضْمَارِي
 مَا أَعْرَبْتُ عَنْهُ مِنْ شَوْقٍ وَأَخْبَارِ
 أُحْرِزُ بِهَا ذَيْلَ عَالِي النَّقْعِ جَرَّارِ
 حَامِي عَلَى الْغَابِ مِنْهَا لَيْثُهَا الضَّارِي

لَوْلَا مَحَلُّكَ فِي قَلْبِي وَأَفْكَارِي
 وَلَا التَّفَتُّ إِلَى مِصْرٍ وَسَاكِنِهَا
 وَلَا حَنَنْتُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ وَإِنْ
 وَلَا شَجَّتْنِي كُتُبٌ مِنْكَ وَارِدَةٌ
 سَحَّارَةُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَمَا نَشَأَتْ
 وَلَا تَرَنَّحْتُ وَالْأَشْوَاقُ تَمْرُحُ بِي
 يَا بَارِقَ الشَّامِ مَا الْأَوْطَانُ مِنْ يَمَنِ
 مَا الدَّارُ إِلَّا دِمَشْقُ وَالْمَنَا حَلَبٌ
 تِلْكَ الْمَنَازِلُ لَا لَحْجٌ وَلَا عَدَنٌ
 هَذَا عَلَى قَدْرِ أَنَّ الْمُلْكَ فِي يَمَنِ
 وَقَدْ أَبَدَتْ الْمُلُوكَ الْمُتَمِيمِينَ بِهِ
 لَكِنَّهُ مُذْ أَتَيْتَنِي الْكُتُبُ تَطْهَرُ مِنْ
 وَمُخْبِرَاتٍ بَفَتْحِ الشَّامِ هَيَّجَ لِي
 وَزَادَنِي أَسْفًا جَرُّ الْجِيُوشِ وَلَمْ
 وَفَتْحَ سَيْفِكَ حِمَصًا مَعَ حِمَاةٍ وَكَمْ

(١) في «قرة العيون»: «وأوطاري» بدل «وأقطاري».

(٢) في «قرة العيون»: «والشوق مصر وفي الزوراء ممدًا داري».

(٣) في «قرة العيون»: «واقفدتهم».

وَمَا رَأَتْ حَلَبٌ فِي الْحَصْرِ إِذْ شَرَقَتْ
 فَكِدْتُ مِنْ عَظْمِ شَوْقِي أَنْ أَطِيرَ إِلَى
 وَأَطْرُقَ الشَّامَ لَا هَمِّي بِمُنْصَرَفٍ
 حَتَّى تَرَى حَلَبٌ وَالرَّقْمَتَانِ وَأَكْتُ
 وَيَعْلَمَ الْمَوْصِلَ الْمَمْنُوعُ جَانِبُهَا
 وَأَنْ سَطْوَةَ بَأْسِي حِينَ تَقْصِدُهَا
 فِي حَيْثُ أَلْبَسَ لَيْلُ النَّقْعِ مُتَضَحًّا
 وَالْتَقِي دُونَكَ الْفُرْسَانَ مَعْلَمَةً
 وَأَصْحَبُ الْجَيْشِ جَيْشِ النَّصْرِ سَامِيَةً
 حَتَّى أَرَى مِلَّةَ الْإِسْلَامِ قَامِعَةً
 هَذَا اقْتِرَاحِي فَمَنْ لِي مَنْ أُفُوزُ بِهِ
 وَأَنْ أَعْظَمَ سُؤْلِي أَنْ أَرَكَ عَلَى الْـ
 فَكَيْفَ لِي بِاجْتِمَاعِ مِنْكَ صَافِيَةً
 أَنْفَاسُهَا بِمَجَارِي رِبْقِهَا الْجَارِي
 سَامِي مَقَامِكَ فِي جَيْشِي وَأَنْصَارِي
 عَنِ الشَّامِ وَلَا عَزْمِي بِخَوَارِ
 نَنَافُ الْعِرَاقَيْنِ تَأْثِيرِي وَأَنْوَارِي
 أَنْ لَيْسَ يَمْنَعُ عَنِ عَزْمِي وَعَنْ ثَارِي
 بِسَطْوَةٍ مِنْكَ تُرَدِّي كُلَّ جَبَّارِ
 حَقًّا وَفِي صُبْحِ إِقْدَامِي وَأَسْفَارِي
 لِقَاءَ مُفْتَرِسٍ لِلْأُسْدِ كَرَّارِ
 فِيهِ خِيَامِي حَصِينًا فِيهِ بَنَارِي
 بِالْقُدْسِ صَوْلَةَ صُلْبَانٍ وَكُفَّارِ
 مُحَكَّمًا فِيهِ إِرَادِي وَإِضْدَارِي
 مَمْلُوفٍ بَاهِرٍ إِشْرَاقٍ وَأَنْوَارِ
 مِنْهُ الْمَوَارِدُ عَنِ شَوْبٍ وَأَكْدَارِ (١)

ثم كتب بعد القصيدة: لم يزل المقام الملكي الناصري الصلاحي - خلد الله ملكه - باهر الأشواق، نافذ الأوامر في جميع الآفاق، ولا زالت عساكر نصره محفوفة بالتأييد، ومحاسن أيامه متضاعفة الإقبال والتجديد، وميامن سعادته كافلة له بتناول الغرض البعيد. ومد نهض بالمملوك العزم عن الديار المصرية، وحكم

(١) هذه الأبيات جاء بعضها في «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٣٢٣ - ٣٢٤).

عليه القضاء بمفارقة الأبواب الملكية الناصرية، ترحّل عن مقر العز بحيث استقراره بالقاهرة المعزية، وسمت به الهمم إلى افتتاح البلاد اليمانية. فصار يعتسف مخاوف المحازم، ويقطع من بلاد الأعداء ما يكُلُّ عن قطعه سفار الصوارم. ويدوس من صيد الرؤوس ما يسمو به أسباب عارم ودارم، واثقاً من نفسه أن لا يرتاح من تلك الديار لبرق لائح، ولا يطمح بالتفاتة خاطر إليها طامح، لا بجفوةٍ سبقت منها إليه، ولا لأن موارد السرور تكدرت عليه، لكن حفظاً لمكان عزّه أن تقدح فيه عوارض الأيام، وارتفاعاً لسمو قدره أن يجري عليه للوحشة أحكام، وعلماً أنه حقيق بقول من لا يناسب لديه أدنى الاحترام. شعر:

وَفَارَقْتُ حَتَّى لَا أَبَالِي بِمَنْ نَأَى وَإِنْ بَانَ أَحْبَابٌ عَلَيَّ كِرَامٌ
فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامٌ^(١)

ولما ترامت به مفاوز الطرق، وفقد ما كان يستضيء به من أنوار ذلك الأفق، وحاول استدامة ما كان يتخلق به من ذلك الخلق، وجد الحال من قبله قد استحالت، وخطرات الحيرت بلبّه قد استمالت. ثم لم يلبث أن باح بسر فؤاده الملتاح، وهزته نشوات الشوق هزة نشوان الراح، وجعل الوجد يهفو بثباته ووقاره، والحنين يتغنى شجوه كما يتغنى الحمام في أشجاره. والشوق يصور له ما لم يكن مصوراً لديه من سامي ذلك المقام، والغرام يمثل له باهر ذلك الفضل كيف يضرب به أحكام المسير والمقام. وبواعث الحسن تعاطيه كاسات دراكًا،

(١) هذان البيتان وردا في «الدرّ الفريد وبيت القصيد» (٧/ ٤٩١) للمستعصي ط: «دار الكتب

ومترنم الوجد ينشد في صفات حاله خصوصاً لا اشتراكاً.

مَا بَدَا لِي شَخْصٌ وَلَا سَمِعْتُ أَذُنِي حِسًّا إِلَّا حَسِبْتُكَ ذَاكَ
وَإِذَا مَا مَدَدْتُ عَيْنِي إِلَى غَيْرِكَ مَثَلْتُ دُونَهُ فَأَرَاكَ (١)

فالشغف يتصرف في سره وإعلانه، والحنين يصرف عِنَان قلبه تصريف الفارس فضل عِنَانِهِ، وهو يدافع الوجود عن نفسه مدافعة الماجد الأوحى الكريم، ويغالط من الشوق ما قد أَلْظ به إلطاط الغريم، ويتحمل وكيف الحمل للهائم، ويتجلد وأين التجلد للصادي الحائم. ولم يزل متحلياً بهذا الحال، متحملاً من أعبائها ما لم تحمله الجبال، إلى أن ورد إلى بلاد اليمن، ويسر له من الفتوح بها ما أجرى الله من العوائد المألوفة فيه ومَنْ. وعلم ذلك عنوان ما شمله من ميامن آثار سعادته وإسعاده، وما وصل إليه من النصر إنما هو بركاتٍ من إيجاده وإمداده. وهو في أثناء ما يباشره من تدبير العساكر ويراوحه من الكُلف المتوجهة ويباكر. وبيتسم ذراه من حصينات الحصون، وَيُسْرِحُ اللحظ في محاسن عقائل العز المصون، لا يخلو من شوق يكدر الجوانح، وارتياح يغدو به القلق ويرواح، وجفن مبين للاغتماض، وقلب متقلب على الجمر والارتماض، إلى أن وردت الكتب الشريفة خافقة دوائر الإعلام، متهللة ثغور الابتسام، مبشرة بما فتح الله على المسلمين والإسلام، من استفتاح المقام العالي - خلد الله ملكه - البلاد والشام، ونفوذ كلمته في الخاص والعام، فأخذه من الوجد والاشتياق، والتأسف على ما مُنِيَ الجميع به من لوعة الفراق، ما ضاعف لواعج الكمد والاحتراق،

(١) هذان البيتان ذُكِرَا في «الدُّرُّ الْفَرِيدُ وَبَيْتُ الْقَصِيدِ» (٩/ ١٣٢) للمعتصمي.

ورادف مواد الأشواق والأتواق، فاقتضى أن ييوح بما حواه الكتمان، وأن ينشد فيه بلسان الإعلان:

قَدْ كُنْتُ أَكْتُمُّ مَا يَجُنُّ جَنَانِي فَالْيَوْمَ جُلَّ الشُّوقُ عَن كِثْمَانِي
وَأَبَانَ عَن سِرِّ الصَّبَابَةِ بَاعِثٌ لِلْوَجْدِ يَصْدَعُ فِيهِ هَضْبُ أَبَانِ
وَشَرِيفٌ كُتِبَ أَظْهَرَتْ أَشْجَانُهَا مَا لَمْ أَزَلْ أُخْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِي
وَرَدَّتْ مِنْ الْمَوْلَى الْمُظْفَرِّ قَامِعِ الضِّ صُلْبَانِ رَافِعِ رَايَةِ الْإِيْمَانِ
النَّاصِرِ الْمَلِكِ الَّذِي أَيَّامُهُ لِمَفَارِقِ الْأَيَّامِ كَالْتِيَجَانِ (١)
وَأَخِي صَالِحِ الدِّينِ مَنْ حُبِّي لَهُ وَمَوَدَّتِي دِينَ مِنْ الْأَدْيَانِ
أَمَّا وَمَنْصِبُهُ الشَّرِيفُ وَأَنَّهُ بَعْدَ الْإِلَهِ الْبَرِّ مِنْ إِيْمَانِي
لَوْلَاهُ مَا خَطَرَ الْغَرَامُ بِخَاطِرِي شَغْفًا وَلَا جَفَتِ الْكَرَى أَجْفَانِي
وَلَمَّا التَّفَتُّ إِلَى الشَّامِ وَطَيْبِهِ وَالْدَّارِ وَالْخُلَطَاءِ وَالنُّدْمَانِ
وَمَنَازِلِ اللَّذَاتِ مِنْ جَيْرُونِهِ فَالْقَضْرِ فَالشَّرَفَيْنِ فَالْمَيْدَانِ
وَلَكَانَ بِالْيَمَنِ الرَّحِيبِ مَنَادِحٌ لِي عَن مَقَامَاتِ بِهِ وَمَعَانِي
وَمَرَابِعٌ لِلصَّيْدِ يَجْمَعُ خَضْبُهَا مَا شِئْتَ مِنْ حُورٍ وَمَنْ غَزْلَانِ
وَمَرَاتِبٌ لِلْعِزِّ شَامِخَةُ الدَّرَا عَادِيَّةُ التَّشْيِيدِ وَالْبُنْيَانِ (٢)
لَكِنَّهُ هَزَّتْ إِلَيْهِ جَوَانِحِي حُرْقٌ تُؤَثِّرُ فِي دُرَا كَهَلَانِ

(١) تصحف في المطبوع إلى «التيحان».

(٢) كذا في المطبوع «عادية»، ولعله «عالية».

وَرَأَيْتُ أَنْ أَجَلَ حَظِّي أَنْ أَرَى
وَأَزُورُهُ بِالْحِسِّ لَامِعَةً بِهِ
حَتَّى تَرَى حَلْبُ الْعَوَاصِمِ مَوْقِفِي
وَتَرَى مَقَامِي تَحْتَ ظِلِّ لِيَوَائِهِ
هَذَا هُوَ الْغَرَضُ الْمُرَادُ وَإِنِّي
فِي الدَّسْتِ نُورَ جَبِينِهِ وَيَرَانِي
بِيضِي وَجَامِحَةً بِهِ فَرَسَانِي
مِنْهُ وَيُعَلِّمُ مَوْضِعِي وَمَكَانِي
وَبَدِيعَ صَرْبِي فِي الْعِدَا وَطَعَانِي
فِي الْوَعْدِ مِنْهُ عَلَى أَنْتُمْ ضَمَانِ

وبحسب ما انطوى عليه من الإضممار، واقتضته الهمم ببلوغ الغرض منه والأوطار، وكاد يطير به الشوق لو اتسع له المطار، رغبة أن يأخذ حظه من عظيم هذه الفتوح إيثار، أن يشاهد ما حدد لديه من شريف عطائه الممنوح، وأن يتشرف بما يصرف فيه من عالي المراسم، ويحلي أوجه الشام واضحة الثغور والمباسم. وما تحلت به الرُّبا والمناظر، ونسجته لأعطافها الرياض والأزاهر، ومآبي الشام وسكانه ولا ربيع الربوة الناظر، ولا بي القصر وميدانه والمرج والروض به الزاهر، وإنما بي أن أرى نصراً للدين حيث الملك الناصر أخي ومولاي ومن فرعه فرعي وأصلي أصله الطاهر.

فَإِنَّمَا يَرْفَعُ مِنْ نَاطِرِي
وَأَنْ أَرَى فَضْلِي بِهِ بَاهِرًا
فِيَا كِتَابِي وَرَسُولِي إِلَيَّ
بُوحَا بِشَرَحِ الشُّوقِ عَنِّي لَهُ
هَلْ ذَاكَرٌ عَهْدَ اجْتِمَاعِي بِهِ
وَهَلْ لِإِيَامِي بِهِ رَجْعَةٌ
أَنْبِي إِلَيَّ طَلَعْتَهُ نَاطِرُ
إِذَا بَدَا لِي فَضْلُهُ الْبَاهِرُ
أَبْوَابِهِ حَيْثُ النَّدَا زَاخِرُ
وَقُلْ لَهُ يَا أَيُّهَا السَّائِرُ
لَا فُقِدَ الْمَذْكُورُ وَالذَّاكِرُ
وَمَوْضِعِي مِنْ أَنْسِهِ عَامِرُ. اهـ

ولما وصل الكتاب الصادر إلى السلطان الناصر أذن له في القبول على يد الرسول فرجع في سنة ٥٧١هـ، وأتاب عثمان بن علي الزنجبيلي على عدن ولحج وما ناهجهما، والأديب المذكور كاتب الرسالة هو من أشهر كتاب عدن وأعيانها في ذلك العصر. قال الأهدل^(١) في «التحفة»^(٢): الأديب أبو بكر بن أحمد العندي نسبة إلى الأعنود، قوم يسكنون لحج وأبين وعدن، أثنى عليه عماره^(٣). مولده أبين، وكان أبوه من أعيانها، وكان ولده هذا موفقاً في صغره، مسدداً في كبره، ثم دخل عدن فقرأ الفقه والأدب والحساب، ومهر في جميع ذلك ونظم ونثر. وعدن إذ ذاك بيد الشيخ بلال المحمدي مولى الداعي محمد بن سبأ الملقب بالمعظم، ولذلك يقال لبلال: المعظمي الزريعي. وكان له كاتب توفي بتلك المدة فاحتاج إلى غيره، فدلّه بعضهم على الأديب أبي بكر بن أحمد فاستدعاه فأعجبه جماله، ثم فاتحه في الكلام فازداد عجبه به، فولاه كتابة يده، ثم جعله مدوناً لأمره، وكان لا يقطع أمراً دونه، وراجعه مرة في حوائج جماعة وفدوا فقال بمحضر من الناس: يا مولاي الأديب، الدولة دولتك، والمال مالك، فأجب وأثب كيف شئت ولمن

(١) هو الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأهدل، مات سنة (٨٥٥هـ) له ترجمة في «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٣/ ١٣٠) برقم (٢١٩).

(٢) واسمه «تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن»، وقد طبع «بمكتبة الإرشاد» بصنعاء سنة (١٤٣٣هـ) بتحقيق عبد الله الحبشي، وهذا الكتاب اختصر مؤلفه كتاب الجندي «السلوك» في مجلدين، قال السخاوي: «وزاد عليه زيادات حسنة وسمه «تحفة الزمن...»، ينظر: «الضوء اللامع» (٣/ ١٣٢).

(٣) في كتابه: «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» (ص ٢٧٩).

شئت بما شئت^(١)، وكان الأديب أبو بكر يبالغ في إخفاء منزلته عند بلال حتى لا يعرفها إلا الأفراد.

قال عماره - وهو ممن أدرك الأديب-: ولقد كان متى سمع بقدم قافلة لقيها إلى الباب وسأل عمن فيها من الفضلاء، فيسلم عليه ويسأله النزول معه ويقربه ويبذل جهده في إكرامه ومراعاته^(٢). ولما خرج أهل زبيد من ابن مهدي إلى عدن بذل الأديب كرامته وجاهه لأعيانهم وماله وشفقته لضعفائهم وفقرائهم حتى دمل كلمهم^(٣) وسد^(٤) ثلمهم، وكان متى وجد من فاضل زلة مع السلطان اجتهد في العذر له عنها، حتى إن أبا طالب الطرائفي قدم عدن ومدح الداعي محمد بن سبأ سنة ٥٣٦هـ بقصيدة: لأبي الصلت^(٥) كان مدح بها الأفضل بن أمير الجيش أولها:

نَسَحْتُ غَرَائِبُ مَجْدِكَ التَّشْبِيَا فَكَفَى بِهِ غَزْلًا لَنَا وَنَسِيَا^(٦)
وَأَنَا الْغَرِيبُ مَكَانُهُ وَزَمَانُهُ فَاجْعَلْ نَوَالِكَ فِي الْغَرِيبِ غَرِيَا

(١) كما في «المفيد» (ص ٢٨٨).

(٢) كما في «المفيد» (ص ٢٨١ - ٢٨٢).

(٣) أي: جرحهم.

(٤) كذا هنا: «وسد» تبعاً لـ «تحفة الزمن» وأما «المفيد» ففيه «وشد».

(٥) هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، مات سنة (٥٢٩هـ) على الصحيح، وله ترجمة في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» (١/٢٤٣) برقم (١٠٤).

(٦) وقع في المطبوع: «مدحك» بدل «مجدك»، و«تشبيياً» بدل «ونسيياً»، والمثبت من «المفيد»، والمصنف نقله من «تحفة الزمن» وهو عنده كما أثبت وصاحب «التحفة» نقله من «المفيد».

ولما قدم القاضي الرشيد^(١) أهدى للداعي الديوان فوجد فيه القصيدة، فكتب إلى الأديب العندي أن يسير له قصيدة ابن الطرائفي^(٢)، فعلم الأديب أنه قد أدرك علي بن الطرائفي، وكتبها بخطه وألحقها اعتذاراً عن ابن الطرائفي من شعره:

هَـذِي صِفَاتُكَ يَا مَكِينُ وَإِنْ عَدَا فِيمَنْ سِوَاكَ مَدِيحُهَا مَغْضُوبًا^(٣)
فَاغْفِرْ لِمُهْدِيهَا إِلَيْكَ فَإِنَّهُ قَدْ زَادَهَا بِشَرِيفِ طَيْبِكَ طَيِّبًا

وكان مجيد الكتابة والإنشاء، أثنى عليه كتاب مصر لما يرد عليهم من مكاتباته. وله أشعار أرق من النسيم وأحلى من التَّسْنِيمِ. وامتحن في آخر عمره بكفاف البصر. قال عُمارة: حين بلغني ذلك علمت أن الزمان قد سلب بصيرته حين سلب بصره، وأن الأيام طمست بذلك منهاج^(٤) جمالها وأطفأت سراج كمالها.

ولما كف بصره أحياه^(٥) الله بثمره الخير الذي كان يغرسه، فتضاعفت

(١) هو الرشيد أحمد بن الزبير الأسواني. ذكره الحافظ ابن حجر في «نزهة الألباب في الألقاب» برقم (١٩٩٧) وكان قدومه إلى عدن سنة (٥٣٦هـ) كما في «السلوك» (١/٣٧٢) للجندي.

(٢) المعروف بأبي الطيب «السلوك» (١/٣٧٢).

(٣) وقع في المطبوع: «فيها سواك»، والمثبت من «المفيد»، والمصنف نقله من «تحفة الزمن» وهو كذلك فيها.

(٤) وقع في المطبوع: «منها» بدل «منهاج».

(٥) كذا في المطبوع: «أحياه» وهو كذلك في «تحفة الزمن» والنص منقول منه وأما «المفيد» فإن فيه «أجناه».

عند^(١) أهل الدولة وَجَاهَتَهُ^(٢) كَأَنَّ الزَّمَانَ أَرَادَ أَنْ يَخْفِضَهُ فَرَفَعَهُ، وَأَنْ يَضُرَّهُ فَنَفَعَهُ^(٣).

ومدحه عبد الله بن مرزوق - وقد كف بصره - فقال:

يَا مِدْرَةَ الْيَمَنِ الَّذِي بِمَقَالِهِ بَيْنَ الْوَرَى قَامَ الزَّمَانُ خَطِيْبًا^(٤)
فَعَدَا قُدَامَةً وَهُوَ غَيْرُ مُقَدَّمٍ وَفَصِيحٌ وَائِلٌ بِالْمَقَالِ مَعِيَا
يَا يُوسُفًا عَلِمًا وَحَفِظَ أَمَانَةً أَعَزَزَ عَلَيَّ بِأَنْ تَرَى يَعْقُوبًا^(٥)

وكانت وفاة الأديب بعدن سنة ٥٨٠هـ تقريبًا، وكان من آثاره مسجده المعروف بمسجد العندي بعدن^(٦).

قال الكِيسِيُّ^(٧) في «اللطائف السنية»: وفي سنة ٥٧٦هـ توفي شمس الدولة توران شاه بن أيوب المذكور في الإسكندرية ودفن فيها، وكان عماله على اليمن يبعثون بخراج اليمن إليه، فلما مات أظهر عماله الخلاف ومنعوا الخراج وضرب كل منهم

(١) وقع في المطبوع: «عنده» بدل «عند».

(٢) وقع في المطبوع: «جماعته» بدل «وجاهته» والمثبت من «تحفة الزمن» و«المفيد».

(٣) «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» (ص ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٤) مِدْرَةَ: هو زعيم القوم والمتكلم باسمهم، وقيل: الخطيب والناطق باسمهم.

(٥) «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١/ ٣٧٣).

(٦) من قوله: قال الأهدل في «التحفة» إلى هنا، ينظر من: «تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن»

(١/ ٢٩٧ - ٣٠٠)، وينظر: «المفيد» ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٧) هو محمد بن إسماعيل الكيسبي، مات سنة (١٣٠٨هـ) له ترجمة في «الأعلام» (٦/ ٣٨)

السكة باسمه إلا مظفر الدين فإنه ضعف عن العمل، فنهض إليه عثمان الزنجبيلي من عدن وأخذ البلاد التي بيده، وتوجه عثمان المذكور إلى حضرموت فاستولى عليها وقتل من أهلها كثيرًا واستفحل أمره وقويت شوكته ورجع إلى عدن^(١).

قلت: وكان استيلاء عثمان الزنجبيلي على حضرموت سنة ٥٧٠هـ، وفيها قبض على عبد الله بن راشد مع جماعة من أمراء حضرموت، وجاء بهم أسرى إلى عدن، وفي سنة ٥٧٦هـ خالف أهل حضرموت على عز الدين عثمان بن علي الزنجبيلي، فأرسل عليهم عسكريًا من عدن أدخلهم في الطاعة وقبضوا على السلطان راشد^(٢) بن شجعنه وابنه شجعنه^(٣) وساقوهما إلى عدن، وبقي عثمان بن علي الزنجبيلي حاكمًا على لَحْجٍ وعدن وما ناهجهما إلى سنة ٥٧٩هـ، فلما بلغه وصول الملك طُغْتِكَيْن بن أيوب إلى تعز وزيد وقبضه على بعض العمال المستبدين خاف على نفسه، فحمل متاعه وأمواله في مراكب وخرج من عدن في ذي القعدة من تلك السنة، فأرسل سيف الإسلام إلى عدن والياً يعرف بابن عَيْن الزَّمان، وصادفت مراكبُ فيها أصحاب سيف الإسلام مراكبَ أصحاب

(١) «اللطائف السنيّة في أخبار الممالك اليمنية» (ص ٩٨ - ٩٩) للكبيسي.

(٢) تنظر ترجمته في: «طراز أعلام الزَّمن في طبقات أعيان اليمن» (٢ / ٨٦٤) برقم (٨٦٤).

(٣) كذا هنا في الموضوعين «شجعنه» بتقديم النون على العين إلا أنه جاء على العكس في «طراز أعلام الزمن» «شجعنه» وكذلك في «قلادة النحر» (٥ / ٣٧٩) وأما «القواعد اللؤلؤية» (١ / ١٨٢) للخزرجي فإن فيها «شجيعه»، وهذا خلاف ما في «طراز أعلام الزمن» وهو كذلك في «ملوك أقيال اليمن» ص ١٨٦ لنشوان الحميري و«السلوك» (٢ / ٤٦٨)، وكذلك جاء في «السلوك» (٢ / ٤٦٨) «شجعة».

الزنجيلي، فأخذوا كل ما لعثمان الزنجيلي من الأموال ولم يبق له إلا ما صحبه في الطريق، وَصَفَتْ عدن وما معها من البلاد لسيف الإسلام^(١).

وفي سنة ٥٨٥ هـ عزل ابن عَيْنَ الزَّمَان من عدن ووليها فارس الدولة.

هذا جدول

من تولى اليمن ومن جملتها حُجِّ وعدن من السلاطين الأيوبيين

توفي	رجع من اليمن	ملك	
٥٧٦	٥٧١	٥٦٩	* توران شاه بن أيوب
٥٩٣	٠٠	٥٧٧	* طغتكين بن أيوب
٥٩٨	٠٠	٥٩٣	* إسماعيل بن طغتكين
٥٩٩	٠٠	٥٩٨	* أيوب بن طغتكين
٦٤٧	عزل ٦١٢	٠٠	* فخلفته أمه مدة ثم استدعت السلطان سليمان بن سعد الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فولته.
٦٢٢	رجع من اليمن ٦٢٠	٦١٢	* لمسعود يوسف أقيس بن محمد بن أبي بكر بن أيوب

(١) ينظر: «السلوك» (٥٢٨/٢) للجندي.

وفي سنة ٦٢٠ هـ رجع الملك المسعود يوسف أقيس إلى البلاد المصرية،
وأناب على اليمن عمر بن علي رسول الغساني، فتغلب عمر بن علي على ملك
اليمن وانقرضت دولة بني أيوب، فكان ملك بني أيوب سبعة وخمسين سنة،
وصار مخالفاً لحج وعدن لبني رسول.

* * *

الفصل العاشر

بنو رسول مستقلون. حَمَلَةٌ من عدن على ظَفَارِ. حَمَلَةٌ من ظَفَارِ على عدن. استقلال المؤيد بلحج. معركة الدَّعِيس. المؤيد في عدن. طُغْرَيْل (١) والجبَّال والعجالم. عمر بن بلبال والي لحج وفتنته. حصن مُنَيْف. يحيى والعقَّار في باب عدن. وفاة الملك المجاهد في عدن.

* * *

قال في «تاريخ الجندي»: إن عمر بن علي رسول ضرب الدراهم باسمه، وأمر الخطباء بذكره في سنة ٦٢٩هـ وقيل: ٦٣٠هـ (٢).

وفي سنة ٦٤٧هـ قتل السلطان عمر المذكور وخلفه ابنه الملك المظفر يوسف بن عمر. وكان الشهاب غازي (٣) بن المعمار (٤) والي عدن من قبيلهِ. ولما بلغ المظفر عبث سالم (٥) بن إدريس الجبُوسي (٦) صاحب ظفار في الطريق

(١) وقع في المطبوع «طغرطل» وهو خطأ، وتنظر ترجمته من: «طراز أعلام الزمن» (٢/ ١٠٨٧).

(٢) «السلوك» (٢/ ٥٤١) للجندي.

(٣) له ترجمة في «قلادة النحر» (٥/ ٣٧٨) برقم (٣٢٧٢).

(٤) تصحف في المطبوع إلى: «العمار» بدل «المعمار»، والمثبت من ترجمته من المصدر السابق.

(٥) له ترجمة في «قلادة النحر» (٥/ ٣٦٨) برقم (٣٢٥٢).

(٦) تصحف في المطبوع إلى: «الجوسي»، والمثبت من ترجمته من المصدر السابق.

وَتَعَرَّضَهُ لِلتَّجَارِ كَتَبَ إِلَيْهِ الْمَظْفَرُ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، وَفِيمَا كَتَبَهُ لَهُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١) فَازْدَادَ سَالِمٌ شِدَّةً وَكَتَبَ لِلْمَظْفَرِ جَوَابًا قَالَ لَهُ فِيهِ: إِنَّ الرَّسُولَ وَصَلَ فَأَيْنَ الْعَذَابُ؟ فَأَمَرَ الْمَظْفَرُ وَالِيَّ عَدَنَ أَنْ يُجَهِّزَ عَلِيَّ ظَفَارَ، فَسَارَ غَازِي بِنَ الْمِعْمَارِ بِعَسْكَرٍ مِنْ لَحْجٍ وَعَدَنَ وَأَبِينِ فِي طَرِيقِ الْبَحْرِ إِلَى ظَفَارَ وَقَاتَلَ أَهْلَهَا، ثُمَّ رَجَعَ خَائِبًا إِلَى عَدَنَ، فَتَبِعَهُ سَالِمُ بْنُ إِدْرِيسَ إِلَى سَاحِلِ عَدَنَ بِعَسْكَرِهِ وَقَصَدَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلِيَّ عَدَنَ، وَبَلَغَ الْمَظْفَرُ ذَلِكَ فَاسْتَشَاطَ غِيظًا، فَنَزَلَ مِنَ الْجَنْدِ بِنَفْسِهِ إِلَى عَدَنَ وَجَهَّزَ الْجِيُوشَ مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَحْتَ قِيَادَةِ شَمْسِ الدِّينِ إِزْدَمَرَ، وَاسْتَوْلَى عَلِيَّ ظَفَارَ سَنَةَ ٦٧٨ هـ، وَقَتَلَ سَالِمُ بْنُ إِدْرِيسَ^(٢). وَكَتَبَ أَخُو كَنْدَةَ يَهْنِئُ الْمَظْفَرَ بِمَا نَصَهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا^ط وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) مَطَالَعٌ صَدَعَ بِالْحَقِّ نَوْرَهَا، وَتَبَاشِيرٌ صَدَقَ تَضَاعَفَ عَلَى الْعَالَمِينَ سُرُورَهَا، وَسَطَوَاتٌ مَلِكٍ رَفَعَ مِنَ الْبِدْعَةِ بَاطِلَهَا، وَجِيُوشٌ نَصَرَ عَقَدَتْ بِمَشَارِقِ الْأَرْضِ قَسَاطِلَهَا، وَهَدَمَتْ مِنْ رُبُوعِ الْبَغْيِ مَآرِبَهَا، حَتَّى حَلَّتْ صَفَقَاتُ الْخَسَارِ وَتَزَلْزَلَتْ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَا لِمَوْلَانَا الْمَقَامَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِي الْمَلِكِي الْمَظْفَرِي، أَيَّدَهُ اللَّهُ فِي غَضُونِ الْأَزْمَانِ هَذَا الْفَتْحِ الْمُبِينِ، وَأَخْمَدَ بِسَيْفِهِ نَارَ الْمَبْطَلِينَ.

(١) [الإسراء، آية: ١٥].

(٢) ينظر: «قرة العيون» (ص ٣٩٦).

(٣) [الروم آية: ٤٧].

وَلَيْسَتْ يَبْكُرُ لَمْ يَرَ النَّاسَ مِثْلَهَا وَلَكِنْ عَوَانٌ كَانَ مِثْلَ لَهَا قَبْلُ

وحين وردت البشارة وضح [الحق] (١) للمرتابين، وازدادت طمأنينة قلوب

المؤمنين.

وَعَايَنَ النَّاسُ هَامَاتٍ مُتَوَجَّهَةً جَاءَتْ مِنَ الْبَحْرِ تَجْرِي بَيْنَ أَمْوَاجِ
تَأْتُمُّهَا هَامَةٌ كَانَتْ مُتَوَجَّهَةً أَوْدَى بِهَا الْمَلِكُ الصَّنْدِيدُ ذُو التَّاجِ
سَاقَ الْمُظْفَرُ جَيْشَ النَّصْرِ مِنْ عَدَنِ تَأْتُمُّ فِي الْبَحْرِ أَفْوَاجًا بِأَفْوَاجِ
وَأَفْعَمَ الْبَحْرَ حَتَّى غَصَّ وَاسِعُهُ بِجَحْفَلٍ لَجِبِ الْأَصْوَاتِ عَجَّاجِ (٢)

ولما بلغ المظفر آخر العمر استخلف ولده الأشرف عمر بن يوسف سنة ٦٩٤ هـ، واستحلف له العسكر، وأقطع ابنه الهزبر داود المؤيد الشُّحْرَ وأعماله، فخرج المؤيد إلى إقطاعه ونفسه غير طيبة، ثم توفي المظفر في ١٢ رمضان من تلك السنة، وبلغ خبر وفاته إلى ولده المؤيد وهو في أثناء الطريق فرجع عن الشحر منازعاً لأخيه الأشرف، فجمع جموعاً يريد تعز (٣).

قال الأهدل في «التحفة»: واستولى المؤيد على عدن ولحج في شهر الحجة سنة ٦٩٤ هـ، قال الخزرجي «في أعلام الزمن»: ولما علم بذلك أخوه الأشرف جرد إليه العساكر يتلو بعضها بعضاً، فالتقوا بالدعيس وهو موضع بجهة أبين (٤).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من «العقود اللؤلؤية تاريخ الدولة الرسولية».

(٢) هذا النص بهذه الرسالة أورده الخزرجي في «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية» (١٨٦/١ - ١٨٧).

(٣) ينظر: «السلوك» (٥٥٣/٢).

(٤) «طراز أعلام الزمن» (٨٣١/٢ - ٨٣٢) للخزرجي.

قلت: تقدم أن الدّعيس موضع بلحج يعرف بذلك إلى الآن، لا في أيّين، ثم إن عسكر الأشرف أحاطوا بالمؤيد في الدّعيس وتفرق أصحابه وأخذوه أسيراً وطلعوا به إلى تعز واعتقلوه بحصن تعز، وذلك في المحرم سنة ٦٩٥ هـ. قال في «قرة العيون»: وكان الملك الأشرف حين المعركة في الدّعيس ينتظر ما يحدث من أخبارهم، فلما علم بفشلهم (١) بكى بكاءً شديداً (٢)، وأمر بإكرامهم وإرسالهم إلى حصن تعز، فلما ساروا إلى الحصن كتب إلى المؤيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ (٣) ولقد أحسن (٤) القاضي تاج الدين

موسى بن حسن الموصلّي حيث قال في تهنئة الأشرف بهذا النصر:

وَلَوْلَا أَنَّ ضِدَّكَ مِنْكَ قُلْنَا مَقَالًا مِنْهُ تَنْفَلِقُ الصُّحُورُ
وَلَكِنَّا نُرَجِّي السُّخْطَ مِنْكُمْ يَعُودُ رِضَىٰ وَتَنْجِبُ الْأُمُورُ (٥)

وفي سنة ٦٩٦ هـ توفي الأشرف، فبويع هزبر الدين داؤد المؤيد، وفي سنة ٦٩٧ هـ نزل المؤيد إلى لحج ودخل عدن في شهر شوال وأقام بها إلى عيد النحر،

(١) في «قرة العيون»: «بتقييدهم» بدل «بفشلهم».

(٢) قوله: «بكاءً شديداً» لا وجود له في «قرة العيون».

(٣) [الضحى: آية: ١ - ٥].

(٤) في المطبوع: «أحس» بدل «أحسن»، والمثبت من «قرة العيون».

(٥) «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٤٠٨ - ٤٠٩).

وكان السماط في حُقَّات (١) تحت «دار المنظر» السلطاني (٢) على شاطئ البحر، وكان الأعيان والتجار يحضرون لديه وينشد الأدباء قصائدهم بين يديه. قال الخزرجي: وَأُنشِدْتُ يَوْمَئِذٍ قَصِيدَةَ الْأَدِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ عَلِيِّ السَّمَاطِ وَكَانَ غَائِبًا لَمْ يَحْضُرْ ذَلِكَ الْعِيدَ، وَهِيَ:

أَعْلَمْتُ مَنْ قَادَ الْجِبَالَ حَيُولًا وَأَفَاضَ مِنْ لَمَعِ السُّيُوفِ سُيُولًا (٣)
 وَأَمَاجَ بَحْرًا مِنْ دِلَاصٍ سَابِغٍ جَرَّتْ أُسُودُ الْعَابِ مِنْهُ دُيُولًا
 وَمِنَ الْقِسِيِّ أَهْلَةً مَا تَنْقُضِي مِنْهَا الْخِضَابُ عَلَى الْخِضَابِ نُصُولًا
 وَتَزَا حَمَتُ سُمْرِ الْقَنَا فَتَعَانَقَتْ قُرْبًا كَمَا يَلْقَى الْخَلِيلُ خَلِيلًا
 فَالْعَيْثُ لَا يَلْقَى الطَّرِيقَ إِلَى الثَّرَى وَالرَّيْحُ فِيهِ لَا يُطِيقُ دُخُولًا
 سُحْبٌ سَرَتْ فِيهِ السُّيُوفُ بَوَارِقًا وَتَجَاوَبَتْ فِيهِ الرُّعُودُ صَهِيلًا
 طَلَعَتْ أَهْلَتَهَا نُجُومًا فِي السَّمَاءِ فَتَبَادَرَتْ عَنْهَا النُّجُومُ أَفُولًا
 تَرَكْتُ دِيَارَ الْمُلْجِدِينَ طُلُولًا مِمَّا يَسِيحُ بِهَا دَمًا مَطْلُولًا

(١) حُقَّات: هو الجزء الغربي المتدرِّج في الانخفاض من جبل شمسان المُطل على مدينة عدن، ويمتد إلى الصخرة المجاورة لجبل صيرة شرقاً كما يُطل من الشمال على خليج حُقَّات الذي كان ترسو به السفن قديمًا.

(٢) هكذا هنا: «تحت المنظر السلطاني» وهو كذلك عند الخزرجي، أما «قرة العيون» ففيه: «تحت المظفر السلطاني».

(٣) وقع في المطبوع: «الخيول خيولًا»، والمثبت من مصادر ذكره، منها «طراز أعلام الزَّمن»، والمصنف نقله منه.

والجَوُّ يَحْسَبُ شَلْوَهُ مَاكُولًا (١)
تَدَعُ الحِمَامَ مع القَتِيلِ قَتِيلًا (٢)
فَأَعَادَ مَعْقَلَهُمْ بِهِ مَعْقُولًا (٣)
في النَّاسِ عَادَ نَعَامَةً إِجْفِيلاً
مَنْ لَيْسَ يَتْرُكُ لِلْفِرَارِ سَبِيلًا
جعل العزيرَ من الملوِكِ ذليلاً
وعُلاً وفَحْرًا في الملوِكِ أَثِيلاً
سَيْفِ بنِ ذِي يَزَنِ الكَرِيمِ أُصُولًا
والمَلْحُ أَحْقَرُ أَنْ يَكُونَ مَثِيلاً
عَيْذَابٌ يُنْذِرُ دِجْلَةً والنِّيْلًا (٤)
في مُلْتَقَاهُ سَعَادَةٌ وَقَبُولًا
إِكْلِيلٌ يَحْسُدُ ذَلِكَ الإِكْلِيلًا

والأَرْضُ تَرْجُفُ تَحْتَهَا مِنْ أَفْكَلٍ
حَطَمَتْ جَحَافِلُهَا الجَحَافِلَ حَطْمَةً
طَلَبُوا الفِرَارَ فَمَدَّ أَشْطَانَ القَنَا
عَرَفُوا الذي جَهَلُوا وَكُلُّ غَضَنْفَرٍ
أَيْنَ الفِرَارِ وَلَا فِرَارَ وَبَعْدَهُمْ
مَلِكٌ إِذَا هَاجَتْ هَوَائِجُ بِأَسِهِ
يَقْفُو المُظْفَرِ والشَّهيدِ مَآثِرًا
وَأَفَى إِلَى عَدَنٍ كَمَقْدَمِ جَدِّهِ
بَحْرٌ إِلَى بَحْرِ يَسِيرٌ بِمِثْلِهِ
فَتَطَايَرَتْ أَمْوَاجٌ لُجَّتِهِ إِلَى
فَاسْتَقْبَلَتْ عَدَنٌ جَبِينَكَ وَالتَّقَتْ
وَالشَّمْسُ تَحْسُدُ تَاجَكَ المَعْقُودَ وَالْ

(١) وقع في المطبوع: «أنكل» بدل «أفكل»، والمثبت هو من مصادر ذكر الأبيات مما نقل منه المصنف.

(٢) وقع في المطبوع: «مع القليل» بدل «القتيل».

(٣) وقع في المطبوع: «من سلطان القنا فأعاد متقلهم»، والمثبت هو من مصادر ذكر الأبيات، منها ما نقل منه المصنف.

(٤) وقع في المطبوع: «بندر جده»، والمثبت من المصادر التي ذكرت فيها الأبيات، منها ما نقل منها المصنف.

لَوْ يَسْتَطِيعُ الشَّعْرُ كَانَ مَقْبَلًا
 إِنَّ جَاوَزَتْ هَذِي الشَّمَائِلُ بَحْرَهُ
 أَنْتَ الَّذِي الدُّنْيَا مُبَشَّرَةٌ بِهِ
 فَالْيَوْمَ قَدْ وَهَبَ الْإِلَهُ لِحَلْقِهِ
 وَأَتَى لَهُمْ بَدْرُ السَّمَاءِ بِذِمَّةٍ
 أَهْزَبَ رَغْسَانَ بَنَ قَحْطَانَ الَّذِي
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لَا بَرِحْتَ مُقَابِلًا
 فِي حَيْثُ مَا رُفِعَتْ بُنُودُكَ نُزِّلَتْ
 لَوْلَا الْعَلَائِقُ وَالْعَوَائِقُ لَمْ أَغْبُ
 وَمِنَ التَّكْرُمِ وَالتَّفَضُّلِ لَمْ يَزَلْ
 لَا زَالَ تَوْفِيقُ الْإِلَهِ مُقَارِنًا
 بِالشَّعْرِ مِنْهُ رِكَابُكُمْ تَقْبِيلًا
 جَعَلَتْ مَذَاقَ الْمَاءِ مِنْهُ شُمُولًا
 وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ جِيلاً جِيلاً
 ظِلًّا عَلَى الْأَقْطَارِ مِنْهُ ظَلِيلًا
 مَكْتُوبَةً لَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا
 تَدْعُوهُ فِي النَّسَبِ الْقَبِيلِ قَبِيلًا
 فَتَحًا مِنَ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ جَلِيلًا
 آيَاتُ نَصْرِكَ فَوْقَهَا تَنْزِيلًا
 عَنِ ظِلِّ بَابِكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (١)
 عُدْرِي إِلَى صَدَقَاتِكُمْ مَقْبُولًا
 لَكَ حَيْثُ كُنْتَ إِقَامَةً وَرَحِيلًا

وقدّم التجار المقيمون بالشعر (٢) التقاديم النفيسة فردها السلطان وأمر بإفاضة الخلع (٣) عليهم والمراكب من البغال المختارة بالعدد الكاملة والسروج المذهبة، وأمر بإكرام النواخذة (٤) والتجار المترددة إلى الشعر، وأمر بإبطال

(١) وقع في المطبوع: «عن عل بابك» بدل «ظل».

(٢) المراد بالشعر «عدن».

(٣) أي: العطاء.

(٤) النواخذة أو النواخذة: جمع ناخوذة، وهو رئيس السفينة ورؤبائها، وهي كلمة فارسيّة مركبة من

لفظين «ناو» بمعنى «سفينة»، و«خوآذة» بمعنى «سيد»، وينظر: «البحرية في مصر الإسلامية»

الضمان، وقفل راجعاً إلى تعز^(١)، وفي «تاريخ ثغر عدن» لأبي مخرمة قال: ومن غريب جوده أنه وهب خزانة عدن بأسرها لبعض خواصه، وكان فيها من المال شيء كثير، ومن الملابس والأطياب والتحف ما يتجاوز حدَّ العدِّ. ثم إن الأمراء منعوا الموهوب له من ذلك واحتجوا عليه أن فيها كسوة السلطان وعائلته وأطياهم وما لا ينبغي إلاَّ للسلطان، وأعطوه من النقد أربعين ألف درهم، ومن الكسوة ما يليق بحاله حتى طابت نفسه:

قال الخزرجي: وفي سنة ٧٠٠هـ تولى لَحْجٍ من قِبَلِ المؤيد الأمير الكبير أبو علي طُغْرَيْلٍ^(٢) بن عبد الله المؤيِّدي الملقب سيف الدين، وهو أحد مماليك المؤيد، فلما وصل إلى لَحْجٍ فأوقع بالجحافل والعجالم المفسدين^(٣) في شهر جمادى الآخرة، فقتل منهم نحو أربعين رجلاً، وكان قد ظهر فسادهم، فكفوا عن الفساد، ثم أوقع بهم وقعة أخرى في ناحية الدَّعَيْسِ، فقتل منهم نحو سبعين رجلاً، وانحسمت مادة أهل الفساد، وأقام هنالك إلى صفر سنة ٧٥٢هـ، ثم فصله السلطان من لَحْجٍ وأمَّره مقطَعاً في صنعاء^(٤)، وأقطع الشريف إدريس بن علي

(ص ٢٧٤)، وينظر أيضاً: «إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» (٥٠٣/٢) مع التعليق عليه.

(١) من قوله: وقال الخزرجي... إلى هنا ينظر في «طراز أعلام الزَّمن في طبقات أعيان اليمن» (٨٣٥/٢)

- (٨٣٨)، و«العقود اللؤلؤيَّة في تاريخ الدولة الرسولية» (٢٦٦/١) كلاهما للخزرجي.

(٢) تنظر ترجمته من: «طراز أعلام الزمن» (١٠٨٧/٢) برقم (٤٦٤)، ووقع في المطبوع «طغرطل».

(٣) كلمة: «المفسدين» لا توجد عند الخزرجي.

(٤) من قوله: قال الخزرجي إلى هنا هو في «طراز أعلام الزمن» (١٠٨٨/٢) من الترجمة رقم (٤٦٤).

لحجًا في شهر ربيع الأول، ثم ولى المؤيد على لَحْجٍ وأبَيَّن عمر^(١) بن بلبال الدُوَيْدَار. قال الخزرجي: وهو رومي الجنس من المماليك المنصورية، كان شجاعًا حازمًا تولى لِحْجًا وأبَيَّن من قبل المؤيد. اهـ.

وفي سنة ٧٠٤هـ حصل بعدن سيل جحاف فاحتمل بيوتًا فألقاها في البحر، فيهم بيت لابن معوضة ضامن عدن. ولما توفي المؤيد سنة ٧٢١هـ خلفه ابنه علي المجاهد، فقبض على الناصر محمد بن الأشرف عم المظفر، فأرسل به إلى عدن ليسجن فيها. ثم خالف عليه عمه المنصور وجهز ولده عبد الله بن المنصور إلى الدُّمْلُوَه، وتغيرت نية الجند على المجاهد فقبضوا عليه وأتوا به أسيرًا إلى عمه المنصور، وأخرج ابن أخيه الناصر من سجن عدن. ثم إن أم المجاهد استخدمت رجالًا وبذلت أموالًا، فأخرج المجاهد من الحبس ونادوا له بالسلطنة. واستظهر الملك المجاهد على عمه المنصور بعد نزاع طويل، فسار المماليك وبايعوا الظاهر بالملك في الدُّمْلُوَه وبذلوا له من أنفسهم حسن الطاعة. وتقدم عمر بن بلبال والي لِحْجٍ إلى عدن وحاصرها عشرين يومًا واستولى عليها للظاهر بمساعدة الرتبة من يافع، وذلك لأيام بقين من شعبان سنة ٧٢٢هـ، ولما دخل عمر بن بلبال البندر قبض على الأمير حسن^(٢) بن علي الحلبي وبعث به إلى الظاهر في الدمْلُوَه. وولى الظاهر على عدن ابن الصليحي، ثم بعث الظاهر رجلًا من الدمْلُوَه إلى ابن الدويدار ليطلع له الخزانة من عدن ولحج فأخذ

(١) له ترجمة في «الأعلام» (٥/٤٣) للزركلي.

(٢) له ترجمة في «تاريخ ثغر عدن» برقم (٧٧) لبامخرمة.

الظاهر خزانة عدن ولحج (١).

وفي شهر رمضان ٧٢٤هـ جهز عمر بن بلبال الدويدار عسكرياً من لحج وأبين ولقيه المماليك من زبيد، وتقدموا على المجاهد في تعز، وأنفذ إليهم الظاهر منجنيقاً من الدُمْلُوهِ صحبة الغياث بن نور، وكانوا يرمون المجاهد كل يوم بأربعين حجراً، ثم انهزمت المماليك من تعز وقتل منهم جمع كثير، ورجع ابن الدويدار إلى لحج واستقل بها، وسار بعسكره إلى عدن في شهر صفر سنة ٧٢٥هـ وقصد أن يأخذها لنفسه على كره من الظاهر والمجاهد، فحاصر عدن ثم خادعه ابن الصُّليحي فسلم إليه عدن على شرط أن لا يدخلها إلا بمن يأمن شره وغائلته على أهل البلاد، فدخلها ابن الدويدار في جماعة من أصحابه وترك أخاه علي بن الدويدار على بقية العسكر خارج عدن، فأمسى عمر بن الدويدار في عدن، ولما أصبح دخل الحمام فهجم عليه ابن الصُّليحي في جماعة من عسكره فقتلوه ومن معه في سابع ربيع الأول.

وبلغ علي بن الدويدار قتل أخيه فلحق بحصن مُنَيْفٍ وتحصن به، وأرسل ابن الصليحي عسكرياً إلى لحج قبضوها للظاهر. وفي شعبان من تلك السنة نزل الملك المجاهد واستولى على لحج، فلما وصل إلى الرَّعَارِعِ نزل على ابن الدويدار من حصن منيف ولحق بالمجاهد، فخلع عليه المجاهد وأظهر له الرضا، ثم سار المجاهد على (٢) عدن وحط بمسجد المَبَاهِ (٣) وأمر عسكره بالزحف على

(١) ينظر: «قرة العيون» (ص ٤٢٣ - ٤٢٤)، وترجمة المجاهد علي بن داود الملقب سيف

الإسلام من «طراز أعلام الزمن» (٣/ ١٣٩٢) برقم (٧٢٦) للخزرجي.

(٢) كذا في المطبوع «على».

(٣) تقدّم التعريف بالمَبَاهِ في الكلام عن عدن.

عدن، فخرج إليهم ابن الصليحي وعسكره وقاتلوهم قتالاً شديداً، فشق ذلك على المجاهد، فلزم ابن الدويدار وابن أخيه، وقبض المجاهد حصن ابن الدويدار حصن عمران واستولى على ما فيه. وأقام المجاهد بالمباه سبعة أيام محاصراً لعدن، فلم يتيسر له فتحها، فارتحل إلى زبيد، فلما بلغ العارة أمر بإغراق علي بن الدويدار في البحر فأغرق، ولما بلغ الظاهر ارتفاع المحطة عن عدن نزل عن الدملوه ودخل عدن في سابع شهر رمضان ومعه نحو خمسين فارساً^(١).

قال الجندي: أخبرني من رآه عند دخوله عدن أن الذين كانوا معه أحد عشر رجلاً، ثم وصل بعد ذلك نحو مائة وثمانين من أهل ذمار، فمنعهم الوالي ابن الصليحي من دخول عدن، ثم دخل مقدمهم في جمع يسير ولم يزل يدخل بعض أصحابه حتى اجتمع منهم نحو خمسين، فلزموا ابن الصليحي ثم خنقوه بأمر الظاهر^(٢).

وفي سنة ٧٢٦هـ تقدم المجاهد على عدن وبها الظاهر، فوصل لخبّة^(٣) في (٢٣) شهر صفر، ثم زحف إلى المباه يوم (٢٥) وبها عسكر الظاهر، فحصل بين العسكرين قتال شديداً انهزم فيه العسكر الظاهري وقتل منهم نحو سبعين قتيلاً وأربعة من أصحاب المجاهد، ومنع الظاهر المنهزمين من عسكره من دخول

(١) ينظر: «السلوك» (٥٩٦/٢)، وترجمة علي بن داود من «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (٢٥١/٥) برقم (٢٠٦١) للفاسي و«طراز أعلام الزمن» (٣/١٣٩٢) برقم (٧٢٦) للخزرجي.

(٢) «السلوك» (٥٩٧/٢).

(٣) تقدم التعريف بها في الكلام على عدن.

عدن، فوقفوا بالمباه^(١)، وأقام الملك المجاهد ستة أيام في لَحْبَةِ ثم قصد المَبَاهَ فقتل من عسكره رجلا وانهزم إلى لَحْبَةِ، فأقام بها نحوًا من نصف شهر، ثم تقدم إلى جَبَلِ حَدِيدٍ^(٢)، فخرج إليه مَنْ بَعْدَ من عسكر الظاهر فحصل بينه وبينهم قتالًا شديدًا، وأرجعوا المجاهد إلى لَحْبَةِ. ولما كان اليوم الثاني من ربيع الأول قبض أصحاب الملك المجاهد على مُكْتَبِ^(٣) لابن الأسد، وأخذت كتبه وفضّت، فإذا فيها أنه وَاَصِلٌ هو والإمام محمد بن مطهر في ألفي^(٤) فارس واثني عشر ألف راجل، فاضطربت المحطة وكثُرَ كلامُ العسكر وظهر للمجاهد منهم عَدَمُ النُّصْحِ وخشي البيعة فارتفع عن عدن وسار إلى تعز.

وفي شهر جمادي الآخرة خرج الظاهر وأصحابه إلى لَحْجٍ، وكان قد وصله الإمام محمد بن مطهر وابن الأسد في مائتي فارس، فسار الإمام وابن الأسد طريق صُهَيْبٍ، وسار الظاهر ومن معه طريق الحَبْتِ، فلاقاهم المجاهد وجنوده في جهة جَرَانِعِ^(٥) وهزمهم وفر الظاهر إلى حصن السَّمْدَانِ فِي الدُّمْلُوهِ، وفي سادس وعشرين رمضان قصد المجاهد عدن وأقام بِلَحْبَةِ وكان عسكر عدن يخرجون لقتال المجاهد والحرب سجال بينهم إلى آخر صفر سنة ٧٢٨ هـ خرج جماعة من رُتَبَةِ عدن من يافع إلى المجاهد واجتمعوا به في لَحْبَةِ، وأخذوا جماعة من عسكره

(١) تقدم التعريف بالمباه.

(٢) هو جَبَلِ يَشْرَفُ على مدينة «عدن» من الجهة الشرقية.

(٣) وهو الرسول الذي ينقل الرسائل.

(٤) عند الجندي «بألف فارس».

(٥) جَرَانِعِ: بلدة ومركز إداري من مديرية مَآوِيَةَ وأعمال محافظة تعز.

وَوَطَّلَعُوا بِهِمْ مِنْ جِهَةِ جَبَلِ التَّعْكَرِ (١).

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين (٢) من صفر زحف المجاهد عليّ عدن فخرج أهلها لقتاله حسب العادة، فظهر عليهم العسكر المجاهدي الذين أطلعهم يافع من فوقهم، فشغل عسكر عدن وتركوا الباب مفتوحًا، فدخل المفضل بن المجاهد بعد الظهر ودخل الملك المجاهد بعد العشاء من ليلة الجمعة (٢٤) صفر. وكان في تلك الأثناء بجهة أَيْبِنَ وَأَطْرَافِ لَحْجٍ رجل من المماليك يقال له: العصري، حاول رفع محطة المجاهد فلم يتمكن، وكان يغير عليّ قرى لحج ويحرق وينهب، ولما دخل المجاهد عدن أمر بالوالي ابن أَرْبَكِ (٣) المسعودي والناظر محمد بن الموفق، فجعلوا في سلسلة وشتقا يوم أحد عشر ربيع الأول. وأقام المجاهد بعدن إلى ٢٠ جمادى الأولى ثم خرج منها إلى الدملوه (٤).

وفي سنة ٧٢٩هـ نزل المجاهد إلى عدن وَوَلَّىٰ عَلَيْهَا الْأَمِيرَ حَسَنَ الْحَلْبِيَّ بعد أن أطلقه الظاهر. وفي عشرين من شهر رجب سار الملك عليّ المجاهد إلى أَيْبِنَ وحضر مولد الكثيب وتصدق بأموال جزيلة وأقام بها إلى (٢) من شهر شعبان، وَوَلَّىٰ الْمَجَاهِدَ عَلِيَّ لَحْجَ الشَّيْخِ ابْنِ زِيَادٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَمُصَادَرَتِهِ سنة ٧٥٤هـ.

(١) ينظر: «السلوك» (٢/ ٦٠١ - ٦٠٢).

(٢) الذي في «السلوك»: (الثالث عشر من صفر).

(٣) وقع في المطبوع: «أمك» بدل «أربك»، والمثبت من «السلوك»، ولعله «أبيك» فتحرف، والله

أعلم.

(٤) «السلوك» (٢/ ٦٠٥ - ٦٠٦).

وفي سنة ٧٦٤هـ خالف يحيى المظفر أباه الملك علي المجاهد وأخذ لحجاً، ثم جمع جماعة من العقارب^(١) وأمرهم بالتقدم قبله إلى باب عدن، فلما قدّر أنهم بالباب تلاهم فيمن معه من المماليك، فوجدوا جملاً يحمل بطيخاً فنزلوا إليه واشتغلوا بأكله، وكان العقارب واقفين بباب عدن ينتظرون وصوله، فلما طال وقوف العقارب استغرب البوابون الأمر فطردوهم فلم ينصرفوا فقاتلوهم، فاتصل الأمر بأمير عدن وبنظره، فخرجوا سراعاً وأغلقوا الباب، وأقبل المظفر وأصحابه وقد فات الأمر، وخرج إليهم أمير عدن في أصحابه فقاتلوهم، فرجع المظفر بعد ذلك إلى لحج واستولى على أبيين، وقبض على وزير أبيه محمد^(٢) بن حسان ثم أطلقه بعد أيام. ثم قدم عليه أحد الأمراء المجاهدين يقال له: بهادر^(٣) بن عبد الله السنبلبي، فالتقوا بالشرابي وقتل جماعة من العسكر، وبلغ ذلك الملك المجاهد فنزل إلى عدن بنفسه وجرّد العساكر على ولده فلم يظفر به، وأقام المجاهد بعدن إلى أن توفي بها في ٢٥ من جمادى الأولى سنة ٧٦٤هـ، ومن شعر الملك المجاهد:

نَلْتُ أَنَا الْعِزَّ بِأَطْرَافِ الْقَنَا لَيْسَ بِالْفَخْرِ الْمَعَالِي تُقْتَنِي
نَحْنُ بِالسَّيْفِ مَلَكْنَا الْيَمَنَا كُلُّ فَخْرٍ يَدَّعِي النَّاسُ لَنَا

أَعْرَقُ الْعَالَمَ فِي الْمُلْكِ أَنَا

(١) والعقارب، قبيلة كبيرة في لحج تقدم التعريف بها.

(٢) هو محمد بن حسان المجاهدي له ترجمة في: «طراز أعلام الزمن» (٤ / ١٨٤٥) برقم

(١٠١٨).

(٣) له ترجمة في «طراز أعلام الزمن» (١ / ٥٩٠) برقم (٢٦٠).

أَنَا شَيْبُلُ الْمُلْكِ زَيْنُ الْكُتُبِ يُوسُفُ جَدِّي وَدَاوُدُ أَبِي
وَالشَّهِيدُ الْقِرْمُ زَاكِي الْحَسَبِ وَعَلِيُّ الْقَيْلِ عَالِي الْمَنْصِبِ

جَدُّنَا بَعْدَ رَسُولِ جَدِّنَا

إِنْ تَكُنْ أَضَحَتْ عَلَيْهِمْ خَبْرًا فَالْعَلَى مَنِّي بِالْعَيْنِ تُرَى (١)
أَنَا كَاللَّيْثِ إِذَا مَا زَارَا أَنَا كَالْبَحْرِ إِذَا مَا زَخَرَا

الْمَنَايَا فِي يَمِينِي وَالْمَنَا

أَبْذُلُ الْمَالَ فَلَا أَجْمَعُهُ كُلُّ عَافٍ نَحُونَا مَنَجَعُهُ
وَإِذَا الْقِرْنُ طَغَى أَضْرَعُهُ وَإِذَا وَلَّى فَلَا أَتْبَعُهُ

وَإِذَا لَازَ بَعْضُي أَمَنَا

وكان الملك المجاهد قد استصحب معه في نزوله عدن ولده الأفضل لأمر
أراده الله، فأجمع الحاضرون من كبار الدولة في عدن على توليته، فبايعوا الملك
الأفضل العباس بن علي المجاهد يوم وفاة والده بعدن، وخرج بجثة والده إلى تعز،
وقبره بالمدرسة المجاهدية (٢)، ومَلَكَ الأفضل بن علي أربعة عشر عامًا، وتوفي سنة
٧٧٨هـ، وخلفه ابنه الأشرف إسماعيل بن العباس، اشتغل الأشرف بكثير من
العلوم والفنون، وصنف عدة مصنفات مشهورة، منها كتاب «العسجد المسبوك

(١) وقع في المطبوع «إن يكن» بدل «تكن» والمثبت من «قرة العيون» و«العقود اللؤلؤية».

(٢) وهذه المدرسة كانت في حَبِيلِ المِجَلِّيَّةِ شَرْقِ مدينة تعز، وهو الموضع المُقَام عليه اليوم
المستشفى الذي بناه العثمانيون (المستشفى العسكري)، وينظر «المدارس الإسلامية في

والجوهر المحكوك في أخبار الخلفاء والملوك»^(١)، وكتاب «العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية»^(٢)، وفيه يقول الإمام المطهر بن محمد بن مطهر الهدوي:

لَمْ يَعْقِدُوا تَاجًا وَلَا إِكْلِيلًا لِحَلِيفَةٍ أَبَدًا كِاسِمَاعِيلًا
الْأَشْرَفُ الْمَنْصُورُ وَالْمَلِكُ الَّذِي مَلَكَ الْبَسِيطَةَ عَرَضَهَا وَالطُّوَلَا
لَوْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ لَنَزَلَ الْ بَارِي عَلَيْهِ الذِّكْرُ وَالْإِنْجِيلَا
انظُرْ مُلُوكَ الْأَرْضِ حَوْلَ خِيَامِهِ يَقْفُونَ إِثْرَ مَدَاسِهِ تَقْبِيلَا
مَلِكٌ كَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ نَاصِرًا لِثَبَاتِ عِزَّةِ مُلْكِهِ جَبْرِيَلَا^(٣)

قال صاحب «تاريخ ثغر عدن»: وأوقف الأشرف أرضًا في وادي لحج على الشيخ القائم برباط الشيخ أبي الغيث العدني^(٤).

وفي أواخر ٧٨١هـ دخل الأشرف^(٥) عدن وأقام بها أيامًا، وكان والي لحج وعدن من قبيل الأشرف الأمير عمر^(٦) بن شجاع الدين. وتولى عدن من قبل

(١) وقد طبع في «دار البيان» بـ«بغداد» سنة (١٣٩٥هـ) بتحقيق محمود الجيزي.

(٢) المعروف أن هذا الكتاب لمؤلفه علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة (٨١٢هـ)، وهو مطبوع بتحقيق محمد بن علي الأكواع وط بـ«دار الأدب» بـ«بيروت» سنة (١٤٠٣هـ).

(٣) ينظر لما تقدم: «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية» (٢/ ١٠٥ - ١٠٧) و«قرة العيون» ص ٤٤٤ - ٤٤٦.

(٤) «تاريخ ثغر عدن» ترجمة برقم (٤٤).

(٥) هو إسماعيل بن العباس بن علي بن داود الغساني، له ترجمة في «طراز أعلام الزمن» (١/ ٥٢٥) برقم (٢٣٠).

(٦) ينظر: «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٥٤٧).

الأشرف محمد^(١) بن إبراهيم بن يوسف الجلاذ^(٢)، وكان من الرجال المعدودين المشهورين بحسن التدبير، ولم يجمع بين ولاية عدن ونظارتها في آنٍ واحد غيره.

وتوفي الأشرف سنة ٨٠٤ هـ وخلفه ابنه أحمد^(٣) الناصر بن إسماعيل، وفي أيامه تظلم أهل لحج من بعض العمال والكتّاب، وبلغ ذلك العلامة المقري^(٤)، فكتب إلى السلطان هذه القصيدة يستعطفه لأهل لحج ويرجوه أن يكشف عنها المظالم:

يَا نَائِبَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا	وَسَيْفُهُ وَالْمَحَامِي دُونَ أَهْلِهَا
وَيَا خَلِيفَتَهُ الْمُرْضِي خَلِيقَتَهُ	رَاجِي رِضَا اللَّهِ عَنْهُ حِينَ يُرْضِيهَا
إِذَا نَزَلَتْ بِأَرْضٍ أَوْ مَرَرْتَ بِهَا	وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَدْلٌ مِنْكَ يُحْيِيهَا
عَوَّدْتَ نَفْسَكَ تَفْرِيجَ الْكُرُوبِ وَهَلْ	شَيْءٌ كَتَفْرِيجِهَا عَمَّنْ يُقَاسِيهَا
رَعِيَّةٌ لَكَ فِي لَحْجٍ نُصِرْتَ بِهِمْ	لَهُمْ وَجُودَةٌ تُقَاهَا ظَاهِرٌ فِيهَا
تَنْدَى حَيَاءً وَتَحْمِيهَا سَكِينَتُهَا	عَنِ التَّكَلُّمِ فِيمَا لَيْسَ يَعْنِيهَا
يَشْكُونَ مَنْ كَاتِبٍ يُغْرِي بِسَبِّهِمْ	نَعْمَاءٌ أَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَاسِيهَا

(١) له ترجمة في «طراز أعلام الزمن» (١٧٧٨/٤) برقم (٩٦٢)، و«قلادة النحر» (٣٢٩/٦) برقم (٤١٤٤).

(٢) وقع في المطبوع: «الجلاذي».

(٣) له ترجمة في «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي» (٢٤٤/١) لابن تغري بردي.

(٤) تنظر ترجمته من «طراز أعلام الزمن» (٥١٠/١) برقم (٢٢٨).

وَحَقُّ نِعْمَاكَ أَنْ تَبْقَى مَا تُرَاهَا لِقَائِلِ رَحِمِ الرَّحْمَنِ مُشِيهَا
فَرْدَةٌ خَائِبًا عَنْهُمْ وَرُدَّهُمْ بِمَا يَدُومُ ثَنَاهُ فِي ذَرَارِيهَا

وفي سنة ٨١٨هـ حدثت بعض حوادث في عدن، ونزل الملك الناصر إلى عدن وأصلحها، وفي ذلك يقول المقري في قصيدته التي مطلعها:

شَمَمْتُ نَسِيمًا مِنْ وَصَالِكَ لَوْ هَبَّا عَلَى مَيِّتِ أَحْيَاهُ أَوْ هَرَمِ شَبَا
إلى أن يقول:

وَفِي عَدَنٍ قَامَتْ عَلَيْهِمْ قِيَامَةٌ وَقَدْ رَكِبُوا فِي قَصْدِهِ الْمَرْكَبَ
وَوَظَّنُوا بِجَهْلِ كُلِّ بَيْضَاءِ شَحْمَةً وَقَدْ أَضْمَرُوا فِي أَهْلِهَا الْقَتْلَ وَالنَّهْبَا

ثم رجع الناصر إلى زيد، وكانت وفاة الناصر سنة ٨٢٧هـ وخلفه عبد الله (١) المنصور ومات بعد ثلاث سنين، فبويع الأشرف بن الناصر (٢) وهو حديث السن، أقام بتدبيره بعض المماليك، واضطربت الأمور فخلعوه، ومَلَكَوا عَمَّهُ الظاهر يحيى (٣) بن إسماعيل سنة ٨٣١هـ، واستمر إلى أن توفي سنة ٨٤٢هـ، وملك بعده ابنه الأشرف إسماعيل (٤) بن يحيى، واستمر في الملك إلى أن توفي

(١) ولده عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن العباس، مات سنة (٨٣٠هـ) له ترجمة في «المنهل

الصابي والمستوفى بعد الوافي» (٧/٧٣)، و«قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٤٧٦).

(٢) هو الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر الغساني، له ترجمة في «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٤٧٧).

(٣) له ترجمة في «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٤٧٨).

(٤) له ترجمة في «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٤٨٦).

بعد ثلاث سنين، فملك بعده ابن عمه يوسف المظفر سنة ٨٤٥هـ^(١)، وبايع بعض الناس المفضل^(٢) بن محمد بن إسماعيل سنة ٨٤٦هـ، ثم بايع بعض الناس أحمد بن يوسف بن عبد الله بن المجاهد، وبايع بعض آخر الملك المسعود صلاح الدين بن الملك الأشرف بن الملك الناصر بن إسماعيل، وثارت فتن كثيرة وضعف أمرهم^(٣).

وكان لبني طاهر رئاسة في دولة بني رسول، وكان منهم وزراء وأمراء، فمالوا مع يوسف المظفر وحاربوا الملك المسعود، فنزل المسعود وتحصن بعدن، وقصده بنو طاهر والملك المظفر إلى عدن، وحصل بينهم قتال شديد^(٤). وما زال الملك المسعود يقاتل بني طاهر والمظفر حتى قبض حصن تعز في سنة ٨٥٥هـ، وقيل: سنة ٨٥٤، واستفحل أمر العبيد بزبيد، وأقاموا الحسين^(٥) بن الظاهر ولقبوه بالملك المؤيد، فجاء هذا إلى عدن في سنة ٨٥٨هـ، واستقر بها إلى أن دخل عليه بنو طاهر^(٦) وتسوروا الجبال وملكوا الحصون واستولوا على

-
- (١) وينظر: مبايعة أهل الحل والعقد له في «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٤٨٨).
- (٢) واسمه محمد، وإنما هؤلاء القوم هم لقبوه بالمفضل، وينظر لذلك: «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» (ص ٤٨٩).
- (٣) ينظر لذلك: «قرة العيون» (ص ٤٩٠).
- (٤) ينظر لذلك: «قرة العيون» (ص ٤٩١).
- (٥) وتنظر ترجمة حسين بن الظاهر في «قلادة النحر في وفيات أعيان العصر» (٦ / ٤١٧) برقم (٤٢٦٢).
- (٦) أي: دخل بنو طاهر - بالطاء - على ابن الظاهر - بالطاء - ولائس حينئذ.

جميع الخزائن والأموال، وانقرضت دولة آل رسول، وصار الملك لبني طاهر، ولم يغيروا على حسين بن الظاهر، بل أجزوا له النفقات والكفايات. وأخرجوا من عدن أميرها جيّاش^(١) بن سليمان السنبلي^(٢) مطرودًا.

وسبحان من له الملك والدوام

جدول

ملوك عدن من بني رسول

الوفاة	الولاية	
٦٤٧هـ	٦٢٠هـ	عمر بن علي رسول
٦٩٤هـ	٦٤٧هـ	الملك المظفر يوسف بن عمر
٦٩٦هـ	٦٩٤هـ	الأشرف عمر بن يوسف
٧٢١هـ	٦٩٦هـ	هزبر الدين داود المؤيد
٧٦٤هـ	٧٢١هـ	علي المجاهد
٧٧٨هـ	٧٦٤هـ	الأفضل العباس بن علي
٨٠٤هـ	٧٧٨هـ	الأشرف إسماعيل بن العباس
٨٢٧هـ	٨٠٤هـ	أحمد الناصر بن إسماعيل
٨٣٠هـ	٨٢٧هـ	عبد الله المنصور

(١) وتنظر ترجمة جيّاش من «فلاحة النحر» (٦ / ٤٣٣) برقم (٤٢٦٧).

(٢) وبنو السنبلي هم من أولاد المماليك الكبار كما في «قرة العيون» (ص ٤٨٠).

الوفاة	الولاية	
٨٣١هـ	٨٣٠هـ	الأشرف بن الناصر
٨٤٢هـ	٨٣١هـ	يحيى بن إسماعيل
٨٤٥هـ	٨٤٢هـ	الأشرف إسماعيل بن يحيى
..	٨٤٦هـ	فصار أمر لحج إلى الملك المسعود
..	٨٥٨هـ	ثم إلى حسين بن الظاهر

* * *

الفصل الحادي عشر

دولةُ بني طاهر - دُخُولُ علي بن طاهر عدن - حَمَلَةٌ من لَحْجٍ إلى الشَّحْرِ
 إخراجُ يافع من عدن - خلافُ عبد الباقي على السلطان - وُصُولُ البورتغال في
 البحر الأحمر - حِصَارُ البوكرك لعدن. هزيمةُ الجَرَائِسة في عدن. استقلالُ
 عامر بن داؤد بعدن. حِصَارُ الإمام المطهَّر لعدن - استيلاءُ الوزير سليمان على
 عدن.

* * *

قال في «قرة العيون تاريخ اليمن الميمون»: إن الله تعالى بفضله لما أراد
 رحمة عباده وبلاده، ومعاملة خلقه بلطفه وإسعافه وإسعاده، شيد لِلْعَدَلِ والأمن
 بنياناً، وهدم من الجور والخوف أركاناً. فهياً نزول الملك المجاهد عليٍّ وأخيه
 عامر، فنزلا من بلادهما إلى عدن وقد قررا القواعد مع أهل الدرك بتلك البلد،
 فلم يحل بينهما وبين أخذها أحد. وذلك بعد سعي شديد وجهد جهيد وصبر
 حميد، وترغيب وترهيب وتباعد وتقريب، مع مساعدة السعادة، وجريان القضاء
 بوفق الإرادة، فدخلها المجاهد علي بن طاهر ليلة الجمعة ٢٣ من شهر رجب سنة
 ٨٥٨هـ ليلاً من السور بالجبال وجماعة قليلين^(١) من أصحابه من جانب حصن

(١) كذا في المطبوع وهو كذلك في «قرة العيون» والمصنف نقله منه، وحقه أن يقال «قليلون» وقد

التعكر. ثم دخلها الملك الظافر صبيحة الجمعة من بابها وباقي العسكر، فاستوليا عليها ونَفَضًا^(١) حصونها ورتبا فيها من قِبَلِهِمَا من يثقان به. وكان المؤيد بن الظاهر بها فأحسننا إليه ولم يغيرا عليه، وجعلاه في بيت، وأجريا عليه النفقة، واشترى منه ما معه من الطبلخانات^(٢) والخيل والسلاح وغير ذلك. وأما المسعود فإنه خرج من عدن إلى العَارَةَ^(٣) ثم إلى هَقْرَه^(٤) واستجار بها عند الشيخ عبد الله بن أبي السرور^(٥) شهرين، ثم خرج إليه العبيد من زيد وراودوه على الدخول إليها معهم، فاستوثق منهم ودخلها معهم ثاني شهر رمضان. فلما خلع المسعود نفسه أرسل كبراء أهل زيد إلى الملك المجاهد إلى عدن ببذل الطاعة وتسليم الأمر إليه^(٦).

قال الكَبْسِي فِي كِتَابِ «اللَطَائِفِ السَّنِّيَّةِ»: وَتَجْهَزُ أَبُو دُجَانَةَ مُحَمَّدُ بْنُ

نَبه على ذلك محقق «قرة العيون»، وقال: إنه وجد في جميع النسخ الخطية «قليلين».

(١) وقع في المطبوع: «وقبضا» بدل «ونفضا»، والمثبت من «قرة العيون».

(٢) الطبلخانات: هي الطبول والأبواق التي كانت تستخدم وتضرب على أبواب السلاطين.

(٣) العَارَةَ: منطقة شرقي باب المنذب، وهي مركز إداري من مديرية «طُور الباحة» وأعمال محافظة لَحْج.

(٤) وقع في المطبوع: «عقرة» بالعين بدل «هَقْرَةَ» بالهاء، والتصويب من «قرة العيون»، و«هقره» بفتح فسكون، بلدة مندرسة وجبل صغير في جنوب «مَوْزَع» أشار إليها الشرجي في «طبقات الخواص»، و«الجَنَدِي» في «السلوك»، وقد عُثِرَ فِيهَا عام (٩١٠هـ) على مصكوكات ذهبية قديمة.

(٥) ينظر: «السلوك» (٣/١٦٧).

(٦) «قرة العيون» (ص ٤٩٣ - ٤٩٥).

سعيد بن فارس صاحب الشَّحْرِ إلى عدن في عدة مراكب يريد الاستيلاء عليها، فتلقاه الملك الظافر فخرج بعسكره من باب البر فأخذ أبا دجانة أسيراً ودخل به إلى عدن، وأسر معه جماعة من أعوانه سنة ٨٦٢هـ^(١). وفي سنة ٨٦٥هـ جاء الملك الظافر^(٢) إلى لحج وجمع عسكراً كثيراً فدخل عدن وجهزهم في البحر إلى الشحر، ثم عاد إلى عدن وتجهز إلى ذَمَارَ وصنعاء لمقاتلة أصحاب الإمام الناصر^(٣).

وفي سنة ٨٧٠هـ وصلت إلى الملك الظافر كتب من أهالي صنعاء وهو إذ ذاك بعدن، تتضمن استدعاه، فخرج من عدن قاصداً صنعاء، فوصل إليها ووقع بينه وبين أصحاب الإمام الناصر قتال شديد، فقتل الملك الظافر عامراً^(٤) بن طاهر في جملة مَنْ قُتِلَ. وبلغ الخبر أخاه المجاهد علي بن طاهر وهو إذ ذاك بعدن، فخرج مبادراً إلى جهة جُبْنَ^(٥) وما زال متردداً بينها وبين زبيد وعدن لإصلاح ما فسد من الأمور إلى سنة ٨٧٧هـ^(٦)، فسكنت الفتن والقتال.

وفي سنة ٨٨٣هـ توفي المجاهد علي بن طاهر في بلدة جُبْنَ وخلفه ابن أخيه المنصور عبد الوهاب بن داؤد بن طاهر، واتحدت كلمته وكلمة أهله، فقصد

(١) «اللطائف السنية» (ص ١٨٣).

(٢) هو لقبٌ لعامر بن طاهر.

(٣) «اللطائف السنية» (ص ١٨٤) وقارن به.

(٤) تنظر ترجمة عامر بن طاهر من «الأعلام» (٣/ ٢٥٢) للزركلي.

(٥) جُبْنَ: بضم ففتح فسكون مدينة في الجنوب الغربي من مدينة رداع.

(٦) ينظر: «اللطائف السنية» (ص ١٨٦)، و«قرة العيون» (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

عدن ودخلها بدون علم أهلها، وجاءت بعده العساكر وأقام بها مدة ثم انتقل إلى تعز (١).

وفي سنة ٨٨٩هـ أرسل إلى عدن أن يطلعوا له الخزانة فأطلعوا إليه خزانة وافرة من عدن، وتوجه إلى ذمار فأخذها قهراً.

وفي سنة ٨٩٤هـ توفي الملك المنصور ببلدة جبين، فخلفه ولده الملك عامر عبد الوهاب، فخرج من جَبِنَ إلى تعز فدخلها سادس جمادى الأولى، وجاءه الخبر بأن عبد الله بن عامر وأخويه محمداً وعمراً (٢) خالفوا وأخذوا حصن جَبِنَ ونهبوا أهلها، فقصدهم إلى جَبِنَ بجيش جرار، فوصلها في السادس والعشرين من الشهر المذكور، وهزم المخالفين بعد أن حاصر جَبِنَ خمسة وخمسين يوماً. وحصل في تلك الأثناء اضطراب في سائر المخالفين العامرية، وكان الشيخ محمد بن عبد الملك أميراً على عدن من قبل عمه الظافر عامر عبد الوهاب، فأمر بإخراج أهل يافع من عدن في رجب سنة ٨٩٤هـ، فأخرج منها نحو خمسمائة إنسان بين صغير وكبير، وفي هذه السنة لَفَّقَ عبد الباقي بن محمد بن طاهر جموعاً من يافع وغيرهم، وهو ممن خالف من بني عامر على السلطان عامر عبد الوهاب، فوصل إلى حج وأخذ مالا من الضامن وتوجه إلى عدن، فبرز إليه محمد بن عبد الملك بمن معه بعد أن أوصى الرُّتَبَةَ (٣) في عدن أن البلد لعامر

(١) «اللطائف السنية» (ص ١٨٧).

(٢) وقع في المطبوع «عمراً» وهو خطأ والمثبت من «قرة العيون» ص ٥٢٧، و«عمراً» لا ينصرف للعلمية والعدل كما هو مذكور في كتب النحو.

(٣) في «قرة العيون»: المرتبين في الحصون.

عبد الوهاب، فإن أعانني الله ونصرني على عبد الباقي فنحن على ما كنا عليه، وإن قُتِلت فلا تسلموا البلد إلا لمولانا عامر، وخرج.

فلما التقيا حمل عبد الباقي على محمد بن عبد الملك فتلقيه عبد أسود لمحمد فضربه بجحفة في ساعده فكسره، فولى منهزماً، وانهم أصحابه فأخذوا وأسروا ونجا عبد الباقي بنفسه. ودخل محمد بن عبد الملك بالأسارى عدن، وكانوا نحو أربعمائة، فَكَحَلَّ (١) بعضهم وقتل بعضهم (٢). وجعل السلطان عامر لخاله الشيخ عبد الله كل سنة ألف دينار من خزانة عدن.

وفي سنة ٩٠٨ هـ وصلت مراكب الإفرنج البورتغال إلى سواحل اليمن من طريق الهند فنهبوا سبعة مراكب وقتلوا أهلها (٣).

وفي سابع شوال سنة ٩١٣ هـ وصلت برشتان وثلاثة أغربة (٤) من أوائل جيوش الجراكسة في ساحل اليمن، ثم وصلوا إلى عدن، ثم ارتفعوا إلى ساحل أبين، وقدم بعدهم الأمير حسين الكردي. وفي «روح الروح» سماه: حسين المصري (٥).

(١) بِمَسَامِيرٍ مُحَمَّاةٍ بِالنَّارِ.

(٢) «قرة العيون» (ص ٥٢٦ - ٥٢٩).

(٣) «قرة العيون» (ص ١٥١).

(٤) هي آلات بحرية حربية، والأغربة مفردتها «غراب»، وقد جاء كذلك في «قرة العيون»، و«روح الروح».

(٥) وقع في المطبوع: «البصري» وهو خطأ، والتصويب هو من كتاب «روح الروح» (ص ٢٣)، وفي «قرة العيون»: «حسين أمير صاحب مصر».

قال: فلما نزلت البرشتان بالقرب من عدن أنزلوا سنبوفاً فيه رسول إلى الأمير مَرْجَانِ الظافري والي عدن من قبل عامر عبد الوهاب، فاستأذنه بالدخول إلى حُقَاتِ فأذن له، فدخل في أَدَبٍ وَاحْتِشَامٍ وَتَعَفُّفٍ وَاحْتِرَامٍ، وأرسلوا إلى الأمير مَرْجَانِ رَسُولَيْنِ، وَبَلَّغَاهُ مِنْ طَرَفِ الْقَائِدِ أَنَّهُ لَوْلَا أَنَّ السُّلْطَانَ قَانَصُوهُ أَمْرُهُ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَدْنَ لَدَخَلَ وَسَلَّمْ عَلَى الْأَمِيرِ مَرْجَانِ، ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَى جِهَةِ الْهِنْدِ لِمَطَارِدَةِ الْإِفْرَنْجِ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي الْبَحْرِ^(١) وَأَوْسَعُوهُمْ نَهَبًا وَأَخَذُوا كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا.

وفي سنة ٩١٤ هـ احترقت مدينة عدن في أول المحرّم وتلفت أموال عظيمة، وأصاب الحريق من عدن قطعة عظيمة من المدرسة السُّفْيَانِيَّةِ^(٢) إِلَى حَافَةِ^(٣) الْيَهُودِ.

وفي سنة ٩١٦ هـ وصلت هدية عظيمة لعامر عبد الوهاب من سلطان مصر. فأكرم عامر الرسول وجهاز شحنة مركب مما يصلح للملوك وأرسله لسلطان مصر.

وفي سنة ٩١٨ هـ أمر عامر عبد الوهاب بجمع غلات أوقاف وادي لحج تحت ناظر واحد، فعارضه العلماء بأن ذلك يخالف الشرع لمخالفته شروط الواقفين.

(١) وهم إنما جاءوا لِطَارِدَتِهِمْ وَعِنْدَ مَرُورِهِمْ نَزَلُوا فِي عَدَنِ وَيَنْظُرُ «قِرَةَ الْعَيْونِ» ص ٥٥٦.

(٢) نسبة إلى مؤسسها الشيخ سفيان بن عبد الله الحضوري الأيبي كما في «معجم البلدان والقبائل

اليمنية» (١/ ٧٩٥).

(٣) أي: حارة.

وفي سنة ٩٢٠هـ وصل الخبر بوصول ستة عشر مركبًا من الإفرنج قاصدين عدن، فأرسل عامر عسكريًا للمحافظة وأمر بالدعاء عليهم في القنوت والصلوات والخطب، وأمر أمير عدن بتحسينها والتغافل^(١) عنهم. فوصل الإفرنج البرتغال عدن ونزلوا إلى الساحل وأخرجوا سلالم ووضعوها على أقصر جانب من سور عدن، وطلَّعوا عليها إلى السور ودخل بعضهم إلى المدينة، فأمر أمير عدن بالخروج إليهم فخرجوا وقتلوا منهم أربعة وأسروا خمسة، وانهزم الإفرنج وأحرقوا المراكب التي كانت راسية في البندر بعد أن نهبوا ما فيها وساروا إلى جهة قَمَران^(٢) والمنذب، ثم رجعوا إلى عدن، فلم يقدرُوا على أخذها، فرموا البلد بالمدافع وأخربوا بعض بيوتها، وقتلوا جماعة في الأسواق، وانصرفوا عن عدن في شهر جمادى الآخرة^(٣).

وفي أوائل شهر رجب من سنة ٩٢٢ توجَّهت إحدى وعشرون مركبًا من الجراكسة إلى ثغر عدن بعد أن امتلكوا زبيد وأنحاءها. وكان بعدن يومئذ الأمير مرجان من قبل عامر عبد الوهاب، فوصل الجراكسة إلى عدن يوم الثلاثاء، ولما استقروا في بندر عدن لم يجدوا في مينائها مراكب، فبلغهم أن المراكب توجَّهت

(١) كذا «والتغافل عنهم» وكأنها خُدعة منه.

(٢) المراد «كَمَران» الجزيرة المعروفة بذلك.

(٣) «قرة العيون» (ص ٥٦٢) وجاء في حاشية المطبوع قول المصنف: في «تاريخ اليمن» المسمى (Ahistory of arabia) للقبطن بليغر قدم ألفنسو البوكرك على «عدن» بألف وسبعمئة جندي من البرتغاليين وثمان مائة من الهنود ونزلوا وفاضوا في البداية بالاستيلاء على بعض المواقع ثم هُزموا بعد أربعة أيام.

إلى الهند في اليوم الأول من وصولهم، فلحق الأمير سليمان بجمع من أصحابه فأدرك المركب السلطاني الهاشمي فقبض على الناخوذة والكراني وجعل فيه غيرهما، وكتب إلى صاحب الهند يخبره بأن البلاد قد صارت له، وأن الموكب^(١) إلى جهته، ثم رجع إلى عدن وجرى بينهم وبين حامية عدن حرب شديد، فرماهم أهل عدن بالسهام حتى هزموهم وأخرجوهم من البندر، وقتل من أصحاب الأمير سليمان جمع كثير، ثم تراجع الجيش المصري، فاجتمعوا مرة أخرى وحملوا على البندر فدخلوا، وانحاز عسكر السلطان عامر إلى صيرة، وبقي عسكر المصريين في أسفله يرمون بالمدافع على صيرة، ثم اجتمع العسكر العامري في عدن، وخرجوا إليهم من الباب الذي كان عند جبل النوبة، وكان البحر عارياً، فحملت العساكر العامرية على المصرية فهزموهم هزيمة عظيمة، وقتلوا منهم جمعاً كثيراً، وفر باقيهم واعتصموا بالمراكب، وقتل في هذه الواقعة ابن أخي القائد سليمان الجركس، فلما علم بقتله أخذه الغضب وعاد إلى البندر، وكان قد ضعف من في صيرة من الجنود العامرية، فلما عينوا عودته نزلوا عن صيرة ودخلوا عدن، وتحقق المصريون خلو الحصن من عساكر عامر، فطلعوه ومكثوا فيه أياماً يرمون بالمدافع إلى الدار المقابل لدار السعادة^(٢)، ثم حملوا على المدينة في الثلث الأخير من ليلة الأربعاء، فتلقاهم أهل البلد وقتلواهم من ذلك الوقت إلى طلوع الشمس. وكان العسكر المصري قد تغلب على البلد وركزوا سناجقهم على الدار التي أخربوها، فأشفق أهل البلد من ذلك وساءت ظنونهم، ثم حملت العساكر

(١) كذا في المطبوع «الموكب».

(٢) ولتحديد موقعها اليوم ينظر كتاب «صيرة» ص ٤٠٤ للأستاذ عبد الله محيرز.

العامة على العساكر المصرية وقتلوهم قتلاً ذريعاً، وأخذوهم أخذاً وبيلاً، وأخذوا سناجقهم المركوزة. وما سلم الأمير سليمان إلا على جهد جهيد وأمر شديد، ورجع إلى المراكب وأقبل السلطان عبد الملك بن عبد الوهاب أخو السلطان عامر مغيراً، فدخل عدن ليلة الجمعة ٢٠ شهر رجب، ولما تحقق المصريون وصوله إليها أصبحوا يوم السبت الحادي والعشرين من الشهر راجعين حيث جاءوا، وكانوا قد انقطعوا عن الماء، فلما بلغوا رُبَاكَ نزل منهم جماعة ليستقوا مِنْهَا وقد أعد لهم الأمير مَرَّجان كميناً هنالك، فلما نزلوا ثار عليهم الكمين وقتل منهم فوق أربعين رجلاً، وكان في رُبَاكَ أربعة مراكب راسية أخذوها عند انصرافهم، فأفلت منهم مركب وأخذوا الثلاثة الأخرى.

وفي سنة ٩٢٣هـ سلط الله المصريين على اليمن، وقتلوا عامر عبد الوهاب وأخاه عبد الملك، وبينما المصريون يفتحون اليمن ويقتلون ملوكها سلط الله عليهم السلطان سليم سلطان الأتراك العثمانيين، ففتح بلادهم وقتل وصلب خلفاءهم وملوكهم، وبلغهم ذلك إلى اليمن فسكنت ريحهم وبرد وطيسهم.

أما لَحْجٌ وعدن بعد قتل عامر وأخيه يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخر من السنة المذكورة فقد استقل بها عامر بن داود بن عامر من بني طاهر عند اشتغال الجراكسة بمناجزة الإمام شرف الدين، ولم يزل عامر بن داود مستولياً على لَحْجٍ وعدن وجهات أخرى من اليمن إلى سنة ٩٤١هـ، فَسَوَّكَتْ له نفسه امتلاك اليمن واستعادة ملك أسلافه.

قال عيسى^(١) بن لطف بن المطهر شرف الدين في كتابه «روح الروح»: ولما أراد الله فتح البلاد اليمينية والجهات العامرية تحرك عامر بن داؤد بن طاهر بقية المُلْكِ الذاهب والعز الغارب لزواله واتضاع حاله، وكان له وزير سوء هو الشريف يحيى السَّرَاجِي، وهو ممن باع الضلالة بالهدى، ونكث عهود الإمام، وكان منه أنه حَسَنَ لعامر بن داود ما حَسَنَ، فهلك المُحَسِّنُ والمَحَسَّنُ له، وذلك لما طالت إقامة الإمام في تلك الجهات الشامية، وعقب المرض الحادث في العسكر بنجران ظن أن عود الإمام وولده المطهر متعذر، فسهل لعامر قصد بلاد الإمام وإنفاذه أوامره فيها والأحكام، فوقع في نفس عامر كلامه وأسكره مُدَامَه، فتجهز الشريف يحيى السَّرَاجِي وصحبته علي بن محمد البعداني الملقب بالشرامي، فعاثت الجيوش العامرية في أطراف البلاد الإمامية. فلما بلغ الإمام الخبر أرسل الرسل إلى المطهر وهو بنجران في سكون وأمان، وتوجه لا يلوي على شيء ولا يأوي إلى فيء، حتى صَبَّحَ القوم بموكل، وقد أناخ الشريف السَّرَاجِي بها لِكُلْكَلٍ، وذلك يوم الأحد الرابع والعشرين من ربيع. فما شعر السَّرَاجِي إلا والسيوف [عليه]^(٢) مُطْلَةٌ، وغمامها مستهلة، وكان مستبعدًا وصول المطهر من نجران كما يستبعد لمس الزبرقان، فأخذهم المطهر في ذلك الحين، ولما ظفر بالشريف السراجي أسيرًا وأتوا به حسيّرًا أمر بضرب عنقه في الحال، وأذاقه الوبال، وكانت الأسارى ألفين وثلاثمائة، والرؤوس التي قطعت حال أن

(١) له ترجمة في «الأعلام» (٥ / ١٠٦) للزركلي وعلق المصنف هنا بقوله: هو حفيد المطهر

الجزار ذابح الأسرى.

(٢) زيادة من «روح الروح» والمصنف نقله منه.

دخل عليهم المطهر البلد ثلاثمائة، فأمر في الحال وهو راكب بضرب أعناق ألف من الأسارى، واستبقى ألفاً وثلاثمائة.

ولقد حدثني^(١) من شهد ذلك الموقف أنه لما أمر المطهر ضرب أعناق الأسارى رأى المطهر وهو راكب على بغلته وهم يأتون بالأسارى أفواجاً، فيقتل كل زمرة وحدها، حتى غطى الدم حوافر بغلته. ثم حمّل بقية الأسارى كل أسير رأساً وسيرهم إلى محروس صنعاء في العشر الوسطى من جمادى الأولى. وكان لوصولهم موقع عظيم، ثم إنهم وجهوا بالرؤوس والأسارى إلى محروس صعدة إلى عند الفقيه عماد الدين يحيى بن إبراهيم وكان والياً على تلك البلاد من قبل الإمام، فلما وصلت الرؤوس والأسارى إلى صعدة ذلت النفوس وانقاد النافر الشَّموس^(٢).

وقال الكبسي في «تاريخه»: وكانت الأسارى ألفين وستمائة، فأمر المطهر بقتل ألف من الأسارى، وحمّل كل أسير رأساً، وكانت الرؤوس ألفاً وثلاثمائة، والأسارى مثلها، وأرسلهم إلى والده على تلك الهيئة إلى صنعاء، فكان لوصولهم موقع عظيم، ثم وجه الإمام بالرؤوس والأسارى إلى صعدة^(٣).

وفي سنة ٩٤٢هـ نزل المطهر إلى لحج في جيش جرار وحاصر عدن فلم

(١) القائل: وقد حدثني. هو عيسى بن لطف.

(٢) «روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح» (ص ٢٤٣ - ٢٤٥)، والمصنف

يتصرف أحياناً تصرفاً يسيراً فيما ينقله.

(٣) «اللطائف السنّية» ص ٢٣١ للكبسي.

يتمكن من فتحها، ورجع عنها خائبًا، ونزل إليها في تلك السنة مرة أخرى وحاصر عدن فلم يتمكن أيضًا من فتحها، فرجع عنها.

وفي سنة ٩٤٣هـ خرج عامر بن داود في جيش ولاقاه المطهر بجيش مثله، والتقىا بِجَهَّةِ أُمِّ قُرَيْشٍ^(١) صباح يوم الأحد عاشر رجب، فانهمز عامر بن داود ورجع إلى لحج وعدن.

ذكر المؤرخون أنه لما بلغ عامر بن داود انهزام المطهر وشمس الدين من زبيد والجنود أيقن بالظفر وبلوغ الوطر، وظن أن السعد قد طالعه، وأن الدهر قد عطف عليه وراجعته، فَحَزَّبَ أَحْزَابَهُ وَجَنُودَهُ، وَعَقَدَ أَلْوَيْتَهُ وَبَنُوْدَهُ، وَقَصَدَ الْمَطْهَرَ ابْنُ الْإِمَامِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَطْهَرَ حِينَ خُرُوجِهِ مِنْ عَدَنَ وَوَصُولِهِ إِلَى أُمِّ قُرَيْشٍ قَصَدَهُ، فَلَمَّا عَلِمَ عَامِرٌ بِذَلِكَ فَارْقَاهَا إِلَى غَيْلٍ وَرَزَّانَ، وَوَصَلَ الْمَطْهَرَ ابْنَ الْإِمَامِ إِلَى أُمِّ قُرَيْشٍ فَوَجَدَ عَامِرٌ قَدْ هَرَبَ عَنْهَا، فَبَكَرَ لِاحْتِقَاءِ بِهِ صَبْحَ يَوْمِ الْأَحَدِ عَاشِرِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْعَسَاكِرُ الْمَطْهَرِيَّةُ وَالطَّوَائِفُ الْفَخْرِيَّةُ تَلَازَمَ الْحَرْبَ وَثَارَ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَ فِي الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسِرَةِ وَالْقَلْبِ. وَأَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ انْكَشَافَ عَامِرٍ وَأَحْزَابِهِ وَاسْتِيْلَاءَ الْمَطْهَرَ عَلَيَّ مَحَطَّتِهِ وَخَزَائِنَهُ وَمُضَارِبِهِ، وَقَتَلَ مِنَ الْعَبِيدِ أَوْفَرَ تَعْدِيدٍ، وَالْعَدَّ فَوْقَ أَرْبَعِمِائَةِ عَبْدٍ، وَفَرَّ نَاجِيًّا بِنَفْسِهِ، فَلَقِيَهُ فِي أَثْنَاءِ الْهَرَبِ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ فَعَرَفَهُ وَهُوَ يَمْشِي وَالْعَبْدُ عَلَيَّ فَرَسٍ جَوَادٍ، فَتَرَجَّلَ لَدَيْهِ وَأَرْكَبَهُ عَلَيْهِ، فَطَارَ عَلَيَّ ذَلِكَ الْمَهْرَ، وَأَدْرَكَتْ الْعَسَاكِرُ الْمَطْهَرِيَّةُ ذَلِكَ الْعَبْدَ فَسَأَلُوهُ عَنْ

(١) ذكر أم قريش الجندی في «السلوك» (٢/ ٥٩٠) والخزرجي في «العقود اللؤلؤية» (٢/ ٣٥) وقالوا: أم قريش قرية بني مسلمة. ولم يزيدا على ذلك.

عامر الذين هُم في طلبه فأنكر معرفته وجهل وجهته، فأتي به إلى المطهر فاستنشه الخبر فأعلمه أنه أركبه على جواده وألحقه بأجناده، فشكر له المطهر حسن معاملته مولاه، وخلع عليه وأولاه، وعاد المطهر ابن الإمام إلى جهة والده بصنعاء، ولم يبق بيد عامر بعد هذه الهزيمة من البلدان شيء غير عدن ولحج وأبين.

وفي سنة ٩٤٥ هـ كان وصول عسكر السلطان سليمان العثماني إلى اليمن، ولما حط الوزير سليمان باشا^(١) بقمران^(٢) طمع عامر بن داود صاحب عدن في نصرته على الإمام شرف الدين، وكتب إليه، فبسط له الجواب، وأوهمه المساعدة، ثم توجه سليمان باشا إلى عدن، فلما وصلها ورست مراكبه بالميناء استأذن عامر أن تدخل عساكره البلد لقضاء حوائجهم وأغراضهم. وكان سليمان باشا قد أوزع أمير أصحابه فرحان أن يغدر بالمدينة ويأخذها على صاحبها، فلما

(١) هو الوزير سليمان باشا الأرنؤطي، من مماليك السلطان سليمان، ولي وزارة مصر نحو عشرة أعوام ثم عزل عنها ثم أعيد إليها، وتعين أمير دار العساكر الموجهة إلى الهند لدفع البرتغال المغيرة في البحر على سفن تجار المسلمين، والذين حاولوا أخذ بندر عدن، ثم وصلت مراكبهم إلى جدة، وحينئذ أمر السلطان سليمان بن سليم برجوع الباشا إلى مصر وأن يعمل سفائن لركوبه وعساكره الجرارة، فعمل سبعين قاربًا وسفائن كبارًا تحمل الأثقال ورتب العساكر. وتوجه إلى الهند وعاد إلى اليمن ولم تتم له نكاية بالإفرنج، كما ذكره النهرواني من اللطائف السنية». قلت: وزيادة على ذلك افتضح في الهند بالهزيمة كما افتضح في عدن بقتل السلطان عامر ظلمًا. المؤلف.

(٢) عند الكبسي في «اللطائف السنية» ص ٢٣٧: كمران.

دخل فرحان^(١) عدن دخل على عامر إلى داره فقبض عليه وعلى جماعة من أصحابه وخدامه وأرسل بهم إلى سليمان باشا، فلما وصلوا إليه أمر بشتقهم وصلبهم ثلاثة أيام^(٢). ولما ملك الباشا عدن كتب إلى الإمام يعرفه بوصوله وامتلاكه عدن وزبيد، وأنه إنما قتل عامراً لما بلغه من أنه يريد بيع عدن إلى الإفرنج. قال الكبيسي: ولا صحة لذلك. اهـ. وانقرضت دولة بني طاهر. قال بعض الشعراء^(٣) يرثي عامر عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

أَخْلَايَ ضَاعَ الدِّينُ مِنْ بَعْدِ عَامِرٍ وَبَعْدَ أَخِيهِ أَعْدَلِ النَّاسِ فِي النَّاسِ
فَقَدْ فُقِدَا^(٤) وَاللَّهُ، وَاللَّهُ إِنَّنَا مِنَ الْأَمْنِ وَالسُّلْوَانِ فِي غَايَةِ الْيَاسِ

وقال غيره^(٥):

تَحَطَّمَ مِنْ رُكْنِ الصَّلَاحِ مَشِيدُهُ وَقَوَّضَ مِنْ بُنْيَانِهِ كُلُّ عَامِرٍ
فَمَا مِنْ صَلَاحٍ فِيهِ بَعْدَ صَلَاحِهِ وَلَا عَامِرٍ وَاللَّهُ مِنْ بَعْدِ عَامِرٍ

(١) وقع في المطبوع «فرحات» بدل «فرحان»، والمثبت من «اللطائف السنيّة» للكبيسي والمصنف نقل النص منه و«روح الروح» لعيسى لطف.

(٢) انظر: «غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة» (ص ٨٠) من الفصل الثالث. و«اللطائف السنيّة» ص ٢٣٧ و«روح الروح» ص ٢٦١.

(٣) هو عبد الرحمن الديبع وقد ذكره في كتابه «قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون» ص ٥٧٧.

(٤) وقع في المطبوع «فقدوا»، والمثبت هو الصواب كما هو في «البدر الطالع» من ترجمة عامر بن عبد الوهاب برقم (٢١٩) بيد أنه عند الديبع في قرّة العيون «فمُدَّ عُدْمًا»، وعلى كل حال الذي في المطبوع خطأ؛ لأنه بضمير الجمع والصواب بضمير المثني.

(٥) عزاها ابن العماد في «شذرات الذهب» (٨ / ١٢٤) للديبع.

وقال غيره:

لَمْ نُشَاهِدْ لِعَامِرٍ قَطُّ فِي يَمَنٍ قَدْ رَأَيْنَا مِنَ الْمُلُوكِ نَدِيدًا
عَاشَ فِي مُلْكِهِ سَعِيدًا حَمِيدًا وَتُوُفِّيَ بَرًّا تَقِيًّا شَهِيدًا
بَوَّأَ اللَّهُ رُوحَهُ جَنَّةَ الْخُلْدِ دِ وَأَعْطَاهُ مِنْ رِضَاهُ مَزِيدًا
فَلَقَدْ كَانَ لِلْوُجُودِ صَلاَحًا وَلِدِينِ الْإِلَهِ رُكْنًا مَشِيدًا

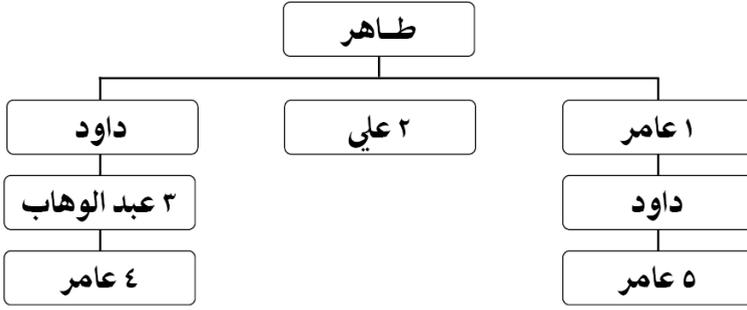
وكانت الدولة الطاهرية آخر الدول الشافعية الكبرى التي حكمت جميع اليمن وامتحتت بمحاربة البور تغال والجراكسة والأتراك من الخارج، وَفَتَنِ أُمَّة الزيدية وَثَوَّرَتِهِمْ مِنَ الدَاخِلِ.

فَلَوْ كَانَ رُمَحًا وَاحِدًا لَا تَقِيَّتُهُ وَلَكِنَّهُ رُمُحٌ وَثَانٍ وَثَالِثٌ

جدول

ملوك بني طاهر

مات أو قتل	تولى	
٨٧٠	٨٥٨	الظافر عامر بن طاهر
٨٨٣	٨٧٠	المجاهد علي بن طاهر
٨٩٤	٨٨٣	المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر
٩٢٣	٨٩٤	عامر عبد الوهاب
٩٤٥	٩٢٣	عامر بن داود



وسبحان مالك الممالك

* * *

الفصل الثاني عشر

دولة الأتراك في لَحْجٍ وعدن. تَغْلِبُ علي بن سليمان علي عدن. طَمَعُ البورتغال في عدن. ثُورَةُ سكان عدن علي الأتراك. اسْتِرْدَادُ بيروي رئيس لعدن. الرَّعَارُعُ عاصمةُ لَحْجٍ. أولُ سفينة بريطانية في عدن. أسْرُ الأُمَرال هنري في عدن. دولة يافع في لَحْجٍ وعدن. دولة الزيدية في لَحْجٍ وعدن. غَنَائِمُ أحمد بن الحسن من لَحْجٍ. الشافعيةُ كفارُ التأويل. حَرْبُ الشافعية والزيدية. دَوْلَةُ آلِ هَرْهَرَةَ. اختلالُ أمر الدولة الإمامية. البعثةُ الفرنسية في عدن. عُمَالُ الإمام ومشايخُ لَحْجٍ. استقلالُ لَحْجٍ.

* * *

صار أمر لَحْجٍ وعدن من سنة ٩٤٥هـ إلى الدولة العثمانية، ثم اشتغلت عساكر السلطان سليمان بمحاربة أهل اليمن الأعلى وغفلت عن عدن ولَحْجٍ، فتغلب علي عدن علي بن سليمان البدوي صاحب خَنْفَرٍ في سنة ٩٥٣هـ.

قال الكَيْسِي في «تاريخه»: وفي سنة ٩٥٣هـ تجهزت العساكر السلطانية لترادف علي عدن، ثم جاءتهم غارة من حضرة داود باشا من مصر، ودخل بهم القبطان عدن قهراً بالسيف، وقتل المتغلب عليهم علي بن سليمان البدوي^(١).

(١) «اللطائف السنيّة» ص ٢٣٩ للكَيْسِي.

وذكر بعض المؤرخين^(١) أن العساكر السلطانية تجهزت على عدن سنة ٩٥٣هـ وحاصروا علي بن سليمان البدوي فيها، وكان قد عقد بينه وبين الإفرنج محالفة بأن يكونوا على السلطنة يدًا واحدة، وما برحت أجناد سلطان الإسلام تجهز على عدن حتى دخلت سنة ٩٥٤هـ فأتتهم الإمدادات من حضرة داود باشا من مصر وأخذوا عدن، وقتل علي بن سليمان البدوي وأكثر من معه. اهـ.

وكان الوزير سليمان قد أقيم يومئذ قبطان باشا في ميناء السويس لتعزيد تحكم الدولة العثمانية في بحر الهند، وإجبار البورتغاليين على احترام البيرق السلطاني، وإنفاذ سيطرته على جميع سواحل بلاد العرب. وكان الاستيلاء على عدن من أجل مقاصد البورتغاليين، فلذلك وجه (الفسو البوكرك) همه لإنفاذ هذا المقصد، فجاء إلى عدن سنة ٩٢٠هـ كما تقدم، وضرب البلد بالمدافع مرتين، ولم يتيسر له الاستيلاء عليها. وفي «تاريخ أوروبا الحديث» أن البوكرك شرع في إعداد حملة كبيرة للاستيلاء على عدن آخر مطامعه، فهلك قبل أن يتم مأربه، وذلك في جوا^(٢) عام ١٥١٥م توافق سنة ٩٢١هـ.

قال: وحافظ خلفاء البوكرك على توطيد ملك البورتغال في الشرق وزيادة البورتغال نفوذهم فيه، ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على عدن. اهـ.

وفي «دائرة المعارف» لفريد وجدي وبعض التواريخ الإفرنجية أن العدنيين كانوا قد تأثروا من قتل سليمان باشا لأميرهم عامر بن داود غدراً، فثاروا على

(١) وينظر: «غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة» (ص ١٠٠ و ١٠٢ و ١٠٣).

(٢) جوا (Goa) بلد البورتغال في الهند. المؤلف ولزيادة معرفة عنها ينظر «ويكيبيديا».

عسكر الحكومة التركية بالاتفاق مع البورتغاليين، فلما وصل الخبر إلى الدولة أرسلت سنة ٩٥٩هـ عمارة إلى البحر الأحمر تحت قيادة بيرى رئيس، مؤلفة من ثلاثين سفينة فاستردت عدن. اهـ. وكانت الرَّعَارِعُ عاصمة لَحْجٍ على عهد الأتراك العثمانيين، ومن آثار الأتراك بلحج قبة الولي السيد عبد الله بن علي السقاف بالوَهْطِ، أمر بنائها وبناء المسجد محمد مصطفى. وفي الشيخ عثمان الدَّوِيلِ موضع يقال له: دَارُ الزُّمْرِ، فلعله من بناء إزدمر باشا الذي ولي اليمن سنة ٩٥٤هـ وسنة ٩٥٦هـ، وفي صنعاء مسجد الزُّمْرِ^(١) يقال: إنه من بنائه أيضًا، وربما كانت «دار الزمر» في «الشيخ عثمان» من بناء شمس الدين إزدمر الذي قاد الجيش على ظفار في عهد الملك المظفر من بني رسول.

وفي سنة ١٠١٨هـ زارت عدن السفينة البريطانية المسماة (أوسنشن) بقيادة القبطان (شاركي)، فحبس الأتراك القبطان شاركي وحجزوا الأموال التي في السفينة. وفي سنة ١٠١٩هـ أرسلت حكومة الهند (السر هنري مادلتن) إلى عدن ومعه ثلاث سفن، فأظهر له الأتراك الترحيب ثم غدروا به وقتلوا ثمانية من رجاله وساقوه أسيرًا إلى صنعاء في جماعة من أصحابه، وهاجموا سفنه بثلاثمائة وخمسين مقاتلاً، فلم يتمكنوا من الاستيلاء على السفن. ثم إن الأتراك أطلقوا الأميرال المذكور وأصحابه وأندروهم أن لا يعودوا إلى عدن. ولما ضعف أمر العثمانيين في اليمن وكثرت مشاكلهم فيها استولى على لحج وعدن وأبين سلاطين يافع. وفي سنة ١٠٤٣هـ جهز الباشا قانصوه يريد استرجاع عدن، فاشتغل بمحاربة الأئمة الزيدية بتهامة.

(١) وهذا المسجد فات الحجري ذكره في كتابه «مساجد صنعاء عامرها ومُؤَفِّها».

جدول

من خضعت لحكمهم لحج وعدن من سلاطين آل عثمان

إلى الوفاة	من	
٩٧٤	٩٤٥	السلطان سليمان
٩٨٢	٩٧٤	السلطان سليم الثاني
١٠٠٣	٩٨٢	السلطان مراد الثالث
١٠١٢	١٠٠٣	السلطان محمد الثالث
١٠٢٦	١٠١٢	السلطان أحمد الأول
١٠٢٧ خُلِعَ	١٠٢٦	السلطان مصطفى
١٠٣١	١٠٢٧	السلطان عثمان الثاني
...	١٠٣١	السلطان مصطفى (مرة أخرى)

وصار أمر لحج وعدن وأبَيَّنَ إِلَى يَافِعٍ، تولى أمرها الحسين بن عبد القادر، ثم في سنة ١٠٥٤ هـ وصلت الأجناد الإمامية إلى لحج وعدن.

قال (الكبسي) في «تاريخه»: وفي شهر شوال من هذا العام جهز الإمام ابن أخيه صفي الإسلام أحمد بن الحسن ابن الإمام علي بلاد الأمير حسين بن عبد القادر وهي عدن ولحج وأبين، وكان الصفني مع وصوله إلى هذا الأمير اطلَّعَ من سيرته علي ما يقبح من الأمور، وذكر أنه سأل الله تعالى حين عقد التوبة عن

الخلاف على عمه المؤيد أن يجعل فتح هذه البلاد على يده. فلما وصل إلى تلك الديار شب على الأمير حسين سكير^(١) النار وأحاط ببلاده وأوراها أجناده، فاقتدح الأمير زندًا ولم يترك من الجِلَاد جهدًا، ثم إن الصفي شد له شدة الهصور، وأحاطت به أجناده إحاطة السور، فكانت الهزيمة فيه وفي حزبه، وخرج من مملكته مصاحبًا لكربه، واستولى الصفي على خزائنه وذخائره، وفر هو إلى بلاد يافع، ثم إن الصفي ولَّى الولاة على البلاد وعاد إلى صنعاء.^(٢)

وفي كتاب «بغية المرید وأنس الفريد»^(٣) في ترجمة حياة الإمام أحمد بن الحسن ما لفظه أو معناه: قال مؤلفه: وأنكر عليه بعض العلماء كثرة ما بيده من الأموال عند بيعته، فأبرز أحمد بن الحسن مرقومًا بختم الإمام المتوكل بأنه وهبه جميع الأموال والغنائم التي غنمها من لحج ومن أموال الأمير عبد القادر اليافعي. قال أحمد بن الحسن: وكل ما ترونه بيدي وأتقلب فيه من نعمة المال هي من تلك الغنائم التي غنمناها نحن والمجاهدون من أموال ذلك الأمير وأصحابه الذين تعتقدونهم عاطلي المذهب، أما أنا فأعتقدهم من كفار التأويل،^(٤) ثم إن

(١) وقع في المطبوع «سعر»، والمثبت من «تاريخ الكبيسي» المعروف بـ«اللطائف السنينة» والمصنف نقل النص منه.

(٢) «اللطائف السنينة» ص ٣٥٧ للكبيسي.

(٣) لمؤلفه عامر بن محمد الرشيد.

(٤) وكتب مرة إلى الإمام كتابًا قال فيه: «إنه يرى فقهاء الشافعية يؤثمون الناس في مساجد تعز وغيرها مع وجود فقهاء الزيدية مثل السيد عبد الهادي المحرابي في الصف ويعلمون عقائدهم الخبيثة في مدارسهم ومساجدهم»، قال: «وإن عُذر الأئمة من قبلك واضح لعدم تمكن الوطأة

الإمام المتوكل وجه أحمد بن الحسن في سنة ١٠٦٥ هـ إلى جهة البيضاء، وفتحها بعد حرب هائل، اجتمع فيه الرصاصي واليافعي والعولقي والجُرشي، وقتل فيها حسين الرصاصي، وهُزِمَ مَنْصَرُ العولقي، فدانت البلاد للإمام المتوكل. قال ابن مطهر في كتاب «الرضوان»: وقد دخل تحت طاعته جميع السلاطين حتى حضرموت وعدن وتابعه شريف مكة. اهـ. وقد ذكر تلك الفتوحات القاضي علي بن صالح بن أبي الرجال في أبياته التي رثى بها الإمام أحمد بن الحسن وكتبت على ضريحه سنة ١٠٨٢ هـ:

وَخَيْرُ إِمَامٍ عَابِدٍ مُتَبَتِّلٍ (١)	إِمَامُ الْهُدَى الْهَادِي وَأَفْضَلُ قَائِمٍ
وَيَكْشِفُ عَنْ سُكَّانِهَا كُلِّ مُشْكِلٍ (٢)	وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَحْمِي الدِّيَارَ بِعَزْمِهِ
وَمَهَّادَهَا لِلْقَائِمِ الْمُتَوَكَّلِ	فَطَهَّرَ أَقْطَارَ الْبِلَادِ بِسَيْفِهِ
يُظَلِّلُهُ فِيهَا عِجَاجَةً قَسَطَلِ	فَحَاصِرَ صَنْعًا عِنْدَ ذَاكَ بِجَحْفَلِ
بِكُلِّ فَتَى مَاضِي الْعَزِيمَةِ فَيَصِلِ	وَسَارَ إِلَى لَحْجٍ وَأَطْلَالِ خَنْفَرِ
فَزَحْرَحَ عَنْهَا مُعْضَلًا أَيَّ مُعْضَلِ	فَأَصْلَحَهَا ثُمَّ انْتَشَى نَحْوَ صَعْدَةِ
فَصَارَتْ عَنِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ بِمَعْزِلِ	وَأَمَّ بِلَادَ الْجَوْفِ وَالْخَوْفُ قَدْ طَمَا
جَوَانِبُهُ مَسْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ	وَسَلَّ عَلَى الرَّصَاصِ فِي الْحَرْبِ صَارِمًا

فما عذرک عند الله في السکوت عن ذلك وقد تمكنت الوطأة».

(١) الذي في «بغية المريد»: «إمام الهدى المهدي» و«عالم» بدل «عابد».

(٢) وقع في «المطبوع»: «الزمان» بدل «الديار»، والمثبت من «بغية المريد»، والمصنف نقل منه.

فَغَادِرُهُ مُتَأَلِّقًا تَحْتَ خِدْرِهِ
 وَفِي يَافِعٍ لَمْ يَبْقَ لِلْقَوْمِ نَافِعٌ
 وَفِي آلِ فَضْلِ لَمْ يَدْعُ مِنْ كُمَاتِهِمْ
 وَفِي حَضْرَمَوْتٍ فَلَّ حَدَّ جِيُوشِهِمْ
 وَقَادَ إِلَى أَطْلَالِ حَجَّةٍ أَذْرَعًا
 وَمَالَ إِلَى ذِيْبِينَ بَعْدَ فَسَادِهَا
 وَفِي الْأَبْرَقِ الْفَرْدِ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ
 وَسُفْيَانُ أَنْفَاهَا بِسُوءِ فِعَالِهَا
 كَبِيرَ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ (١)
 مِنَ السَّيْفِ فِي يَوْمٍ أَغْرَّ مُحَجَّلٍ
 سِوَى هَالِكٍ تَحْتَ الْقَنَا أَوْ مُغْلَغَلٍ (٢)
 وَحَكَّمَ بِيضَ الْهِنْدِ فِي كُلِّ مَقْتَلٍ
 بِكَفِّ الْأَيْدِي جَحْفَلًا بَعْدَ جَحْفَلٍ (٣)
 فَمَزَقَهُمْ بِالسَّيْفِ فِي كُلِّ مُسْهَلٍ
 سَقَى الْقَوْمَ فِي الْهَيْجَا عَصَارَةَ حَنْظَلٍ (٤)
 بِسُمْرٍ رِقَاقٍ مِنْ قَنَا الْحَطِّ ذُبَلٍ (٥)

ولنذكر هنا طرفاً من قصة استيلاء الزيدية على جانب من يافع وأطرافها وحضرموت والعوالق، والأسباب التي دعت إلى ذلك، نقلاً عن «اللطائف السنينة» للكبسي بنصه وفصه على ما فيه من التطويل الممل بالسجع الثقيل على الطبع؛ إتماماً للفائدة.

قال الكبسي عند ذكر خلاف أحمد بن الحسن على عمه المؤيد: وكان

(١) في «بغية المريد»: «فغادره يوم اللقا».

(٢) وقع في المطبوع: «لم يرج» بدل «لم يدع»، و«أو مقلقل» بدل «مغلغل»، وصوبته من «بغية المريد».

(٣) وقع في المطبوع: «وعاد إلى الأطلال» وكذلك «جَحْفَلٌ بعد جحفل»، والمثبت من «بغية المريد»، والمصنف نقل النص منه وكذلك السياق يقتضي ذلك.

(٤) كلمة «ذكره» سقطت من المطبوع، والمثبت من «بغية المريد».

(٥) ينظر «بغية المريد» ص ٢٨٥ وما بعدها من ترجمة أحمد بن الحسن المهدي.

أحمد بن الحسن قد قصد قعطبة فتبعوه إلى نقييل الشَّم، فوقع الحرب في تلك العقبة، واصطدم الفريقان واختلط الجندان، وكان يوماً مشهوداً، انهزم في آخره أحمد بن الحسن، فانتهبت العسكر الإمامي أنقاله، وقتلت رجاله، فترجَّح له العزم بوجوه أعيانه إلى حضرة الأمير الحسين بن عبد القادر صاحب عدن وأبين، فبقي عنده زماناً ولقي منه إحساناً، ولم يزل عنده بمحل رفيع إلى أن وردت إليه إشارة المؤيد يقول له: أرسل إلينا الولد أحمد، فأحس بعد ذلك انحرافاً^(١) من الأمير الحسين ونوع ترفع دون احتمالاه عنه الصفي، فلاقاه الحسين ففارقه عَجلاً وأنشد لسان حاله متمثلاً:

وَلَا يُقِيمُ عَلَيَّ ضَمِيمٌ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ^(٢)

وقصد بلاد يافع فرأى منهم نهاية المرام وغاية الإعزاز والاعتصام. قال: وفي هذه السنة - يريد سنة ١٠٥٢هـ - أرسل الإمام إلى بلاد يافع القاضي أحمد بن الحسن الحَيَّي يسعى في استمالة ابن أخيه أحمد بن الحسن للرجوع إلى دياره، فأسعده أحمد والعودُ أحمدُ، ولما وصل حضرة الإمام ظهر منه الابتهاج واستقامة الاعوجاج^(٣). قلت: الظاهر أن صفي الإسلام أحمد بن الحسن هو الذي أغرى

(١) وقع في المطبوع «انحراف»، وهو خطأ، وجاء على الصواب في «اللطائف» للكبيسي.

(٢) وقع في المطبوع: «غير» بدل «عير»، والمراد بـ«العير» هنا: الحمار، وغلب على الوحشي والمناسب هنا الأهلي، وللفادة ينظر: «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» (٢/ ٣٠٦) لأبي الفتح العبَّاسي، ومعنى هذا البيت: أنه لا يقيم على ضميم - أي: ظلم - ويراد ذلك الظلم بذلك الأحد إلا الأذلان أحدهما الحمار الوحشي والأهلي والآخر الوتد.

(٣) «اللطائف السنينة» ص ٣٥٠ - ٣٥١.

عمه بالاستيلاء على بلاد الأمير حسين بن عبد القادر الياضي وفتح باب المشرق، فقد ذكروا أنه سأل الله تعالى حين عقد التوبة عن الخلاف على عمه المؤيد أن يجعل فتح هذه البلاد على يده.

قال الكسبي: وفي سنة ١٠٦٤هـ خطب بدر^(١) بن عمر الكثيري صاحب حضرموت للإمام، فقبض عليه ابن أخيه بدر^(٢) بن عبد الله بن عمر وكبراء دولته وخلعوه عن الأمر، ووضعوه في الحديد، وأطالوا له الزجر والتهديد، ونصّبوا ابن أخيه المذكور في دسته، وأقاموه في تخته، وحين بلغ الإمام ما صنعوا همّ بالتجهيز عليهم وقدم الرسائل إليهم. قال: وفي سنة ١٠٦٥هـ في شهر صفر أمر الإمام بحشد الجنود وأرباب البنود إلى بني أرض^(٣) لإصلاح فاسدها وتقويم خاربه^(٤)، لأجل الدخول إلى حضرموت، لإنجاد بدر بن عمر، ومنعت بلاد الرصاص ويافع وبلاد العولقي والجريشي والواحدي والفضلي عن المضي من بلادهم، فجَدَّ^(٥)

(١) له ترجمة في: «الأعلام» (٢/ ٤٥ - ٤٦).

(٢) له ترجمة في: «الأعلام» (٢/ ٤٥).

(٣) وبني أرض هم من قبائل سَرُو مَدْحِج في البيضاء المسماة بَنِي عَلِيٍّ وَزَن «مَسُور»، وكانت فرقة من هذه القبيلة قد استوطنت حضرموت مع قبائل يافع حِلَّانَ منطقة «القطن»، وقد تصحف اسمهم «بَنِي عَلِيٍّ» على أهل حضرموت فقالوا: «بني أرض»، وهو الاسم الذي اشتهروا به في وادي حضرموت وصارت النسبة إليهم «أرضي» أو «لرُضي»، وينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ٥١).

(٤) وقع في المطبوع: «جارجها» بدل «خاربه»، والمثبت من «اللطائف السنية»، والمصنف نقل النص منها.

(٥) وقع في المطبوع: «فَحَدَّ»، بالحاء، والمثبت من «اللطائف».

الإمام إلى جهادهم، فاجتمع لأولاد أخيه^(١) زهاء عشرة آلاف من مقاتلة الرجال، وألف عنان من الخيل وجزيلها لعز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام، فأنفذ قبل ذلك رسائله إلى الشيخ حسين الرِّصَّاص لأنه أول قُفْلٍ لتلك الأقفاص، وكتيبة في تلك العراض، فلما علم الرصاص بما أجمع عليه الإمام شمخ وبرز بروز ليث العرين، وحشد قبائل البلاد، وحرَّض على التَّأَهُبِ^(٢) في غورها والنجاد، وتَصَوَّرَ أن نفوذ العسكر إلى خلفه دلالة على عجزه وضعفه، فركز نفسه هدفاً للحسين، وانتقش في ناعوره قول أحمد ابن الحسين:

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يَلَاقِي الْمَنَابَا كَالِحَاتٍ وَلَا يَلَاقِي الْهَوَانَ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

فترتَّبَ هو والعوَلقي بعسكرهما بنجد السَّلف، وحجَّي^(٣) ببقية السلاطين أماماً وخلف، وكان قليل من أصحاب الإمام قد نفذوا إلى الزَّاهر، وهي مما غلب عليها الرِّصَّاص، وكانت في الأصل للقائفي، ولما سئم الرِّصَّاص من الانتظار بادر إلى ذي كرت^(٤) بجيش جرار، فرَّقِي^(٥) أولاد الإمام بنفوسهم على نجد السَّلف، وبادروا إليه يوم الخميس رابع ربيع الأول من سنة ١٠٦٥هـ، وانفَضَّ جمعهم بكَرِهِ على الشيخ حسين ومن إليه، فقصد الصفي مركزه وهو المقام الأول

(١) وقع في المطبوع: «أخويه»، والمثبت من اللطائف، والمصنف نقل النص منه.

(٢) وقع في المطبوع: «التعهد»، والمثبت من «اللطائف».

(٣) وقع في المطبوع: «صَحِّي»، والمثبت من «اللطائف».

(٤) في «اللطائف»: «كرث» بالثاء.

(٥) أي: صعَدَ.

والمركز المعدل، فاشتجرت الرماح واشتد الكفاح، واختلفت الرصاص، ونادى لسان الحال وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. وقد أبان الصفي عن تحليق العقاب، وشجاعة أبيه حيدر حين اقتلع الباب، فانخذل عن الرَّصَّاصِ مَنْصَرَّ العولقي، وتأخر عن الحرب الذي لقي^(١)، وتبعه قبائل يافع بمن بقي، وثبت الكفاح على الرصاص، وصار دريئة الرماح وهدفاً للرَّصَّاصِ.

وأمر الصفي أصحابه بترك الرمي، فاخترطوا السيوف وأقبلوا على الحتوف، واختلط الفريقان، حتى أغبر الدَّو، واصطدمت الهامات في الجو، فانجلت المعركة عن قتل حسين الرَّصَّاصِ وجميع من ثبت معه، فحمل رأسه بعد قَطْعِهِ بِالْحُسَامِ، إلى أن مثل به في حضرة الإمام، وانهمز أخوه^(٢) صالح الرَّصَّاصِ بِحَشْمِهِ وَحَرِيمِهِ^(٣) إلى البيضاء، وانتهدت العسكر جميع ما في مخيم الرَّصَّاصِ، ثم واجه بعد ذلك صالح الرَّصَّاصِ على بلاده وقبائله، وكان محمد بن الحسين حال أن تقدموا للصدِّام قد خرج عن بطن الوادي في الميمنة، فلم يصل إلا وقد انجلت المعركة بقتل الرَّصَّاصِ وحزبه، فأسف على عدم حضوره هذه الحروب، فتوجه من حينه على البلاد اليافعية، فسار إلى الخلفة ببعض الأجناد، واستقر بها يومين، ثم تقدم في نهار الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة إلى ذيل (جَبَلِ العُرِّ) لاستخراج يافع، فوقع حرب قُتِلَ فِيهِ جَمَاعَةٌ من عسكر محمد بن الحسين، ثم حملوا على أهل العُرِّ في سفح الجبل فهزموهم إلى أعلاه، والقتل والضرب في

(١) في «اللطائف»: «وتأخر عن الحرب بالذُّل الذي بقي».

(٢) وقع في المطبوع: «أخوة»، والمثبت من «اللطائف».

(٣) وقع في المطبوع: «الجنيمة وحزيمه»، والمثبت من «اللطائف».

أعقابهم، ثم طلع عسكر الإمام عليهم قهراً، واستولى محمد بن الحسين على الجبل، ودخلوا الجنود بلاد مَرَفَدٍ^(١)، ولما غلب قبائل يافع باستقرار أصحاب الإمام بِمَرَفَدٍ اجتمعوا من كل أوب، وأحاطوا بِمَرَفَدٍ، فكتب محمد بن الحسين إلى الصفي، فبادره بالغارة والجيوش الكرارة، فلما ضربت طبوله ولَّت يافع الأدبار، وحق عليهم البوار، ثم طلبوا الأمان، فبذل لهم، ودخلت الأجناد المَوْسَطَةَ^(٢)، وصلحت أمر يافع، وسكنت الزعازع، وعاد الأمر إلى حضرة الإمام، وأمروا على البلاد السيد شرف الدين بن المطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين، وكان رأي الإمام عدم مسارعة الأمراء إلى الوفود، وأن يلبثوا بالجنود.

ولما بلغ السلطان الذي في حضرموت هذا النصر الجسيم والفتح العظيم أطلق عمه من الترسيم، وأشهر بطاعة الإمام، وإظهار الخطبة والائتمام، فأرسل الإمام الأمير صالح بن حسين الجَوْفِي إلى تلك الديار، فوجد الأمر على حقيقته^(٣)، ووجّه إلى بدر بن عمر ولاية ظفار، وجعل الإمام ولاية البيضاء ويافع إلى ابن أخيه الحسين بن الحسن، فاستمر على ولايتها من رداع إلى أعمال صاحب حضرموت.

(١) وقع في المطبوع: «مَرَفَد»، والمثبت من «اللطائف»، والمصنف نقله منه، ومَرَفَد: قرية مشهورة في بلاد يافع، والنسبة إليها «مَرَفَدِي».

(٢) المَوْسَطَةُ: حَلْفٌ قَبْلِي في يافع عاصمتهم بلدة القدمة حيث مقر شيوخهم آل النقيب، ولمزيد معرفة عن ذلك ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢ / ١٦٨٤).

(٣) وقع في المطبوع: «على حقيقة»، والمثبت من «اللطائف»، والمصنف نقل منه.

وفي سنة ١٠٦٨ هـ غدر صاحب حضرموت بدر^(١) بن عبد الله بعمه بدر بن عمر وأخرجه من ظفار، فوصل إلى الإمام للانتصار، فأكرمه الإمام وأوعده بلوغ المرام، وبقي في الحضرة مكرماً حتى كان في شهر جمادى الأولى من سنة تسعة وستين برز الإمام في المنشيّة^(٢)، وضرب فيها الوطاق^(٣)، ووصله إليها عز الإسلام محمد^(٤) بن الحسن بن المنصور، فأجمعا على اصطفاء الصفي لفتح حضرموت والشحر المشهور أحمد بن الحسن بن المنصور، وفي الخامس تهاً الصفي وسار إلى وادي السر بمخلاف خولان، ثم منه إلى مخوان، ثم إلى رعوان، ثم سار إلى مأرب وبيحان، ثم دخل أطراف بلاد العولقي، فوصل بلدة واسط^(٥)، ثم سار إلى وادي حجر، ثم تجرد من حجر تجرد الحسام، وقد كان سلطان حضرموت قدم عسكرياً إلى أعلى عقبة حجر لمنع أحمد بن الحسن عن صعودها، فطلع عليهم العقبة ففروا عن مراكزهم وانهمزم، فقدم السلطان ومهد لمن بعده هذه الفعال، فصنعوا صنعة حذو النعال بالنعال.

واستولى الصفي على خزائنه وأزواده، ودخرته وإمداده، وهذا المحل

(١) تقدمت الإحالة إلى ترجمته قريباً، وقع في «الطائف»: «زيد» بدل «بدر».

(٢) ينظر «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/ ١٦٥٣).

(٣) الوطاق: لفظ تركي بمعنى النجمة الكبيرة أو المخيم أو الغرفة، «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» ص ١٥٥.

(٤) وهو أخو الذي بعده، وقع في المطبوع: «أحمد بن الحسين» بدل «الحسن»، والمثبت من اللطائف.

(٥) هي قرية كبيرة بوادي مَرَحَه من مديرية نِصَاب وأعمال محافظة سَبُوء.

يقال له: «ريدة أبا مسدوس»، وعند ذلك طلعت على الصفي طلائع الانتصار، وتواردت إليه قبائل تلك البلاد. ثم تقدم إلى بلاد الهَجْرَيْن ولم يبق إلى محل السلطان عمر غير مسافة يومين، فتلقيه الحضارم ركباً ورجالة، وقاتلوا عن منصب سلطانهم لا محالة، فأطلقت عليهم الرصاص المذابة، ووجه إليهم الردى أسبابه، فقتلوا في الأودية والشعوب، وجُروا^(١) على الأذقان والجنوب، وانهمز السلطان من هَيْنَن^(٢) إلى شبام، وقد طرأ عليه بساط الأحكام، ودخل الصفي هَيْنَنَ واغتنم ذخائر السلطان ثم عطف على شبام، وأخذها سلاماً بسلام، وهي عين مدائن الإسلام، فاستولى الصفي على منازل ذلك (البندر)، ولما سقط في يد السلطان عاد إلى الطاعة بعد العصيان، وصلحت الأحوال، ورجع الصفي في أنعم بال، وأطيب حال، وأرسل الصفي بالسلطان بدر إلى حضرة الإمام، فاستبقاه الإمام أياماً ثم فسح له إلى دياره، وتوفي بجهته بعد عوده إليها. انتهى كلام الكبسي^(٣).

فلقد فصل حديث الفتح وأقع، ونثر وسجع، وأبرق ولمع، وأرعد وقعقع، وهول وأفجع، ثم خرج من الحلبة البيانية ولم يذكر لنا عن قصة خاتمة الدولة الزيدية في حضرموت ويافع وملحقاتها شيئاً إلا بالتلويح المختصر، فقال عند ذكر الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل: وعرض بعد عودته خلاف يافع، ووقعت

(١) كذا هنا «جُروا»، وفي «اللطائف»: «خُروا».

(٢) تصحف إلى «هنن» وينظر ل«هَيْنَن»: «إدام القوت» ص ٤٥٦ للسقاف.

(٣) من قوله: قال الكبسي في سنة ١٠٦٤ إلى هنا ينظر له: «اللطائف السنيّة» ص ٣٦٢ - ٣٦٨

حروب عظيمة بينهم وبين أولاد الإمام لم يقفوا على طائل، وقتل في بعضها الأمير أحمد بن محمد بن الحسين، وتغلَّقَ المشرق من ذلك الوقت. اهـ. ولم يذكر الكِيسِي شيئاً عن حوادث المشرق بعد ذلك التاريخ حتى حادث استيلاء الإنكليز على عدن، فكان كتابه تاريخ الزيدية، لا تاريخ الممالك اليمنية.

وهذه أول مرة امتدت فيها يد أئمة صنعاء إلى هذه الجهات. ثم ضعف أمر أئمة صنعاء، وكثرت الفتن بينهم، وتعدَّدَ مُدَّعُو الإمامة فيهم، وكان أمراء البلدان المذكورة وسلاطينها وقبائلها لم يزالوا يتمسكون بالاستقلال، ويناجزون الأجناد الإمامية. ووقفت سلطنة يافع وفتتها المشهورة في وجه الدولة القاسمية التي أنهكتها الحروب المستمرة حتى كُتِبَ النصر ليافع.

ففي «بغية المرید وأنس الفريد» ما معناه: أن سلطان الموسطة صالح بن أحمد هرّهرة وبني المُفْلِجِي وغيرهم لما رأوا الخلاف بين الأئمة ذكروا الأشجان، واشتاقوا لإعادة السلطان، فتعاهدوا واتحدوا، وهزوا الدولة الإمامية عند ابتداء تداعي أركانها، ولم يكتفوا بطرد الزيدية من يافع، بل ساقوهم إلى جَبَلَة.

قلت: هذا السلطان الذي ذكره صاحب «بغية المرید» هو صالح ابن شيخ أحمد بن ولي الله الشيخ علي هرّهرة.

يحكى أن العلامة ولي الله السيد الشيخ أبا بكر بن سالم مولى عَيْنَات (١) قبل أن تدركه الوفاة عام ٩٩٢هـ نَصَّبَ العلامة الشيخ علي هرّهرة مصلحاً ومرشداً دينياً في يافع العليا، ثم لما مات الشيخ علي خلفه ابنه الصالح أحمد بن

(١) عَيْنَات: مدينة أسفل وادي حضرموت.

علي، ولما توفي أحمد بن علي خلفه ابنه الشيخ صالح بن أحمد، وفي أيامه تزايد اختلال أمر الدولة الإمامية، وعم الفساد والظلم على عهد الإمام المتوكل، ثم الإمام المهدي صاحب المواهب، حتى ثار على هذا الإمام جميع سادات اليمن من سلاطين وأمراء ومشايخ الذين ضمهم إلى الدولة الإمامية الإمام المتوكل على الله إسماعيل، فاجتمعت كلمة يافع العليا على طاعة الشيخ صالح بن أحمد، وأقاموه سلطاناً عليهم، وأناطوا به مهمة إنقاذهم من جور حكم الإمام، فحالف السلطان معوضة بن عفيف اليافعي سلطان القارة، وابتدأت الحركة من يافع. ولما كتب الله النصر ليافع انضم إليهم السلطان أحمد بن علي الرصاصي والسلطان صالح بن منصور العولقي وأمير خَرْفَةَ^(١) الأمير قاسم بن شعفل ثم ولده الأمير أحمد بن قاسم، وقاد السلاطين المذكورين جميع قبائل يافع العليا والسفلى وبَيْرٍ^(٢) والعوالق العليا والسفلى وحَالْمَيْنَ وآل فضل، واستمرت حروب دموية ابتدأت من سنة ١٠٩٣هـ إلى ما بعد سنة ١١٤٥هـ، قَاوَمَ السلاطين المذكورون حَمَلَاتِ جنود الأئمة التي كانوا يسوقونها عبثاً لإخضاع السلاطين المتحالفين. وأشهرُ قواد جيوش الإمام هم الأمراء محسن ويوسف ابنا المتوكل، وقاسم بن حسين بن المهدي أحمد بن الحسن، وعامر بن صالح وغيرهم، وحصلت معارك دموية في خَرْفَةَ وَقَعَطْبَةَ والبيضاء وَلَحْجٍ وَجُبِنَ^(٣) وَأَبْيَنَ وَالزَّاهِرِ^(٤) والحزبة

(١) خَرْفَةَ: قرية في جَبَلِ جُحاف بـ«الضالع».

(٢) بَيْرٍ: قبيلة كبيرة في «شمالى البيضاء».

(٣) جُبِنَ: بضم ففتح فسكون، مدينة في الجنوب الغربى لمدينة رداع بمسافة نحو (٥٠) كيلو.

(٤) الزَّاهِر: مديرية من أعمال محافظة البيضاء.

والمُعَسَّال^(١) وغيرها من جهات اليمن.

ففي عام ١١١٢ هـ جهز الإمام الأمير عامر بن صالح من رداع، ووجهه على خَرْفَةَ بلاد الأمير قاسم بن شعفل الحالمي في شهر جمادى الأولى، فلم يتمكن عامر من الاستيلاء على خَرْفَةَ، وعاد مهزوماً إلى قَعْطَبَةَ، ثم أمد الإمام عامر بن صالح المذكور بجنود من الزيدية، واستظهر عامر على الأمير قاسم بن شعفل، وانحاز الأمير قاسم بن شعفل إلى أسفل طول، واستولى جند الإمام على خَرْفَةَ ونهبوها وحطوا بالجَبْرَتِي. ثم أغارت يافع بني قاصد والسُّفَّال بقيادة السلطان معوضة بن عفيف، وأخرجت جند الإمام من أعلى جبل أهل حجيل بعد قتال شديد، وأخرجوهم من خَرْفَةَ، وقتل في المعركة قواد جيش الإمام وهم علي بن يحيى وعامر بن صالح ومحمد فرحان.

ثم هادن الإمام السلاطين وبالغ في إكرامهم، وتزوج بكريمة السلطان قحطان، ولما خطب الإمام المهدي صاحب المواهب بنت السلطان قحطان أرسل صداقها حمولة عشرين جمل ذهب وفضة وحلي ولؤلؤ ومرجان وكساء وسلاح بنادق وخناجر مذهبة، فتعرض للقافلة الأمير أحمد بن قاسم بن شعفل وابنه الأمير حسين بن أحمد وثلاثمائة رجل من قبائل حالمين وأخذوا القافلة بما فيها ومعها سعيد بن جَوْهَر عبد السلطان قحطان، فشق ذلك على السلطان قحطان ونكفت يافع جميعها، وجاء السلطان ناصر بن صالح وبني هَرَهْرَةَ وأهل السُّفَّال جميعاً مع كَلْدَ وبني قاصد وقدموا على خَرْفَةَ من رأس جبل حالمين

(١) المِعْسَال: منطقة أثرية خربة في أرض رَدَمَانَ شرقي رداع، تعرف قديماً باسم «وعلان» وهي

غير «وعلان» بلاد الروس.

وأحاطوا بها من كل جهة، ثم توسط السيد عبد العليم وقابل الأمير أحمد السلطان قحطان وبني هرّهرة ومشايخ يافع بعقائره، وأرجع القافلة بما فيها، ثم حالف الإمام يافع في ذلك العام.

وصاهر السلطان الرّصاصي والعولقي وحاول استرضاءهم بأموال جزيلة لانشغاله بفتنة المدعي في صعدة وغيره فلم يتوفق.

وفي سنة ١١١٤هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى السلطان معوضة بن عفيف وخلفه ابنه السلطان قحطان بن معوضة.

وفي ٢ شوال سنة ١١١٤هـ اجتمع السلطان قحطان والسلطان صالح بن هرّهرة والسلطان أحمد بن علي الرّصاص والسلطان منصر بن صالح العولقي في العر، وحسموا الخلاف الحاصل بين السلطان قحطان والسلطان أحمد بن علي بخصوص أطراف أبين، وفيها استمال أصحاب الإمام السلطان عبد الله بن أحمد الفضلي وأعانوه بمدافع وجنود كثيرة، وحاصروا الطرية^(١) بأبين وضربوها بالمدافع حتى سلّم^(٢) الشيخ صالح بن سليمان الكلدي والأمير أمين القلعة وانحازوا إلى يافع.

ثم أساء عمال الإمام إلى السلطان عبد الله الفضلي فندم، واجتمع بالسلطان أحمد بن علي الرّصاصي والسلطان قحطان بسيلة كلد أسفل ذي ناخب^(٣)

(١) الطرية: قرية في منطقة حطّيب من مديرية نصاب وأعمال شبوة في شمال شرق مؤديه.

(٢) أي: استسلموا.

(٣) ذي ناخب: وادٍ مشهور في يافع يقع شرق جبل «لَبْعُوس» بمسافة نحو (١٠) كيلو، مشهور

بزراعة أجود أنواع البنّ.

وحالفهم على محاربة جند الإمام وإخراجهم من أْبَيْنَ، وفيها استولى السلطان قحطان على عدن ولَحْجٍ ثم استردها الجُنْدُ الإِمَامِي فِي ذَلِكَ الْعَامِ.

وفي سنة ١١١٦ هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى السلطان صالح بن أحمد هرّهرة وخلفه ابنه السلطان ناصر بن صالح بن أحمد.

وفي سنة ١١١٧ هـ قدم السلطان ناصر بن صالح بجموع يافع واستولوا على الرَّعَارِعِ فِي لَحْجٍ وَأَخْرَبُوهَا، وَحَاصَرُوا قَلْعَةَ حُمَادِي وَأَخْرَجُوا مِنْهَا الزُّيْدِيَّةَ. وَحَاصَرَ السُّلْطَانَ قَحْطَانَ قَلْعَةَ الطَّرِيَّةِ بِأَبَيْنَ، وَحَالُوا بَيْنَ حَامِيَّتِهَا وَبَيْنَ إِمْدَادَاتِ الْإِمَامِ حَتَّى جَاعُوا وَأَخْلَوْا الْقَلْعَةَ لَيْلًا، وَدَخَلَهَا أَصْحَابُ السُّلْطَانَ قَحْطَانَ بِنِ مَعُوضَةٍ، وَلَمْ يَقْنَعِ سُلْطَانِيْنَ يَافِعَ بِمُحَارَبَةِ جُنْدِ الْإِمَامِ فِي حُدُودِ يَافِعَ وَمَلْحَقَاتِهَا كَلْحَجٍ وَأَبَيْنَ وَالشُّعَيْبِ (١) وَجُبْنَ وَنَعَوَهُ (٢) وَالرَّيْبَعَيْنِ وَالظَّاهِرِ (٣) وَجَبَلِ حَرِيرِ (٤) وَحَالَمِينَ وَغَيْرَهَا، بَل سَارُوا لِإِنْقَاذِ مَنْ بِحَضْرَمُوتَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ عِنْدَمَا اسْتَصْرَخَهُمْ وَلِيَّ اللَّهِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سَالِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حُسَيْنِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبُو بَكْرٍ بِنِ سَالِمِ مَوْلَى عَيْنَاتِ عَامِ ١١١٦ هـ لِمُحَارَبَةِ السُّلْطَانَ عَمْرَ بِنِ

(١) الشُّعَيْبِ: أَخْذُودُ جَبَلِي فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الضَّالِّعِ.

(٢) نَعَوَهُ: بَلَدَةٌ وَمَرْكَزٌ إِدَارِيٌّ مِنْ مَدِيرِيَّةِ جُبْنَ.

(٣) الظَّاهِرِ: جَبَلٌ فِي شِمَالِ غَرْبِيِّ أْبَيْنَ، يَبْعَدُ عَنِ مَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقًا بِجَنُوبِ بَمَسَافَةِ نَحْوِ (١٥) كِيلُو، تَقَعُ عَلَيْهِ مَدِينَةُ «مُكَيَّرَاس» وَبَسْفَحَةُ الشَّرْقِي «لَوْدَر»، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: «لَمَنْ كَانَ مِنْ تِلْكَ الْجِهَاتِ: أَهْلُ الظَّاهِرِ».

(٤) حَرِيرِ: سَلْسَلَةٌ مِنَ الْجِبَالِ بِالشَّرْقِ مِنْ مَدِينَةِ الضَّالِّعِ فِي مَنطِقَةِ «الْحُصَيْنِ»، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ رُؤُوسِ صَخْرِيَّةٍ نَاتِئَةٍ وَهَآوِيَّاتٍ شَدِيدَةِ الْإِنْحِدَارِ، تَقَعُ فِيمَا بَيْنَهَا أَوْدِيَّةٌ يُزْرَعُ فِيهَا «الْبُنُّ» وَ«الْمَوْزُ» وَ«الْقَاتُ».

جعفر الكثيري الذي انتحل مذهب الزيدية وعظم شعائريهم في حضرموت، وأرسل بدر بن طويرق بعقائير إلى يافع، فتوجه معه السلطان عمر بن صالح شقيق السلطان ناصر بستة آلاف مقاتل من يافع، واستولى على جميع حضرموت وأزال بدعة الكثيري، ورجع إلى يافع عام ١١١٩هـ.

وما زال في حضرموت أقوام من يافع تحت حكم السلطان عمر بن عوض القُعَيْطِي اليافعي، وأهل حضرموت الآن يذكرون قول شاعرهم:

رَأْسِي ضَرَبَ مِنْ حَنَّةِ الْمَدَافِعِ كَلَّهُ السَّبَبُ مِنْ بَدْرِ جَابِ يَافِعِ

وقبائل يافع يذكرون إلى اليوم وقائعهم المشهورة مع الزيدية، وينشدونها في قصائدهم ومغانيمهم، قال البكري من قصيدة له:

قَحْطَانُ ذِي يَشْبُهُ عَلِيٍّ بِالْمَهْدِ ذِي لَا خَرَجَ فَلَا عَادَ يَرْتَدُّ
ضَلَّتْ خِيُولُهُ تَحْتَ قَاعِ الْجَنْدِ تَشْهَدُ لَهُ الزَيْنَاتُ تَشْهَدُ^(١)

وقال يذكر يافع:

وَاجِدَادُكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ ذِي قَدْ مَضَوْا بِأَوَّلِ زَمَنِ
قَدْ أَخْرَجُوا الْأَزْيُودَ وَالْأَثْرَاكَ حُمُرَانَ الْوَجَنِ
قَحْطَانُ ذِي خَذَهَا مِنْ الْمِعْسَالِ إِلَى سَاحِلِ عَدَنَ

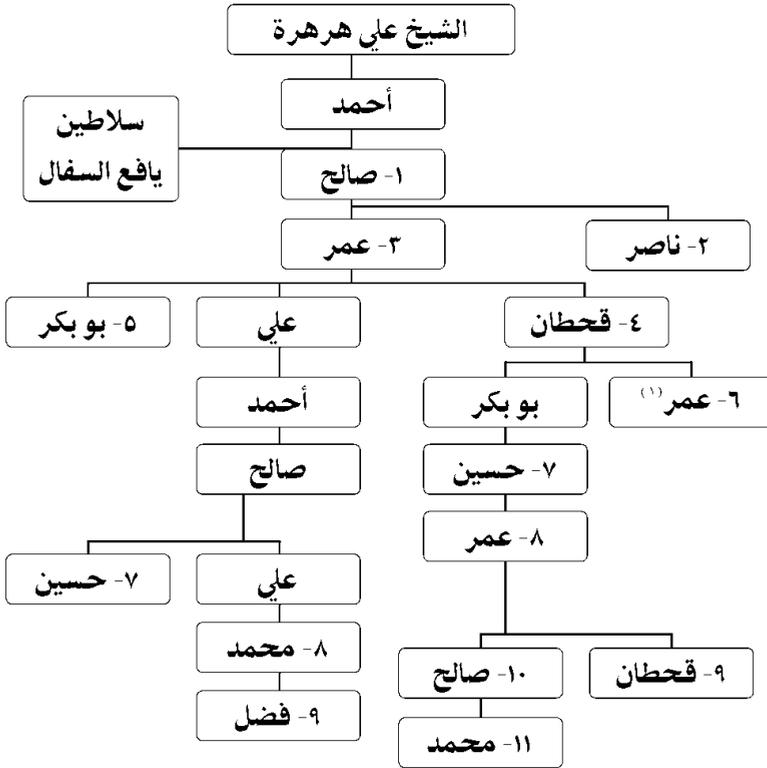
وله من قصيد أخرى:

تِعِزَّ خَذْنَاهَا وَخَذْنَا قَعَطَبَهُ وَابِ وَالرَّاحَةَ وَنَجِدَ الْجَاحِ

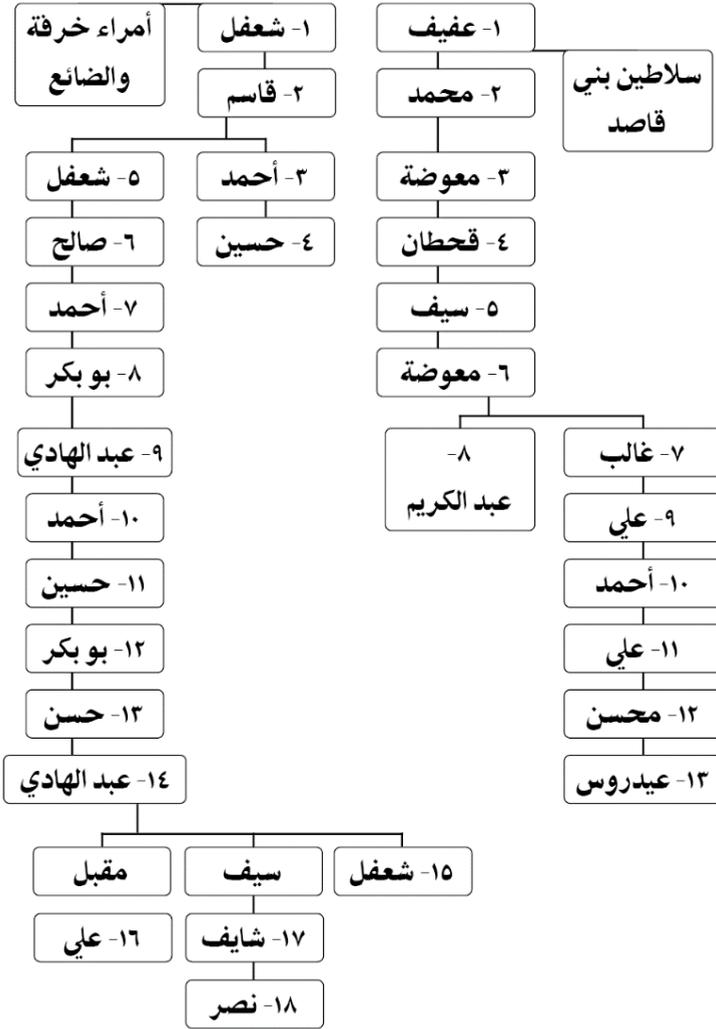
(١) وَضَلَّتْ عندهم بمعنى «صارت» أو «بقيت».

وَيَرِيمُ خَذَنَاهَا وَخَذَنَاهَا بِهَا وَأَنْتُمْ بِهَا وَأَمْسَى السَّمَرِ مِيَّاحٍ

واستمرت الحروب سجلاً بين سلاطين يافع وأئمة صنعاء على عهد السلطان صالح بن أحمد، ثم السلطان ناصر بن صالح، ثم على عهد السلطان عمر بن صالح، ثم على عهد السلطان قحطان بن عمر من سلاطين المَوْسَطَةِ والضُّبِيِّ. أما سلاطين القَارَةِ فهم السلطان معوضة ثم حفيده السلطان سيف بن قحطان، وفي الختام كتب الله النصر ليافع. اهـ. ملخص من مسيرات يافع.



(١) بعد وفاة السلطان عمر انقسمت يافع بني مالك، فَوَلَّتْ المَوْسَطَةُ حسين بن صالح، وَوَلَّتْ الضُّبِيُّ حسين بن بو بكر. المؤلف.



فلم يُدْعِنِ المَشْرُقُ كما سماه الكَبْسِي للحكم الإمامي إلا على عهد الإمام العظيم إسماعيل المتوكل على الله ابن القاسم. ثم على عهد ابن أخيه الإمام المهدي أحمد بن الحسن من سنة ١٠٥٤هـ إلى سنة ١٠٩٢هـ، وذلك مدة ثمانية وثلاثين عامًا.

أما الإمام المؤيد محمد بن المتوكل فلم تصفُ له الأوقات، فقد خالف عليه أهل المشرق كما تقدم، وعارضه الحسين بن الحسن وقاسم بن المؤيد، واستبد الأُمراء من آل الإمام بالأمر، فكان صِنُوهُ علي بن المتوكل في اليمن مستبداً بولايته، ومحمد بن المهدي أحمد بن الحسن مستقلاً بأعمال الحُجْرِيَّة وما إليها، والحسين بن الحسن مستقلاً برداع، وعلي بن أحمد بمدينة صعدة وأعمالها، والحسين بن محمد بن أحمد أبو طالب في عمران مستقل ببلاد حَاشِد وبكَيْل، وحسين بن المتوكل في صنعاء، قال الكَبْسِي: وكان الإمام يتوجع من سيرة بعض منهم في الرعية على غير ما يبيحه الشرع الشريف. اهـ (١).

وبالجملة: فقد كان الإمام محمد في حالة لا يحسده عليها أحد، وأمر اليمن فوضى، ولما توفي ﷺ في عام ١٠٩٧هـ دعا بعده يوسف بن المتوكل في جهة ضوَران (٢)، ودعا الناصر محمد بن أحمد المهدي صاحب المواهب بالمنصورة (٣) في بلاد الحُجْرِيَّة وأعمال تعز. ودعا الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم في عَمْران، ثم قام جميع سادات اليمن لمحاربة الإمام المهدي، وعارضه المتوكل على الله القاسم بن الحسين وحاصره حتى خلع نفسه، وبقيت الحالة على ذلك الاختلال حتى إنك تجد هذا الاختلال ظاهراً في تواريخ الزيدية. فقد يثبت بعضهم إمامة زيد، وغيره يثبت إمامة عمرو في زمن واحد.

(١) «اللطائف السنيّة» ص ٣٨٦ - ٣٨٧ للكَبْسِي.

(٢) ضوَران: جبل مشهور في آيس، وفي سفحه الشمالي تقع بلده ضوَران.

(٣) وهي في أعلى قمة جبل الصُّلُو ب«تعز»، وهي قرية أثرية تحوي الكثير من معالم الحضارة القديمة المتمثلة في السدود والدروب والقلاع والنقوش الأثرية على الأحجار الكبيرة.

ولما تولى الإمام المنصور القاسم بن الحسين سنة ١١٣٩ هـ نازعه الناصر محمد بن إسحاق بن المهدي وبايعه العلماء والرؤساء، ثم بايعه المنصور نفسه على شروط لم يقع الوفاء بها، فاستمر المنصور على دعوته وغلب على الناصر وبايعه الناس إلا أخوه أحمد بن المتوكل، فإنه استقل باليمن الأسفل، وحصلت بينه وبين أخيه حروب عظيمة، ثم تصالحوا على أن يبقى لأحمد ما تحت يده، وذلك اليمن الأسفل بأجمعه^(١).

وفي سنة ١٧٠٩ م توافق سنة ١١٢١ هـ زارت البعثة الإفريقية عدن، وكان حاكم عدن مستقلاً عن إمام صنعاء، ووصف تلك الرحلة بعض رجال البعثة اسمه لاروك في كتاب صغير ذكر فيه وصف عدن وحاكمها المستقل يومئذ، وكانت لَحْجِ يومئذ بيد يافع كما تقدم.

ثم لما تصالح الإمام المنصور مع أخيه أحمد عادت الجنود الإمامية واستولت على عدن ولَحْجِ.

قال في «نفحات العنبر في فضلاء اليمن في القرن الثاني عشر»^(٢) عند ذكر أبي إسماعيل بدر الدين محمد^(٣) بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن: وله في الإمام المنصور غرر المدائح وعجائب التهاني، فمن ذلك ما قاله وقد أهدى له المنصور جارية حسناء في ليلة مطيرة:

(١) ينظر «اللطائف السنينة» ص ٣٩٨ للكبيسي.

(٢) لمؤلفه إبراهيم بن عبد الله الحوثي له ترجمة في «البدر الطالع» برقم (١١) للشوكاني.

(٣) له ترجمة في «نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف» (٣/ ١٤٣٧) لمحمد بن محمد زبارة.

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ وَمَنْ لَهُ مِنْ يَفِيضُ عَلَى الْوَرَى هَطَالُهَا (١)

إلى آخر القصيدة:

قال: وله مهنتاً له في عرسه بالشريفة بنت المولى محمد بن الحسين بن عبد القادر، وكان قد اجتمع له مع ذلك وصول البشارة باستفتاح ثغر عدن ولحج ووفود عيد النحر بالأبيات الآتية:

قَدِ اجْتَمَعَتْ فِي عِيدِنَا لِأَمَانِنَا
أَرَدْتُ أَهْنِيهِ فَلَمْ أَدْرِ مَا الَّذِي
أَبِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ الَّذِي بِهِ
أَمَّا عَدَنٌ قَدْ جَاءَ مِنْ غَيْرِ شِغْلَةٍ
أَمِ الْعِيدِ عِيدِ النَّحْرِ لَا زِلْتَ نَاحِرًا
وَلَكِنْ بِذِي الْأَعْرَاسِ هُنَّتْ أَوْلَا
جِسَامٌ مَسَّرَاتٍ بِهَا الصَّدْرُ يُسْرَحُ
بِهِ تَبْتَدِي مِنِّْي التَّهَانِي وَتُفْتَحُ
نِظَامُ أُمُورِ الدِّينِ وَالْمُلْكِ يَصْلُحُ
وَجَاءَتْ بِهِ خَيْلُ الْبَشَائِرِ تَجْمَحُ
نُحُورَ الْعِدَا وَالسَّيْفُ بِالدَّمِ يَسْبَحُ
فَتَقْدِيمُهُ بِالذِّكْرِ أَوْلَى وَأَرْجَحُ (٢)

وكان عمال الإمام بلحج قد أحسوا بما صرف نيتهم عن الشيخ علي بن عبد الله العبدلي فدسوا عليه فقتل.

(١) هذا البيت ذُكر في «نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف» (٣/ ١٤٦٠).

(٢) هذه الأبيات ذُكرت في «نشر العرف» (٣/ ١٤٥٦).



(وثيقة تنفي ما قيل من أن أحد آل سلام كان من عمال الإمام)
(وتثبت أن عمال الإمام من الزيود)

وقفت عليٌّ ذَكَرَ قَتْلَهُ فِي «مختصر أنباء الزمن في تاريخ اليمن».

ولما صار أمر مشيخة لحج إلى الشيخ فضل بن علي لم يتفق رأيه ورأي عمال الإمام، وبدأ الخلاف فيما بينهم بسبب قتل الشيخ علي بن عبد الله، واستولى عليٌّ لحج وعدن.

ثم عاد عسكر الإمام إلى لحج بقيادة الأمير سُنْبُل وحصل بينهم وبين الشيخ فضل بن علي العبدلي حروب انتصرت في بدايتها العساكر الإمامية، وانحاز العبدلي إلى يافع ونكف، ثم كر عليٌّ سنبل بمساعدة السلطان سيف بن قحطان اليافعي سلطان القاره، وأخرجهم من لحج واستقل بها، وكان آخر خروج العسكر الإمامي من لحج لعشر بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة. قال الفقيه شرف الدين حسين بن حسين بن صالح بن يحيى الرسي الأهنومي في الجزء الثالث من كتابه المسمى «البراهين المضية في السيرة المنصورية»^(١) ما نصه: وفي شهر القعدة الحرام من السنة المذكورة -يعني سنة ١١٤٤ هـ- حصل الغدر من العبدلي اللعين^(٢) وزين له الشيطان ولمن معه قتل العامل^(٣) في لحج، فدخل إليها مع جماعة من أعوانه وما يخطر ببال ذلك الإقدام، وكان العامل حامل التسهل ولم يكن فيه تيقظ واحترام، فباشروه بضرب السيوف في تلك الساعة. وهذه القضية

(١) ينظر لمخطوطته: «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» (٢/ ٦٣٥).

(٢) اللعن والسب أسهل ما يرمي به مؤرخو الزيود خصومهم، وقلما تخلو كتبهم من ذلك - المؤلف.

(٣) العامل كان يطلق عليٌّ من يُعيَّنه الإمام عليٌّ جهة من الجهات كما يقال اليوم: المُحافظ الذي يكون عليٌّ محافظة من المحافظات.

مشعرة بالغفلة الكلية وعدم الحزم والاحتراز، وقيل: إنه حال أن باشروه لم يكن معه شيء من السلاح حتى الجنبية، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد اتفق مثل هذه القضية أن أمير الدين العنفي كان عاملاً في لحج، فجاءوا جماعة من مشايخ تلك الجهة أرادوا قتل المذكور، فلما دخلوا عليه ولكنه من الرجال الكُمَّلاء، فأقدم الأول على الفقيه أمير الدين بخنجر فضرب أمير الدين، فالتقاه أبو ريحان صاحب سفیان من أصحاب الإمام المهدي صاحب الغراس - رضوان الله عليه - فضربه ضربةً أبان بها يده قبل أن تصل ضربته إلى الفقيه أمير الدين، وقتلوا السبعة الذين دخلوا معه جميعاً في المجلس، وبلغت هذه القضية الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن أمير المؤمنين، فاستصوب قتلهم، وهؤلاء أهل غدر وعيب من قديم، والعمال في هذه الجهة ما فيهم نباهة ولا حزم.

ثم إن العبدلي بعد ذلك توجه إلى عدن فوجد العامل وهو مع جماعة خارج عدن، وكان بينهم وبين العامل موعد للالتقاء، فلم يشعر العامل إلا وهم يخطبونه بالسيوف حتى برد، وكل من كان عنده شرد، وما عاد حصل فيمن بقي نفع. فاستولى على البندر وعلى لحج ولا بالي، ولا عرف عاقبة مكره وغدره، ولا ظن أن أمير المؤمنين في أثره قاطع - إن شاء الله - رأسه ورؤوس أعوانه، ومخرب أرضه وبلدانه، فإن الله ﷻ عود المولى - أيده الله - إزالة المفسدين، وإهلاك الباغين الناكثين. شعر:

أَلَا أَيُّهَا الْبَاغِي أَتَحَسَبُ غَفْلَةً مَصِيرُكَ حَيْثُ النَّاكِثِينَ قَصِيرُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ سُيُوفًا بَوَاتِرًا وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدِيرُ

رُؤَيْدَكَ إِنَّ الْيَوْمَ يَتَّبِعُهُ غَدٌ
سَيَأْتِيكَ قَوْمٌ مِنْ بَكِيلٍ وَحَاشِدٍ
بِنَجْدِيهِ قَدْ اعْتَلَاهَا ضَرَاغِمٌ
فَعَمَّا قَرِيبٍ أَنْتَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْبَغْيَ يَصْرَعُ أَهْلَهُ
وَتَذْهَبُ أَرْوَاحُ الْبُغَاةِ بِجَحْفَلٍ
ظَنَنْتَ بِأَنَّ الْبَغْيَ دَامَ سُرُورُهُ
فَإِنَّ خَطِيرَاتِ الْمَهَالِكِ ضَمَنَّ
فِيَا فَضْلُ لَسْتَ الْفَضْلَ بَلْ أَنْتَ مَارِدٌ
تَكَلَّفْتَ أَمْرًا لَسْتَ أَنْتَ بِأَهْلِهِ
فَبَعْدَكَ إِمَامُ الْحَقِّ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ
وَلَا بُدَّ أَنْ تَضْحَى دِيَارَكَ خَالِيَا
وَرَأْسُكَ إِنْ يَسْلَمْ تُقَدِّ بِسَلْسِلٍ
وَفِعْلُكَ لَا تَغْتَرَّ فِيهِ فَإِنَّهُ
بَنِي حَسَنٍ قَدْ طَالَ مَجْدُهُمُ الَّذِي

ولما بلغت المولى أمير المؤمنين - حفظه الله - هذه الواقعة أرسل إلى جميع
الأقطار لجمع السياق المحتاج في الحركات والإنفاق، فوردت السياقات من كل
جهة إلى محل يسمى رباط المعانين فيما بين جبلة وإبّ حتى صار جملة واسعة.
وكان في شهر صفر سنة ١١٤٥ هـ زلج المولى - أيده الله - الأمير سُنْبُل الصادق

بمحطة من همدان وبني حُشَيْشٍ وتوابع وخيل قدر ستين عنان أمراء مشهورين، ثم كتب المولى -أيده الله- إلى سيدي أحمد بن المتوكل على الله أن يزلج الشيخ أحمد الوادعي ويتوجهوا الجميع على العبدلي، فأجاب سيدي أحمد بالسمع والطاعة، وجهاز الشيخ أحمد الوادعي بخمسائة من حاشد وبكيل، وتجهزوا الجميع إلى لَحْجٍ، فبلغ العبدلي فضاقت عليه الأرض بما رحبت وداخله الخوف والجزع، فما أمكن منه إلا التسليم والطاعة، وأتت قبلت له شفاعة، وخرج من لَحْجٍ وعدن، ودخلت أجناد المولى إلى لَحْجٍ وعدن وصلحت البلاد.

ثم إن العبدلي اتفق بالأمير سنبل والشيخ أحمد الوادعي وسلم المواد والضيفة على حسب المراد، فلما صلحت الأمور أخذ الشيخ أحمد الوادعي رأي من سيدي أحمد بن المتوكل على الله -رضوان الله عليه- أن ما به فائدة بالبقاء وقد صلحت البلاد، وأن حاشد وبكيل الذين معه يحتاجون إلى راحة، وأن البلاد وخيمة وأن ذلك المحل لا يناسب أهل الجبال فأذن له بالارتفاع.

وأما الأمير سنبل الصادق المذكور فبقي على حاله عاملاً في البلاد، وكان مدة بقاء محطة المولى -أيده الله- والأمر نافذ، والعبدلي في الطاعة من آخر شهر صفر إلى آخر شهر رجب سنة ١١٤٥ هـ، وذلك خمسة أشهر، ثم إن المولى -أيده الله- عين على العبدلي أَدَبَ (١) بنظر الشيخ صالح بن عامر أحمد خمسة عشر ألف قرش (٢)، بسبب إقدامه وجرأته وفعلته التي ما جرى مثلها، وقد كان فعله

(١) أي أنهم حكموا عليه بدفع ما ذكر تأديباً له.

(٢) القرش عند أهل اليمن هو الريال. المؤلف.

موجب هلاكه وحرمه وسفك دمه، فقد حلم عليه المولى بهذا الأدب اليسير، فلما وصل عليه الشيخ صالح عامر أوقفه على الأمر الشريف، فما أمكن منه إلا الطاعة والتسليم لأمر المؤمنين، إلا أنه طلب المراجعة والشفاعة في سماحة ما رآه المولى -حفظه الله-، والمولى -أيده الله- حليم فسامحه بالثلث من ذلك ويسلم الثلثين وهو عشرة آلاف قرش، فسلم ذلك، وبعد هذا خاف العبدلي وعرف أن ذنبه عظيم، ونظر أن حاشد وبكيل الذي صحبت سنبل في لحج قد أضرمهم الوباء ومرض أكثرهم ولم يبق فيهم نفع، وَرَكَتِ المحطة ولم يبق إلا العبيد التوابع والخيل، فلما بلغ المولى -أيده الله- ذلك أمر النقيب عامر أن يتقدم بمن معه إلى لحج إلى عند الأمير سنبل، فتقدم النقيب عامر إلى محروس لحج، ولما عرف العبدلي أنه قد أذنب ذنب لا يغفر، وأن لا بد من الانتقام منه بسبب تجاربه وإقدامه على عمال المولى -أيده الله- (١) لم يقر له قرار، وعرف أن المحطة الباقية في لحج إنما هم على رأسه، فما أمكن منه إلا أنه استجار بسيف بن عفيف، وذبح في أسواق يافع عقاير وطمَّع سيف ببندر عدن وبلادها، ووعدته بأن يكون تحت طاعة سيف، والبلاد تنساق إليه، ويكون عاملاً من قبليه، أو يجعل غيره ويكون شيخ من جملة المشايخ، فأسعده سيف بن قحطان عفيف لذلك وجمع قبائل يافع ونزلوا معه إلى لحج، وما تخلف عليه إلا قحطان بن عمر هرَّهرة وجماعته، وتوجه بتلك المحاط على من في لحج، واستقام أصحاب المولى -أيده الله- لسيف ومن معه، واقتتلوا قتالاً شديداً، فلقد جادوا في أول الأمر وبذلوا النصيحة كما قيل شعراً:

(١) ما زال السِّبَاق لغير المصنف إنما هو ناقل له.

فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغَيَّرَةً قَبَاحًا وَأَمَّا خَلْفَهَا فَجَمِيلٌ
 سَحَابٌ أَمْطَرَتِ السَّحَابَ عَلَيْهِمْ وَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلٌ
 لَعَلَّكَ يَا عَبْدَلي اليَوْمَ هَارِبٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَكُؤُلُ
 فَإِنْ تَكُنِ اليَأيَامَ أَنَا لَتِكَ صَوْلَةٌ فَقَدْ تُعَلِّمُ اليَأيَامُ كَيْفَ تَصُولُ

وبعد هذه الواقعة رجع سيف بن عفيف إلى حصن أبيّن على صفة المكسور وانتهبوا من لَحْج ما قدروا عليه. ثم إن سيف جعل عند العبدلي قدر خمسمائة رجل يحفظونه من الرتبة، فلما كان في شهر رمضان سنة ١١٤٥ هـ قدم العبدلي ومن معه من أهل يافع على الرتبة الذين في عدن، وهم قدر مائتين وخمسين من أصحاب الإمام -حفظه الله- وهم توابع ومن حاشد وبكيل، وكان العامل في عدن يقال له: الوداعي، ولعل العبدلي كاتبه وتواطأ معه، فدخل العبدلي البندر من جانب البحر في سنايق وهم أهل خبرة ومعرفة، وقد قال^(١): (إن أهل مكة أدرى بشعابها)، فما عرفت الرتبة إلا وهم في المدينة، والرتبة في رؤوس الجبال محلات متباعدة، لأن عدن واسعة وجبالها شامخة، وهؤلاء الأنجاس دخلوا من البحر، فما أمكن من الرتبة إلا أن حفظوا أنفسهم وأحربوا حرب مدافعة على أنفسهم ثلاثة أيام، ونالتهم المشقة من قِلِّ الماء والطعام.

ثم إن العبدلي أذن لهم أن يُنحلوا ما معهم من السلاح وغيره ويخرجوا من البندر وتكون طريقهم البحر، فأصلح (الشريف العيدروس) أنهم يخرجوا بأسلحتهم وأمتعتهم ولا يحصل في جانبهم أمر، فخرجوا من البحر ودخلوا

(١) أي: المثل.

«الْمَخَا»، وهكذا الحرب سجال، فلا بد للعبدلي أن يُجزئ بفعله ويعاقب بعمله إن شاء الله، كما قيل:

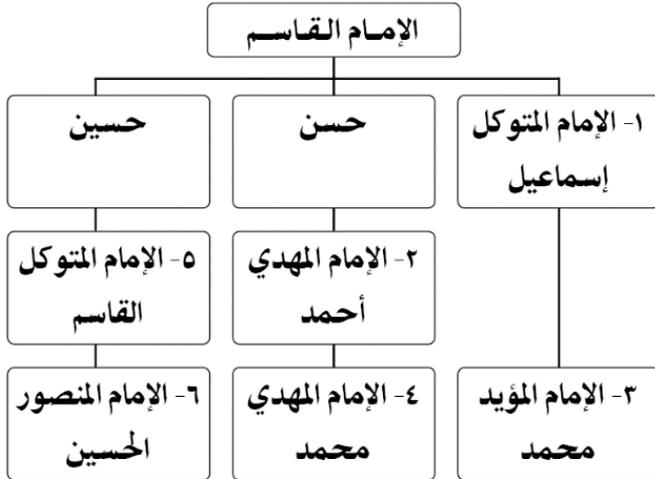
وَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرَّ

ولما كان في شهر القعدة الحرام سنة ١١٤٥ هـ لم يقر للعبدلي قرار من بقاء محطة لحج، ولم يهنته طعام ولا شراب، فعزم مرة أخرى إلى عند سيف، وسلم له دفعة واسعة، واستغاثه على أن يعينه على إخراج المحطة الذين هم في لحج وأن البلاد تكون لسيف يتصرف فيها كيف شاء، فخرج بمن معه على رتبة لحج، فوصلوا إليها وضايقوا الرتبة الذين فيها، وانقطعت عليهم المواد، فأحربوا الرتبة من بعيد ولم يقدموا عليهم، وأما الرتبة فلما انقطع عليهم السياق من كل جهة وبقوا قدر أسبوعين هم وقُرَأَتْهُمْ^(١) في حال ضعيف من قِلِّ الطعام والعَلْفِ، ثم صاروا يرمونهم بالمدافع وحاولوا أن أصحاب الإمام يطرحوا السلاح والأثقال ويخرجوا من القلعة، فلم يرض أصحاب المولى، ثم لما عرف سيف أن ما يتم له هذا الأمر وأنها محطة قوية أجاب أنهم يخرجوا بجميع ما معهم، وبيارق المولى منشورة، وشرطوا جَمَالَ تحمل الأثقال إلى سوق السَّبْتِ، وتم ذلك الشرط، وكان خروج الرتبة من لحج في العشرة الأخيرة من ذي القعدة، ولم يحصل في خروجهم بأس، ولعل سيف بن عفيف عارف أن عاقبة أمره خسراً، فقد علم حال من بغى وتمرد وطغى، فألقى الله في قلبه الرعب، وعن قريب إن شاء الله يحصل النصر والظفر عليهم. اهـ.

(١) أي: دوابهم وخيولهم.

وفي «مختصر أنباء الزمن في تاريخ اليمن» قال: واستبد الفضل العبدلي بلحج عام ١١٤٥هـ، وقد أوقفني الشيخ عوض سَالِمِينِ عَلَى رسالة صغيرة كتبها بقلمه نقلها من أوراق السادة آل المساوي، ذكر فيها القصة بنصها وفصها. وزاد أن الإمام حين بلغه استيلاء العبدلي على لحج كتب إلى عامل العُدَيْن وهو الشيخ عبد الرب ابن وهيب العنفي، أن ينزل بالعساكر المقيمة بين إب والمَخَا إلى لحج، وأن يبقى بها حتى يفرغ الإمام من تمهيد بلاد يام.

فلما بلغ الشيخ ذلك الكتاب جند الجنود من بلاد العُدَيْن ونزل بهم إلى جهة لَحْجٍ وطَرَحَ بالقرب من بلاد الحَوَاشِبِ، فبلغ الشيخ فضل بن علي العبدلي ذلك فجمع أصحابه وتوجه لمقاتلتهم وهاجم معسكرهم ليلاً فهزمهم. اهـ. وصار أمر لَحْجٍ وَعَدَنِ إلى العَبَادِلِ.



الفصل الثالث عشر

شيخُ لَحْجٍ. اقتسامُ خَرَاجِ عَدَنَ. الرأسُ المقطوعُ. راکبُ الوحشِ. استقلالُ
بیر أحمد. مطامعُ نابليون. زيارةُ المستر سولت لسلطان لَحْجٍ. أسطولُ الوهَّابية في
عَدَنَ. معاهدةُ السلطان أحمد والسر هوم بوفهام. الأعجمُ يتزجَمُ. الإنكليزُ في
البحر الأحمر. تركي بالماز. غَرَقَ دريا دولت. استيلاءُ الإنكليز على عَدَنَ.

* * *

ولقد كان الشيخ فضل بن علي من أَعْرَقَ الأسر اللّحجّية وعَيْنَ أعيانِ القبيلة
السلامية وعماد صناديد مشايخ لَحْجٍ الشافعية. وَرَثَ المشيخة عن أسلافه
الأمجاد، وقام بخدمة البلاد والعباد. عندما صار أمر الدولة القاسمية فوضي في
اليمن وأظهر بعض العمال الزيدية الاستقلال في عَدَنَ كما تقدم عن لاروك، فعم
إذ ذاك الجور والاستبداد، فوقف لهم الشيخ فضل بالمرصاد، وعزم على
الاستقلال بالبلاد، ليسير بها في سبيل الرشاد. وقد اطلعت في الوثائق القديمة أنهم
نصبوا شيخاً من آل مِجْحَفٍ بدلاً عن الشيخ فضل، وحثوا أهالي لَحْجٍ على
طاعته، فلم يفلحوا، ونصبوا آخر من العزّية فخاب مسعاهم أيضاً، فإن البلاد
المشرقية من باب المنذب إلى أعالي حضرموت مَلَّتْ من حكم الفوضي وظلم
العمال، فتشوقت لاستقلالها القديم، واستعانت بالرحمان الرحيم.

قال القبطان بليفر معاون والي عَدَنَ في كتابه «تاريخ بلاد العرب» هستري

أوف ايريا الذي كتبه ١٨٥٩م الموافق ١٢٧٦هـ في الفصل التاسع عشر من الكتاب المذكور ما ترجمته:

خلع شيخ قبيلة العبادل المسمى (فضل بن علي بن فضل^(١)) بن صالح ابن سالم) طاعة إمام صنعاء حسين بن قاسم المنصور عام ١٧٢٨ الموافق سنة ١١٤١هـ، وأعلن بأنه أمير مستقل بعد محالفة جاره القوي سلطان يافع على أن يستملك فضل بن علي بَدْرَ عدن الحصين وأن يتداولوا خراج البندر بالمناوبة، وتم لهما الفوز عام ١٧٣٥م الموافق سنة ١١٤٨هـ،^(٢) قال: وبعد ستة أشهر نقض العبدلي محالفة رفيقه سلطان يافع ودعا نفسه سلطاناً مستقلاً. اهـ.

* * *

(١) والصواب: فضل بن علي بن صلاح بن سلام - المؤلف.
واستفاد الزركلي ترجمته من هنا في كتابه «الأعلام» (١٥٠ / ٥).
(٢) والصواب سنة ١١٤٥هـ كما تقدم. المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم
 هذه ما اشترىه من اجل التوجه الى صلح سلام بن صالح عام الف...
 رواته عما يشهد على صلح الباطنيين وانفسهم ما يقصدون ما هو ابره
 وتغيرت على ما عليه خا... واذك المبع...
 المسماة التي تحته الفتيون من اجل حال وازيخ الحمية بال...
 وشرا... وعين... باحباب وقبول...
 ومختلف... مائة حرف وعشرون حرفا...
 وقد اتيان والمكاتب...
 فكتبه...
 شيخ...
 سنة...
 كاتب...
 حيدر...

وثيقة لإثبات أن علي بن صلاح بن سلام كان شيخ لحج قبل ابنه فضل

قلت: والذي اطلعت عليه في الوثائق القديمة بين يافع والعبادل أنهم جعلوا للسلطان سيف خمسمائة ريال من خَرَجٍ (١) عدن في كل عام، ولم ينقض الشيخ فضل حلفه مع يافع حتى قُتِلَ في يافع كما سيأتي، وهو عليّ ولأئ تَامَّ مع صَهْرِهِ وَحَلِيفِهِ السلطان سيف ولم يحدث الخلاف إلا بعد قتله.

وأطلعني الشيخ عوض سَالْمِينٍ فيما نقله عن محفوظات السادة آل المساوي أن آل عطية من قبائل يافع طالبوا الشيخ فضل بن علي أن يجعل لهم شيئاً من نصف خراج عدن الذي تم عليه الاتفاق بين السلطان سيف والشيخ فضل، فامتنع فغزا لَحْجٌ مُحْسِنٌ بن عطية بخمسمائة مقاتل وأغار عليّ الحُوْطَةَ إلى ميدان مساوي.

وفي غرة شهر شوال سنة ١١٤٦هـ توجه الشيخ فضل بن علي لإصلاح خلاف حدث بين السلطان سيف وبعض قبائل يافع، واصطحب ابنه عبد الكريم فضل ونحو ثلاثمائة من العبادل، فلما قَرَّبُوا من خَنْفَرٍ عَثَرَ جواد الشيخ فضل بن علي وسقط عليّ أرض صلبة فناله من سقوطه ألم برجله اليمنى أعاقه عن ركوب الفرس، فامتطى مطية للنقيب ناصر بهادي وأمره أن يركب الفرس، فلما قربوا من الحصن كان فيه جماعة من آل عطية المخالفين عليّ السلطان سيف أطلقوا الرصاص عليّ العبادل فأصابوا النقيب ناصر بهادي وسقط قتيلاً، وأصيب معه رجلان من أعيان العبادل، وحصلت بين العبادل وآل عطية معركة إلى نصف الليل، وكان مع آل عطية في الحصن نفر من فلول جُند الإمام ظنوا أن المقتول هو

(١) أي: خراج.

الشيخ فضل بن علي، فتسابقوا إليه وجزوا^(١) رأسه ووضعوه في جلد وساروا به حتى مثلوا به في حضرة الإمام المنصور، فسُرَّ بذلك وأعطى كل واحد منهم إحدى عشر وقيّة ذهباً. وقد حكى لي هذه الحكاية المرحوم السلطان السر أحمد فضل محسن عن عمه محمد محسن، قال: وكان ذهابهم إلى يافع لحضور احتفال بأعراس بعض الأمراء أصهارهم في يافع. اهـ.

والشائع المشهور في لحج إلى الآن أن أميراً من أمراء لحج العبادل قتل في يافع وحدثت بسبب قتله فتنة في العسك بين يافع والعبادل، قال عمر حسين في «الرحمة النازلة»: وكان المقتول علي بن السلطان عبد الكريم فضل، والصواب أن علياً ابن السلطان عبد الكريم مات في عدن متأثراً بحجر سقط على رأسه من أعلى دار النجاد.

ولقد كنت أستبعد أن يُمثَّل المسلمون بالمسلمين مع أن الشريعة الإسلامية تنهانا عن التمثيل بالكفار المحاربين^(٢) ما لم يحدث منهم مثل ذلك، مع تفضيل الصبر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَكُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾^(٣).

أما بعد: إن تأملت ما تقدم واطلعت على ما ذكره السيد عيسى بن لطف الله

(١) جزوا بالجيم أي: قطعوا.

(٢) لقوله ﷺ: «اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا...» رواه مسلم برقم (١٧٣١) عن بريدة

رضي الله عنه ضمن حديث طويل.

(٣) [النحل آية: ١٢٦].

ابن المطهر في كتابه «روح الروح»: (١) أن جده الإمام المطهر شرف الدين جمع من أسارى جنود السلطان عامر صاحب عدن ألفين وستمائة أسير، ثم أمر بذبح نصفهم، وكانوا يأتون بهم أفواجا ويذبحونهم بحضرة الإمام شرف الدين حتى غطى الدم حافر بغلته، ثم أمر ببقية الأسارى أن يحمل كل أحد منهم رأسا وطافوا بهم اليمن حتى صعدة ليعرضوا الرؤوس والأسارى على عظيم من فقهاء الزيدية وصلحائهم وهو العلامة الفقيه عماد الدين يحيى بن إبراهيم (٢).

وبعد أن ذكر السيد العلامة خاتمة المحققين وواسطة عقد الهاشميين بدر الدين محمد بن إسماعيل بن محمد في «اللطائف السنيّة» قصة قتل السلطان حسين الرصاص وقطع رأسه بالحسام وحمله والتمثيل به في حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل لم يبق عندي أقل ريب في صحة حادثة خنفر. والراجح أن المقتول في خنفر هو الشيخ فضل (٣) بن علي، لا ناصر بهادي، والرأس المقطوع رأسه، وأن الحادثة كانت في عام ١١٥٥ هـ لا في عام ١١٤٦ هـ كما سيأتي.

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بغيرِهِ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدٌ

(١) «روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح» ص ٢٤٣ - ٢٤٥.

(٢) قد يستغرب القارئ من فعل هؤلاء، لكن لا بد أن يعلم أن هذه طريقة القوم أنهم دمويون، وما زال يَمُنُّنا يتجرع منهم الويلات إلى يومنا هذا، فهاهم يقتلون من خالفهم، ويفجرون مساجدهم ومنزلهم، واستباحوا أموالهم، فلا يستغرب ذلك من مثلهم، بل إنهم إذا أرادوا استحلال دماء وأموال مخالفيهم أفتوا بكفرهم، اقرأ كتاب «طبق الحلوى» لمؤلفه عبد الله الوزير، تجد فيه ما تشيب له رؤوس الولدان.

(٣) ترجم له الزركلي في «الأعلام» (٥/ ١٥٠) جمع فيها ما تفرق هنا.

ودفنت جثته الفانية في يافع ورأسه في صنعاء، وبقيت روحه التي لا تموت ولا تفنى في لحج رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه دار المتقين الأخيار. أما ميلاد الشيخ فضل بن علي فلعله كان في ليلة الأربعاء لست عشر خلعت من شهر رجب الحرام سنة ١٠٧٣ هـ كما ظهر لنا ذلك من قصيدة كتبها بعض السادة أشرف الوهط يومئذ منها، هذه الأبيات:

جَاءَ الْبَشِيرُ فَطَبَّ نَفْسًا بِمَا تَرُمُ	وَقَرَّ عَيْنًا وَدُمَّ بِالْبِشْرِ وَابْتَسِمِ
هَبَّتْ نُسَيْمَاتُ أَنْسٍ لِلْمَجْدِ وَقَدْ	نَلَّتْ الْمُنَا مِنْ أَحْيَابِ بِذِي سَلَمِ
وَلَا حَظَّتْكَ رَعَاكَ اللَّهُ يَا فَطِنُ	عَيْنُ الْعِنَايَةِ لَمْ تُوحَشْ وَلَمْ تَضْمِ
وَفَاحَ مِنْ نَشْرِ ذَاكَ السَّرِّ طِيبُ شَدَى	عَرَفَ الْحَبِيبِ وَلَا حَ الْبَرْقُ مِنْ أَضْمِ
وَهَبَّ جُودٌ إِلَهِيٌّ يُبَشِّرُنَا	بِسَرِّ لُطْفِ مَعَانِي السَّرِّ وَالْحَكَمِ
وَأَقْبَلْتَ بِالْهَنَا بُشْرَاكَ قَاصِدَةً	لَكَ السَّعَادَةَ طَبَّ نَفْسًا بِمَا تَرُمُ
وَقَدْ أَتَتْكَ تَحُتُ السَّيْرِ قَائِلَةً	يَهْنَاكَ هَذَا الْمُنَا يَا وَافِي الدَّمِ
ظُهُورُ فَضْلِ الْعُلَا يَوْمَ الشُّرُورِ لَنَا	بِالتَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَالْأَفْرَاحِ وَالنَّعْمِ
وَلَيْلَةُ الْأَرْبَعَا يَا صَاحِ لَنَا	حُسْنُ الْقَبُولِ بِهَا طُوبَى لِمُغْتَنِمِ
وَسِتَّ عَشْرٍ حَلَّتْ مِنْ شَهْرِنَا رَجَبِ	ذَاكَ الْأَصْبُ فِدْقُ يَا صَاحِ وَأَفْتَهُمِ
سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ أَلْفٍ وَقُلْ	مِنْ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى ذِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ (١)
فَضْلَ الْمَكَارِمِ وَالْخَيْرَاتِ مَنْ سَبَقَتْ	لَهُ الْعِنَايَةُ فِي الْأَزَالِ وَالْقِدَمِ

(١) كذا في المطبوع «سنة ثلاث وسبعين»، ولعله «ثلاث وسبع» لأن الوزن مُحْتَلٌّ.

نَجَلًا لِنُورِ الدُّنَا وَالِدَيْنِ خَيْرُ فَتَى
 أَنْشَاهُ مَوْلَاهُ نَشْوًا صَالِحًا وَحَبَا
 وَطَالِعَ لَمْ يَزَلْ سَعْدُ السُّعُودِ وَقَدْ
 تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَحَلَّنِي مَحَاسِنَهُ
 فَاقَ الْكِرَامَ عَلَيَّا عَلَيَّ الْهَمَمِ
 ذَاكَ السَّعِيدَ بِسِرِّ غَيْرِ مُنْكَتِمِ
 حَبَاهُ بِاللُّطْفِ مِنْهُ بَارِي النَّسَمِ
 وَمَا حَوَاهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالشُّبَمِ
 مِنْهَا لَوَائِحُ ذَاكَ التُّورِ فَاعْتَنِمِ
 خُذْهَا إِشَارَةَ صِدْقٍ قَدْ خُصِصَتْ بِهَا

وقد أثبت بعضهم هذه القصيدة في ديوان الحبيب ولي الله عبد الله بن علي وعدها من مكاشافته، والأرجح أنها من شعر بعض ولده، فإن الحبيب عبد الله توفي سنة ١٠٣٧هـ أي: قبل مولد الشيخ فضل بن علي بستة وثلاثين سنة، وقصد الشاعر بقوله: ظهور فضل: ميلاده.

وأما زعم بعضهم أن هذه القصيدة كانت تهنته للشيخ فضل بن علي بانتصاراته على عمال الإمام في أوائل ثورته عليهم فغير صحيح، فإن عام ١٠٧٣ وما بعدها إلى سنة ١١١٠ من أيام والده الشيخ علي بن صلاح. وقد تقدم عن مؤلف «البراهين المضية»^(١) أن الشيخ فضل بن علي طمع السلطان سيف بئدر عدن.

وعن القبطان بليفر أنهما تحالفا على أن يتداولوا خراج البندر بالمناوبة. وعن الشيخ عوض سالمين أن آل عطية طالبوا الشيخ فضل بن علي بشيء من

(١) «البراهين المضية في السيرة المضية»، والمؤلف هو الحسن بن الحسين بن صالح الروسي الأهنومي، مات سنة (١١٦١هـ) ولمخطوطة هذا الكتاب ينظر كتاب «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» (٢/ ٦٣٥) لعبد الله الجبشي.

نصف خراج عدن الذي صار عليه الاتفاق بين الشيخ فضل والسلطان سيف. وعن الوثائق القديمة بين يافع والسلطان عبد الكريم أنهم جعلوا للسلطان سيف خمسمائة ريال من خراج عدن في كل عام. فتبين من ذلك أن الشيخ فضل حالف السلطان سيف على المناصفة في خراج البندر، ثم لما قتل الشيخ فضل بن علي وله ولدان عبد الكريم فضل ومحسن فضل، بايع العبادل عبد الكريم فضل، واتخذ قتل أبيه ذريعة لتقص الحلف، وهو أول من تسمى سلطان من سلاطين العبادل، وحصلت بينه وبين يافع حروب استولت فيها يافع على عدن، ثم أخرجهم السلطان عبد الكريم منها وتصالحوها على الخمسمائة ريال المذكورة.

قال القبطان بليفر في «تاريخه»: وفي سنة ١٧٤٢م توافق سنة ١١٥٥هـ قتل

الشيخ فضل بن علي غيلةً في حفلة عرس في يافع. اهـ.

وفي رسالة الشيخ عوض سالميّن قال: وكانت وفاة الشيخ فضل سنة ١١٥٩، والصحيح ما نقل بليفر كما تحكيه الوثائق المحفوظة^(١)، وأمّ السلطان عبد الكريم من أميرات يافع القارة، وهو أول من صاهر آل هرّهرة سلاطين يافع بني مالك^(٢).

وذكر القبطان بليفر وغيره من مؤرخي الإنكليز بعد الشيخ عبد الرب بن

(١) آخر تاريخ وثيقة شرعية وقفت عليها باسم الشيخ فضل بن علي سنة ١١٥٤هـ، وأول تاريخ

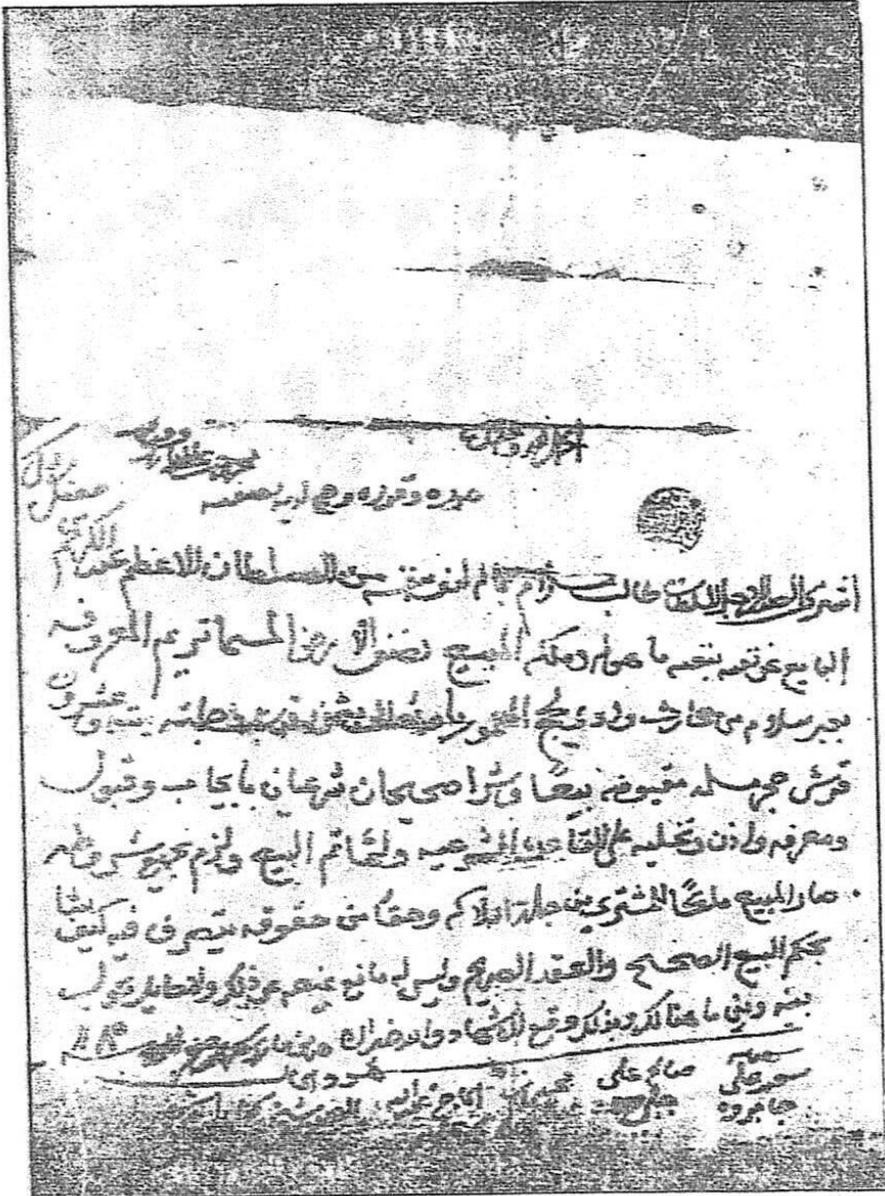
وثيقة كُتبت باسم السلطان عبد الكريم فضل واطلعت عليها مؤرخة عام ١١٥٦هـ وذلك يؤيد

ما حكاه القبطان بليفر أن قتل الشيخ فضل كان في عام ١١٥٥هـ. المؤلف.

(٢) ولما كان من زعامة لـ«آل هرّهرة»، ينظر: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٢/ ١٨١٨).

وهيب العنفي عامل العُدين السالف ذكرها عن الشيخ عوض سالمين، وذكروا أنها كانت على آخر عهد السلطان عبد الكريم المذكور، قالوا: وهاجم عبد الرب بطل الحُجْرِيَّةَ لحجًا، وذكر بعضهم أنه حاصر السلطان في عدن ستة أشهر، ثم فك الحصار بِرُشوةٍ كبيرة، وقال بعضهم: بل رجع مهزومًا من لحج إلى بلاده. اهـ.

والصواب أن السلطان عبد الكريم فضل بعد أن تولى سلطنة لحج أرسل السَّيِّدَيْنِ أبا بكر بن محمد والسيد عيروس بهدية إلى الحضرة الإمامية، فعاد الوداد بين حضرة الإمام والسلطان عبد الكريم فضل، وتوفي السيد عيروس بصنعاء، ورجع السيد أبو بكر بن محمد من طريق زبيد وقد اشترى حمارًا وحشيًّا كان يركبه في لحج، فَسُمِّيَ رَاكِبَ الْوَحْشِ، ولذلك تُدْعَى ذُرَيْتُهُ أَوْحَاشًا إِلَى حَالِ التَّارِيخِ، ولم تهاجم عساكر الإمام لحجًا بعد نزول الوحش من صنعاء قط. ونقل القُبطن بليفر عن المستر سولت أن وفاة السلطان عبد الكريم كانت عام ١٧٥٣ م الموافقة سنة ١١٦٧ هـ وذلك خطأ فإن الوثائق الرسمية أثبتت أن السلطان عبد الكريم فضل كان حيًّا إلى سنة ١١٨٠ هـ الموافقة ١٧٦٦ م.



(وثيقة تثبت وجود السلطان عبد الكريم فضل الأول إلى سنة ١١٨٠)

(تصحيحاً لخطأ بعض المؤرخين الأجانب)

وخلف السلطان عبد الكريم^(١) خمسة أولاد، هم: عبد الهادي وفضل وأحمد وعلي ومنصّر، فخلفه ولده الأكبر السلطان عبد الهادي بن عبد الكريم ونازعه عمه محسن فضل وأقاربه من آل سلّام، واستولى الشيخ عزب مكّي على عدن سنة ١١٨٥هـ، وخرج عن طاعة السلطان، ثم أخضعه السلطان عبد الهادي وأخرجه عن البندر بعد يومين، ولما اشتد النزاع بين السلطان عبد الهادي وعمه محسن فضل ضعف لذلك أمره وخرج العقارب عن طاعته، واستولى الشيخ مهدي العُقرَبِي على حصن بئر أحمد واستقل بها سنة ١١٨٦هـ، فحاول السلطان عبد الهادي إخضاعه ولم يتمكن لأن آل فضل شدوا أزرَ الشيخ مهدي وأمدّوه بالمال والرجال حتى مكّنوه من الاستقلال، وطال النزاع بين السلطان عبد الهادي وعمه محسن فضل وأحمد صلاح السلّامي وطالب بن سلّام السلّامي إلى آخر أيام السلطان عبد الهادي، ثم تمكن السلطان عبد الهادي من قتلهم وتخلص من فتنهم، وكان قتل محسن فضل في مدينة الحُوطة وأحمد صلاح في دار خمير في السعديين وطالب بن سلام في عدن، وهذا حسب الرواية المشهورة، والذي ثبت لدي من وثائق قِسْمَةِ تَرِكَةِ الشيخ أحمد صلاح بين ورثته المؤرخة عام ١١٥٩هـ أن قَتَلَهُ كان في أوائل ولاية السلطان عبد الكريم فضل، لا في عصر السلطان عبد الهادي، واستتب الأمن بعد قتل هؤلاء المشاغبين وتم الأمر لآل عبد الكريم.

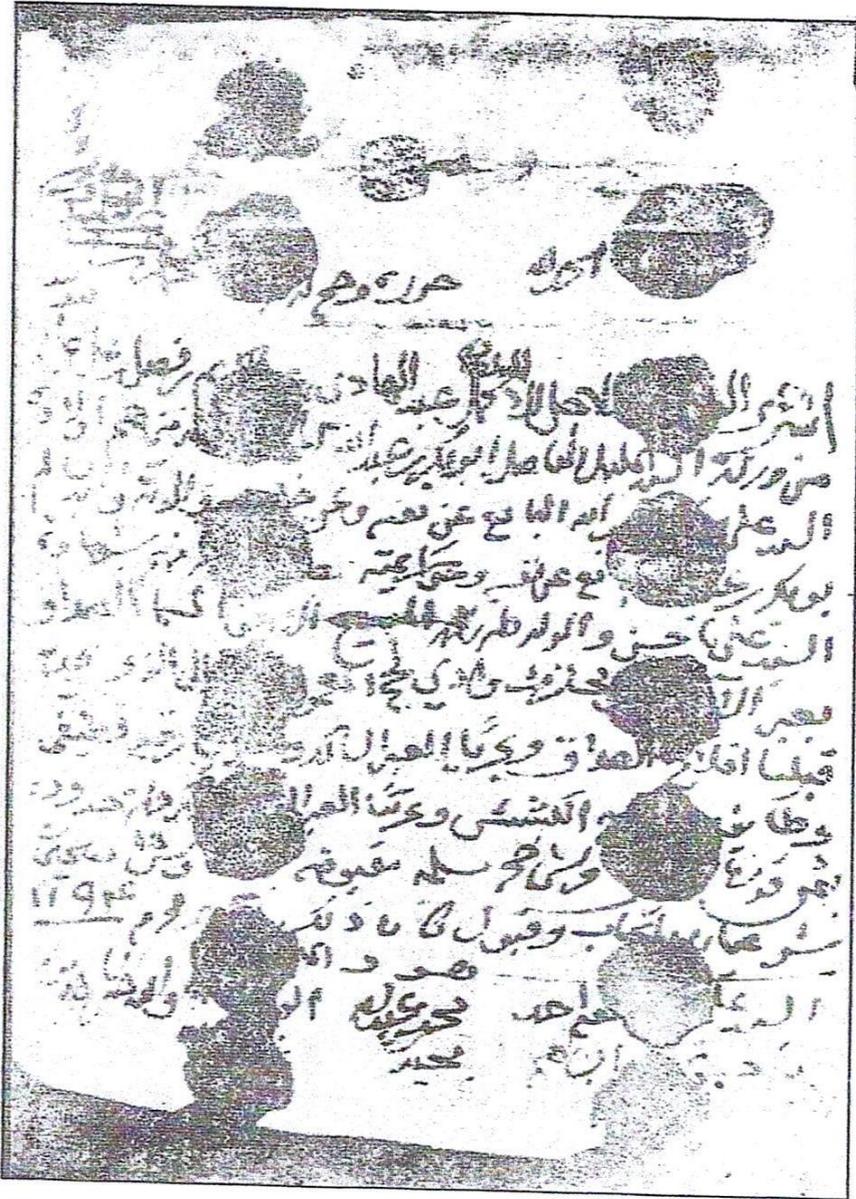
(١) قُبِرَ السلطان عبد الكريم مع ولديه السلطان عبد الهادي ومنصّر في مساكن الحسينية بمدينة الحُوطة، وأمّا السلطان فضل عبد الكريم والسلطان أحمد عبد الكريم فقبرهما في «مَجَنَّة» - مقبرة - المساوي على قارعة الطريق، وأمّا قبر علي عبد الكريم ففي مَجَنَّة العيدروس. المؤلف.

قال القبطان بليفر: وفي العام التالي لهذه الحادثة -يريد عام ١٧٧٧م- انتشر داء الجُدْرِي في البلاد اللَّحْجِيَّة فَأَهْلَكَ رُبْعَ سَكَانِهَا، وَمَاتَ بِهَا سُلْطَانُهَا، وَلَمْ يُعَقَّبِ السُّلْطَانُ عَبْدِ الْهَادِي نَسْلًا. اهـ.

قلت: عام ١٧٧٧م يوافق سنة ١١٩١هـ، وذلك خطأ، فقد ثبت لدي من الوثائق أن السلطان كان حيًّا إلى سنة ١١٩٤هـ توافق ١٧٨٠م، وخلفه أخوه السلطان فضل عبد الكريم أبو هساج،^(١) واشتهر هذا السلطان في كَحَجِّ بِالْقَوَّةِ والشجاعة، ومات سنة ١٢٠٧هـ توافق سنة ١٧٩٢م، ولم يترك نسلًا.

* * *

(١) الذي في «الأعلام» (٥/ ١٥٠) للزُّرْكَلِيِّ «هماج» بدل «هساج».



(وثيقة تثبت أن السلطان عبد الهادي كان حياً إلى سنة ١١٩٤)
(خلافًا لما ذكره بليفر)

فخلفه أخوه السلطان أحمد بن عبد الكريم. وفي عصره اشتدت المنافسة في التجارة بين دول أوروبا، فمد الفرنسيون أيديهم إلى البلاد المصرية، وخشيت بريطانيا العظمى إحباط تجارتها الهندية فأرسلت أساطيلها إلى البحر الأحمر واحتلت جزيرة «ميون»^(١). ثم نفذت من عندهم المياه فجاءوا إلى عدن وسمح لهم السلطان أحمد بالإقامة فيها إلى أن تسمح الأنواء بسفرهم إلى الهند، وأحسن السلطات معاملتهم. قال بعض مؤرخي الفرنسيين^(٢): والتفت نابليون بونابرت إلى جهة بلاد العرب وسجل في قائمة مقاصده الوصول إلى الهند ليعدم منها ما للإنكليز من الشوكة. ولما ولي إمبراطورية فرنسا أمر الميسيو (لسقاريس) بالسفر إلى بلاد العرب ليعاهد قبائل الشام والعراق وفارس على أن يسهلوا سير جيشه إلى السند ويفتحوا له الطريق التي سلكها إسكندر ذو القرنين.

فلما فطن الإنكليز إلى سر سياسة الفرنسيين مع العرب ألفوا قلوب عرب الشام بالعثمانية، وأغروا الوهابية أن يفسخوا معاهدتهم مع الفرنسيين، وابتدءوا بمعاكسة سياسة الفرنسيين، ولسوء الحظ أصابت الفرنسيين هزيمة موسكو الكبرى آنئذ، ورجع (لسقاريس) وقد رأى أن أوراق معاهدته مع العرب في أيدي أعدائه، وأن سعيه ذهب هباءً منثوراً فمات حزناً. ولتَمَكَّنَ الإنكليز من الاستيلاء على جزيرة «كرك» في الخليج الفارسي ووجود وكلائهم في المَخَا والسويس

(١) ميون: بفتح فتشديد، جزيرة تفصل باب المنذب إلى قسمين: شرقي وعرضه ثلاثة كيلو مترات، وغربي وعرضه (٢١) كيلو متراً، والسفن تستعمل المضيق الشرقي، لأن الغربي تقع فيه مجموعة صخور بركانية تسمى الأخوات السبع.

(٢) العلامة سيديو. المؤلف.

وجدة والبحرين وتشوقهم إلى الاستيلاء على مدينتي مَسْقَطِ وعدن كانوا يتبعون بشدة الاهتمام بحوادث جزيرة العرب. اهـ.

وقد أثنى مؤرخو الإنكليز على السلطان أحمد. قال بعضهم: وزار المستر سولت هذا الرئيس سنة ١٨٠٩م توافق ١٢٢٤هـ، وزاره بعد ذلك القبطن هينس من ضباط السفن البحرية الهندية. وكان السلطان أحمد شيخاً جميلاً بشوشاً محبوباً في قومه مولعاً بالزراعة. صَادَقَ الإنكليز فسلك أحسن سلوك الصداقة. قال: وذكر المستر سولت أن تسامحه المشهور عنه للنصارى في سلطنته أنه زار السلطان في لحج مع أبي بكر حاكم عدن، وبعد انتهاء الغداء قام أبو بكر وقال له: إن من عادات النصارى شرب الخمر عند الغداء، فينبغي الانصراف عنه برهة ليتمتع به^(١). وكان السلطان يداوم اهتمامه في مصالح رعاياه حتى دعاهُ الخاص والعام (أبونا) قال: قال المستر سولت: وإنه من الصعب أن يرى إنسان يغتبط بحظه أكثر من السلطان أحمد عبد الكريم، فإنه باقتداره وحسن سيرته رفع نفسه إلى مقام جليل بين أهل ولايات اليمن.

وفي سنة ١٨٠٢م توافق عام ١٢١٧هـ عقد السلطان مع السر هوم بوفهام معاهدة ودية.

وفي سنة ١٨٠٤م توافق سنة ١٢١٩هـ أظهر السلطان مودته للدولة

(١) أبو بكر هو مع الإنجليز وهم من أعطوه حكم «عدن» وصار يُمَهَّد لهم ما يحبون حتى شرب الخمر عياداً بالله، وكأنه خشي أن يستنكر السلطان أحمد فاستبقه بهذه الحيلة، وهي أن عادة النصارى شرب ذلك، وهكذا يصنع الدُّلُّ بأهله.

البريطانية حينما كانت بلاد العرب تضطرب بسبب الحروب الوهابية، ولحسن سيرة هذا السلطان وشجاعة جيشه قاومت عدن تقدّم الوهابية، ولما جاء أسطول الجوشمي الوهابي إلى مرسى عدن وفي المرسى مركب كبير من سرّة أرسل السلطان عسكرياً لحماية المركب من عبث الوهابية وأجبرهم على مغادرة البندر، مع أنهم عرضوا على السلطان أن يعطوه نصف الغنائم التي غنموها على أن يسمح لهم بالبقاء في عدن.

وكان السلطان أحمد عبد الكريم من أحسن سلاطين اليمن وأكيسهم سياسة، اجتهد في ترقية التجارة بعدن، حتى إنه طلب التجار من مصر ومن الهند ليسكنوا بلاده وكان له جيش منظم. وفي أيامه استردّت عدن بعض أهميتها السابقة^(١).

* * *

(١) باختصار من كتاب «بلاد العرب» للقبطن بليفر - المؤلف.

المعاهدة

(المبرمة بتاريخ ٦ سبتمبر سنة ١٨٠٢)

بَيْنَ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ عَبْدِ الْكَرِيمِ وَالسَّرْهُومِ بُوْفَهَامَ

عقدت هذه المكاتبة بناء على رغبة (الماركيز ويلسلي) أحد أعضاء مجلس شورى الدولة المنوط به أعمال ممالك بريطانيا في الهند الشرقية بواسطة نائبة السر هوم بو فهام مع السلطان أحمد عبد الكريم سلطان لَحْجِ القائم من طرفه الأمير أحمد بَاصَهَيَّ لربط علائق الوداد والمعاملة التجارية بين الطرفين.

اتفق النائبان وتراضيا على وضع الشروط الآتية:

- الشرط الأول:

تكون المواصلات التجارية بين الشركة الهندية الشرقية المحترمة والرعايا البريطانيين المسموح لهم (بالمعاملة) من حكمدار الهند العام وبين رعايا السلطان أحمد عبد الكريم.

- الشرط الثاني:

يَقْبَلُ السُّلْطَانُ أَنْ يَجْعَلَ مِينَاءَ عَدَنَ مَفْتُوحًا لِجَمِيعِ الْبَضَائِعِ الْوَارِدَةِ عَلَى الْمَرَاكِبِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ، وَأَنْ يَأْخُذَ مَكْسًا^(١) عَلَى الْبَضَائِعِ وَالتَّجَارَةَ بِنِسْبَةِ مَا هُوَ مَدُونٌ

(١) أي: ضرائب.

في قوائم البضاعة اثنين في المائة لا زيادة لمدة عشر سنوات، فليس للسلطان ولا لأحد من مأموريه أن يأخذ مكوسًا أخرى بصورة رسم مرسى أو جمرك أو ميزان.

- الشرط الثالث:

بعد أن تنقضي العشر سنوات المذكورة يحق للسلطان أن يزيد رسومه إلى ثلاثة في المائة، فليس لورثته أو لخلفائه أن يزيدوا على ذلك، وإذا حصلت منهم مخالفة لهذا الشرط ستبطل الصداقة والعلاقات التجارية مع الأمة البريطانية، وبناء على هذا الالتزام يتعهد السلطان أن لا يجعل مكسًا آخر بصورة رسم جمرك أو مرسى أو ميزان.

- الشرط الرابع:

يلزم دفع المكس المذكور اثنين في المائة لمدة العشر السنوات المذكورة، ثم الثلاثة في المائة تبعًا بعد انتهاء المدة المعينة على الدوام على جميع البضائع الصادرة من عدن من حاصلات بلاد السلطان أو البلاد المحيطة بها.

- الشرط الخامس:

إذا اشترت الشركة المحترمة المذكورة أو أحد رعايا بريطانيا بضائع من مدينة عدن أو من مينائها وكانت البضائع المذكورة مجلوبة من أفريقيا أو الحبش أو أي بلاد أخرى ليست من أملاك السلطان، فليس له عليها رسوم باعتبار أن الرسوم الواجبة عليها قد دُفِعَتْ عند نزولها إلى عدن، فلذلك يقبل السلطان أن لا يضرب عليها ضريبة أخرى.

- الشرط السادس:

يكون رعايا بريطانيا الذين يستعملون ميناء عدن أحرارًا في معاملاتهم، فلا يجبرون على أن يباشروا أشغالهم بواسطة شخص أو أشخاص أو سمسار أو ترجمان إلا باختيارهم، ولهم أن يشتغلوا بحريتهم دون أن يكونوا تحت ضغط السلطان.

- الشرط السابع:

يجوز لرعايا الدولة البريطانية أن يُسَلِّمُوا أموالهم لمن يختارون من غير إكراه، سواء أكانوا أصحاء أو مرضى. وإذا مات شخص من رعايا بريطانيا تسلم جميع مخلفاته بعد تسديد الديون الثابتة عليه لرعايا السلطان إلى يد والي عدن، لكي ترسل إلى الحكومة العليا أو إلى أيِّ متصرفية أخرى لانتفاع عائلة الهالك وورثته الشرعيين.

- الشرط الثامن:

يجب أن يُجْعَلَ سِجَلٌ يقيد به أسماء رعايا الإنكليز القاطنين في عدن، وأن يُعْطَى كل واحد منهم شهادة مقيدة في ديوان القاضي ووالي عدن، لكي لا يحدث نزاع بعد الآن إلا إذا ادعى شخص لنفسه الحماية البريطانية، سواء أكان أوروبياً أو وطنياً، فلا ينال امتياز الشرط السابع من لم يرد اسمه في السجل المذكور.

- الشرط التاسع:

يجب أن تُعْتَبَرِ المنافع الناتجة من الشرط السابع شاملة للتجار المسافرين والضباط المعهود إليهم نظارة أحوال السفن بأنهم رعايا الدولة الإنكليزية، وكذلك بحرية جميع المراكب التي تسافر تحت الراية الإنكليزية إذا أحضروا

شهادة من رئيس السفينة التي هم فيها سواء أوصوا أو مات أحدهم بدون وصية.

- الشرط العاشر:

يتعهد السلطان عن نفسه وورثائه وخلفائه أن يبذل المساعدة التي في وسعه بذلها لاسترداد الديون التي لرعايا الإنكليز عند رعاياه، وإذا لم يدفع الحق المطلوب بعد ثبوت طلبه وبعد تقديم رعية الإنكليز دعواه إلى القاضي للحصول على مساعدته وبعد مرور ثلاثة أشهر على تقديم الدعوى إلى القاضي فللقاضي التصرف بإعطاء الأمر بحجز مال المدين وبيعه لمصلحة الدائن، وإذا كان المدين لرعايا الإنكليز لا مال له فيلزم على القاضي أن يسجنه حتى يتم بشأنه تدبير يرضي الحكومة الإنكليزية.

- الشرط الحادي عشر:

إذا حصلت مخاصمة بين رعايا الإنكليز المسجلين فيلزم رفع الدعوى إلى والي عدن، والمذكور سيجري الحكم بحسن نظره طبق الأصول المتبعة في بلاده، وسيكون حكمه نافذاً في أي دعوى لا تتجاوز ألفي ريال، وإذا زاد المبلغ على ما ذكر يرفع الاستئناف إلى متصرفية أخرى في الهند، وإذا لم يرض أحد الفريقين بالحكم الصادر يحق للقاضي أن يسجنه بحسب طلب الوالي. والمقصد من هذا الشرط هو تأييد النظام التام والاتفاق بين الرعايا المسجلين من الإنكليز ورعايا السلطان.

- الشرط الثاني عشر:

تفصل جميع المشاجرات بين رعايا الدولة البريطانية ورعايا السلطان بمقتضى قوانين البلد المقررة.

- الشرط الثالث عشر:

رضي السلطان أن يعطي الدولة البريطانية أرضاً في غربي المدينة طولها... ذراعاً وعرضها... ذراعاً بعوض قدره (...). ريال، لكي تستعمل الدولة البريطانية تلك الأرض، وللشركة أن تعمر فيها أي بناء أو بيت وأن تُدْرَب^(١) البقعة عند الاقتضاء... والتزم السلطان أن يمنع أي عمارة حوالي الدَّرْبِ إلى مسافة عشرين ذراعاً في واجهة الدَّرْبِ وإلى خمسة عشر ذراعاً من أي جهة أخرى.

- الشرط الرابع عشر:

للبريطانيين أن يدخلوا المدينة من أي باب وأن يركبوا الخيل والبغال والحمير وأي حيوان آخر يستحسنون ركوبه بدون احتكار ولا معارضة ولا إهانة.

- الشرط الخامس عشر:

إذا فر شخص من عساكر الدولة أو من رعاياها من غير المسلمين والتجأ إلى القاضي أو أي أمير من طرف الحكومة وطلب اعتناق الإسلام فعلى القاضي أن يرسل إفادة رسمية إلى الوالي، فلعله يطلبه بصفته رعوياً بريطانياً، وما لم يصل طلب من الوالي بعد مضي ثلاثة أيام من تاريخ الإفادة للقاضي أو الأمير أن يعمل بمقتضى رأيه في معاملة الشارد.

- الشرط السادس عشر:

سيعطي السلطان بقعة من الأرض لتكون مقبرة عامة للرعايا البريطانيين

(١) أي: تُسَوَّرُ بِسُورٍ.

الذين يموتون في حدوده مجاناً فلا يدفعون غير نفقات الدفن.

- الشرط السابع عشر:

أي مادة خارجة عن هذه المعاهدة يقترحها أحد الطرفين ويتم عليها الاتفاق يجوز اعتبارها مُلْحَقَةً بهذه المعاهدة، وسفير الدولة البريطانية مستعد أن يقبل أي رأي من السلطان ويرفعه إلى سعادة والي الولاية، وأن يدخل في مُقَاوَلَةٍ مُشْتَرَى أي مقدار من البُنِّ أو تسليم أي بضائع بريطانية بالأسعار التي يكون عليها التراضي.

قرئت هذه الشروط السبعة عشر وصار عليها التراضي والقبول من الطرفين، ووضع السلطان ختمه على النقل العربي الصحيح، ووقع السفير البريطاني على النقل الإنكليزي في مركب جلالة الملك المسمى (راني) في طريق عدن في اليوم السادس من شهر سبتمبر سنة ١٨٠٢ م. اهـ.

وفي عصر السلطان أحمد عبد الكريم غزا يافع قرية الحَمْرَاء وفيها محسن بن فضل بن محسن، فقاتلهم أهل البان^(١) وصبروا على الطعان، وكان السلطان أحمد قد جمع عساكره وذخائره في حَوْشِ دَارِ حُمَادِي بالحُوطة، لكي لا ينجدوا محسن فضل لما بينهم من الجفاء، غير أن رجلاً من آل كُمَيْتٍ من موالي عبد الكريم (يعرفون الآن بآل بخيت) تسَوَّرَ السُّورَ ونفخ في الصور، فَوَثَّبَ له الأسمر والأسود وَحَنَّ المَجْدَ^(٢)، فأغارت العبادل من كل طرف، وهزمت

(١) أهل البان، وهناك أيضاً آل البان، ينظر لذلك: «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (١/ ١٣١ -

(١٣٢).

(٢) الطَّبْل.

جموع يافع وفاز المدافع، ثم دخل العسكر على محسن فضل للسلام عليه فوجدوه مجروحًا في يده اليمنى حيث أصابتها بندقيته.

وفي سنة ١٢٣٤هـ غزا لحجًا السلطان عبد الله بن فريد العولقي في ثمانية آلاف مقاتل طمعًا في المال لا في الحال، فأعطاه السلطان سبعة آلاف ريال، وزال بإذن الله الخلاف وحصل الائتلاف، ودق طبلة الأعجم الغصان راجعًا إلى بلاده ينشد شعرًا:

يا لا عَجْمَ أتَرْزَجَمَ عَشِيَّةَ فِي السَّبْحِ قُدَّامَكَ العُشَّارَ وَقَفَّاءَ العَرِيسِ

وفي سنة ١٢٣٦هـ وَقَعَ إمام صنعاء على معاهدة مع الدولة البريطانية، ثم حدثت حوادث فتأخر الإمام عن قبول بعض تعديلات في المعاهدة وأهملت المعاهدة لهذا السبب.

وفي سنة ١٢٤٣هـ مرض السلطان أحمد عبد الكريم فدعا ولد ابن عمه محسن فضل بن محسن فولاه الأحكام، ثم توفي السلطان أحمد وخلفه السلطان محسن فضل.

وفي سنة ١٢٤٥هـ أُرْسِلَتْ حكومة بمبي السفينتين (باناوس وبلا نارس) لتتيم ذرع البحر الأحمر، وأرسلت الفحم إلى عدن فأنزلوه في جزيرة صيريه لتموين المركب (هوج لندسي) وهو أول باخرة بنيت في الهند ومخرت في البحر الأحمر، فلما جاء المركب هوج إلى عدن تعذر عليه شحن الفحم لِقَلَّةِ العمال، فلم يتمكن من شحن مائة وثمانين طنًا إلا في ستة أيام.

وفي سنة ١٢٤٨هـ ظهر أمر (تركي بلماز) واسمه محمد آغا من مماليك

مصطفى بك صهر محمد علي باشا والي مصر. كان محمد آغا ضابطاً من خيالة الجيش المصري في الحجاز، ولما حصل الخلاف بين خورشيد بك^(١) والي الحجاز وبين زنار آغا قام تركي بلماز بثورته المشهورة في الحجاز. ثم كتب له السلطان محمود فرماناً بالولاية على الحجاز من طرفه، فلما بلغ تركي بلماز وصول النجدات المصرية إلى ينبع تحت قيادة أحمد باشا توجه تركي بلماز إلى تهامة اليمن واستولى على مدنها. فلما صار بالمخا كتب إلى السلطان محسن فضل سنة ١٢٤٨ هـ يطالبه بتسليم عدن، وأرسل أربعين رجلاً من طرفه لاستلام البندر والقلاع، فنزلوا في عدن في ٢٦ رمضان من ذلك العام، فرحبوا بهم أولاً ثم أمر السلطان عسكره بمهاجمتهم ليلاً فقتل منهم سبعة وعشرين رجلاً وفر الباقون إلى المخا. ولما بلغ الأمير علي^(٢) بن مجثل العسيري من آل معيط^(٣) وصول أحمد باشا بالجنود المصرية إلى مصوع لمهاجمة تركي بلماز قلب لتركي بلماز ظهر المعجن وتجهز لمحاربتة، فاستولت عسير على زبيد وحاصرت المخا من جهة البر بينما كان المصريون يحاصرونها من البحر. ففر تركي بلماز في القوارب ثم التجأ إلى المراكب البريطانية بعد أن غرق جمع من أصحابه في البحر ونجا هو بنفسه ومائة وخمسين من أصحابه، وسار بهم المركب الحربي البريطاني المسمى

(١) ينظر «الأعلام» (٦ / ١١٩) للزركلي.

(٢) ينظر «الأعلام» (٤ / ٣٢٣).

(٣) كذا هنا «معيط»، والذي في ترجمته من «الأعلام»: «مفيد» وهو الصواب، وكذلك يقال

«المغيدي»، وقد ذكره حسن بن أحمد عاكش الضمدي في أثناء ترجمة محمد بن يحيى بن

عبد الله عن كتابه «عقود الدرر» (٢ / ٧٠٤ - ٧٠٥) برقم (١٩٧).

(نجرس) - أي دجلة - إلى الهند.

وفي سنة ١٢٥١هـ جاء القبطن هينس إلى عدن وكان إذ ذاك يشتغل في مساحة ساحل بلاد العرب الجنوبي، وقابل السلطان محسن فضل فأحسن السلطان معاملته.

وفي صباح ١٤ رمضان سنة ١٢٥١هـ عرى المركب (دريا دولت) في غبة سيلان) بالقرب من عدن، وهو ملك (السيدة بيجم) الهندية بنت أخت النواب (الكارنا تيك) وكان فيه بضائع وحُجَّاج إلى جدة، فتهاقت الأعراب على بضاعته الثمينة تهاقت الجِياع على قِصَاعِ المتاع، فنهبوا البضاعة وفرقوا الجماعة، فلا احترموا نساء ولا حجاجًا، ونزل الركاب على الأخشاب فغرق منهم أربعة عشر شخصًا، وقبض الأعراب على الباقيين، فعروهم عن الثياب وأذاقوهم العذاب، حتى أسعفهم السيد عيدروس من مناصب عدن آل العيدروس. ثم اقتسم الأعراب الغنائم بل الجرائم، ثم سَمَّوا هذه الحادثة بالسعدانية، ورجعوا بالفيء إلى بيوتهم ينشدون شعرًا:

رَوَّحْنَا مِنَ السَّعْدِيَّةِ بِأَسَافِيفٍ وَلَا جَنِيَّةِ

وما أسرع أن أعقب اللُّقْمَةَ تخمة. فلا وأبيك ما دخلت سنة ١٢٥٣هـ حتى جاء القبطن هنس من طرف حكومة بمبي مأمورًا بأن يجتهد في تحصيل محطة للمراكب الإنكليزية المسافرة في هذه الجهة بالشراء أو بأي تدبير آخر. وقابل السلطان محسن في ٨ شوال سنة ١٢٥٣هـ فخاطبه في البضائع المنهوبة من المركب، فأنكر السلطان اشتراك رعيته أو قبائله في النهب، ولم يقبل القبطن هذا

الاعتذار لأن بضائع المركب (دريا دولت) كانت تباع آنئذ في أسواق عدن. ففرض على السلطان غرامة قدرها (١٢٠٠٠) اثنا عشر ألف ريال أو إعادة جميع الأموال المنهوبة. ولما كان من المتعذر على السلطان محسن أن يعيد الأموال لوقوع بعضها بأيدي غير رعيته أرجع من البضائع ما قيمته (٧٨٠٨) سبعة آلاف وثمانمائة وثمانية ريالات وكتب على نفسه بالباقي أي (٤١٩٢) أربعة آلاف ومائة واثنين وتسعين ريالاً سندياً، وتعهد أن يدفعها بعد اثني عشر شهراً. وبعد فصل مسألة حادثة المركب (دريا دولت) فاوض السلطان بخصوص المحطة فرضي السلطان أن يدخل في معاهدة مع البريطانيين وأن تكون لهم محطة في عدن على أن يبقى نفوذه على رعيته كما هو، فلذلك هبت بينهما ريح الخلاف وتعذر الائتلاف. وبلغ القبطن هينس أن أحمد بن السلطان محسن دبر مكيده للقبض عليه وعلى الأوراق وعلى الوكيل السياسي في عدن بعد المقابلة الأخيرة، فعاد القبطن إلى بمبي.

وفي سنة ١٢٥٤هـ عاد القبطن هينس إلى عدن بعد أن منحته حكومته التفويض التام في أن ينفذ أمر الاستيلاء على عدن. فخاطب السلطان بتسليمها مقابل ثمانية آلاف ريال سنوياً. واستهزأ العرب بهذا الطلب وسنوا الحراب وحصنوا الأبواب. وقال أحمد بن السلطان محسن للقبطن هينس: إن كلمتي لهي العليا، فإذا جئت إلى باب عدن لمقابلة السلطان فتحننا لك الباب وقطعنا رأسك بالسيف، وهكذا عادة البدو. ثم منعوا المركب (كوت) عن الماء وضربوه بالبنادق فأصابوا بحريين من رجاله. وحاصر القبطن عدن.

وفي ٢٥ شوال سنة ١٢٥٤هـ تناوش المركب كوت وقلعة صيرة بالمدافع

واستشهد من أصحاب السلطان ثلاثون قتيلاً.

وفي أوائل القعدة وَصَلَتْ إِلَى عدن قوة مؤلفة من المراكب الحربية (ما هي وفوليج وكروزر) ومعهم ما يزيد عن ثلاثين مدفعاً وثلاثمائة مقاتل من البريطانيين وأربع مائة مقاتل من الهنود، وضربوا البلاد بالمدافع ثم هزموا المُدَافِعَ (١). وخسر العرب على ما حكى مؤرخو الإنكليز مائة وخمسين بين قتيل وجريح، ولم تزد خسارة الإنكليز على خمسة عشر، وانسحب السلطان وعائلته والأعيان إلى لَحْج، وبهذه الصورة سقطت عدن بيد الإنكليز، وهي أول بلد فتح في عهد جلالة الملكة فكتوريا.

وفي «ملوك العرب» للرَّيْحَانِي قَالَ: وكتب رئيس الوزارة الإنكليزية يومئذ اللورد بالمرستون إلى محمد علي باشا سنة ١٨٣٨م توافق سنة ١٢٥٤هـ يقول: أن لا حق له في البلاد العربية، فيجب أن يسحب جنوده منها. ثم عقد معاهدة مع الدولة تُخَوِّلُ الإنكليز الاتجار في الممالك العثمانية، وطلب منها عدن لتكون مركزاً تجارياً في تلك الأنحاء على أنهم كانوا يبغونها مستودعاً للفحم. وذكر أن السلطان عبد المجيد منحهم فرماًً بذلك. اهـ.

وكانت الدولة العثمانية تدعي سيادة اسمية على عدن إلى ذلك التاريخ. والظاهر أن السلطان عبد المجيد وحكومته تَقَرَّبَا بهذه الهدية للإنكليز طمعاً في معونتهم على المصريين الذين خرجوا في تلك الأثناء عن طاعة السلطان وملكوا الحجاز والشام حتى انعقدت معاهدة لوندرة سنة ١٨٤٠م توافق سنة ١٢٥٦هـ

(١) المدافع عن البلد.

القاضية باعتبار محمد علي باشا من تابعي الدولة العثمانية. واستعان الأتراك بالجيوش والأساطيل البريطانية. ولم يَكْتُبْ مؤرخو اليمن عن حادثة استيلاء الإنكليز على عدن زيادة على ما نقله القاضي حسين^(١) بن أحمد العرشي في «شرح بلوغ المرام» على مسك الختام، قال:

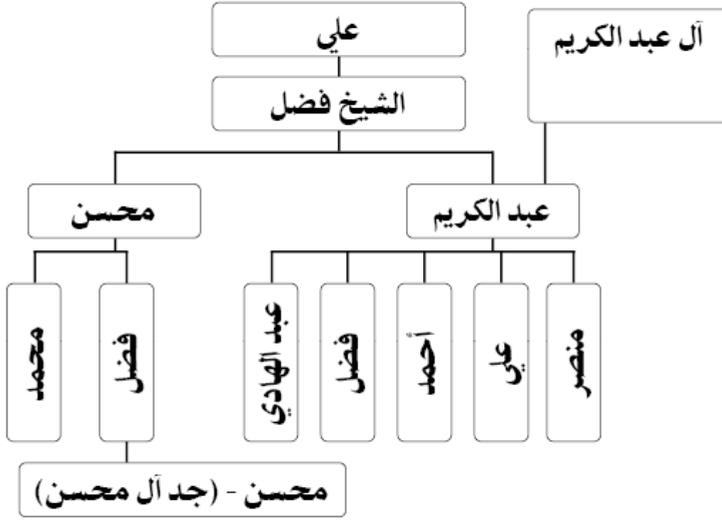
وَلِلْمُمَثِّلَةِ الْكُفَّارِ فِي عَدَنٍ أَمَسَتْ تُعِينُهُم بِالْمَالِ وَالنَّفَرِ

هؤلاء فرقة من الإفرنج يدعون الإنكليز ملكوا عدن وأخرجوا عنها ملوكها بني العبدلي. وقيل: باعها السلطان العثماني كما باع غيرها من مدن الإسلام وجعل عليهم خراجاً يؤدونه إليه في كل سنة فهم يؤدونه إليه. وفيها يخطب خطباء المسلمين له. قال: وكان دخول الأفرنج عدن سنة ١٢٥٣هـ، وما زال يسري أمرهم حتى لقد تملكوا أكثر ما يليهم من اليمن.

وما هذه إلا إحدى المصائب الكبرى التي تقيم وتقعد لو بقي للمسلمين أذنًى غيرة إيمانية. وهم بها إلى الآن، بل هم قد تملكوا معها الهند والسند وغيرهما من بلاد الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (انتهى كلام العرشي).

* * *

(١) هو الحسين بن أحمد بن صالح بن مصلح الخولاني العرشي، من مواليد سنة (١٢٧٦هـ)، واسم كتابه «بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولّى مُلْكَ اليمن من مَلِكٍ وإمام» ولمعرفة مخطوطة الكتاب ينظر: «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» (٢/ ٦٥٧).



* * *

الفصل الرابع عشر

مِنَ الحَمْرَاءِ إِلَى الحُوطَةِ. انقراضُ آلِ عبدِ الكَريمِ. مُعَاهدَةُ الإنكليزِ. مُحاوَلَةُ استردادِ عدَنَ. ابنُ سلطانِ مَكَّةَ. السلطانُ أحمدُ. السلطانُ عليّ. سعيُهُ للسلامِ. خلُوعُ عبيدِ بنِ يحيى. حيلةُ السلطانِ عليّ. السلطانُ فضلُ محسنِ. فتنةُ عبدِ اللهِ محسنِ. توسطُ الفضليّ. كلُّ أبوهُم كَفَرُوا. الأتراكُ في لَحْجٍ. استردادُ زايدهِ. السلطانُ فضلُ بنِ عليّ. معاهدةُ زايدهِ. رجوعُ عبدِ اللهِ محسنِ إلى لَحْجٍ. الاستيلاءُ على مُعَادَنَ.

* * *

كان فضل بن محسن والِدُ السلطانِ محسنِ مع أبناءِ عمه آلِ عبدِ الكَريمِ في مدينةِ الحُوطَةِ، ثم انتقل فضل بن محسن ومحمد بن محسن من مدينةِ الحُوطَةِ إلى الحَمْرَاءِ بعد أن أمر السلطان عبد الهادي بقتل أبيهما محسن فضل، وسكنا في دار الدولة الدَّويلِ المعروف موضعهُ بهذا الاسم إلى الآن. ثم انتقلا إلى دار الدولة في وسط الحَمْرَاءِ. وكان فضل بن محسن عائشاً في سنة ١٢٠٥هـ، فقد عَثَرْتُ في الأوراقِ الشرعية القديمة أنه حضر مجلس القضاء الشرعي بالحُوطَةِ في ذلك العام، ونَدَرَ على الحَجَّةِ شمس بنت السلطان عبد الكَريمِ بفلج حَنُونِ^(١) في عُبْرَ

(١) اسم حَقْلٍ. المؤلف.

يعقوب^(١)، وهي بنت عمه، وقَبْرُهَا مع قَبْرِه، وَقَبْرُ أَخِيه محمد في الحمراء في حجرة الشيخ حسن البحر، فلعلها زوجة أحدهما. وتربى السلطان محسن في قرية الحمراء وتزوج بالسيدة قدرية بنت صلاح^(٢) السَّلَامِي، ومنها كل أولاده الذكور غير أحمد وعبد الله وعبد الكريم. ولما تولى سَلْطَنَةَ لَحْجِ انتقل إلى الحُوْطَة ومعه من الأولاد أحمد وعلي وعبد الله وفضل وعبد الكريم ومحمد مواليد الحمراء، وقد أدركت من انتقل مع السلطان محسن من الحمراء إلى الحُوْطَة، وروي لي ذلك، ولم يبقَ من آل عبد الكريم بعد وفاة السلطان أحمد عبد الكريم غير شاب يقال له: صالح، حاول بعض الموالى توليته فلم يفلحوا، ثم مات وانقطعت ذرية آل عبد الكريم، وخلفهم السلطان محسن فضل شرعاً وعرفاً.

وفي عهده حدثت حادثة المَرْكَبِ «دريا دولت» وكان البريطانيون يطمعون بالاستيلاء على عدن حتى وجدوا من اختلال أحوال العرب بالحروب الوهابية وفتنة محمد علي باشا والدولة العلية وحادثة المَرْكَبِ «دريا دولت»^(٣) خير

(١) ساقية، قناة. المؤلف.

(٢) صلاح بن أحمد صلاح. المؤلف.

(٣) هي سفينة هندية شرعية لأميرة مسلمة من الهند ثرية، وتبلغ حمولتها (٢٢٥ طن) وكان عليها العلم البريطاني، ادَّعى الإنجليز أن البدو هاجموا ونهبوا بعض حمولتها، وأن ابن سلطان

لحج يُعدّ واحداً من المحرّضين على ذلك. ولهذا قال الشاعر محمد عبده غانم:

جَيْشُ الطُّغَاةِ وَطُغْمَةُ الْأَشْرَارِ	في عَصْرِ هَذَا الْيَوْمِ حَلَّ بَدَارِي
نَهَبَتْهُ أَيْدِي الْبَدُو ذَاتَ نَهَارِ	زَعَمُوا بَأَنَّ لَهُمْ لَدَيْنَا مَرْكَبًا
بِنَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ مِنْ مِلْبَارِ	قَدْ سَارَ فِي عَرْضِ الْبِحَارِ مُحَمَّلًا
أَمْوَاجِ يَمِّ صَاخِبِ فَوَارِ	حَتَّى رَمَتْهُ عَلَى سَوَاحِلِ أْبَيْنِ

واسطة لإنفاذ مطامعهم في عدن، وفي ٦ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥هـ عقد السلطان محسن والكمندر هينس المعاهدة الآتية:

تعهد السلطان محسن فضل وأولاده أحمد وعلي وعبد الله وفضل بحماية الفقير والضعيف وسلامة قبائلهم وتأمين الطرق، وأنه مسئول على أي قبيح يرتكبه أصحابه في الطرق، وألا يحدثوا أي نوع من المقاومة ضد الدولة البريطانية، وأن تكون مصلحة الطرفين واحدة.

وعلى الدولة أن تدفع المعاشات التي للفضلي واليافعي والحوشبي وقبائل الأمير، وأن تعطي السلطان محسن وأولاده ما تناسلوا معاشاً قدره (٦٥٠٠) ستة آلاف وخمسمائة ريال سنوياً ابتداءً من شهر القعدة الحرام سنة ١٢٥٤هـ، وأن الأرض من المجراد^(١) إلى لحج وإلى جميع حدود قبيلة العبادل المعروفة تحت سيطرة السلطان، وعند حدوث أي هجوم على لحج أو على قبائل العبادل أو على عدن أو على عساكر بريطانيا فالسلطان محسن والدولة البريطانية يكونوا يداً واحدة، وإذا دخل أحد رعايا السلطان عدن فعليه إطاعة قوانين الدولة البريطانية، وعلى رعايا الدولة البريطانية أن يطيعوا أحكام السلطان في لحج، وأن السلطان وأولاده معافون من العوائد والرسوم عند دخولهم وخروجهم في عدن.

وَكَذَلِكَ شَأْنُ الظَّالِمِينَ فَإِنَّهُمْ
يَسْتَمِرُّونَ الظُّلْمَ بِالْأَعْدَارِ
وَكَأَنَّما نَهَبُ الحَطَّامِ وَلَوْ جَرَى
يَقْضَى بِنَهَبِ مَوَاطِنٍ وَدِيَارِ

(١) المجراد: منطقة ما بين الشيخ عثمان وعدن، وقد طغى عليها اليوم اسم «خور مكسر» الذي هو اسم الخور شمالي مدينة عدن.

ثم في شهر رمضان من هذه السنة وفي ربيع الأول وجمادى الأولى من سنة ١٢٥٦ هـ هاجم العبادل عدن ثلاث مرات لقصد استرجاعها فانهزموا، وقطعت حكومة عدن المرْتَبَات التي كانت قد أجرتها لسلطان لحج بموجب المعاهدة السابقة، وفي سنة ١٢٥٩ هـ دخل السلطان محسن إلى عدن وتصلّح مع الإنكليز فأعادوا له المعاش، ودفعوا إليه مما تراكم من حساب شهور السنة السابقة.

وفي شهر شعبان سنة ١٢٦٢ هـ وصل إلى لَحْج الشريف إسماعيل بن حسن بِغَاغَةَ غَوْغَاءَ من الأعراب لجهاد الإنكليز وطردهم عن عدن، فكتب السلطان محسن إلى والي عدن بمقصد الشريف، فأجابه أنه على تمام الاستعداد لصد الشريف عن عدن، ولذلك صالح السلطان الشريف وجنوده وفرضوا على أهالي لحج قوتاً لِلْجُنْدِ الشَّرِيفِيِّ، وجعل محطته في طَهْرُور^(١)، وتبرع الشريف أن يمنح السلطان محسن فضل هذا فرمان.

(الختم)

الحمد لله الذي ألّف القلوب بعد التنافر بالبعاد، وجعل المخالطة في الله سبيلاً لا ينقطع في الوداد. والصلاة والسلام على من قال: «ارحموا عزيز قوم ذل وغنياً افتقر»^(٢) وقوله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم»^(٣) ممن كان للإسلام افتخر.

(١) هي قرية من نواحي مدينة الحُوْطَة بـ«وادي تَبِين».

(٢) هذا حديث لم يثبت أن النبي ﷺ قاله، بل هو حديث مكذوب عليه ﷺ، ولهذا أورده ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» (١ / ٣٨٧) برقم (٤٦٧) وأعقبه بقوله: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ.

(٣) هذا الحديث أورده مسلم في «مقدمة صحيحه» (ص ٦) معلقاً بصيغة التمريض: رُوِيَ، وجاء =

أما بعد: اعلّموا أيها الناس أزال الله عنا وعنكم الوسواس والبأس، أن الله ﷻ قدر المقادير حتى ساقنا من أقصى البلاد إلى هذه البلد بِقُدْرَةِ العزیز القدير، فوجب علينا أن نُقَرَّ أولي الفضل والرياسة في أحكامهم المعلومة من غير بخس ولا خَسَاسَةٍ، وهو فخر الأمراء المكرمين، وارث العز خلفاً بعد سلفه الأولين، السلطان محسن بن فضل بن محسن بن فضل بن علي بن سلام، أدام الله عليهم سجال الفضل والإنعام. ولا يرتاب مريب، ولا يشك في هذا الأمر بَعِيدٌ أَوْ قَرِيبٌ، وأن المذكور لا يُعَارِضُ في سُوحِ بلادِهِ، ولا يتجرى عليه أحد في رعيته ومواشيه وأتباعه ومن كان في معاملته وزروع لزاده، وأن المذكور عَدُوُّهُ عَدُونَا، وصديقه صديقنا، ويعلم الواقف عليها والناظر إليها، أن هذا الحكم حسبما اقتضاه الشرع المجيد الذي عليه المدار، ويجب أن يُوَكَّدَ غاية التأكيد، والكف الكريم والختم الفخيم، عليهم الاعتماد من الشريف الإمام العارف بالله فرع الشجرة الزكية وسلالة السلسلة المصطفوية، الغوث الجامع والغيث الهامع، معصب لشريعة جده مولانا الشريف إسماعيل ابن مولانا الشريف الحسن ابن مولانا الشريف أحمد سلطان مكة ابن مولانا الشريف سعيد سلطان مكة ابن مولانا الشريف سعد سلطان مكة ابن مولانا الشريف زيد سلطان مكة بتاريخ شهر شعبان سنة ١٢٦٢هـ.

وكان الشريف يُعْرِي المسلمين بجهاد النصارى في عدن، وَيَعِدُّهُمْ بالفتح

عند غيره مسنداً، ومن أهل العلم من أعلّه بعله الانقطاع بين ميمون بن أبي شبيب وعائشة

ﷺ، لأنه من روايتها عنه ﷺ.

المبين والنصر المكين ويُمْنِيهِمْ بأن الله قد أخجل النصارى وعزز الموحدين، وأن مدافع الإنكليز قد أطفأ الله شرارها ودُفِعَتْ عن المجاهدين أشرارها، فقص في جَمْعٍ من أصحابه عدن فردهم عنها الإنكليز بالمدافع، وقتل منهم جملة قتلى، فعادوا بقلب مكسور وطرف محسور، وسلط الله على المجاهدين (١) الهواء الأصفر (كوليرا) ففتك وعقر، وقتل فأكثر، وفرق وذردر، وشذر ومذر، فكانوا يموتون في الطرقات، وأخذتهم المجاعة، ودنت عليه الساعة، فجاع العير والنفير، وباعوا سلاحهم بالخبز الفطير، فكان الرجل منهم يبيع بُنْدُقَهُ بِقُرْصِ ذُرَّةٍ يساوي بِسِتَيْنِ، فتفرق من بقي كل اثنين في طريق، وعاد الشريف من حيث أتى بعد أن كان إمام المسلمين وقائد المجاهدين، فالقوة الدائمة لله سبحانه وتعالى، وهكذا عاقبة الأوهام لمن يقصرون جُهدَهُم على التَّنْجِيمِ والأحلام.

حدثني (الشيخ عبد العليم بانافع) قال: حدثني والدي الشيخ محمد بن عبد الملك بانافع قال: جاء الشريف إسماعيل صاحب علم الحرف (٢) إلى لَحْجٍ سنة ١٢٦٢هـ، فلما وصل إلى وادي طَيْرٍ قابله العبادل فنزل في طَهْرُورٍ على رمل هنالك، وكان معه جيش من عسير قاصداً الهجوم به على عدن. وكاتب السادة أهل الوهط وأهل الفيوش وأخبرهم بمقاصده فوافقوه على المسير معه إذا كان واثقاً بالنصر، فوعدهم بالنصر وأنه عرف ذلك من علم الحساب، وأن مدافع

(١) عجيب هذا الكلام من المصنف، لكن الذي يظهر أنه يريد بهذا أي: من سموا أنفسهم بذلك، وهم أهل تنجيم وخرافات، فلم يفلحوا بسبب ذلك، لأنه قال بعد ذلك: لمن يقصرون جهدهم على التنجيم والأحلام، ويوضح ذلك ما سيأتي من كلامه.

(٢) وهو داخل في التَّكْهَنِ والتنجيم، ويوضحه ما سيأتي.

الإنكليز لا تُطَلِّق عليهم نيرانها، ومَنَّا هُم بالغنيمَة، وحاول حَمَلُ السلطان محسن على المسير معه إلى عدن فاعتذر. ثم كتب الشريف المذكور لأهل فَضْل (١) فَلَا قُوَّةَ إِلَى بَابِ عَدَنِ، وَسِرْنَا نَحْنُ مَعَهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنْ طَهْرُورِ فَوْصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَخَضْنَا فِي مَاءِ الْبَحْرِ إِلَى الرَّكْبِ، وَمَشَى الْخِيَالَةَ مِنْ أَهْلِ فَضْلٍ أَمَامَنَا حَتَّى قَفَزَتْ خَيْلُهُمْ دَرَبَ الْحَرِيبِيِّ، ثُمَّ دَخَلْنَا نَحْنُ وَجَمِيعَ الْجَيْشِ إِلَى الْبَابِ، فَأَطْلَقَ الْإِنْكَلِيزُ عَلَيْنَا مَدَافِعَهُمْ فَانْهَزَمْنَا مِنْ حِينِنَا (٢) إِلَى الْوَهْطِ وَالْفَيْوُشِ، وَكَانَ الطَّاعُونَ قَدْ انْتَشَرُوا فِي جَيْشِ الشَّرِيفِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَكَانَا مَتَوَجِّهِينَ إِلَى عَدَنِ وَالْمَوْتَ حَاصِلًا فِي الْعَسْكَرِ، وَبَعْدَ الْهَزِيمَةِ تَفَرَّقْنَا شَدْرًا مَدْرًا، فَلَمْ يَعْرِفِ الْآخَرُ أَيْنَ ذَهَبَ الْأَوَّلُ. أَمَّا الشَّرِيفُ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَتَوَجَّهُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى جِهَةِ أُبَيْنَ. اهـ.

وفي كتاب (مجموع المعاهدات والارتباطات والسندات المختصة بالهند والبلدان المجاورة لها) للمستتر اتشيسن بي سي أس السكرتير الثاني لحكومة الهند، ذكر أن الدولة قَطَعَتْ الراتب الذي للسلطان محسن لاشترائه في الهجوم على عدن في (١) أغسطس سنة ١٨٤٦ م توافق سنة ١٢٦٢ هـ، يريد هذه الحادثة، مع أن عسكر البريطانيين رَاطَبُوا للدفاع عن عدن تحت جدران القلاع وتركوا حليفهم السلطان محسن بلا مَعَاوَنَةٍ. ولما صَالَحَ لسلامة بلاده وَصَالَحَ رعيته قطعوا راتبه وعدُّوه مشتركًا في الهجوم على عدن.

(١) هم سلاطين «أبين» قبل وأثناء الاحتلال البريطاني، وكانت تعرف أبين بـ«سلطنة الفضلي»

نسبة إليهم.

(٢) أي: من وقتنا.

وفي آخر شهر الحجة سنة ١٢٦٣ هـ توفي السلطان محسن، وله من الأولاد أحمد وعلي وعبد الله وفضل ومحمد وعبد الكريم وعبد الهادي وعبد القوي ومنَصَّر، فخلفه ولده الأكبر السلطان أحمد. هذا أحمد الذي أغضب الإنكليز وخالف نصائح والده العزيز، هذا الذي أراد أن يقطع رأس القبطان هينس، والعوام يزعمون أن الإنكليز طلبوا من السلطان محسن محطة للفحم في عدن، وعرضوا عليه معاهدة سخية مَنَحُوهُ فيها مصالح جسيمة وعطايا عظيمة، وأن أحمد المذكور خَيَّبَ آمال والده بشدة المعارضة التي أبدأها يومئذ بلا حِكْمَةٍ، حتى اضطُر الإنكليز إلى أخذ عدن عنوة. ورضي السلطان بالنزير اليسير بعد فوات الإكسير، والصواب ما أسلفناه. وهو الذي أسس المسجد المعروف بـ«مسجد الدولة» في الحُوطة. ثم شرع في عقد معاهدة مع الدولة البريطانية العظمى (فداناه الأجل ومات قبل إتمامها) في شهر صفر سنة ١٢٦٥ هـ، وخلفه أخوه السلطان علي^(١) محسن وعقد المعاهدة مع الدولة البريطانية العظمى في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٥ هـ، ومضمونها:

أن يحامي السلطان علي محسن على أملاك وأموال رعايا الإنكليز التي في لحج، ويسمح لرعايا الإنكليز بالدخول إلى بلاده للتجارة أو السياحة، وأن يقوموا بعوائدهم ما عدا حرق جثث الموتى، ويُسَلِّم المجرمين من رعايا الإنكليز ليحبسوا في عدن. وأن يكون خَوْر مَكْسَر الحد الفاصل بين حدود السلطان وحدود الإنكليز، ويحمي الطرق الموصلة إلى عدن بقدر طاقته، وأن كل ما يمر

(١) ترجمه الزركلي في «الأعلام» (٤/ ٣٢٣) معتمداً على ما جاء في هذا الكتاب عنه.

للسلطان وعائلته من البضائع في عدن وما يمر في بلاد السلطان من بضائع الدولة الإنكليزية معفي من الضرائب، ولا يأخذ السلطان على التجارة المارة في بلاده لرعايا الإنكليز رسمًا أكثر من اثنين في المائة، وأن يُرْعَبَ رعيته في زرع البقول والخضروات في لَحْج، ويساعد الدولة في كل ما يختص بخير عدن، ويصغي لمشورة المعتمد الإنكليزي في عدن بقدر الإمكان.

وتعهد القبطن (استافورت بتسورث هينس) من طرف حكومة الهند بأن يدفع للسلطان علي وخلفائه وورثائه مبلغًا قدره (٥٤١) خمسمائة وواحد وأربعين ريالًا نمساويًا في كل شهر.

وفي عصر السلطان علي محسن اشترك العوالق وآل فَضَل في غزو لَحْج، وهاجموا الحُوطة وقرى لَحج، وقُتِلَ الشيخ أبو بكر بن ناصر الرُّوسِي، فانهزمت العوالق وأهل فَضَل من الحُوطة، وعاثوا في أطراف البلاد، وأعطى السلطان علي محسن لفريد بن ناصر الرويسي أخي المقتول خمسمائة ريال، ورجع العوالق إلى بلادهم. وفي ذلك يقول شاعر العوالق مخاطبًا لَحجًا:

بَا تُنَشِّدُكَ يَا ذِي الْفُجُوجِ الْغَرِيبِ بُوبُكْرٍ عِنْدِكَ وَاسْتَغْلَيْنَا عَلَيْهِ
عِنْدَ الْعِبَادِلِ ذِي مِنَ الْحَمْرَاءِ وَنَمَّ مَلَأَ دَحْنًا الْعَبْدَ وَأَبْطَيْنَا عَلَيْهِ

وفي سنة ١٢٧٢هـ صالح السلطان علي محسن آل فضل أولاً، ثم سعى في إزالة سوء التفاهم الحاصل بين العبادل والعوالق، وصادق السلطان مَنْصَر بن بو بكر بن مهدي العَوْلَقِي، وذلك بواسطة السيد محمد بن عبد الرحمن الجِفْرِي، وكان السيد المذكور والسلطان هادي بن عبد الله الواحدِي صَدِيقِي السلطان

مَنْصَرُ وَالسُّلْطَانُ عَلِيٌّ، وَسَبَبًا فِي الْمُوَالَفَةِ بَيْنَهُمَا. فَلَمَّا جَاءَ السُّلْطَانُ مَنْصَرُ بْنُ بُو بَكَرٍ فِي سَفِينَةٍ شِرَاعِيَّةٍ إِلَى عَدَنَ طَلَّبَ السُّلْطَانُ عَلِيٌّ مُوَاجَهَتَهُ إِلَى «الشَّيْخِ عَثْمَانَ»، وَاعْتَذَرَ السُّلْطَانُ مَنْصَرُ، وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ عَلِيٌّ بِالسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجِفْرِيِّ، فَكَلَفَهُ عَلِيٌّ مُقَابَلَةَ السُّلْطَانِ عَلِيٍّ إِلَى «الشَّيْخِ عَثْمَانَ»^(١)، وَسَارَ السُّلْطَانُ عَلِيٌّ مِنْ لَحْجٍ بِجُمُوعٍ كَثِيرَةٍ لِمُقَابَلَةِ السُّلْطَانِ مَنْصَرُ. وَكَانَ السُّلْطَانُ مَنْصَرُ فِي جَمْعٍ قَلِيلٍ لَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرِينَ رَجُلًا، فَكَرِهَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْقَلَّةِ أَمَامَ جُمُوعِ الْعِبَادِلِ، وَكَانَ يَرْغَبُ أَنْ يُقَابَلَ الْجَمْعَ بِمِثْلِهِ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى السُّلْطَانِ عَلِيٍّ مُحَسَّنًا أَنْشَدَ يَقُولُ:

هَذَا مِنَ السَّيِّدِ وَيَسْمَعُنِي عَلِيٌّ ذِي حَلِّ فِي لَحْجِ الْفِيَّاحِ الْمُنْدِحِنِ
وَالْأَجْلَالِي فِي بِلَادِ الْكَازِمِيِّ مَا وَاجَهَ الْآ وَالْمَجِينِيْنَهُ تَحِنُ^(٢)

وَفِي سَنَةِ ١٢٧٣ هـ انْتَهَى الْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ لِصَلْحِ آلِ فَضْلِ وَالْعَوَالِقِ، فَتَسَرَّعَ آلُ فَضْلِ بِالْإِعْتِدَاءِ عَلَى قَوَافِلِ الْعَوَالِقِ وَأَطْرَافِ الْحُدُودِ، فَزَادَ تَقَرُّبَ السُّلْطَانِ مَنْصَرُ بْنُ بُو بَكَرٍ مِنَ السُّلْطَانِ عَلِيٍّ مُحَسَّنًا وَقَوِيَّتِ الرِّابِطَةَ، وَكَانَتْ صِدَاقَةَ السُّلْطَانِ عَلِيٍّ وَالسُّلْطَانِ مَنْصَرُ خَاتِمَةً لِلْفِتْنَةِ بَيْنَ الْعِبَادِلِ وَالْعَوَالِقِ، وَسَبَبًا فِي مَسَالِمَةِ الْقَبِيلَتَيْنِ إِلَى الْآنَ، ثُمَّ حَدَثَ بَيْنَ السُّلْطَانِ عَلِيٍّ مُحَسَّنًا وَالسُّلْطَانِ عُبَيْدِ بْنِ يَحْيَى الْفَجَّارِيِّ^(٣) الْحَوْشَبِيِّ نِزَاعَ بِخُصُوصِ أَرْضِي زَائِدَةَ، وَعَبَثَ

(١) وَالشَّيْخُ عَثْمَانُ هُوَ مَكَانٌ وَقَدْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ مَدِيرِيَّةً مِنْ مَدِيرِيَّاتِ مَدِينَةِ عَدَنَ.

(٢) حِلَالِي: أَيُّ مَسْكُونِيٍّ، وَأَمَّا الْكَازِمِيُّ فَعَلِقَ الْمُؤَلِّفُ هُنَا بِقَوْلِهِ: اسْمُ عَلِيٍّ طَيْلَةَ الْعَوَالِقِ. أَيُّ:

عَلِيٌّ كُلُّهُمْ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَالْمَجِينِيْنَهُ» عَلِقَ الْمُؤَلِّفُ بِقَوْلِهِ: اسْمُ عَلِيٍّ طَبْلَةَ الْعَوَالِقِ.

(٣) الْفَجَّارِيُّ: نَسَبَةٌ إِلَى آلِ فَجَّارٍ مِنْ رُؤَسَاءِ قَبَائِلِ الْحَوْاشِبِ فِي رَدْفَانَ.

الحوشب بالماء، واستدامت فتنة عبيد بن يحيى أشهرًا، غزا في أثنائها السلطان علي محسن (الراحة) مرارًا، وقام معه جمع من أمراء الحواشب وآل يحيى، فأنكروا على عبيد هذه المشاقَّة، وناصحوه فلم يقبل النصيحة، فجاءوا بالأمير علي مانع بن سلام إلى لَحْجٍ وطلبوا له المعاونة من السلطان علي محسن، ثم عادوا إلى بلادهم، وخلعوا عبيد بن يحيى، وولَّوا السلطان علي بن مانع بن سلام، وهو الذي نقل عاصمة الحواشب من الرحة إلى مسيمير بن عبد - بكسر العين والباء وسكون الدال - وصالح العبادل وباع السلطان علي محسن نصف أراضي زائدة وحصونها، وجعل السلطان علي محسن من طرفه (١) حامية في زايده، وأمر عليهم علي عمر الدوعني (٢)، وفي سنة ١٢٧٤ هـ حدثت حوادث مكثرة بين حامية الشيخ عثمان من طرف السلطان علي وحكومة عدن، فأرسلت حكومة عدن فرقة من جيشها في سنة ١٢٧٥ هـ وهدمت دار السلطان في «الشيخ عثمان».

وكان السلطان فضل محسن يومئذ أمير «الشيخ عثمان» من قبل أخيه، وبعد معركة صغيرة انهزم إلى جهة الرباط وأغار السلطان والعبادل. ولما التقى بأخيه ومن معه جعلوا محطتهم بالقرب من «الشيخ عثمان»، فتخابر السلطان والقائد البريطاني، فتهادنوا ثم تصالحووا واستدامت الصداقة والمصالحة من تلك السنة. حدثني (السيد علوي بن حسن الجعفري) قال: حدثني السلطان فضل بن علي

(١) أي: من قبله وجهته، وتصحَّف في المطبوع «من طرفه» إلى «بن طرفه» ويوضحه ما سيأتي من قوله: «من طرف السلطان».

(٢) الدوعني نسبة إلى «دوعن» ويلفظها أهل «لَحْجٍ» دوعاني. المؤلف.

قال: كنت يومئذ شاباً في عسكر عمي فضل محسن في «الشيخ عثمان»، فلما تراجعنا منهزمين جاء والدي والعبادل ومعهم السادة أهل الوَهْط، وبعد سويغات جاءنا صلاح العزبي رسوياً من قبل القائد البريطاني يعرض علينا المسالمة والهدنة، فلما بلغ السادة الأوحاش ذلك صاحوا في الناس بالجهاد الديني، وتحمسوا جداً واستنكروا رأي والدي في قبول الصلح والمهادنة، حتى إن والدي بِرَحْمَةِ اللَّهِ قَبَلَ الصلح سراً وأظهر أنه رده، وأشار على صلاح العزبي أن يرجع إلى القائد البريطاني ويبلغه قبول الهدنة، ثم يأتي إلينا فيظهر أنه أبلغ القائد رفض المسالمة، وأن القائد البريطاني أمر الجنود البريطانية والهندية بالزحف على الوَهْط غداً، ففعل صلاح العزبي ذلك، فلما سمع السادة ذلك اجتمعوا حول والدي وقالوا: يا سلطان، إن في الوَهْط نساء شريفات وأطفالاً للسادة، قم واسع في طلب الصلح والمهادنة مع هؤلاء النصاري، فإن الله يأخذ بيدك إن شاء الله، وعند ذلك أعلن والدي الهدنة وانتهى الأمر.

وفي شهر ربيع الأول سنة ١٢٧٩ هـ توفي السلطان علي، وتنازع إخوته فيمن يخلفه، فكان عبد الله محسن يرى أنه أولى بالإمارة بموجب وصية والدهم محسن فضل أن تكون للأكبر من أولاده، وأبى ذلك إخوته فضل^(١) محسن ومحمد محسن وابن أخيه فضل بن أحمد محسن بحجة أنه سيئ السلوك مع أهله. فاتفق القبائل والأعيان وأجمعوا على تولية ابن السلطان المتوفى وهو فضل بن علي، فبايعوه وهو إذ ذاك شاب. وبعد سنة من ذلك التاريخ أدرك

(١) ترجمه الزركلي في «الأعلام» (٥ / ١٥١) معتمداً على ما جاء في هذا الكتاب عنه.

السلطان فضل أن مكاييد أعمامه لم تكفَّ، وجعل عمَّاه فضل ومحمد يتصرفان في بعض الأمور بصفتيها أمناء أو صيياء على ابن أخيهم، واشتد من ذلك حَقَق (١) عمه الثالث عبد الله محسن فتفاقت الفتنة وحاول السلطان فضل محسن ابن أخيه أن يتنازل عن السلطنة، فرضي السلطان الشاب أن يتنازل لِعَمِّه عن السلطنة، وتم ذلك على يد والي عدن.

وكانت القبائل لا ترغب في ذلك التنازل، وقام نحو نصفهم مع عبد الله محسن وحصلت فتن ومعارك عديدة بين الأخوين، وكتب عبد الله محسن إلى السلطان أحمد بن عبد الله الفضلي سلطان أبيين أن يساعده ويتوسط في الفصل بينه وبين أخيه السلطان فضل محسن، فجاء أحمد بن عبد الله إلى لحج ونزل في الثعلب وكتب يُعلم السلطان فضل بقدمه لذلك الخُصُوص. وكان قد أُشِيعَ بِالْحَجِّ أنه إذا لم يُذعن السلطان فضل محسن لصلح الفضلي فإن الفضلي يساعد عبد الله محسن بآل فضل، فقابله محمد بن محسن فضل من طَرف السلطان فضل محسن إلى الثعلب، وقال حين أقبل على المحطة:

رَحَّبَ بِنَا يَا مَطْرَحَ الْجَيْدِ الزَّلْبِ رَحَّبَ بِأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ الْمَكِينِ
حَتَّى وَلَوْ التَّرْجِيبَ وَاجِبَ مِنَّنَا عُوْجَانَ فِي الْعَوْجَا فِي الزَّيْنَاتِ زَيْنِ

فلم يتمكن أحمد بن عبد الله الفضلي من إصلاح ذات البين، لأنه أتهم بِمَيْلِهِ إلى عبد الله بن محسن. ثم استدامت الفتنة طول حياة السلطان فضل إلى آخر عمره، وشد السلطان المتنازل أزر عمه الفضل محسن وقاد العسكر مرارًا إلى

(١) أي: غَضِبَ.

دار خمير من نوبة المَسَاوِدة لمناجزة عمه عبد الله محسن.

حدثني (قايد بن إسماعيل المسودي) قال: خرج السلطان فضل بن علي يوماً إلى نوبة المَسَاوِدة ومعه ابن عمه أحمد فضل والقاضي عمر حسين وجماعة من مشايخ العَبَادِل، فَالْتَفَتَ السلطان فضل إلى تَلِّ هناك، وقال لأخي أحمد إسماعيل: أتذكُر يوم تحصنت بعسكر عمي فضل محسن في هذا التل وأحاط بنا والدك والمساودة من كل جانب، فأخرجونا كرهاً، وكان هذا التل آخر حدود المزدرة يومئذ، قال: نعم يا سلطان، وقد شددنا أزر عمك عبد الله يومئذ، حتى أخلى دار خمير باختياره، ولقينا من عقاب عمك فضل ما فيه الكفاية، فلا تتذكر هزيمتك فتثير علينا غضبك الآن، قد نسينا ذلك العهد وما جرى فيه، وعفا الله عما سلف. فتبسم السلطان وقال: صدق. اهـ.

وكان عبد الله محسن قد طلب من أخيه السلطان فضل محسن فَرَزَ حصته من الأراضِي المُخَلَّفَةِ عن والده السلطان محسن، ففرزوا حصته وحصه أخيه عبد الكريم وأمهما الجبرية وأختيهما شمس وعتيقة، وذلك بعد أن اتفق كافة أولاد السلطان محسن فضل أن يعينوا بألف ومائتين ضمد من الأراضِي التي خلفها السلطان محسن فضل لتكون إرثاً لأولاده ونسائه بحسب الفريضة الشرعية، وجعلوا ما زاد على ذلك للسلطنة يستوليه كل من ولي أمر لَحْج من هذه العائلة يتصرف فيه بما يريد لمصالح السلطنة، وبالرغم من أن عبد الله محسن وأخاه وأخواتهما الشقيقات استلموا حصتهم لم يَكْفَ عبد الله محسن عن المشاققة والفتنة. اهـ.

وقد سمعت الوالد -رحمه الله تعالى- يقول: اجتهدت عبثاً أن أصلح ذات

بين أعمامي فضل ومحمد وعبد الله وعبد الكريم، وسمعتة يقول -وقد أصابه حَوْلٌ فِي عَيْنِهِ اسْتَدَامَ شَهْرًا بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ -: لَمْ يَحْزَنْنِي مَوْتُ أَحَدٍ بَعْدَ عَمِي فَضْلِ مُحْسِنٍ إِلَّا مَوْتُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، وَقَدْ أَصَابَنِي هَذَا الْحَوْلُ بَعْدَ وَفَاةِ كُلِّ مِنْهُمَا. رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى.

وفي سنة ١٢٨٢ هـ وجه السلطان أحمد بن عبد الله قبائل آل فضل إلى لَحْجِ وعاثوا في البلاد وتعرضوا للطرق، ففزعت حكومة عدن لذلك وأرسلت فرقة من جيشها طردت الفضلي من أطراف لَحْجِ وساقته وعساكره إلى أْبَيْنَ، ورافق السلطان فضل محسن والعبادل العساكر البريطانية إلى أْبَيْنَ، ونال السلطان من الدولة البريطانية (٨٠٠٠) ثمانية آلاف ريال مكافأة على تقديمه العلف ووسائل النقل للعساكر البريطانية التي خرجت لقتال الفضلي. في تلك الواقعة يقول الشاعر الفضلي:

جَدُ فَلَوِ الْعَبَادِلُ كُلُّ أَبُوهُمْ كَفَرٌ هَاشُوا مَسَاكِينَ ذِي مَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ دَعِيَّةٌ
مَا بَدَا إِنَّ الْمَرَّةَ تُحْكُمُ عَلَيَّ زَوْجَهَا مَلَأَ الْفَرَنْجِيُّ سَفْحَ طِينِ الدَّوْلِ وَالرَّعِيَّةِ

وفي سنة ١٢٨٤ هـ صار اتفاق بين السلطان فضل محسن وحكومة عدن على بناء قناة لجلب الماء لعدن من «الشيخ عثمان» أو من محل آخر، فبنيت القناة المعروفة من «الشيخ عثمان» إلى عدن.

وفي سنة ١٢٨٥ هـ وجه السلطان فضل محسن همه لمتاجرة السلطان علي مانع الحَوْشِي بعد أن نكث عهوده مع العبادل وتعرض لماء الغَيْلِ وأطلقه عبثاً في فلوات زايدة. وكان السلطان فضل محسن قد أعاد للسلطان علي مانع حصون

زايده، وأعطاه ما للعبادل من المزارع في زايده مقابل طِينِ المسْرَبِ في امْخُبُوءِ. فلم تُؤَثِّرْ في علي مانع هذه المجاملة، بل عاد إلى العبث بمياه الري وأباح لَحْجًا للحَوَاشِبِ فنهبوا المواشي وقطعوا الطرق وأحرقوا الشُّونَ^(١). ولذلك جهز السلطان فضل محسن أخاه محمد محسن إلى الراحة. واستولى العبادل على الراحة وهدموا دار الدولة.

وفر السلطان علي مانع الحوشبي إلى نَحْلَيْنِ^(٢) ثم عاد إلى مَسِيْمِيرِ بنِ عَيْدٍ -بكسر العين والباء وسكون الدال- بعد أن جمع جموعاً من الحواشب والضنابر^(٣) وجاء بهم إلى زايده، فقصده السلطان فضل محسن بجموع العبادل إلى زايده، واستبسل يومئذ العبادل فأخذوا الحصون عنوة. بعد أن خسروا خمسين قتيلًا منهم الشيخ سيف البدوي، واسترد السلطان فضل محسن زايده، واستولى على الشَّقْعَةِ^(٤) وجميع ما للحواشب في القريتين.

وفي تلك الواقعة يقول المرحوم محمد محسن:

يَا زَايِدَهُ تُؤَيِّبِي وَأَنَا بَا تُؤَيِّبُكَ حَتَّى ادْخَلِكُ فِي الدِّينِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
قَدْ تَابَتْ أُبَيْنُ وَالْجَبَلُ وَأَمَّصْرِيهِ وَأَنْتِي وَقَعْتِي دَارَ مَأْوَى الْمَفْسِدِينَ

(١) الشُّونُ: هي قصب الذرة وغيره من الأعلاف اليابسة التي تكون مجموعة في مكان خاص بها.

(٢) وهي في: «ردفان».

(٣) وهي في: «ردفان».

(٤) الشَّقْعَةُ: هي اليوم قرية كبيرة في لَحْجٍ جنوب قاعدة العند، وتبعد عن الحُوطة شمالاً بـ(٩٨)

ثم جاء السلطان علي مانع إلى لَحْجٍ وصَالَحَ السلطان فضل محسن، فباع عليه قَرِيْبِيَّ زائدة والشقعة وما فيها من المزارع وماء الغيل بثمن قدره (٧٠٠٠) سبعة آلاف ريال فوق ما أنفقه السلطان فضل محسن في الحرب المذكورة، وما نهبه الحَوَاشِب من أبواش^(١) العبادل وما أتلّفوه بحرق الشُّون وديات قتلى العبادل.

وفي سنة ١٢٩٠ هـ سوّلت لعبد الله محسن نفسه أن يستنجد بالأتراك الذين وصلوا إلى اليمن. فأرسل إليهم ولده فضل بن عبد الله وابن أخيه فضل بن عبد الكريم إلى «تعز». وكاتبهم السلطان علي مانع طمعاً في أن يسترد بمعاونتهم أرض زايده والشقعة، فجاءت فرقة من الأتراك واحتلت زائدة. وأمر السلطان فضل محسن ابن أخيه فضل بن علي أن يرصد مَكَامِنَ^(٢) الطرق التي يظن أن يمر بها الأتراك، فإذا جاءوا يقتلونهم عن آخرهم، ففطن عبد الله محسن بأمر المكامن ومر بالأتراك ليلاً من طريق آخر، ووصل بهم إلى الحُوطة وتحصنوا بدار عبد الله، وطلبوا من السلطان فضل محسن أن يدعن لهم ويلتجئ إلى دولتهم، فأرسلت الحكومة عدن قوة من العساكر الهندية والبريطانية مع ثلاثة مدافع، وبعد مخابرة^(٣) بين والي عدن والأتراك أخلى الأتراك لحجاً، وأحاطت العسكر بدار عبد الله وأنزلوا عبد الله محسن وأخاه عبد الكريم محسن وساقوهم إلى عدن،

(١) وهي المواشي.

(٢) المكامن: هي الأماكن التي يستطيع المقاتل أن يختبئ فيها دون أن يراه عدوّه فيكمن لعدوه فيها.

(٣) المُخَابرة هي النقاش والحوار بين الطرفين.

وهدمت دار عبد الله وسار عبد الله محسن وأولاده إلى المَخَا.

ومع أن الأَخَوَيْنِ كانا في أشد العداوة، فإن عبد الله محسن اشترك مع أخيه في مدافعة هجوم السلطان أحمد بن عبد الله الفضلي على لَحْجٍ رغماً عما ثبت عنه مراراً أنه كان يمالئ الأعداء ويكاتبهم.

حدثني الأمير حسن إسماعيل: قال: هاجمتنا يوماً جموع آل فَضَلٍ إلى مدينة الحُوطة، فخرجتُ بالعسكر لِمُنَاجَزَتِهِمْ خارج المدينة، فَخَرَجْتُ عسكر دار عبد الله معنا وقاتلنا آل فَضَلٍ حتى أرجعناهم إلى حيث جاءوا، واستشهد يومئذ من أصحاب الوالد عبد الله محسن سالم بن فضل الصليب، وحملناه إلى دار عبد الله، فلما قربنا من بيت الوالد عبد الله محسن أخرج رأسه من النافذة فقال: من المجروح يا حسن؟ قلت: عسكركم سالم الصليب، قال: أخبر فضل محسن لِمَا ينكر علينا قولنا أن البلد لنا وله ونحن نسفك دماءنا للدفاع عنها ونقاتل أعداءها معكم كِتْفًا بكتف.

ثم جهز السلطان فضل محسن حملة من العبادل والأَجْعُود، وقصد بها بير أحمد لإخضاع الشيخ عبد الله بن حَيْدَرَةَ مهدي العُقْرَبِي، وحاصرت جنود رَدْفَانِ «بير أحمد» أياماً. وفي ذلك يقول شاعر ردفان الجَعْدِي شعراً:

يَا فَجِ بَيْرِ أَحْمَدَ وَيَا سَاحِلَ عَدَنَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْعُقْرَبِيِّ مِيزَانَ شَاحِ
إِنْ كَانَ بَيْرُ أَحْمَدَ فَقَا جُنَّتْ لَهَا وَإِنْ هِيَ عَدَنُ قَاهِي بَلِيَّاتِ الْوِشَاحِ

وفي سنة ١٨٧١م توافق سنة ١٢٨٨هـ سافر السلطان فضل محسن إلى البلاد الهندية وقابل (دوق ايدنبرج) في بمبي. ولما عاد من الهند سمى أراضي

محروثة في لحج بأسماء المدن التي زارها في الهند تذكّارًا لرحلته منها (بونة ومهيم ومدراس ونقشبند).

وحصل بينه وبين السيد علوي العيدروس بسبب تسليم قرية الحِسوة لحكومة عدن منافسة وعداوة استدامت إلى أن توفي السلطان فضل محسن سنة ١٢٩١هـ.

وكان يومئذ ابن أخيه فضل بن علي لم يزل مرابطاً في زايدة لمقاومة حركة السلطان علي مانع الحَوْشبي، فاستدعاه عمه محمد وزُعماء القبائل لاستلام زمام سلطنته التي تنازل عنها لعمه فضل، فتولّى السلطان فضل بن علي سلطنة لحج في شهر جمادى الأولى من هذا العام.

وبالجملة: فالسلطان فضل محسن مع ما كابده من الفتن الداخلية والخارجية هو في مقدمة السلاطين المصلحين قبض على البلاد بيده الحديدية وأنقذها من مكايد الأعداء العديدين، وحوّل خوفها أمناً وشُحَّها رخاء رحمة الله تعالى.

ولما صار الأمر إلى ابن أخيه السلطان فضل بن علي استمر عمه الثاني محمد محسن قابضاً على زمام الدولة وأموالها، وكان له كامل النفوذ في عصر ابن أخيه كما كان على عهد أخيه فضل محسن وأكثر. وامتنح بذلك السلطان فضل بن علي وقضى محمد محسن بقية عمره في منافسة ومعاودة لابن أخيه.

ولما عاد الحوشبي إلى المطالبة بزايدة وغزاها مراراً طارده العبادل إلى الرّاحة، وهزمت العبادل حوّالي الرّاحة، وتركوا من قتلاهم سعيد بن سالم الصليب، وسالم بن أحمد محرز، ثم أدركتهم غارة السلطان فضل بن علي بجموع العبادل، وأعادوا الكرّة على الرّاحة فدخلوها عنوة.

وطال النزاع بين العبادل والحواشب بخصوص أرض زائدة من أواخر أيام السلطان فضل محسن حتى قَدَّمَ السلطان علي بن مانع بن سلام شكايته إلى والي عدن، فتوسط والي عدن بين الطرفين.

ولما حضر السلطان علي مانع في دار حكومة عدن قابله من طرف العبادل محمد محسن وأحمد بن علي محسن وأحمد فضل محسن، وعقدوا الاتفاق الآتي ذَكَرَهُ بين العبادل والحواشب، واستملك الحوشبي بموجب هذه الاتفاقية أرضاً في زائدة بمقدار ثلاثمائة ضمد من «عَبْرَ خِلاف»^(١)، وأعطوه خمسمائة ريال، وأذنوا له أن يَعْمُرَ داراً في العَنَد.

وهذه المعاهدة التي عقدت بين الطرفين يومئذ المعروفة بمعاهدة زائدة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حيث إنه من اللزوم إزالة النفور الحاصل بين العبدلي والحوشبي منذ مدة طويلة حين استولى المقدم ذكره علي زائدة من المتأخر ذكره، ولذلك طالت المكاتبات والمخاطبات وسفك الدماء والمناوشات بين القبيلتين والسلطانين المذكورين أعلاه.

ومن حيث إن هاتين القبيلتين وسلطانهما أصدقاء الدولة البريطانية التي لا ترغب ولا تحب أن يحصل سوء تفاهم ومعارك بين أصدقائها.^(٢) ومن حيث إن إصلاح شأن هذا النزاع الطويل سينتج صلحاً دائماً وسيزيل سوء التفاهم وسيسبب

(١) أي: الكائنة في «عبر» كما سيأتي قريباً.

(٢) البريطانيون كانت قاعدتهم هي «فَرَّقْ تَسُدْ».

الصدقة بين القبيلتين. فبناء على ذلك أسس البرجيدير جنرال (فرانسيس لوس سي بي) والي عدن من طرف الحكومة الإنكليزية الموثيق بين السلطان فضل بن علي محسن فضل العبدلي سلطان لَحْجٍ والسلطان علي مَانِعٍ سلطان الحواشب بناية السلطانيين عن نفسيهما وورثائهما وخلفائهما، اتفقا وقبلا الشروط الآتي ذكرها:

(المادة الأولى): سيعطي السلطان فضل بن علي محسن فضل السلطان علي مَانِعِ الحَوْشِيَّ له ولورثائه وخلفائه ثلاثمائة ضِمْدٍ من أرض زائده الكائنة في عُبرٍ خلاف، لعملية الزراعة، وسَيُرَخِّصُ (١) للسلطان المذكور علي بن مَانِعِ أن يعمر دارًا في العَنَدِ وسيعطيه خمسمائة ريال ليصرفها علي العمارة المذكورة.

(المادة الثانية): ليس للسلطان علي مَانِعِ الحَوْشِيَّ وورثائه وخلفائه إِذْنٌ أن يزرعون زيادة علي الثلاثمائة ضِمْدٍ في زيادة.

(المادة الثالثة): إذا رأى والي عدن المَزَارِعِ الكائنة بناحية لَحْجٍ تضررت لسبب إتلاف أو ضياع الماء، وكان حدوث ذلك من السلطان علي بن مَانِعِ الحَوْشِيَّ فالوالي سيتخذ الوسائل والتدابير اللازمة لمنع ذلك.

تمت هذه الشروط برضى الطرفين تاريخ يوم الخميس ٥ مايو سنة ١٨٨١ م الموافق ٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٨ هـ، وأُمُضِيَتْ بحضور الشهود.

إمضاء

محمد بن محسن فضل عن نفسه

وعن السلطان فضل بن علي محسن - سلطان لَحْجٍ.

(١) أي: يأذن.

شهد علي ذلك:

أحمد بن علي محسن
فرانسييس لوس برجيدير جنرال والي عدن
أحمد فضل محسن
لتجنن في ولس المعاون الثاني لوالي عدن.
السيد عمر حسين (قاضي لحج)
صالح جعفر ترجمان الوالي.

إمضاء

علي مانع سلطان الحواشب عبد الله بن علي بن سلام مانع بن سلام
وكان عبد الله بن محسن فضل قد رجع من المَخَا إلى بلاد الأصابع في سنة
١٢٩٤ هـ بعد أن قَنَعَ من مساعدة الأتراك، وبعد أن منعوه من الوصول إلى تعز،
جاء بلاد الأصابع وبنى دارًا في المَشَارِيج^(١) وآخر في نُوبَةِ المرجبي علي رأس
طريق عدن ولحج. والتَفَّ حوله قبائل الأحامد المناصرة وحالفوه أن يقوموا معه
حتى يُذْعِنَ أخوه محمد محسن ويرضى برجوعه إلى لَحْج. ثم سار إلى المَسِيمِيرِ
وعاهد صهره السلطان علي بن مَناح بن سلام الحَوْشِيَّ علي ذلك، وأقام في
المَسِيمِيرِ يسعى لدى أخيه محمد أولاً بالتي هي أحسن، فعرض طاعته وإذعانه
وتوبته وأرسل ابنه محسن بن عبد الله بعقيرة إلى لَحْج، فرده عمه محمد خائبًا،
فأعاده أبوه بعقيرة أخرى عرض بذلك الطاعة والإذعان، فرده عمه محمد خائبًا،
فعززهما عبد الله محسن بثالثة ولم يُوَثِّرْ ذلك في قلب محمد محسن.

حدثني من أتق به قال: رأيت بعيني محسن بن عبد الله في ميدان الدولة
بجانب عقيرته الثالثة يتصبب وجهه عرقًا إلى الأرض، لم يلتفت إليه أحد من
طرف عمه محمد حتى أشار عليه ابن عمه السلطان فضل بن علي أن يذهب إلى

(١) المَشَارِيج هي اليوم إحدى قرى عَزْلَةَ طُورِ الباحة بمديرية طُورِ الباحة التابعة لمحافظة لَحْج.

جَوَل يمانِي، لأن العم لم يزل مصرًّا على قساوته.

فعاد محسن بن عبد الله وأخبر أباه بهذا النبأ وأذن في الأصابع بقطع الطرق،
أما بعد ذلك فقد بلغت منهم عذرًا.

سَأَطْلُبُ حَقَّ آبَائِي وَحَقِّي وَلَوْ مِنْ بَيْنِ أَيْبِ الْأَفَاعِي

فشاع خبر قطع الطريق والحركة التي قام بها عبد الله محسن فاهتم الميجر
هنتر المعاون السياسي في عدن بهذه المادة، وأسرع إلى مخابرة محمد محسن
ومشاورته بما يلزم، فطلب محمد محسن من المعاون أن يمدّه بخيالة المجراد
"Aden Troop" ليرافقوه مع من يأخذه من العبادل للقبض على عبد الله محسن
وَقَوْدَهُ إِلَى السَّجْنِ، ولما عرض الميجر هنتر على السلطان فضل بن علي رأي عمه
تبرأ السلطان عن مسئولية نتيجة هذا التدبير، فطاش منهم العم محمد... بلاد
الحواشب جَبَلِيَّة حَصِينَة، والخيالة قَلَّة، وهناك علي مانع وعبد الله محسن ربما
يرجع الخيالة بخسارة جسيمة دون أن يفوزوا بالغرض المطلوب فتزداد الطينة بلَّة.

قال المعاون: وما رأي جنابكم إذا؟ قال: أن أكتب لعمِّي عبد الله كتابًا أمنحه
الأمان وأذن له بالعودة إلى بلاده على شرط السلوك الحسن، وتفعلون مثل ذلك،
فإن بقاءه في لحج أقرب لنا وبين أيدينا وقطعًا للنزاع. فعمل المعاون برأي
السلطان، وأرجع السلطان فَضْل بن علي عمه عبد الله محسن وأولاده وأولاد
عمه عبد الكريم محسن إلى لحج ونزلوا في الجَوْل والحَيْبِل بعد أن توفي
عبد الكريم محسن في المَخَا، وَفَضْل بن عبد الله محسن في مكة سنة ١٢٩٤هـ،
وعلى كل حال راعينًا خَاطِرِ عمنا الحاج محمد محسن فَضْل وقبلنا شرطه وأن

يَبْقَى أَخُوهُ وَعَدُوُّهُ عَبْدُ اللَّهِ مُحْسِنٌ وَعَائِلَتُهُ خَارِجُ الْحُوطَةِ فِي الْجَوْلِ وَالْحَيْبِلِ .
فَنَزَلُوا هُنَاكَ حَتَّى مَاتَ مُحَمَّدٌ مُحْسِنًا .

وَلَقَدْ كَانَ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدٌ ^(١) مُحْسِنًا فَضَّلَ مَصِيبًا فِي مَعَامَلَةِ أَخِيهِ بِتِلْكَ
الشَّدَةِ وَالْقَسَاوَةِ، فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مُحْسِنٌ قَضَى حَيَاتَهُ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ وَحَشَا نَائِرًا عَلَى
السَّلَاطِينِ وَالْقَوَانِينِ، وَحَجَرَ عَثْرَةَ فِي سَبِيلِ كُلِّ إِصْلَاحٍ، وَكَانَ جَاهِلًا رَجَعِيًّا مِثْرًا
لِلْفِتَنِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَالسَّلَاطِينِ، عَرَّضَ لِحَجِّ مَرَارًا بِفِتْنَتِهِ لِحُرُوبِ شِعْوَاءٍ مَعَ
الْحَوْشَبِيِّ وَالْفَضْلِيِّ وَالْأَصْبَحِيِّ، ثُمَّ جَاءَ ابْنُهُ فَضْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ تَعَزٍّ وَقَدْ
تَعَصَّمَلَ بِالسُّتْرَةِ وَالْبَنْطَلُونِ وَالطَّرْبُوشِ وَمَعَهُ سَرِيَّةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ لِيُمْلِكَهُمْ لِحَجِّ كَمَا
تَقْدَمُ، وَالْجُنُونُ فُنُونٌ . فَاشْتَرَا مُحَمَّدٌ مُحْسِنٌ بَقَاءَهُمْ فِي مَهَانَدَةِ الْجَوْلِ وَصَفَّةِ
مُفِيدَةِ لِلْمَصَابِينِ بِالْأَمْرَاضِ الْعَقْلِيَّةِ .

وَفِي ٧ مِنْ شَهْرِ جَمَادِي الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٢٩٨ هـ عَقَدَ مُحَمَّدٌ مُحْسِنٌ بِاسْمِ ابْنِ
أَخِيهِ الْمَعَاهِدَةَ الثَّانِيَةَ، وَبِمَوْجِبِهَا وَضَعْتَ بِلَادَ الْأَصَابِحِ فِي الْمَعَاهِدَةِ الْآتِي بَيَانُهَا
تَحْتَ حُكْمِ الْعَبْدَلِيِّ وَالتَّزَامِهِ .

* * *

(١) تَرَجَمَ لَهُ الزَّرْكَوَلِيُّ فِي «الْأَعْلَامِ» (٥ / ٢٨٩) مَعْتَمِدًا عَلَى مَا جَاءَ عَنْهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لزيادة إثبات الصداقة الموجودة بين الدولة البريطانية العظمى والسلطان فضل بن علي بن محسن بن فضل العبدلي سلطان لحج الحالي بمعاونة عمه السلطان محمد محسن وغيره من أولاد المرحوم محسن فضل، ولزيادة القوة والسطوة والعظمة للعبدلي أبرم جناب البرجيدير جنرال (فرانسيس لاك سي بي) والي عدن بالتفويض من الدولة الإنكليزية هذه المعاهدة مع المذكور فضل بن علي محسن فضل العبدلي سلطان لحج من طرف نفسه وكافة سلاطين العبادل وورثائهم، وبها يكون الاعتراف بنفوذ سلطته على جميع الحدود المسكونة بكافة قبائل الأصابع، ومن جملتهم المَنَاصِرَة والمَخَادِيم والرَّجِيعَة والديينة الذين لهم في الحال مَشَاهِرَات^(١) من الدولة الإنكليزية ما عدا الحدود والقبائل المتعلقة حالاً بالدولة العثمانية. وتأكيداً للغرض المذكور أعلاه يلتزم السلطان فضل بن علي محسن فضل عن نفسه وورثائه وخلفائه بأن يحافظ على الشروط المشروحة أدناه:

أولاً: حال ما يُوقَّع السلطان فضل بن علي محسن فضل العبدلي المذكور هذه المعاهدة يُقْبَل أن يكون مُخَاطَبًا بكل ما يحصل من أفعال النهب والتعدي من أي نوع كان من الأصابع، ويلتزم بإرجاع المنهوب بعينه أو بالتعويض عن الأموال والأرواح والجراحات.

ثانياً: سلاطين العبادل ملزمون بأن لا يعقدون معاهدة من أي نوع كانت مع

(١) أي: مقررات أو رواتب أو معاشات شهرية.

أي دولة أخرى لبيع أو رهن أو إجار أو كَرِي أو هِبَة في أي قسم كان من البلاد التي هي الآن والتي ستكون في المستقبل تحت حكومة سلطان العبادل من دون رضا الدولة الإنكليزية.

ثالثاً: أن لا تُعَمَّر قلاع أو عمارات أخرى على ساحل البحر من دون رخصة والي عدن، ولا ينزل أو يطلع سلاح أو ذخائر أو زَانَهُ (١) أو رقيق أو تجارة أو مسكرات أو مكيفات من أي جهة كانت من الساحل من دون رخصة والي عدن.

رابعاً: ليس لسلطان العبادل أن يأخذ مكسّاً (٢) حادثاً على الأموال المارة في حدود الأصباح إلى عدن، ولا لأحد من قبائل الأصباح أن يأخذ مكسّاً على الأموال لنفسه.

خامساً: إذا أجرم أحد أو جماعة من الأصباح في الطُّرُق وعجز سلطان العبادل عن إرجاع ما نهبوه لالتجائهم في حدود الدولة التركية فلا على السلطان مسئولية بعد بلوغ جهده في جلب الغريم والمنهوب. وما دام سلطان العبادل عاملاً بالشروط المذكورة سيلزم على الدولة الإنكليزية أن تكفل إجراء التدبير والامتيازات الآتية:

أولاً: تدفع المشاهرات التي تساق الآن للمخدومي والمنصوري والرجاعي والديبيني لسلطان العبادل.

ثانياً: ليس للأصباح أن يدخلوا عدن ضيوفاً على الدولة الإنكليزية إلا إذا

(١) الزانة: كان يُطلق على بعض ما يحتاجه المقاتل كالرصاص وغيره.

(٢) أي: ضرائب.

جاءوا بتواصي الدخول من سلطان لحج.

ثالثاً: يلتزم سعادة الوالي أن يمنع السلطان علي بن مانع الحَوْشِي عن تحويل طريق القوافل عن طريقهم المعتادة التي تمر على الحُوطة وحدود العبادِل.

عقدت هذه المكاتبة ووقع عليها التراضي في نهار الخميس ٥ من شهر مايو سنة ١٨٨١ م الموافق ٧ من شهر جمادي الآخرة سنة ١٢٩٨ هـ.

إمضاء

محمد محسن عن نفسه ومن طرف السلطان فضل بن علي محسن سلطان لحج.

أحمد بن علي محسن إله بي ولس معاون والي عدن

أحمد فضل محسن صالح جعفر ترجمان الوالي

السيد عمر حسين. قاضي لحج ريبون نائب الملك

فرانسيس لارك سي بي برجدير جنرال والي عدن شارلس جراند نائب الحكومة في لوندرة

وزعم محمد محسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن ضم بلاد الأصباح المقدم بيانها وهي تلك الجبال الجرداء السوداء القاحلة المشوكة، والالتزام بجرائم أولئك المتوحشة المشهورة بالهمجية والعصيان - تقوية وتوسع للسلطنة، فأثقل بذلك كاهل سلطنة لحج، واستاء السلطان فضل من تسرع عمه محمد لعقد هذه المعاهدة، ولكنه لم يجد بداً من قبولها والعمل بها. فاستعان بنفوذ عمه عبد الله في الأصباح وجلب رؤسائهم إلى لحج، فجاءوا وأطاعوا وتحمل السلطان فضل بن علي خسائر جسيمة وساق إلى أرض الأصباح العساكر فاستولى عليها جميعها وبنى بها جملة حصون. كدار القديمي ودار العنبرتين ودار شُباطة ودار دَاغَم ودار

المُؤَلَّعَ ودار سبعة ودار الرِّجَاعِ ودار العَارَةَ ودار العُمَيْرَةَ ودار الزُّيْدِيَيْنِ ودار
الْفَرَشَةَ ودار الفَجْرَةَ ودار الحجر وغيرهم.

ورَتَّبَ في تلك الحصون الرُّتَبَ، وتَحَمَّلَ لأجل ضبط قبائل الأصابع خسائر
جمَّة دون أن تعود على سلطنة لحج بأقل فائدة.

* * *

الفصل الخامس عشر

أصلُ العبادل. انفصالُ العقارب. مشترى الشيخ عثمان. شهادةُ السلطان أحمد. معاهدةُ الشيخ عثمان. تحديدُ دار عبد الله. بلادُ الأعمور فوق بلاد الأصابع. خضوعُ العقارب. جورُ السلطان محسن بن علي. سلطانُ العبادل والحواشب. معاهدةُ الحواشب. المهاجرُ من مكة. آل علوي بن علي. السلطانُ أحمد فضل. القومسيون. عصيانُ الوهط. خدمةُ القضية العربية. أبو النُّوب واليَعْسُوب. السلطانُ علي بن أحمد

* * *

تقدم أن سكان لحج قبائل متحدة من العَجَالَم والجَحَافِل ويافع والعقارب والأعمور والحواشب، وأن أكثرهم من الأصابع، وأن الشيخ فضل بن علي العبدلي مؤسس السلطنة العبدلية استقل بلحج عام سنة ١١٤٥هـ، فأطلق على جميع آل سلطنته من يومئذ لقب عبادل، وصارت البلاد اللّحجّية جميعها من أرض الحواشب شمالاً إلى عدن جنوباً، ومن مُعَادِن^(١) غرباً إلى حدود أبين شرقاً تحت حكمه، ثم تحت حكم خلفائه آل عبد الكريم.

وفي سنة ١١٨٦هـ تمكن الشيخ مهدي العُقْرَبِي بسبب الخلاف الحاصل

(١) مُعَادِن: وادٍ في جنوب «حَيْفان» في الطريق منها إلى «طُور الباحة» في غربي لحج.

بين السلطان عبد الهادي^(١) وعمه، فاستغوى بعض العقارب والأصابع، وخرج بهم عن طاعة السلطان عبد الهادي العبدلي، وتمسك بحصن بير أحمد. وحاول السلطان عبد الهادي ثم السلطان فضل عبد الكريم استرداد بير أحمد، وإخضاع الشيخ مهدي العَقْرَبِي فلم يتمكنوا لاستعانة الشيخ مهدي بسلطان آل فضل.

ثم توفي الشيخ مهدي سنة ١٢٤٩هـ وخلفه ابنه حيدرة بن مهدي، وحاسن السلطان محسن فضل وساق جانباً من حاصلات الساحل الواقع تحت سلطته إلى يد سلاطين لحج بعد أن تخصص له جانب من محصولاتها.

ولما استولت الدولة البريطانية على عدن اتفقت مع السلطان محسن أن يكون خَوْر مَكْسَر الحد الفاصل بين الطرفين، وما بعد خَوْر مَكْسَر إلى جهة الشمال وإلى آخر حدود العبادل للسلطان العبدلي، وبعد ذلك عقدت مرابطة مع الشيخ حَيْدَرَة ابن مهدي سنة ١٢٥٥هـ واستمر الشيخ حيدره يسوق أعشار الساحل إلى يد السلطان محسن، ثم إلى يد ابنه السلطان أحمد فالسلطان علي محسن.

ولما تولى الشيخ عبد الله بن حيدره تمنع عما كان يدفعه سنوياً لسلطنة لحج، فحدث لذلك خلاف بين عبد الله بن حيدرة والسلطان فضل محسن، واستمر إلى أيام السلطان فضل بن علي.

وفي سنة ١٢٨٠هـ قطع الشيخ عبد الله بن حيدرة عهداً للإنكليز بأن لا يبيع ولا يرهن جزءاً من الأرض التي تحت حكمه إلى غير الحكومة البريطانية.

(١) ترجم له الزركلي في «الأعلام» (٤/ ١٧٣) معتمداً على ما ذكر عنه في هذا الكتاب.

واعترفت حكومة الهند باستقلاله عن سلطنة لحج، ثم ارتمى في أحضان الحماية البريطانية، وذلك عندما رغبت الحكومة البريطانية أن تملك الساحل المحيط بِمَرَسَى التَّوَاهِي (١) لأجل صيانة المرسى، ولأن ذلك الساحل من لوازم عدن وملحقاتها، فلذلك فَأَوْضَتِ الدولة البريطانية الشيخ عبد الله بن حيدرة، واشترت منه جَبَلِ إِحْسَانَ (٢) وَخَوْرَ بَيْرِ أَحْمَدَ وَالغَدِيرِ (٣) وَبَنْدَرَ فُقْمَ (٤)، وأدخلت الشيخ عبد الله بن حيدره في حمايتها. ولم يبق من الساحل إلا شقة كائنة بين خور مكسر والحِسْوَةَ كانت لم تزل يومئذٍ بِيَدِ سُلْطَانِ لَحْجٍ، وَمَا بَيْنَ الْحِسْوَةِ وَفُقْمَ بِيَدِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَيْدَرِهِ.

والضرورة داعية الآن أن نفاوض قدوة الأمراء الكرام وعمدة النجباء الفخام محبنا وصديقنا الجنب العالي السلطان فضل بن علي، وعمه الوزير النافذ الكلمة محمد محسن، بأن الضرورة كلفتنا أن نشغل بالكم بطلب هذه الشقة

(١) التَّوَاهِي: ميناء ومدينة في خليج عدن الغربي، قيل: إنه كان منطقة مُفْرَةً ثم صارت منطقة لها أهميتها منذ القرن التاسع عشر الميلادي عندما اتخذها الوالي البريطاني مقرًّا لِسُكْنِهِ، ثم صارت مقرًّا سكن مساعديه وكبار الموظفين والعسكريين البريطانيين، ومقرًّا للقنصليات الأجنبية والشركات، فأصبحت مركزًا تجاريًّا وإداريًّا للمستعمر البريطاني، وتحولت إلى حيِّ أقرب أن يكون أجنبيًّا أوروبيًّا، وساعدها على ذلك أن شاطئها يعتبر من أجمل الشواطئ التي تحتضنها مدينة عدن.

(٢) جَبَلِ إِحْسَانَ: هو جبل صغير يُطَلُّ على ميناء التَّوَاهِي في مدينة عدن.

(٣) الغَدِير: منطقة في البُرَيْقَةِ، وبها ساحل يُعَدُّ من أجمل السواحل، ويتميز بموقعه الجميل.

(٤) فُقْمَ: هو غربي عدن الصغرى «البُرَيْقَةُ» فيه ساحلٌ طوله ما يقرب من (١) كيلو، وتزاوَل اليوم

القوارب الصغيرة فيه الاضطباد.

الصغيرة الضرورية لصيانة المرسى، فيلزم أن يمتد خط الحدود من الحسوة إلى العماد، ولولا أن ذلك ضروري جداً لصلاحية عدن لما أزعجنا أصدقاء مثلكم بهذا الطلب، ولا بد أن جنابكم و جناب عمكم تعلمون هذه الضرورة وأن هذه المحلات من حدود بندر عدن اللازمة والتابعة للمرسى في كل آن. غير أن سياسة الدولة اختارت مسaire أسلافكم نظراً لعدم اختبارهم بحسن نوايا الدولة بخلاف ما لسموكم و جناب عمكم من الإدراك الكلي.

ففي سنة ١٢٩٥هـ فاوضت حكومة عدن السلطان فضل بن علي في هذا الخصوص، وانبرى عمه محمد محسن حسب عادته للمفاوضة واستصحب معه إلى عدن ابني أخويه أحمد بن علي وأحمد فضل والقاضي عمر حسين، وزادوا معهم في هذه المرة منصر بن محسن فضل، وبعد مفاوضة ودية طويلة عقدوا باسم السلطان فضل بن علي معاهدة باسم «بيع الشيخ عثمان»^(١)، ولما أنجزوا المعاهدة وشروط الاتفاق استدعوا السلطان فضل بن علي من لحج للاعتراف بها فأبى، ومرض السلطان في عدن فرغب عمه في مداواته على أيدي أطباء عدن، وكانت الحالة النفسية بين السلطان وعمه غير طيبة يومئذ لتظاهر العم بالطمع والاستئثار بالسلطة فوق سلطة السلطان، فدعا السلطان رؤساء القبائل وكلفهم أن يخرجوا به من عدن، فجاء عمر معوضة وفضل عبيد الغريبيان ومائة رجل بأسلحتهم وأخرجوا السلطان محمولاً على الأكتاف رغماً من رغبة عمه في مداواة السلطان على أيدي أطباء عدن، وكان السلطان يرى الابتعاد عن عمه خير وسيلة لشفائه.

(١) ينظر كتاب «العقبة» (ص ٢٤٢) لعبد الله محيرز.

يا عبادلي، إن كان فيكم مثقال ذرة من العطف عَلَيَّ.. أبعُدوني عن هذا الظالم، فحملوه وساروا به إلى الحُوطة، وحضر السادات والمناصب وأقاموا الصلوات والأدعية لأجل شفاء السلطان. ورجع محمد محسن وبقية الأعضاء إلى حجِّ يَسْمُون ما استلموه من الريالات على من يرونهم مستحقين أو ذوي قرابة، وما زاد أَحَدُهُ محمد محسن وودَّع النفوذ الذي اكتسبه في الدولة الوداع الأخير ولازم بيته. وجفاه السلطان فضل بن علي إلى آخر حياته.

واستولت الحكومة الإنكليزية على الشيخ عثمان.

قال المؤلف: وكان السلطان أحمد فضل محسن يقول: إن عمه محمد محسن أول من باع قرية «الشيخ عثمان»، وشرط لنفسه في المعاهدة معاشاً شهرياً قدره خمسمائة ريال خاصة لشخصه ولولده من بعده.

ومن العجيب أن السلطان أحمد فضل محسن ما كان ينكر على عمه هذا الطمع، بل كان يلوم ابن عمه السلطان فضل لأنه حَوَّلَ هذا المبلغ باسم السلطنة.

كنا يوماً بدار الأمير مع السلطان أحمد فضل محسن، عندما حدث خلاف بينه وبين ناظر (الشيخ عثمان) وهو يومئذ (اللفتنت ميك) بخصوص الحدود بين (الشيخ عثمان) وبين (دار الأمير)، فدخل علينا السلطان أحمد وفي يده أوراق معاهدة (الشيخ عثمان) عليها إمضاء السلطان فضل بن علي، فرفعها بيده وجعل يقول لابن عمه أحمد بن مَنْصَر محسن: انظر إلى هذا الإمضاء كالحلزون. ثم تضجر وتحمس وقال: إنه إمضاء فضل بن علي، أن المعاهدة التي تسلمت بموجبها قرية «الشيخ عثمان» «والملاح» لحكومة عدن كانت ممضاة فقط

بإمضاء عمي محمد محسن وإمضائي وإمضاء أحمد بن علي محسن والسيد عمر حسين، ولقد أبى فضل بن علي الاعتراف بها مدة ثم بدَّلَهَا بهذه، لا لفائدة استزادها ولا لمصلحة تَمَكَّنَ من الحصول عليها، بل فعل ذلك لأجل الظهور، ولكي يظهر هذا الحلزون (وأشار إلى الإمضاء) منفردًا في ذيل هذه المكاتبه بغير شريك، فسكتنا جميعًا، وكانت وفاة محمد محسن في شهر الحجة سنة ١٢٩٨هـ، وبعدها بثلاثة أشهر لما لم يكن امتناع السلطان فضل بن علي عن الاعتراف بمعاهدة الشيخ عثمان لِيُجِدِي نفعًا رضي بالواقع وعقد المعاهدة المذكورة أدناه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- شروط معاهدة واقعة بين السلطان فَضْلُ بن علي محسن فَضْلُ العبدلي سلطان لحج ونواحيها من طرف نفسه وأعمامه وورثائه وورثائهم وخلفائه وخلفائهم من جهة. والميجر جنرال فرانسيس لاك كما ندر أوف ذي موسث هوفر ابل أورد راف ذي باث والي عدن من طرف حكومة الهند من الجهة الأخرى، حيث في الشرط الخامس من المعاهدة المعقودة في تاريخ ٧ مارس سنة ١٨٤٩م بين استافرد بتسورث هينس قبطن من الرؤساء البحرية الهندية ووكيل بعدن من طرف حكومة الهند، والسلطان علي محسن من طرف نفسه وورثائه وخلفائه، حصل التراضي بينهما أن قنطرة «خَوْرُ مَكْسَر» والميدان الذي في وسطه وجبال عدن وهي «جَبَلُ حَدِيد» ملك الدولة البريطانية ولا زيادة إلى الشمال. وحيث إن مبلغ دراهم قدرها (٥٤١) خمسمائة وواحد وأربعين ريالاً بموجب المعاهدة السابقة تُسَلَّمُ شهرياً للسلطان علي محسن فضل المذكور وورثائه وخلفائه ما داموا يسيرون بالإخلاص والصدق والمحبة نحو الدولة البريطانية،

وتمسكين بكل تأكيد على شروط المعاهدة المذكورة. وحيث إن السلطان فضل بن علي محسن لأجل نفسه وأعمامه وورثائه وورثاتهم وخلفائه وخلفائهم رضوا أن يبيعوا على الدولة البريطانية بمبلغ قدره (٢٥٠٠٠) خمسة وعشرون ألف ريالاً، ولزيادة فوق المشاهدة الحالية التي هي (٥٤١) خمسمائة وواحد وأربعون ريالاً (١١٠٠) إحدى عشر مائة ريالاً شهرياً، من ذلك (٦٠٠) ستمائة ريال في مقابلة محصول الماء، و(٥٠٠) خمسمائة ريال لأجل محصول الملح، ويكون جملة الجميع (١٦٤١) ألف وستمائة ريال واحد وأربعين ريالاً شهرياً لجميع الأرض الممتدة إلى شمال جزيرة عدن، يحدها خط يبدأ من محل ساحل البحر ميلاً، واحداً وخمسة أقسام ميل من ستة عشر قسماً إلى جهة الشرق رأساً من شمال آخر جسر «خَوْر مَكْسَر»، ويمتد من شمال شرقي الشمال سبعة أميال وربع إلى طرف خط الساحل، فمن هذا المكان يمتد الحد من البحر إلى جهة الغرب ثلاثة أميال وربع إلى مَحَلِّ قَرِيبٍ «العِمَاد». ومن هذا المحل بعدما يمر الحد في وسط الطرف الخيالي بميل واحد من جهة الشمال من ولي «الشيخ عثمان» يمتد إلى العَلَامَةِ التي على شاطئ وادي تَبْنُ الكائنة على بعد ميل من جهة البر، ومن هذه العَلَامَةِ يمتد الحد إلى جنوبي غربي طرف الجنوب بحرًا. فلذلك هذا يثبت أن السلطان فضل بن علي محسن فضل المذكور بموجب شروط هذه المعاهدة وبسبب (٢٥٠٠٠) الخمسة والعشرين ألف ريال التي قد تسلمت، وزيادة المشاهدة شهرياً (١١٠٠) إحدى عشر مائة ريال، رضيت الدولة البريطانية بتسليمها له، وذلك لأجل نفسه وأعمامه وورثائه وورثاتهم وخلفائه وخلفائهم، يعطي ويثبت التملك إلى يد الدولة البريطانية جميع قسم تلك البلدة التي ذكر

وصفها أعلاه أن تبقى بيد الدولة البريطانية مؤبداً كقسم من بلدانها، والمذكور السلطان فضل بن علي محسن يربط نفسه وأعمامه وورثائه وورثاتهم وخلفائه وخلفائهم زيادة أن لا يقيموا دعوى من الآن وصاعداً على الأرض المذكورة وأي محصول يحصل منها.

٢- والميجر جنرال فرانسيس لارك سي بي والي عدن المذكور مفوض تفويضاً كلياً، فلذلك يثبّل عهد الله باسم سعادة والي ولاية الهند، ورأي المجلس العالي أن للسلطان فضل بن علي محسن فضل المذكور وورثائه وخلفائه مبلغاً قدره (١٦٤١) ألف وستمائة ريال وواحد وأربعون ريالاً شهرياً المجملة كما ذكر أعلاه.

٣- والسلطان فضل بن علي محسن فضل المذكور من جهة. والميجر جنرال فرانسيس لارك سي بي والي عدن من الجهة الأخرى مفوضاً تفويضاً كلياً أن نشهر بأن المعاهدة الواقعة والمصححة في سابع يوم من شهر مارس سنة ١٨٦٧ م المتعلقة بالعم (١) الذي بين «الشيخ عثمان» وعدن من السلطان فضل محسن فضل من جهة، واللفتنت كولونل دبليو مريوذر والي عدن من الجهة الأخرى، فهذا تكون باطلة.

٤- ما دام لسلطان لحج في أخذ المكوس على الأموال الداخلة إلى عدن من جهة البر كما كان سيُرخّص له أن يجمع مكوسه كما هو الآن مستمراً عليها في حد الدولة البريطانية بالقدر المذكور في المعاهدة الواقعة في سنة ١٨٤٩ م.

(١) العم: نوع من أنواع الأشجار كثيفة الأوراق واسعة الظل.

٥- إذا قرَّ أحد من عساكر سلطان لحج إلى حدود الدولة البريطانية وطلبه السلطان سيرسله الوالي.

وفي هذه المادة إذا أحد من رعية السلطان قرَّ بعد ارتكابه المعصية العظيمة والتي الدولة البريطانية تعتاد في مثل هذه المواد أن تنعم بتسليم الملتجئين كهؤلاء إذا كانوا في «الشيخ عثمان» و«العِمَاد» أو «عدن» عند طلب السلطان، وإذا كان في ذلك شيئاً شافياً^(١) للتصديق أنه ارتكب الجريمة فوالي عدن سيرسله أيضاً، والسلطان راضي من طرف نفسه أن يرجع عساكر الدولة البريطانية أو رعاياها الذين ينهزمون من عدن وتوابعها إلى لحج ونواحيها إذا طلب رجوعهم.

٦- إذا احتاج الوالي إدخال أحد في الخدمة من العبادِل يكون إدراجه بمعرفة السلطان، وإذا العبدلي أو العبادل استَعَفَوْا أو رُفِتُوا^(٢) من الخدمة وإذا سَيِّدَل في محلهم عبادل آخرين، فالوالي يطلب ذلك من السلطان.

٧- وتكون حدود السلطان فضل بن علي محسن فضل المذكور وورثائه وخلفائه من الآن وصاعداً محمية بحماية الدولة البريطانية كما هي الآن.

حررت في «الشيخ عثمان» في نهار الإثنين تاريخ ٦ من شهر فبرواري سنة ١٨٨٢ م الموافق ١٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٩ هـ.

إمضاء فضل بن علي محسن فضل سلطان لحج وتوابعها
 بحضور ميجر اف أم هنتر معاون والي عدن

(١) كذا هو والمراد به عندهم الواضح البين الذي لا كِبَسَ فيه.

(٢) أي: فُصِّلُوا.

بِحضور عمر حسين بن محمد الوحش قاضي لحج

إمضاء فرانسيس لاك الميجر جنرال والي عدن

إمضاء ريبون نائب جلالة الملك ووالي ولاية الهند

وفي صفر من سنة ١٢٩٩ هـ توفي عبد الله محسن بدار الحَيِّل، ونقلت جثته إلى الحُوطة ودفن في حجرة «مسجد الدولة». ثم جدد السلطان فضل بن علي بناء دار عبد الله وأعاد إليه أولاد عَمِّيه عبد الله محسن وعبد الكريم محسن.

وفي سنة ١٣٠٢ هـ وجه السلطان فضل بن علي أخاه أحمد بن علي في جيش من العَوَالِق والعبادل إلى بلاد الأعمور واستولاها جميعاً بدون معارضة، وبنى بها «دَارِي المِنْجَارَة» وجعل بها أميراً ورُتَبَةً من العبادِل لأجل ضبط البلاد وأمان الطرق وزجر الأصابع، ومن يومئذ صارت بلاد الأعمور من جملة حدود سلطنة لَحْج. غير أن استيلاء السلطان فضل على بلاد الأعمور واحتفاظه بِدَارِي المِنْجَارَة لم يحدث التأثير المطلوب في قبائل الأصابع.

ففي سنة ١٣٠٣ هـ اشتد ضيق السلطان من المصائب والمحن التي سببتها شروط معاهدة سنة ١٢٩٨ هـ بخصوص الأصابع التي وَقَعَهَا محمد محسن وبعض الأعضاء بزعمهم لأجل رفاهية وسعادة وتقوية السلطنة، فجلبت للسلطنة المشاق والمصائب والمحن الجمة، فلذلك عرض السلطان شكواه على حكومة عدن وأظهر أسباب لزوم تنازله عن تلك المعاهدة وترك العمل بها.

وفي شهر القعدة سنة ١٣٠٣ هـ ثار الأصابع على عسكر السلطان وحاصروا «دار الرِّجَاع» و«دار العنبرتين» و«دار سبعة» وغيرها، وقامت الفتنة في كل مكان من بلاد الأصابع وقتل جملة من عسكر السلطان. ثم أَمَدَّت حكومة عدن سلطان

لحج بزانة^(١) وبنادق وخمسين فارسًا من خيالة المجراد Aden Troop، وأرسل السلطان معهم فرقة من عسكره مع الأمير حسن إسماعيل، وبذلك التدبير تمكنت الرُّتَب من إخلاء الحصون والانسحاب إلى لحج بالسلامة، وصارت الشروط من يومئذ غير معمول بها.

وفي سنة ١٣٠٤ هـ اشترى السلطان فضل بن علي من السلطان محسن بن علي الثلاثمائة ضِمْد الأرض التي لمحسن بن علي الحَوْشِي في «عَبْرِ خِلاف» من «زائدة»، وبمشتراها بطل الشرطان الأول والثاني من معاهدة «زائدة» المؤرخة سنة ١٢٩٨ هـ ما عدا ما يختص ببناء «دار العند».

وأحدث الشيخ عبد الله بن حَيْدَرَه مهدي دعاوي ومنازعات حاول بها التوسع في حدود سلطان لَحْج، وقبض على بعض العبادل وساقهم إلى سجون بير أحمد، واثارت لتلك الأسباب حرب بين العبادل والعقارب استمرت أشهرًا، حدثت في أثناءها معارك بين العبادل وبين عقارب بير أحمد، وعسكرت العبادل في (امعوجه والسيلة وبير نعمة^(٢) وبير جامع وبير زُبَاك وامدريمية وبير هادي وعمران وبير فضل) وحاصروا «بير أحمد» ودخلت الخيالة العبادل بير أحمد نفسها مرارًا وأحرقت جانبًا منها. وثبت الشيخ عبد الله بن حيدرة والعقارب مع قلتهم ثبات الأبطال.

ثم تخطف القبائل الأصبحية أعوان الشيخ عبد الله بن حَيْدَرَه والمنتمين

(١) الرُّصَاص.

(٢) بير نعمة: تقع بالقرب من الشيخ عثمان في مدينة عدن.

إليه من كل طرف، فَسَلَبُوهُمُ أموالهم ومواشيهم ومنعوهم عن المراعي حتى ضاقت بهم الأرض وتحولت طريق القوافل عن طريق بير أحمد إلى طريق الوَهْط، فحرم الشيخ عبد الله وبلاده منافع القافلة.

ولما قل ما بيد الشيخ انصرف عنه الناس حتى بعض من العقارب وعادوا إلى الوحدة العبدلية مدعين لسلطان لحج، ثم خضع الشيخ عبد الله بن حيدره وساق الرهائن من أعيان العَقَارِبِ إلى يد السلطان فضل منهم الشيخ حيدره أبو سلامة والحاج سالم.

وكانت المعارك على مقربة من الحدود الإنكليزية، فلذلك توسط الجنرال هوج للصلح وانتهت الفتن وانسحب العبادل عن بير أحمد. قال الميجر هلتر في كتابه يصف هذه الحوادث آتئذ: وفي الوقت الحاضر ابتدأ العبادل يسلبون العقارب نفوذهم بالتدرج وحرموهم من عُشُور القوافل التي كانت تمر في بير أحمد، وصرفوا عنها ماء الوادي الكبير، وأغروا الأصابع وأهل السَّيْلَةَ أن يسلبوهم، وقد لا يمر زمن طويل حتى يرشد العقارب ويصافون العبادل، فيسترجع العبدلي سيطرته السابقة عليهم وينضمون إلى العبادل كما كانوا.

وفي سنة ١٣٠٥ هـ اشترت الدولة الإنكليزية من الشيخ عبد الله بن حيدره الساحل الكائن ما بين الحِسْوة و«جبل إحسان» فاستكملت السواحل المحيطة بالمرسي.

وفي سنة ١٣١١ هـ كثرت شكاوى التجار وأهل القوافل من المسالم الجائرة التي يفرضها عليهم السلطان الحَوْشِي محسن بن علي، ومن سوء المعاملة التي

تلقاها القوافل في المَسِيْمِ، ولما طال على ذلك المطال ولم يقبل السلطان محسن بن علي النصائح بحال من الأحوال، انتدب سلطان لحج لإزالة تلك الظلامات، وتأمين المسافرين في الطرقات، فحشد الجنود واكتسح الحدود في شهر القعدة من تلك السنة، والتقت طلائع جيش السلطان فضل بن علي بجموع الحواشب في الخندق، فهزمتها بدون كلفة، وبلغ ذلك محسن بن علي الحوشبي ففر من أرض الحواشب ونجا بنفسه إلى الطُّبَيَّات.

واستولى السلطان فضل بن علي على كافة أرض الحواشب. وذكر لي بعضهم أن الجمال التي كانت تنقل الميرة والذخيرة في ذلك التجهيز (١٣٠٠) ألف وثلاثمائة جمل للحمول فقط. ثم اجتمعت كلمة رؤساء الحواشب وآل فَجَّارٍ وآل يحيى وزعماء القبائل كافة فخلعوا السلطان محسن بن علي الحوشبي وبايعوا السلطان فضل بن علي وتحرر يومئذ هذا الرقيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد المختار، وعلى آله الأطهار، وأصحابه البررة الأخيار. وبعد: فإنه لما كان يوم الجمعة لثلاث خلت من محرم الحرام سنة ١٣١٢ هـ فقد تحرر هذا شاهداً كريماً بيد السلطان فضل بن علي محسن العبدلي منا أهل فَجَّارٍ (١) وأهل يحيى وكافة قبائلنا الآتي أسماؤنا جميعاً، وهم محمد بن أحمد فَجَّارٍ وحيمة عبيد فَجَّارٍ وسلام فضل فَجَّارٍ

(١) آل فَجَّارٍ أو أهل فَجَّارٍ: بفتح وتشديد، هم من رؤساء قبائل الحَوَاشِبِ في «رَدْفَان» وديارهم بمنطقة المَلاح.

هؤلاء رؤساء أهل فَجَّارَ، ومن العبد فريد اليحيائي وسعيد سالم اليحيائي وصالح بن أحمد اليحيائي وفضل سالم اليحيائي وناصر العبد اليحيائي هؤلاء رؤساء أهل يحيى، ومن عقال الحواشب أهل الرَّاحَةِ وهم سالم بن صالح القُرشي وسعيد بن جابر الشيباني وسعيد بن أحمد العبسي وهماش الرَّعْرَعِي والشيخ سالم بن أحمد ناجي والشيخ حَمْدُوه محسن والشيخ هادي بن علي وسالم عوض الأَعْبَرِي والشيخ أحمد بن دباء هؤلاء عقال الرَّاحَةِ^(١)، وسالم بن فروان العَوَجَرِي واسكندر بن سعيد كرف العَوَجَرِي عقال أهل الحَرُورِ من الرَّاحَةِ أيضًا، ومن عقال الحواشب أيضًا أهل الغَيْلِ وهم محسن مثنى الرُّبَاكِي^(٢) وعبد الصفي إبراهيم وعبد الله بن حيدرة الهيثمي وحَيْمِدُ بن ناصر الهيثمي وسالم بن أحمد القَمَّالِ وعلي بن محمد قَرَمَزِي وقايد بن هادي الطُّمَيْرِي^(٣) وسعيد عوض سرحان وصالح بن سالم المَعْمَرِي وسعيد بن سعيد الحذوري وأحمد حيدره القَزْعِي^(٤) وسالم بن أحمد القَزْعِي وسعيد بن ناصر المَسْهَرِي وسالم بن صالح المَقْمَعِي^(٥) وناصر بن سالم المَقْمَعِي صاحب اللجمة والشيخ

(١) الرَّاحَةُ: بلدة في الحواشب غربي جبل ردفان، وهي مربوطة بأعلاها إلى لَحْجِ.

(٢) نسبة إلى «الرُّبَاكِ» غربي بحر التواهي من مدينة عدن في أسفل وادي لَحْجِ قبل أن يصب في البحر.

(٣) آل الطُّمَيْرِي: هم من رؤساء قبائل الحَوَاشِبِ.

(٤) آل القَزْعِي: هم من قبائل بلاد الحَوَاشِبِ، يسكنون في نواحي «الرَّاحَةِ» و«مَلَاخَةَ» و«الدَّرِيحَةَ»

وهي قرى بأعلى وادي «تَبْنُ» من محافظة لَحْجِ، وأحمد حيدرة المذكور كان من زعمائهم في

أول القرن الرابع عشر الهجري.

(٥) المَقْمَعِي: من قبائل الحواشب.

صالح الوهبي هؤلاء عقال الغيل، ومن عقال الحواشب أهل العُرْضِي أحمد السَّحَام المَعْمَرِي وأحمد بن صالح الجَاوِي وناصر بن قائد الأَرْوَع وصويلح بن خبْقَان وهادي بن جابر الشوَيْهِي^(١) وصالح محسن الطيري وهادي بن علي مَعْرَم وعلي بن صالح السَّرُورِي وناصر بن أحمد المَعْرَبِي وهندي صَمِيع وحسن بن عوض عاقل الابسوس والشيخ سعد الزبيري، ومن عقال الأعمور سيف بن مقبل العامري وأحمد مثنى العامري وفارع بن يحيى العامري هؤلاء عقال الأعمور.

فإننا رضينا أن يكون السلطان فضل بن علي محسن العبدلي سلطاناً علينا وعلى بلادنا، وله الاستقلالية على جميع حدود الحوشبي المعروفة المَعِينَةَ المُبِينَةَ المحروثة وغير المحروثة مرعىً وجبالاً التي يحدّها من جهة القبلة حدود الترك، ومن جهة البحر حدود العبدلي، ومن جهة الغرب حدود الأصباح وبعض حدود الترك، ومن جهة الشرق قبائل رَدْفَان وَصُهَيْب ويافع إلى وادي بَنَّا. تلك الحدود المعروفة من الجهات الأربع هي وأهلها تبع لسلطان لحج المذكور، وأن يتصرف فيها كتصرفه في حدود لَحْج بجميع أوامره بمقتضى نظره، وعلى السلطان فضل بن علي المذكور وأهله وخلفائه من بعده الأمن والأمانة، وأن يجعل الجبري جبري والعشري عشري كلاً على حسب قاعدته وعادته سادة ودولة^(٢) وقبائل.

والتزمنا أيضاً لسلطان لحج المذكور وأهله وخلفائه بالطاعة والامتثال

(١) الشوَيْهِي: قبيلة في نواحي الملاح ووادي بله من بلاد رَدْفَان.

(٢) لفظ دولة يُراد بها الأمراء كما أن لفظ سادة يُراد بها العلويون. المؤلف.

كسائر قبائل العبادل، وأنه لا لنا تعاطي بيع ولا رهن في شيء من الأراضي والحدود المذكورة مع أحد من الدول الأجنبي إسلامية كانت أو أوربية من دون رضا سلطان لحج، لكون الأرض صارت أرضه كسائر حدود لحج، وأن كل ما التزم به السلطان فضل بن علي المذكور وتعهده به عند والي عدن وكيل الدولة البريطانية مقبول علينا كتعهده على سائر أهل مملكته، وأن حماية أرض الحوشبي كحماية لحج كما هي الآن عند الدولة البريطانية، وأن هذه المعاهدة بين سلاطين الحواشب المذكورين في هذه المعاهدة وسلاطين العبادل آل محسن معاهدة خلفاً بعد خلف علي الأمن والأمانة.

فقد تحرر هذا بحضور الشريف أبو طالب بن محمد والسيد علي حمادي سفيان والشيخ شاييف بن سعيد بن صالح العلوي وسالم بن منصور العسيري والسيد حسن الأزرق والشيخ مهدي بن أحمد الجعدي وهادي بن صالح بن حسين الظنبري^(١)، وكفى بالله شهيداً. والجمادارا مصعبين بن عبيد البان وسالم بن شاييف العلوي. (يتلو ذلك ختم عقّال الحواشب).

وبذلك صار السلطان فضل بن علي محسن العبدلي سلطان العبادل والحواشب معاً وتمكن من إدارة البلادين على خير نظام وأحسن ما يرام.

وفي ٩ شهر ربيع الآخر سنة ١٣١٢ هـ سلّم السلطان محسن المخلوع نفسه لسلطان لحج على يد الباشا محمد ناصر مقبل الصّراري^(٢) قائم مقام

(١) الظنبري أو الضنبري قبيلة من الحواشب في شمال الملاح.

(٢) الصّراري: عشيرة من قبيلة «السكاسك» وديارهم في «جبل ماوية» شرقي تعز.

القَمَاعِرَةُ^(١)، وعند وصوله إلى لحج كتب على نفسه لسلطان لحج هذا الرقيم^(٢):

الحمد لله

هذا خط شاهد كريم بيد الوالد السلطان فضل بن علي محسن العبدلي من محسن بن علي مانع الحوشبي بأني رضيت على نفسي بأن أكون تحت رأي الوالد السلطان فضل بن علي وإدارته سامعاً مطيعاً، وممثلين لما يقول أنا والولد علي مانع كسائر الحواشب، وأنا لا نخالف له أمراً، وأنّي أسكن حيث يريد الوالد السلطان فضل بن علي. وصحيحي وختمي عمدة، وأذنت لمن يشهد، وبالله الاعتماد. وكان ذلك بتاريخ يوم الاثنين ٩ شهر ربيع الآخر سنة ١٣١٢هـ.

شهد بذلك السيد محضار سفيان. وشهد على ذلك الشيخ صالح بن علي وشهد على ذلك الشيخ محمد ناصر مقبل. وشهد على ذلك عبد الوهاب بن مطهر الدّهْبَلِي^(٣). وشهد على ذلك قائد أحمد الدّهْبَلِي، وكفى بالله شهيداً. ويتلو ذلك الختوم.

وبعد ذلك رضي السلطان فضل بن علي على محسن بن علي وأجرى له ما يسد نفقاته وأمره أن يسكن في الرّاحة، ولما تحمل السلطان فضل نفقات ضبط أرض الحواشب ومشاهرة آل فَجَّار ومصاريفهم وما للسادة والقبائل من العوائد

(١) القَمَاعِرَةُ: قبيلة ومركز إداري من مديرية مَآوِيَةَ في شرقي تعز.

(٢) الرقيم: أي: المكتوب والمُعَاهَدَةُ.

(٣) الدّهْبَلِي وآل الدّهْبَلِي: من قبائل بني أود أحد بطون قبائل مَدْحِج - وِرَازَن مَسْجِد -، منازلهم في منطقة «مَكِّيْرَاس» من مديرية لَوْدَر محافظة أبين المعروفة قديماً باسم «سَرُو مَدْحِج».

والجَرَائيات دون أن يضم الأعراس التي كان يأخذها الحوشي علي القوافل إلى عشور بلاده، لارتباط أسلافه في المعاهدة مع الإنكليز أن لا يزيدوا على المقدار المعين. ولما أنس السلطان فضل من السلطان محسن بن علي حُسن النية وعزّمه إلى حسن السلوك كما يرغب السلطان فضل بن علي دعاه أن يعود إلى سلطنته ويقوم بنفقاتها على حساب حاصلاتها، ونصبه سلطاناً على بلاد الحواشب في ٢٢ من شهر الحجة سنة ١٣١٣ هـ بشروط منها:

إن أهل فَجَّارَ والحواشب ما لهم أن يُسلطنوا أحداً إلا بمشاوره سلطان لحج فيمن يرتضيه.

وأن يكون عشور الحوشي تحت نظر السلطان فضل بن علي وفي حكمه حيث ما يرتضيه في حدوده، ويَطْرَحَ محسن بن علي الحوشي لقبض عشوره من يختارونه ويأمنونه على ذلك، ويكون قدر أخذ المُسَلِّم بموجب الورقة التي ستعطى لهم. وليس لمحسن بن علي الحوشي أن يمكس أحداً من التجار أو المقادمة أو أي شخص كان من المسافرين ولا له حكم عليهم ولا حبس، وأيضاً ما له أن يطلب من أحد قدمه من أهل الحمائل ولا من المقادمة.

وأن يلتزم محسن بن علي المذكور أن لا يصير منه تَعَدُّ أو ظلم على أهله أو على أهل يحيى، وأن يعطيهم حقوقهم وكل من له في العشور حق يسلمه إليه بموجب عاداتهم، ومن له مَصْرُوفٌ يُسَلِّم له مصروفه.

وأن يحامي الطرق ويُسَلِّم جميع ما ينتهب على المسافرين في الطرقات الموصلة إلى لحج والطلالع والنازل منها.

وأن يكون دار العند وطين شامية والحرقات وأطيانها والساكنين بها وبلاد الأعمور وأهلها مع جميع حدودهم للسلطان فضل بن علي محسن العبدلي سلطان لحج في مقابل خسارته، ويلتزم محسن بن علي الحوشبي أن لا يقبل أحدًا منهم ولا يساعد من أفسد من المذكورين. ويتعهد أيضًا للسلطان فضل بن علي بالإجابة عندما يطلبه للمساعدة على تأديب أحد من المفسدين، وله أن يأخذ عشوره على القوافل المارة في بلاد العامري يستلمه حيث ما استقر محل عشور الحواشب من حدود السلطان فضل بن علي.

وأن يكون محسن بن علي الحوشبي وكافة أهله أهل فجّار وقبائلهم من الحواشب وغيرهم تحت طاعة السلطان فضل بن علي محسن العبدلي، وبأذنين له الامتثال، وأنهم يجيبون داعيه ويحاربون معه على أي عدو كان له، وكذلك السلطان فضل بن علي يلتزم بالمساعدة والمعاهدة لمحسن بن علي على أي عدو كان يريد أن يتعدى على بلاد الحواشب. وكل ما يحدث بين العبادل والحواشب من قتل أو نهب فالحكم فيه للسلطان فضل بن علي ولمحسن بن علي ومن حذق من أهل فجّار.

وأن يقبض سلطان لحج مشاهرة^(١) سلطان الحواشب المقررة له من حكومة عدن ثم يستلمها الحوشبي من يد العبدلي.

وإمضاء الشروط

فضل بن علي العبدلي

محسن بن علي الحوشبي

(١) المشاهرة: هي المعاش والراتب الشهري.

وشهد

شاييف بن سيف أمير الضالع السيد علي حمادي محمد صالح جعفر

بحضور سي أي كنهجام برجيدر جنرال والي عدن

وبتوقيع هذه المعاهدة والحوادث التي قبلها صارت معاهدة زائدة المؤرخة سنة ١٢٩٨ هـ لاغية تمامًا. واعترف السلطان محسن بن علي الحوشبي أن أرض الأعمور التي استولى عليها العبدلي سنة ١٣٠٢ هـ صارت للعبادل نهائيًا.

ثم عقد سلطان الحواشب المذكور معاهدة حماية بينه وبين البرجيدر جنرال شارلس الكساندر كنهجام والي عدن من طرف دولة بريطانيا، وهي كما تأتي:

١- وافقت الحكومة البريطانية على إرادة الواضع اسمه أدناه، وهو السلطان محسن بن علي مانع بأن تكون بلاد الحواشب ونواحيها الكائنة تحت سيطرته وضمن حدوده تحت حماية جلالة الملكة الإمبراطورة.

٢- قبل السلطان المذكور محسن بن علي مانع وأوعد عن نفسه وأقاربه وورثائه وخلفائه وجميع عشيرته أن يتجنب عن أن يدخل في مكاتبة أو معاهدة أو شرائط مع أي دولة أو حكومة أجنبية من غير اطلاع وموافقة الحكومة البريطانية، وعلاوة على ذلك وعد أنه سيعطي إنذارًا فوريًا لوالي عدن أو أي ضابط غيره عن أي مسعى من أي دولة للتعرض على مسيمير بن عبد^(١) والراحة وبلد الحواشب ونواحيها.

(١) عبد بكسر العين والباء كما تقدم ضبطه للمصنف.

٣- تعهد السلطان المذكور محسن بن علي مانع الحوشبي عن نفسه وأقاربه وورثائه وخلفائه وجميع عشيرته ومن يلوذ به بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يكري ولا يعطي ولا يتصرف في بلاد الحواشب ونواحيها أو أي قطعة منها لأي حكومة أو لأي شخص آخر سوى الدولة البريطانية في أي وقت كان.

٤- يكون ابتداء هذه المعاهدة من هذا التاريخ.

صار ذلك بحضور الشهود الموقعين أدناه. حرر في عدن في ٦ أغسطس سنة ١٨٩٥ م الموافق ١٤ صفر سنة ١٣١٣ هـ.

شاهد على ذلك: ميجر دبليوي فارس معاون والي عدن.

أنا فضل بن علي محسن فضل العبدلي سلطان لحج أشهد أن محسن بن علي مانع سلطان الحواشب عقد هذه المعاهدة بنظري وأمضاها بعلمي وارتضائي.

إمضاء

فضل بن علي محسن سلطان لحج

ذكر لي الثقات أنه عندما عزم الوالد رحمته الله على المسير إلى أرض الحواشب إئتزر واستلأم في داره، فلم يفكها إلا بعد رجوعه إلى داره بعد إنهاء المهمة، وكان أغلب أوقاته يصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء في أوقاتها بوضوء واحد. ولما استعرض كتائب العوّالِق في ميدان الحُوطة بعد رجوعه من المَسِيْمِير أقبل على العوّالِق ركبًا حصانه المرتاح، فدنا منه أحد رؤساء العوّالِق وقال:

يَا لَمْرَبْعِي يَا ذِي تَقْلَعَهَا طَبْنُ تَقْلَعَتْ الْاَطْبَانُ حَتَّى السَّاسِ بَانَ

ذِي مَا يَقَايِسُهَا وَعَادَهُ فِي السَّعَةِ
يَضْبِرُ عَلَيَّ رَشْخَ الْجَرِيدِ الْهَنْدَوَانَ
فَأَجَابَهُ السُّلْطَانُ عَلَيَّ الْفُورَ:

الْحَوْشَبِيِّ حُونَا وَلَا نَرْضَى عَلَيْهِ
مَلَأَ مِنَ الرَّحْمَنِ ذِي قَدَّرُ وَكَانَ
مَا نُصَلِّحُ إِلَّا لَا اجْتَمَعْنَا كُنَّا
مِثْلَ الْأَصَابِعِ ذِي تَقَايَسَ بِالْبَنَانِ

وقد وصف الشيخ محمد المغلس بغي السلطان محسن بن علي في قصيدته التي كتبها إلى بعض أصدقائه من أهل اليمن:

وَقَفَ الْجَوَادُ بِمَنْ طَعَى وَتَمَرَّدَا
وَبَغَى وَذَاقَ بِيغِيهِ كَأَسِّ الرَّدَى
وَعَدَا يَعَضُّ أَنَامِلِيهِ تَأَسُّفًا
مِمَّا جَنَاهُ بِجَهْلِهِ وَتَوَعَّدَا
وَيَلَاهُ مَا أَخْزَاهُ يَا عِزِّي لَقَدْ
ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ وَمَا اهْتَدَى
تَبَّالَهُ سُحْقًا لَهُ خُسْرًا لَهُ
شُلَّتْ يَدَاهُ فَكَمْ أَضْرَّ وَاعْتَدَى
أَوْ مَا دَرَى أَنَّ الْمُعَانَ لَمَانِعُ
لِلْمُعْتَدِي الْمَعْرُورِ يَا بَدْرَ الْهُدَى
بِفِيَاصِلٍ وَعَوَاسِلٍ وَصَوَاهِلٍ
وَعَبَادِلٍ ضَرَبَاتُهَا تُفْنِي الْعِدَى (١)
صَبْرًا أَخَا الْعَبَّاسِ وَاعْلَمَ سَيِّدِي
أَنَّ الْوِعَاءَ قَدْ امْتَلَأَ وَتَبَدَّدَا
لَا تَعْجَلَنَّ فِئِي قَرِيبٍ تَأْتِيهِ
شُمُّ الْأَنْوْفِ عَلَيَّ السَّوَابِحِ بِالْمَدَى
وَبِكُلِّ عَضْبٍ قَاطِعٍ فَلَكُمْ بِهِ
أَضْحَتْ رُوؤُسُ دَوِي الضَّلَالَةِ سُجَّدَا
وَلَكُمْ هَزْبَرٍ أَصِيدٍ وَسَمِيدِ
وَمُكْعَبٍ صَافِي الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا
فِي رَأْسِهِ رَيْبُ الْمُنُونِ تَخَلَّدَا

(١) الفياصل: المهاجمون، والعواسل: الرماح، الصواهر: أصوات الخيول.

لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَتْ نُوشُهُ
وَلَكَيْفَ لَا وَقَدْ تَعَدَّى طَوْرَهُ
وَلَكُمْ بَعَثْتُ رَسَائِلًا فَلَعَلَّهُ
وَمَحْضَتُهُ نُضْحِي لِكَيْ مَا يَزْعَوِي
وَأَزْدَادَ فِي طُغْيَانِهِ وَعُثُوهُ
لَا تَسْتَقِيمُ قَنَاتُهُ بِكَرَامَةٍ

فِيهِ الْحُمَاةُ وَتُسْقِيهِ كَأْسَ الرَّدَى
وَأَتَى بِكُلِّ قَيْحَةٍ مُتَعَمِّدًا
أَنْ يَشْتَرِي عَنِ غِيِّهِ فَتَعَرَّبَدَا
فَلَوَى الْعِنَانَ تَكْبُرًا وَتَمَرَّدَا
إِنَّ اللَّئِيمَ إِذَا تَأَمَّرَ أَفْسَدَا
قَسَمًا وَرَبِّكَ لَا يُقَوْمُهُ النَّدَى

وقال يحث العسكر وقد عزموا على المسير:

سِيرُوا حَيْثَا لِلْعَدُوِّ الْمُفْتَرِي
وَبِكُلِّ صَمْصَامٍ صَقِيلٍ أَبْتَرِ
وَبِعَزْمِهِ تَذَرُ الْحَدِيدَ مُفْلَلًا
وَبِصَوْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ تَعْنُو لَهَا
لَا دَرْدَرٌ عَدُوَّكُمْ قَدْ ظَلَّ فِي
لَا يَسْتَطِيعُ عَلَى النَّهْوِضِ لِمَا بِهِ
وَلَقَدْ غَدَا مُتَحَبِّطًا لَا يَهْتَدِي
أَبْنِي الرِّيَافِلِ وَالْعَوَاسِلِ وَالظَّبَّاءِ
نُورُوا بِأَجْمَعِكُمْ عَلَيْهِ وَطَهَّرُوا
فَلَا نَهَا عِنْدَ الْإِلَهِ لِقُرْبَةٍ

يَا لِلرَّفَاقِ بِكُلِّ طَرْفٍ أَشْقَرِ
ذِي رَوْنَقٍ وَبِكُلِّ لِدْنٍ سَمْهَرِي
يَوْمَ الْوَعَى وَبِهَمَّةٍ لَمْ تَقْصُرِ
شُمَّ الْأَنْوَفِ وَكُلُّ ضَرْعَامٍ جَرِي
قَيْدِ الْهَوَانِ مُكَبَّلًا يَا مَعْشَرِي
مِنْ حَيْرَةٍ مَقْرُونَةٍ بِتَحْشُرِ
أَيْنَ السَّبِيلِ إِلَى النَّجَاةِ فَيَنْبُرِي
وَالْبَأْسِ وَالْجَرْدِ الْعِتَاقِ الضَّمَّرِ
مِنْهُ السِّبْلَادَ بَطْعَنَةٍ فِي الْمَنْحَرِ
وَبِهَا الضَّمِينُ مُحَمَّدٌ فِي الْمَحْشَرِ (١)

(١) ليت هذا كان ضد المستعمر لكان القول صوابًا.

مُتَّبِطٍ يَا طَيِّبِينَ الْعُنْصُرِ
 أَرْكَانَهُمْ بِمُهَنْدٍ وَبِأَسْمَرَ
 لَلْبَصْدُقِ إِفْدَامٍ وَضَرْبِ مُعْسِرِ
 اللَّوْدَعِيِّ الْأَرِيحِيِّ السَّمْهَرِيِّ
 وَالْمُرْتَجِيِّ فِي كُلِّ خَطْبٍ مُذْعِرِ
 غَوَثِ الضَّعِيفِ وَعَوْنِ كُلِّ مُقْصِرِ
 عَنِ نَهْبِ مَا فِي كَيْسِهِ لَمْ نَضْبِرِ
 صَدْرِ الْكَتِيبَةِ كَالْهَزْبِ الْمُجْتَرِي
 بِمُهَنْدٍ صَافِي الْحَدِيدِ مُجَوَّهَرِ
 بِسَوَى الرَّئِيسِ وَكُلِّ صِنْدِيدِ سَرِي
 مُغْرَى بِهَا وَكَأَنَّهُ فِي مَحْضَرِ
 بَيْنِ الْعَبَادِلِ تُبَّعُ فِي حَمِيرِ
 شَأْوَ الْعُلَا بِسَمَاحَةٍ لَمْ تُكْفَرِ
 وَفُتُوَّةٍ وَبِعَزْمِهِ كَالسَّمْهَرِيِّ
 وَالْمَكْرُمَاتِ وَدُسْتِ هَامِ الْمُشْتَرِي
 دَوْمًا بِنَضْرٍ لِلْفُتُوحِ مُيَسَّرِ
 بِسَلَامَةٍ وَكَرَامَةٍ وَبِمَفْخَرِ

لَا تَرَعُوا عَنْهُ وَلَا تَلُؤُوا عَلَيَّ
 دُوسُوا عَرَانِينَ اللَّئَامِ وَزَلْزَلُوا
 وَاسْتَأْصَلُوا شَافَاتِهِمْ وَاشْفُوا الْغَلِي
 وَارْضُوا بِفِعْلِكُمُ الْمُعَانَ الْعَبْدِي
 يَعْسُوبَ أَرْبَابِ الرِّيَاسَةِ وَالْحِجَا
 ابْنَ الْأَكَابِرِ مِنْ ذُؤَابَةِ مُحْسِنِ
 لَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ بَنَانَهُ
 مَلِكٌ إِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ تَرَاهُ فِي
 يَضَلَّى لَطَى الْهَيْجَاءِ فِي كَرَاتِهِ
 لَا يَرْتَضِي لِحُسَامِهِ وَفَنَاتِهِ
 يَلْقَى الْكَرْيَهَةَ بِاسْمًا فَكَأَنَّهُ
 وَكَأَنَّهُ لَمَّا بَدَا مُتَقَلِّدًا
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَقَّ رَقَا
 وَبِهِمَّةٍ وَشَجَاعَةٍ وَأَبُوَّةٍ
 أَنْتَ الَّذِي سُدْتَ الْعَبَادِلَ بِالنَّدَا
 لَا زِلْتَ يَا رَبَّ الشَّوَابِ وَالْقَنَا
 وَاسْلَمْ وَدُمْ فِي نِعْمَةٍ مَقْرُونَةٍ

وَبِصْحَةٍ وَمَهَابَةٍ وَبِدَوْلَةٍ
 الطُّهْرُ يَا سَيْنَ الْبَشِيرِ الْمُصْطَفَى
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا شَنَّ الْحَيَا
 وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ وَالْآتِبَاعِ مَا
 أَوْبَاتَ مُنْشِيهَا الْمُغْلَسُ قَائِلًا
 مَحْمِيَّةً بِحَمَى النَّبِيِّ الْمُنْدِرِ (١)
 طَةَ الشَّفِيعِ لَنَا غَدًا فِي الْمَحْشَرِ
 وَشَدَّتْ مُطَوَّقَةً بِصَوْتِ مُسْكَرٍ
 هَبَّتْ نُسَيْمَاتُ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
 سِيرُوا حَيْثِيًّا لِلْعَدُوِّ الْمُفْتَرِي

وهنا السلطان فضل بن علي بانتصاره على السلطان محسن بن علي في

حرب المسيير بقصيدة مطلعها:

نَصْرٌ أَتَاكَ مِنَ الْإِلَهِ مُؤَزَّرًا
 وَعَدَوْتَ تَشْوَانًا تَمِيسُ إِلَى الْعَلَا
 وَالْفَتْحُ فِيهِ يَا مُعَانَ تَيْسَرًا
 فِي حُلَّةِ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ بِلَا مَرَا

ومنها:

هَذَا الَّذِي دَاسَ الْبِلَادَ بِعَزْمِهِ
 مَا كَانَ ضَرْكَ يَا مُحَيِّسُنْ لَوْ أَتَيْتَ
 وَالْحَرَقَاتِ وَجَوْلَ مَدْرَمٍ وَالْقَرَا
 تَ إِلَى الْمُعَانَ مِنْ الْخَطَأِ مُسْتَعْفِرَا

وتسيطر السلطان فضل بن علي على البلاد من الدَّرِيَجَةِ (٢) إلى باب عدن،

ومن حدود أبين إلى العَارَةِ، وأصلح الله به البلاد وملأت هيئته قلوب العباد، وكان سيف الله المسلول على أهل البغي والفساد، وسيرته مبرورة وفضائله مشهورة.

(١) لو أنه قال: بِحَمَى الْإِلَهِ؛ لأن النبي ﷺ لا يحمي أحدًا ولا يحمي دولة بعد موته ﷺ فهذا القول لا يجوز شرعًا.

(٢) الدَّرِيَجَةُ: بكسر ففتح فسكون قرية بالغرب الشمالي من المِسِيْمِيرِ بمسافة ١٨ كيلو.

اتصف بالمكارم والتقوى، وله في عبادة الله النصيب الأقوى. وكان يقوم الليل إلا قليلاً، ويرتل القرآن ترتيلاً، لا يحابي ظالم ولا يخشى في الله لومة لائم، يساوي في الحق بين الصغير والكبير، والعبد والأمير، لا يرد من بابه مظلوم، يقوم من نومه في أي وقت من الأوقات لأجل الإنصاف، تذهب أيامه ولياليه في عبادة ربه وخدمة رعيته لا يضيع منها لنومه وحاجته إلا القليل وأقل من القليل.

وكان يحب العلم والعلماء، ويكثر من مجالستهم ومؤانستهم ومواساتهم، ودعا أهل سلطنته لطلب العلم، وكان في بداية الأمر يحضر بنفسه في الجامع ويقعد في حلقة الطلبة كطالب علم.

ثم بنى مدرسة للعلامة الشيخ أحمد بن علي السالمي من الأسلوب بلحج، وولاه أمر التدريس وأجرى لطلبة العلم نفقة على حسابه. ولذلك أحبه السادات والعلماء في كل صقع ومصر، ورتبوا له الأدعية في رباطات أكثر السادات بحضرموت، وفي بيوتهم بعد تلاوة القرآن العظيم والأدعية المأثورة. وبالجملة فهو من السلاطين العادلين والأولياء الصالحين وممن نال سعادتي الدنيا والآخرة^(١).

ولأشراف حضرموت وزبيد والمراوعة وفضلاء عديدين من اليمن قصائد رنانة في مديحه -رحمه الله تعالى- نذكر طرفاً من ذلك، منها قصيدة للعلامة السيد أبي بكر بن شهاب قال في مطلعها:

(١) الأمر غيبي ولا يُجزم لأحدٍ بذلك، ولكن يرجى للمسلم ذلك دون الجزم به.

بَدَتْ فَأَعَاظَتِ الْقَمَرَ السَّوِيًّا وَأَخْجَلَتِ السَّنَانَ السَّمْهَرِيًّا
بِرَبِّكَ هَلْ تَرَى قَمَرًا سِوَاهَا بَدَا مُتَمَثِّلًا بَشْرًا سِوِيًّا

ومنها:

فَحَلَّتْ مِنْ فُؤَادِي حَيْثُ أَلْقَتْ بِهِ الْجَارِ الْمَلِيكَ الْعَبْدَلِيًّا
هُوَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ فَكُلُّ فَضْلٍ يُفَاخِرُ حَيْثُ كَانَ لَهُ سَمِيًّا
وَمَنْ كَأَيْهِ أَوْ كَأَبِي تُرَابٍ تَعَالَى حَقُّ أَنْ يُدْعَى عَلِيًّا

ومن مديح العلامة المذكور للسلطان فضل قوله في قصيدة أخرى:

لَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ يُدْعِنُ لِي كَمَا لِمُحَمَّدٍ وَالْفَضْلِ أَدْعَنَتِ الْمَلَا
هَذَا ابْنُ مُحْسِنٍ الَّذِي حَسَنَاتُهُ لَا تُخَوِّجُ الْعَانِي إِلَيَّ أَنْ يَسْأَلَا
وَابْنُ الْعَلِيِّ أَبِي الْمَعَالِي بَلْ هُوَ الْوَالِدُ بَحْرُ الْخِضْمِ فَكَيْفَ تُنْقِضُهُ الدَّلَا

ومدحه الشيخ الفاضل عبده صالح عضبي من أهالي يَفْرُسَ (١) في قصيدة

مطلعها:

أَقْلِي مِنْ صُدُودِكَ يَا نَوَارُ فَلَيْسَ عَلَيَّ جَفَاكَ لِي اصْطِبَارُ

ومنها:

إِذَا بَرَزْتَ إِلَيَّ الْفَضْلِ السَّرَايَا فَقُلْ وَافِيًّا بِأَعْدَاهُ الدَّمَارُ
فَإِمَّا أَنْ تَدِينَ لَهُ بِحُكْمٍ وَإِلَّا حُكِّمَتْ فِيهِ الشُّفَارُ

(١) يَفْرُسُ: مدينة كبيرة في «المعافر» (الحجرية).

ومنها:

إِذَا ابْنُ عَلِيٍّ حَلَّ بِأَرْضِ جَدِّهِ تَوَلَّتْهَا هَوَامِيهِ الْغَزَارُ

ومدحه العلامة السيد عبد الرحمن بن حسن بن عبد الباري الأهدل

بقصيدة مطلعها:

سَعِدَ الزَّمَانُ وَسَاعَدَ الْإِقْبَالَ وَدَنَا الْمُنَا وَأَجَابَتْ الْأَمَالَ
وَالنَّصْرُ أَقْبَلَ ضَاحِكًا بَعْلُوكُمْ فَوْقَ الْعِدَا وَالْحَاسِدِ الْمُحْتَالَ

ومدحه من أفاضل الحديدية الشيخ جابر رزق ومن مدحه:

سُلْطَانٌ لَحَجَّ أَعَزُّ النَّاسِ سُلْطَنَةً تَلَالُاتٌ بُعْلَاهُ غُرَّةُ الزَّمَنِ
الْحَيْدَرِيُّ سَطَا وَالْبَرْمَكِيُّ عَطَا وَأَنَّهُ فِي الْوَرَى دُو مَنْظَرٍ حَسَنِ
هَذَا الَّذِي افْتَحَرَتْ لَحْجٌ بِدَوْلَتِهِ هَذَا الَّذِي سَادَ فِي شَامٍ وَفِي يَمَنِ

ومن شعر العلامة السيد سليمان بن علي الهجّام الأهدل في مدح السلطان

فضل بن علي قوله:

عَرَّجَ بِقَصْدِكَ نَحْوَ الْفَضْلِ تَقْصِدُهُ فَإِنَّهُ بَحْرُ جُودٍ جَلَّ سَاعِدُهُ
بَلْ لَا تَحِلُّ سِوَى حَيْثُ الْعُلَا سَكَنْتُ لِأَنَّهُ يَبِيدُ الْعَلِيَاءَ مَقْوَدُهُ
لَا فَخْرَ فِي بَلَدٍ إِنْ لَمْ تَحِلَّ بِهَا إِلَّا إِذَا هُوَ فِيهِ كَانَ مَوْلِدُهُ
حَيْثُ السَّحَابُ أَقْلَتْهَا أَنَامِلُهُ فَكَانَ مَا كَانَ فِيهَا حِينَ يَشْهَدُهُ
تَهْتَرُ عِطْفَاهُ لِلْمَجْدِ اهْتِرَازَ فَنَا هَزَّتَهُ لِلْحَرْبِ فِي يَوْمِ الْوَعَى يَدُهُ

تَدَفَّقَ الْمَجْدُ فِي صَفْحَيْ مُهْتَدِهِ
 إِذَا أَلَمَّ مُلِمٌّ فِي الزَّمَانِ رَأَى
 مَوْلَى الْأَمَاجِدِ سُلْطَانَ الْبِلَادِ وَمَنْ
 مَاذَا يَقُولُ فَصِيحُ الْقَوْلِ فِي رَجُلٍ
 أَكْرَمَ بِهِ فَرَعٌ أَصْلٍ طَابَ عُنُصْرُهُ
 هَبَّتْ لَنَا رِيحُ فَضْلِ مِنْهُ تُرْشِدُنَا
 أَنَّى يُرَى مِثْلُهُ أَحْيَتْ أَنَامِلُهُ
 فَهَوَ الْفِرْنَدُ الْمُصَفَّى أَوْ مُجَدِّدُهُ (١)
 لَهُ مِنَ الْحَزْمِ حَزْمًا لَيْسَ يَجْحَدُهُ
 يَهَابُهُ كُلُّ سُلْطَانٍ وَيَرْضُدُهُ
 يُرِيدُ يَحْمَدُهُ وَالْحَمْدُ يَحْمَدُهُ
 لِأَنَّ فِي كَرَمِ الْأَبَاءِ مَحْتَدُهُ
 لِفَضْلِهِ وَيُرِيدُ الْخَيْرَ يُرْشِدُهُ
 جُودًا أَمَاتَ بِهِ مَنْ كَانَ يَحْسُدُهُ

وفي أواخر سنة ١٣١١ هـ قدم إلى لحج السيد العلامة علوي (٢) بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف شيخ السادة بمكة المكرمة عندما اضطر أن يترك مكة هو وجماعة من العلماء تجنباً لأذى الشريف عون، فدعاه السلطان فضل بن علي أن يسكن حُوطة لحج لخدمة العلم فيها، فلبى شيخ السادة دعوة السلطان فضل وجاء بعائلته من مكة وتولى أمر التدريس بلحج، وأقبل الناس على طلب العلم، فكان يحضر في حلقة التدريس من التلاميذ المنورين نحو مائة وخمسين طالب علم غير المبتدئين، وتخرج منهم جملة قضاة، ونال بعضهم درجة الإفتاء، وفتح الله به على خلق كثير، وهنأه المُعَلِّسُ بقدمه عام ١٣١١ هـ فقال:

يَا أَيُّهَا الْعَلَوِيُّ الْأَبِيُّ الْفَعْدُ الْأَجَلُّ
 وَالْمَاجِدُ الشَّهْمُ الْهَزْبُ الْمَتَسِّلُ
 الْأَرِيحِيُّ الْمُرْتَجَى إِنْ خَطْبُ جَلِّ
 بُشْرَاكَ بَدْرُ السَّعْدِ فِي عَلْيَاكَ حَلِّ

(١) الفِرْنَدُ: هو السيف.

(٢) تنظر ترجمته في «الأعلام» (٤/ ٢٤٩) للزركلي.

وَالْأَنْسُ قَدْ وَفَاكَ يَا كُلَّ الْمَنَا
وَالْعِزُّ وَالْإِقْبَالُ أَيُّضًا وَالْهَنَا
أَوْ مَا تَرَى يَا ذَا الْمَفَاخِرِ وَالسَّخَا
فَإِذَا الْمُعَلَّسُ يَا مَلَاذِي أَرْخَا
وَالْخَيْرُ وَالْفَضْلُ الْمُؤَبَّدُ وَالْغِنَا
لِقُدُومِ عَامِ بِلْتَهَانِي قَدْ حَصَلَ
قَدْ جَاءَ بِالنَّعْمَاءِ حَقًّا وَالرَّخَا
بِالْجِهْدِ السَّقَافِ مُزْنُ السَّعْدِ هَلْ
٣٥ ١٤٥ ٩٧ ٢٧٢ ٧٤٣
سنة ١٣١٢ هـ

وقال فيه السيد العالم الفاضل سالم بن أحمد بن علي المحضار صاحب
حَبَّانٍ وَقَدْ زَارَهُ فِي لِحْجِ سَنَةِ ١٣١٣ هـ:

يَا ظَاعِنًا عَن مَكَّةٍ هَلْ مِنْ لُقَا
وَحَرَجْتَ مِنْهَا خَائِفًا مُتَرْقِبًا
لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَحْمَدَ أَسْوَةٌ
وَكَذَاكَ مُوسَى حِينَ فَارَقَ مَدِينًا
بَعْدَ الْبِعَادِ عَنِ الْمُحَصَّبِ وَالنَّقَا (١)
مِثْلَ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْمُتَّقَى
بِمَنَالِهِ نَصْرًا عَلَى أَهْلِ الشَّقَا
وَلَقِيَ شُعَيْبًا حَبَّذَاكَ الْمُتَّقَا
هَذَا السَّبِيلَ وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَوِّقًا
وَكُفَيْتَ شَرَّ مُعَاوِدٍ وَمُنَافِقَا
وَرَقَى عَلَيَّ مِعْرَاجَ مَجْدِ الْمُرْتَقَى
يَا سَيِّدًا حَازَ الْمَفَاخِرَ وَالْعُلَا

(١) الْمُحَصَّبُ: هُوَ مَوْضِعٌ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَمِنَى وَهُوَ إِلَى مِنَى أَقْرَبُ، وَأَمَّا «النَّقَا» فَهِيَ حَارَةٌ مِنْ
حَارَاتِ «الشَّامِيَّةِ» بِ«مَكَّةَ»، وَقَدْ هُدِمَتْ مَعَ بِيوتِ حَارَتِ الشَّامِيَّةِ لِتَوْسِيعَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَالنَّقَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَيَنْظُرُ: «مَعْجَمُ مَعَالِمِ الْحِجَازِ» (٨/ ١٥١٥) لِلدُّكْتُورِ عَاتِقِ
الْبِلَادِيِّ، وَ«حَارَةُ الشَّامِيَّةِ وَالْحَارَاتُ الْمَجَاوِرَةُ لَهَا» لِلدُّكْتُورِ فَوْزِيِّ سَاعَاتِي.

كُتِلَ الْفُنُونُ مُحَقَّقًا وَمُدَقَّقًا
 فِي كُلِّ عِلْمٍ مُشْكِلًا أَوْ مُطْلَقًا
 قَدْ زَادَهُ الرَّبُّ الْمُهَيِّمُنُ رُونَقًا
 مَا أَنْ يُعَالِبُهُ فَصِيحًا مَنْطِقًا
 وَلَسَابِقِ الْخَيْرَاتِ صَارَ مُسَابِقًا
 أَضْحَى بِهِمْ فِي كُلِّ فَضْلٍ لَاحِقًا
 عَلَوِي بْنُ أَحْمَدَ قَدْ عَدَا مُتَحَلِّقًا
 وَبِرَأْفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ وَمُتَّقًا
 وَإِلَى ذُرَا الْعَلِيَا بِهِمَّتِهِ رَقَا
 وَبُنُورِهِ نُورُ الْهُدَى قَدْ أَشْرَقَا
 فِيهِ التَّوَطَّنَ صَادِقًا وَمُصَدَّقًا
 فِي حَيْثُ أَرْبَابُ الْمَكَارِمِ وَالتُّتْقَى
 أَغْنَى جَمِيعَ الْوَافِدِينَ وَأَطْبَقَا
 مَنْ بِالْمَحَاسِنِ وَالشَّمَائِلِ طُوقَا
 كَأَسَا هَنِيئًا بِالْغَدَاقَةِ مُغْدِقًا
 مِنْ قَبْلِهِ قَدْ أَسَسَ وَتَحَقَّقَا
 إِلَّا الدُّعَاءَ بِفِكَ رَهْنٍ مُعْلَقَا
 وَلِقُرْبِكُمْ وَوَصَالِكُمْ مُتَشَوِّقَا
 كُلُّ الْعِدَا وَيَكُونُ فِيهِمْ مَا حِقَا

حَتَّى عَدَا شَيْخًا إِمَامًا جَامِعًا
 وَسَمَا عَلَى أَقْرَانِهِ بِزَمَانِهِ
 وَعِبَادَةٍ وَزَهَادَةٍ وَسَمَاحَةٍ
 وَشَجَاعَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَفَصَاحَةٍ
 وَمُقَاوِمٍ أَهْلَ الرِّيَاسَةِ وَالْعَنَا
 وَلَا أَهْلِهِ فِي زِيَّتِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ
 وَبِخَيْرِ خَلْقِ الْعَالَمِينَ شَفِيعِنَا
 بِتَبَسُّمٍ وَبِشَاشَةٍ وَلَطَافَةٍ
 وَالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ فِيهِ سَجِيَّةٌ
 فَضْلًا مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ وَمِنَّةٌ
 حَتَّى أَتَى لَحَجَّ الْفَيْحَ فَارْتَضَى
 وَاخْتَارَ فِي الْأَرْضِ الْبَسِيطَةَ حُوطَةً
 وَالْعِزُّ وَالْإِكْرَامُ وَالْجُودُ الَّذِي
 وَسَلَامُنَا خُصُوبًا بِهِ حُسْنُ الرَّضَى
 وَسُقْيِي بِكَأْسِ الْقُرْبِ مِنْ رَبِّ الْعُلَا
 وَاخْتَارَ مَا اخْتَارَهُ عَلَوِيُّنَا
 هَذَا امْتِدَاحِي لَا أُرِيدُ عَطِيَّةً
 بِدُعَائِكُمْ وَسُؤَالِكُمْ مُتَطَفِّلًا
 وَاللَّهُ يَحْرُسُكُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَى

وَمُشْتَاتًا شَمْلًا لَهُمْ وَمُفَرَّقًا
 يَسْقِيهِمْ كَأْسَ الْمَنِيَّةِ وَالرَّدَا
 وَيُذِلُّهُمْ وَيُهِينُهُمْ وَيُعِزُّكُمْ
 وَيُؤَدِّمُ مُلْكًا لِلْمُلُوكِ وَمَنْعَةً
 وَيُؤَدِّمُ سُلْطَانَ الزَّمَانِ بِبُلْغَةٍ
 وَمُشِيدًا أَرْكَانَ شَرْعِ مُحَمَّدٍ
 ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
 جَمَعًا لَهُمْ وَمَبَدَّدًا وَمُمَرَّقًا
 وَيُذِيقُهُمْ بِأَسَا شَدِيدًا مُزْهِقًا
 لَا زَالَ غُصْنُ الْعِزِّ فِيكُمْ مُورِقًا
 مَعَ طُولِ عُمُرٍ وَالسَّلَامَةِ وَالْبَقَا
 فَضْلَ الَّذِي لِلْفُضْلِ حَقًّا وَتَقَا
 بِصَلَاتِهِ وَبِحَدِّ سَيْفِ رُقَقَا
 مَا لَاحَ بَرَقَ فِي الدُّجَى أَوْ أَبْرَقَا

ومن مديح السيد العلامة علوي بن أحمد السقاف وثنائه على السلطان

فضل بن علي قوله:

فَضْلُ الْجَوَادِ وَبَيْتُ الْجُودِ حَامِي الْحِمَا
 نِعْمَ الْمَلَاذُ وَنِعْمَ الْمُسْتَجَارُ وَنِعْمَ
 أَحْيَى مَعَالِمِ قَوْمِ طَابَ ذِكْرُهُمْ
 مِنْ آلِ قَحْطَانَ قَدْ طَابَتْ عَنَاصِرُهُمْ
 يَهْنَأُكُمْ أَهْلُ لَحْجِ ذِي الْفَخَارِ بِمَنْ
 يَا أَهْلَ حُوْطَةِ لَحْجٍ صَارَ حُبُّكُمْ
 أَنْتُمْ قَتَلْتُمْ عِبَادَ اللَّهِ أَجْمَعَهُمْ
 مَا أَمَّكُمْ زَائِرٌ إِلَّا وَعَادَ بِمَا
 لَا عَيْبَ فِيكُمْ سِوَى أَنْ النَّزِيلَ بِكُمْ
 أَثَقَلْتُمْ وَكَاهَلِي طَوَّقْتُمْ وَعُنْقِي
 كَنَزُ الْكِرَامِ لَدَى الْحَادِثِ الْعَمَمِ
 مِ الْضَيْعَمِ الْكَاسِرِ السَّجَادِ فِي الظُّلَمِ
 بَقِيَّةُ الْعَرَبِ الْعَرَبِ دَوِي الشِّيمِ
 لَا رَيْبَ فِي مَجْدِهِمْ مِنْ سَالِفِ الْقِدَمِ
 قَدْ فَاقَ عَدْلًا وَجُودًا كُلَّ ذِي عِظَمِ
 لِأَجْلِ فَضْلِكُمْ مُخَالِطًا لِدَمِي
 بِحُسْنِ خُلُقِكُمْ فِي ذَلِكَ الْعِظَمِ
 يُرْبُو عَلَى فِكْرِهِ فِي خَيْرِ مُعْتَنَمِ
 يَسْلُو الرَّفَاقَ كَذَا الْأَوْطَانَ مَعَ حَشَمِ
 أَغْمَرْتُمُونِي بِأَنْوَاعِ مِنَ النُّعَمِ

وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا أُنْسَى صَنِيعَكُمْ
 وَأَوْ لَاعَبْتُ حُلَّةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ صَبَا
 مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ لَحْجٍ إِلَى الْعَلَمِ (١)
 أَوْ عَانَقَتْ بَاكِيًا فِي خَيْرٍ مُلْتَزِمٍ
 أَوْ نَفَسْتُ قَلْبَ مَكْرُوبٍ حَلِيفِ جَوَى
 يَجِنُّ نَحْوَ الْجَمَى رَاضِي بَدَا الْقَسَمِ
 أَوْ نَسَنْسَتْ فِي رُبَا الْهَادِي وَشِيعَتِهِ
 تُقْبَلُ الْأَرْضَ عَنْ عَلَوِي عِيْدِهِمِ

وهي طويلة مطلعها:

نَادَى الْعِيُورُ لِهَتْكَ هَذِهِ الْحُرْمِ
 يَا لِلنَّبِيِّ لِمَنْ قَدْ حَلَّ بِالْحَرَمِ

وأما حسن الذي ذكره السيد سالم بن أحمد المحضار بقوله: (وسلامنا خصوا به حسن الرضي) فهو السيد الجليل التقي النقي حسن بن علوي بن علي بن علوي بن علي الجعفري باعلوي. خرج جده علوي بن علي من قرية تريس (٢) بحضرموت إلى يشبم من أرض العوالق بطلب أهلها، ومات هو ثم ابنه علي بأرضه العوالق، ثم إن حفيده علوي بن علي حج بيت الله الحرام وعاد إلى المَخَا فأحبه أهلها وتزوج بها، وكان يتردد بين المَخَا وَيَشْبَم، وولد له السيد حسن بن علوي المشار إليه في القصيدة في مدينة المَخَا. وله أخ شقيق من أمه وأبيه وهو محمد بن علوي بن علي، خرجت أمه من المَخَا وهي حامله فولدت بِيشبم (٣)، وكان السيد حسن بن علوي وأخوه السيد محمد بن علوي يترددان إلى

(١) العَلَم: هو مكان قريب من عدن عند مدخلها الشرقي.

(٢) تريس: بفتح فكسر هي من قدامى بلدان حضرموت، وهي على بُعد ثلاثة أميال من سيئون، ولمزيد فائدة ينظر: «إدَامُ القُوْتِ في ذكر بلدان حضرموت» ص ٦٥٠ للسقاف.

(٣) يشبم: قرية كبيرة من مديرية الصَّعِيدِ في محافظة شبوة، تقع في الجنوب من عتق بمسافة (٤٠) كيلو.

لَحْجِ الواقعة بين يَشْبُمَ والمَخَا. وكان السيد محمد بن علوي ينزل بلحج ضيفاً على صديقه السلطان علي محسن، وكانت العلائق يومئذ متوترة بين السلطان علي محسن والسلطان مَنْصَر بن بو بكر العولقي، فجعل الله السيد محمد بن علوي المذكور سبباً في إيجاد الألفة والاتفاق بين السلطانين في سنة ١٢٧٢ هجرية.

وكان السلطان علي محسن يَسْتَوِزِر السيد محمد بن علوي في أموره الهامة. وللسيد محمد المذكور وأخيه السيد حسن بن علوي عند السلطان وسائر عائلته منزلة جلييلة ومحبة أكيدة وحسن عقيدة.

وفي سنة ١٢٩٧ هـ دعا السلطان فضل بن علي السيد حسن بن علوي وأخاه السيد محمد بن علوي إلى سكنى لحج، فاعتذر السيد محمد، وجاء السيد حسن بن علوي بعائلته إلى لحج، وتلقاه السلطان فضل بن علي بالإجلال والاحترام والإكرام، واستوزره بقية عمره.

وكان السيد حسن بن علوي الجفري من أكمل الرجال خُلُقًا وخُلُقًا، مع زهد وتقى وكرم وسماحة وأدب وظرف، فلا تمل مجالسته ولا محادثته، وكان أخص أخصاء وأحب أحبائه وأصدق أصدقاء السلطان فضل بن علي رحمهم الله أجمعين، ولذلك كان القاضي عمر حسين يقول:

وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي بِقُوَّةٍ لَمَا حَصَلَ السَّقَافُ شَيْئًا مَعَ الْجَفْرِيِّ

وقد عرف المؤلف السيد حسن كامل المعرفة، فما والله أتحسر على فقد أديب وتقى وجليل ولطيف نبيل من أعيان لحج كما أتحسر على فقد السيد

حسن بن علوي المذكور:

رَوَتْ عَنْهُ أَخْبَارُ الْمَعَالِي مَحَاسِنًا كَفَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ عَنْ أَلْسِنِ الْحَمْدِ
فَوَجْهَهُ عَنْ بَشْرٍ وَكُفَّهُ عَنْ عَطَا وَخُلِقَهُ عَنْ سَهْلٍ وَرَأَيْهُ عَنْ سَعْدِ

ومع أن السادة آل الجفري من رجال سلطنة لحج الأخيار، فهم أيضًا مناصب أرض العوالت، تصغي القبائل لنصائحهم وتحتكم إليهم، يحبونهم ويتبركون بهم^(١)، ويتلقون عنهم آداب وأحكام الشريعة الإسلامية. قال رويس بن فريد العولقي:

اليوم يا الله يا اهل علوي بن علي ذي بحر كرم مالي وزيد على العلم
لا هوه سواكم ما عقرنا عندهم لو با يسيل الحيد والوادي بدم^(٢)

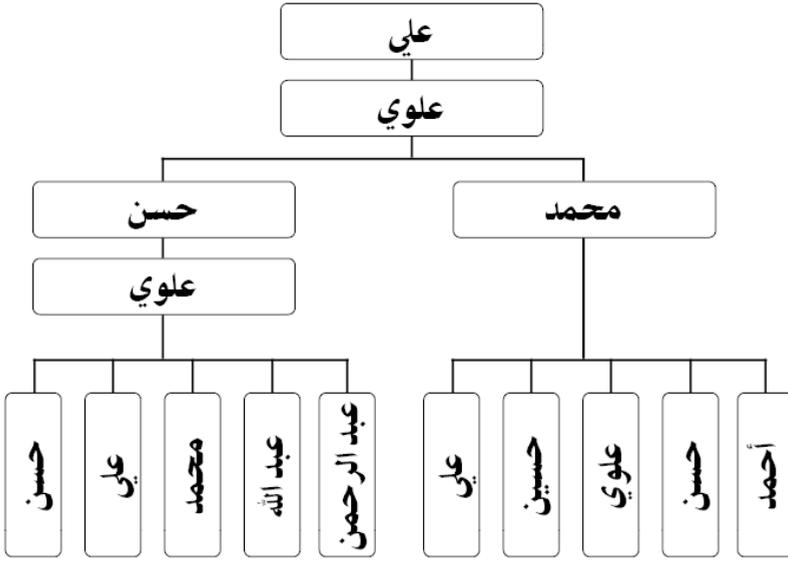
وقال امذيب بن صالح بن فريد العولقي:

يا منصب السادة ويا تقدومهم يا اهل الكرامة ذي على الساس المكان
لا تستمع فينا ولا بنا نستمع يا بن حسن على المرصيه كونوا عوان
وانتوا حبايينا عقايد جدنا حاشا علينا ما نبا فيكم هوان^(٣)

(١) التبرك بغير رسول الله ﷺ لا يصح وهو من البدع، ولو كان جائزاً لفعله الصحابة رضي الله عنهم مع أبي بكر وعمر وسادات الصحابة، لكنهم لم يفعلوه، فما نراه اليوم من التمسح بأناسٍ ويسمى بالتبرك هذا من البدع.

(٢) الحيد: هو الجبل.

(٣) «ما نبا» أي: لا نريد.



وفي شهر صفر سنة ١٣١٣هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى عم المؤلف أحمد بن علي محسن العبدلي، وهو من خيار أمراء العبادل آل محسن، لم يختلف اثنان في كرمه وحسن أخلاقه وشجاعته ووداعته، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولعاً بنجائب الخيل ويغالي في أثمانها حتى جمع في إصطبله من النجائب ما لم يجمعه غيره من أهل اليمن، وفي ذلك يقول السلطان عبد الله بن علي اليافعي في قصيدة له منها:

تَنشُدُ عَلِيَّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ لَيْثَ هَائِلُ مَحَلَّ الْكَرَمِ ذِي لَهُ هِمَمٌ يَصْفُونَهَا
هَنِيئًا لِمَنْ قَدَّمَ بَوَقْتَهُ جَمَائِلُ وَزَيْدٌ ثَمَنٌ فِي الْحَيْلِ ذِي فِي رِصُونَهَا

ومن مدح المغلس فيه:

كَنَزُ الْوُفُودِ أَبُو عَلِيٍّ عِمَادُنَا السُّ سُلْطَانُ أَحْمَدُ بَاسِطُ الْكَفَّيْنِ

بَطْلًا إِذَا نَارَ الْعَجَاجِ تَسَارَعَتْ بِحَسَامِهِ الْأَرْوَاحُ فِي سَجِّينِ
يَلْقَى الْكَرْيَهَةَ بِاسْمًا مُتَهَلَّلًا مُتَشَوِّقًا كَالْهَائِمِ الْمَفْتُونِ
وَإِذَا اعْتَلَى فَوْقَ اللَّيِّبِ تَرَاهُمَا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ فِي الْوَعَى أَسَدَيْنِ

وفي شهر رجب من السنة المذكورة نال السلطان المعان فضل بن علي من دولة بريطانيا العظمى لقب الجناب العالي، وضرب أحد عشر مدفعًا تحية له عوضًا عن التسعة المقررة لأسلافه سلاطين لحج.

وفي يوم الأربعاء لست خلت من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣١٥ هـ انتقل السلطان فضل بن علي رحمه الله تعالى، وخان^(١) ابن عمه السلطان أحمد فضل محسن.

وفي شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٦ هـ دخل إلى عدن لتجديد المعاهدة مع والي عدن من طرف الدولة البريطانية. وفيها عاد الأصباح إلى سوء السلوك والتعدي في الطرق، فجهز السلطان أحمد فضل في شهر شعبان على العوّطف إلى دار القُدَيْمي، وقدم العوّطف إذعانهم للسلطان. ولما رجع العسكر نكث العوّطف العهد وأغاروا على أطراف لحج في اليوم الثاني من وصول العسكر إليها وأخذوا إبلًا كثيرًا من عابرين.

وتخلى السلطان أحمد فضل عن بلاد الأعمور ووضعها تحت يد السلطان الحوشي بصفة أمانة رغمًا عن احتجاج قبائل الأعمور الذين ملئوا لحجًا صياحًا وعويلاً وعقائر مظهرين عدم رغبتهم في الإذعان والارتباط للحوشي، وبقائهم

(١) كذا في المطبوع، وكأنها قد طُمست وكتبت بخط قلم.

على الولاء والإخلاص لحكم العبادل. وفيها أمر السلطان بإرسال الرتب إلى رأس العارة وتُرُنَ (١) وأمر جاع من بلاد الأصابع.

وفي سنة ١٣١٧ هـ أرسل قوة من العبادل وغيرهم على المناصرة بقيادة أخيه عبد المجيد بن فضل محسن وجعلوا محطتهم في حبل المسجد. وكانت النتيجة عقد الهدنة والمصالحة مع المناصرة وسلوك المناصرة على ما يريد السلطان.

وفي شهر شوال سنة ١٣١٨ هـ جهز السلطان أحمد فضل وخرج بنفسه إلى دار القديمي مرة ثانية، وبعد مناوشات خفيفة عقدت هدنة وأمر السلطان بتكسير دار صالح.

وفيها بنى الباشا محمد ناصر مقبل الصراري قائم مقام القماعة داراً في الكفوف من أطراف بلاد الحواشب، وجعل فيها حامية من عسكر الأتراك مدعيًا أن المحل المذكور من أطراف الحدود العثمانية.

وقام لذلك الخلاف بين القائم مقام والسلطان محسن بن علي الحوشي، وأبلغ الحوشي شكايته إلى والي عدن، ثم ازدادت الطينة بلة عندما جمع الباشا محمد ناصر جموعاً من العرب والأتراك تهدد بهم سلطان الحواشب، فاستغاث بوالي عدن، فساق الإنكليز حملة من الجنود البريطانية والهندية في سنة ١٣١٩ هـ رافقها الكولونل دويس معاون والي عدن إلى الدرّيجة، هدمت دار الكفوف

(١) كذا هنا «تُرُنَ»، وقد ذكرها ياقوت في «معجم البلدان» (٢ / ٢٧) وقال: ناحية بين مكة وعدن ويليهام موزع وهو المنزل الخامس لحاج عدن. اهـ. لكن أخشى أنها «تُرَان» فسقطت منها الألف لأنها قرية في مركز العارة من مديرية «طور الباحة» وأعمال محافظة لحج.

وَأَجَلَّتِ الأتراكُ وجموعُ الباشا محمد ناصر عن بلاد الحواشب بعد معركة استدامت سويعات هزمت فيها جموع الباشا، وقبض الإنكليز على جملة أسرى من الأتراك ساقوهم إلى عدن.

وأرسل السلطان فرقة من عسكره تحت قيادة ولد ابن عمه علي بن أحمد بن علي لمرافقة العساكر البريطانية التي خرجت من عدن مع الكولونل ديوس إلى الدرّيجة.

ولسبب هذه الحادثة وشكاية الأمير شايف أمير الضالع إلى والي عدن بخصوص تعدي الأتراك على أطراف حدود الضالع فتحت مخابرة طويلة بين الدولتين العثمانية والبريطانية بخصوص حدود الحماية البريطانية في سنة ١٣١٩هـ وتشكلت يومئذ من الطرفين (لجنة تحديد الحدود) Boundary Commission وطافت العساكر البريطانية البلاد من حدود يافع إلى باب المندب، وعَسَكَرَتْ في أماكن عديدة من بلاد الأصابع والأعمور والحواشب، واحتلت الضالع وملحقاتها من عام ١٣١٩ إلى عام ١٣٢٥هـ، ثم جلت عنها بعد ذلك. وفي سنة ١٣١٩هـ أنعم عليه جلالة ملك الإنكليز بنشان^(١) نجمة الهند من الدرجة الثانية (كي سي أس آي) مع لقب سر. وفي شهر رمضان سنة ١٣٢٠هـ سافر إلى الهند وحضر تتويج جلالة الملك إدوارد السابع في «دهلي»^(٢)، وكان المؤلف في جملة

(١) نَشَانُ ويقال: نيسان ويطلق على الوسام الذي يُكْرَمُ به من يستحقه لِمَهْمَةٍ قام بها.

(٢) دِهْلِي: وهي ثاني أكبر المدن الهندية بعد «بومباي»، وهذا الصواب في اسمها، أمّا تسميتها بـ«دلهي» فإنما هو من تصرف المُسْتَعْمِرِ لها، ولهذا نجدهم كانوا ينتسبون إليها بـ«الدّهْلوي» أفاد بذلك شيخنا الدكتور وصي الله بن محمد عباس المدرس بالمسجد الحرام وهو من أهل الهند.

من رافقه إليها.

وفي شوال سنة ١٣٢٤هـ سافر إلى المكلا لزيارة السلطان غالب^(١) بن عوض القُعَيْطِي.

وفيها عقدت معاهدة بين السلطان والجنرال دبرات والي عدن بخصوص جلب الماء من الثعلب إلى عدن وابتدءوا بتجربة حفر البئر.

وفي سنة ١٣٢٦هـ عصى السيد محمد بن علي بن زيد منصب الوَهْطِ وخرج عن طريق الأسلاف وبدأ بالخلاف، فأرسل السلطان إليه ولده علي بن أحمد فضل مع قوة عسكرية إلى الوَهْطِ أرجعها إلى الطاعة وهرب السيد محمد بن علي بن زين^(٢) ومعه بعض المخالفين إلى أبيين ثم إلى عدن، وسلمتهم حكومة عدن للسلطان، وبعد أن عاقبهم بما يلزم أطلقهم وعزل السيد محمد علي عن المَنْصَبَةِ، وأنعمت الدولة البريطانية على السلطان أحمد فضل بضرب أحد عشر مدفعًا تحية له.

وفي سنة ١٣٢٧هـ توفي السيد حسن بن علوي الجفري ودفن في مَجَنَّة - مقبرة - الولي الشهير مزاحم بن أحمد، وخلف السيد التقي النقي علوي بن حسن الآتي ذكره إن شاء الله. وفي شهر القعدة الحرام سنة ١٣٢٩هـ سافر السلطان أحمد فضل إلى الهند وبرفقة السلطان حسين بن أحمد الفضلي والأمير شايف بن سيف الحالمي أمير الضالع لحضور حفلة تتويج الإمبراطور

(١) له ترجمة في «الأعلام» (٥ / ١١٤) للزركلي.

(٢) كذا في المطبوع، وتقدم قريبًا: «زيد».

جورج الخامس. وحظي المؤلف بمرافقتهم أيضًا. وفي شهر الحجة توفي الأمير شايف في مدينة دِهلي ورجعنا في أول شهر محرم سنة ١٣٣٠هـ. وفيها سافر السلطان أحمد فضل إلى مصر وأنعمت عليه الدولة العثمانية بالنشان^(١) المجيدي لخدماته لولاية اليمن في أيام ضائقها بالحصر البحري الإيطالي في الحرب الطرابُلسيَّة، حينما سمح السلطان أحمد فضل لبريد حكومة اليمن ولوازمها وفلوسها أن تمر من طريق عدن في بلاده من دون رسوم، وفوق ذلك اعتنى بإرسالها والمحافظة عليها.

وفي سنة ١٣٣٢هـ لاثني عشر يومًا خلت من شهر ربيع الآخر انتقل السلطان أحمد فضل محسن إلى رحمة الله تعالى، وهو من أكبر سلاطين العبادلة الذين لهم دراية تامة في السياسة.

مدحه جملة من الشعراء منهم عبد الله^(٢) المغيرة النجدي في قصيدته التي

مطلعها:

لَا تُجَارِ الْعَدُوْلَ مَهْمَا تَقَوَّلَ إِنَّنِي عَنْ هَوَاكِ لَمْ أَتَحَوَّلَ
يَا غَزَا لَا يَرَعَى السُّوَيْدَاءَ مَهْلًا فَارَعَ عَهْدِي وَبِالْفُؤَادِ تَمَهَّلَ

(١) الوسام.

(٢) ترجم له الزُّركلي في «الأعلام» (٤ / ٤٠)، وقال: عبد الله بن المغيرة من «حوطة بني تميم» مؤرخ رحالة من أهل نجد له كتب في «التاريخ» العام والخاص ظلت كلها مخطوطة، وقد أهدى أكثرها إلى الملك عبد العزيز آل سعود فهي محفوظة في الخزانة الملكية بـ«الرياض» عاش نحو مائة عام وتوفي بالطائف سنة ١٣٥٥هـ.

ومنها:

أَحْمَدُ الْفَضْلُ سَيِّدُ النَّاسِ طُرًّا
صَقَلَتْ ذَهْنُهُ التَّجَارِبُ حَتَّى
هُوَ أَوْلَى مِنْ أَنْ يُقَالَ مَلِيكَ
شَيْمٍ كَالسَّلْسَالِ مِنْ غَيْرِ مَدْحٍ
يَا أَمِيرَ الْبِلَادِ كُنْ لِي مَوَالِي
وَهُوَ فِي قَوْمِهِ الْأَمِيرُ الْمُبَجَّلُ
صَوَّرَ الْكَوْنَ ذَهْنُهُ فَتَمَثَّلُ
إِنْ عَدَدْنَا وَالْمُلُوكَ فَأَوَّلُ
وَسَجَايَاهُ مِثْلُ الرَّحِيقِ الْمُسَلْسَلِ
وَإِذَا نَابَنِي الزَّمَانُ فَمَوْئِلُ

وهي طويلة. ومدحه السيد أبو بكر بن شهاب الدين سنة ١٣٢٠ بهذه

القصيدة:

هُوَ الْحَيُّ إِنْ بَلَغَتْهُ فَاقْصِدْ أَلْحَانَا
وَمَرِّعْ خُدُودَ الدَّلِّ فِي مِسْكِ تَرْبِهِ
فَتَمَّ الْبَنَاتُ الْعَامِرِبَاتُ رُتَعُ
غُصُونُ مِنَ الْبَنَاتِ تَحْمِلْنَ نَرْجَسًا
مَعَاطِيرُ لَا مِنْ مَسِّ جَامٍ لَطِيمَةٍ
مِنَ اللَّاءِ مَا عَيَّتْ عَلَيْهِنَّ خَلَّةُ
أَوَانِسُ كَالْأَقْمَارِ يُسْفِرْنَ فِي الدُّجَى
حَوَاضِرُ آدَابًا وَتِيهًا وَرِقَّةً
تَدِيرْنَ حَيْثُ الْحُسْنُ أَلْقَى جِرَانَهُ
وَلِي مِنْ أَوْلَاكِ الْغَانِيَاتِ حَبِيبَةٌ
وَحَيِّ الْأَوْلَى تَلَقَّاهُمْ فِيهِ سُكَّانَا
وَحَضْبَائِهِ وَأَنْشُرَ عَلَى الدَّرِّ مَرَجَانَا
بِهِ وَالْحِسَانَ الْبَابِلِيَّاتُ أَعْيَانَا
وَوَرْدًا وَعِنَابًا وَيُثْمِرْنَ رُمانَا
وَأَذْكَى شَدَى مِنْ مِسْكِ دَارَيْنِ أَرْدَانَا
سِوَى نَهَبِ أَرْوَاحِ الْمُحِبِّينِ أَعْدَانَا
وَيَسْمُونَ أَنْ يُدْنِينَ مِنْهُنَّ إِنْسَانَا
أَعَارِبُ إِنْ حَاوَرْنَ نَطْقًا وَتَبَانَا
وَحَيْثُ بُزُوعُ الشَّمْسِ مِنْ نَحْوِ شَمْسَانَا
عَلَى شَكْلِهَا لَمْ يَخْلُقِ اللهُ إِنْسَانَا

وَتَذَكَرَهَا فِي السَّرِّ سُورًا وَعُمْرَانَا
 وَلَا عَادَ كُفْرِي بِالْمَحَبَّةِ إِيْمَانَا
 بِهَا شَعَلْتُ مَنِّي الْجَوَارِحَ نِيرَانَا
 مَحَاسِنُهَا لِلْعَيْنِ مَعْنَى وَجْثَمَانَا
 عَلَيَّ لَوْعَتِي مِنْ شَاهِدِ الْحَالِ عُنُونَا
 عَلَيَّ وَأَوْلَتْني صُدُودًا وَهَجْرَانَا
 مَرَامٌ يَنَافِي مَا بِهِ الشَّرْعُ أَوْصَانَا
 وَإِنْ وَسَّوسَ الْوَاشِي بِرَاءَةً صَفْوَانَا
 وَلَمْ أَسْتَطِعْ لَا قَدَّرَ اللهُ سُؤْلُونَا
 لِشَكْوَى الْهَوَى طَوْرًا وَلِلْعَتَبِ أَحْيَانَا
 وَقَرَّبْتُ لَوْ شَاءَتْ لَهَا الرُّوحَ قُرْبَانَا
 غَرِيبٌ وَأَنْتَى لِلْغَرِيبِ بِلُقْيَانَا
 أَصَبْتُ بِذَلِكَ الْحَيِّ آلَا وَأَوْطَانَا
 وَأَرْجَحُهُمْ عِنْدَ التَّفَاخُرِ مِيزَانَا

كَتَمْتُ هَوَاهَا وَأَتَّخَذْتُ لِجُبَّهَا
 وَلَمْ أَدْرِ لَوْلَاهَا بِأَنَّ الْهَوَى هُدًى
 وَمَا عَرَسُ هَذَا الْحُبِّ إِلَّا التَّفَاتَةَ
 نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَهِيَ فَضْلٌ وَقَدْ بَدَتْ
 وَلَمْ أَنْسَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتَنِي وَعَايَنْتُ
 وَلَكِنَّهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ تَنَكَّرْتُ
 عَلَيَّ أَنْتَنِي وَالشَّاهِدُ اللهُ لَيْسَ لِي
 وَإِنِّي لِمَنْ غَيْرِ الْحَدِيثِ مُبَرِّراً
 أَلْبَقَى كَذَا مَا لِي إِلَى الْوَصْلِ حِيلَةٌ
 فَكَمْ نَحْوَهَا وَجْهَتْ مِنْ ذِي فَطَانَةٍ
 وَحَاوَلْتُ أَنْ تَرْضَى بِكُلِّ وَسِيلَةٍ
 فَقَالَتْ لَهُمْ نَعَمْ الْفَتَى غَيْرَ أَنَّهُ
 وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي ابْنُ فَضْلِ بْنِ مُحْسِنٍ
 أَعَزُّ الْمُلُوكِ الْأَعْظَمِينَ عَمِيدُهُمْ

ولسمير المعالي حسن عبد الله جليبيك كاتب أسراره في مدحه غرر القصائد

منها القصيدة التي مطلعها:

وَخَطِيئًا لِمُبْغِضِيكَ نَذِيرًا
 وَلَكَ اللهُ فِي الْأُمُورِ نَصِيرًا
 زَادَكَ اللهُ رِفْعَةً وَسُرُورًا

بَرَزَ السَّعْدُ فِي عُلَاكَ بِشِيرًا
 وَزَمَانَ السُّرُورِ نَحْوَكَ وَافِيًا
 وَلَكَ الْفَضْلُ يَا أَبَا الْفَضْلِ مَجْدًا

وهي طويلة. وأثنى عليه الكولونل هورلداف جيكب في مؤلفاته (برفيوم أوف آرابيا) و(كينجس أوف آرابيا).

وفي الحقيقة فالسلطان أحمد فضل من دهاة العرب ورجالاتها: ما عرفه إنسان إلا ملك قلبه أهلاً وسهلاً، بل أهليْن وسَهْلَيْن، يُحيي بها زائره، مع ابتسامة وبشاشة تذهب الغل من قلوب الأعداء، وتزيد الذين أخلصوا إخلاصًا. وصفه المرحوم الصنو محسن في مذكراته قال: كان ﷺ طويل القامة، معتدل الجسم، ذا خَلْقٍ وَخُلُقٍ، مستدير اللحية، طويل الشارب، طريح الصورة، حسن المجاملة، لطيف المعاشرة، بشوش الوجه، فصيح اللسان، حاد الفكرة، إذا قال أجاد، وإن دَبَّرَ أفاد. اهـ.

والى الإمام المنصور ثم ولده الإمام يحيى، وخدم القضية العربية خدمات جليلة^(١)، وكتب إلى الشريف الحسين بن علي وهو يومئذ في الإستانة قبل أن يتولى إمارة مكة أن يسعى لحقن الدماء وإبطال الحرب بين الإمام والأتراك، وأوفد إليه السيد محمد بن علوي السقاف يحمل كتابًا من الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد للسلطان عبد الحميد. ونال السيد محمد من السلطان

(١) وقد كانت لحج في أيامه ملتقى العاملين لخدمة القضية واتصل بأكثرهم في سائر البلاد العربية بالمراسلة، وممن وفد إلى لحج في أيامه من المشتغلين بالمسألة العربية العالم المصري المعروف السيد محمد الغنيمي التفتازاني في طريقه إلى اليمن. وقد عرفناه فأدهشنا ما هو عليه من العلم والأدب على صغر سنة حين ذلك، وقد تحمل هذا السيد في خدمة القضية العربية ما خلد اسمه بين كبار المجاهدين في سبيل الوحدة، ولا يزال بمصر إلى الآن مواصلاً هذه الجهود بقدوم ثابت وقلب مملوء بالإيمان - المؤلف.

عبد الحميد النشّان المجيدي من الدرجة الثانية.

وكان بين السلطان أحمد فضل والسيد محمد الإدريسي مواصلة
ومناصحة، وكان من أعضاده الأمناء لقضيته.

ومحابقة المنافرة التي بين العبادل والعقارب حتى أحبه الشيخ عبد الله بن
حيدر مهدي. وكان الشيخ لوساوسه لا يخرج من داره ولا يفتح باب داره آمناً
لغير ولده فضل وعبد جَوْهَر والسلطان أحمد فضل.

ولما أحس الشيخ عبد الله بن حيدر بدنو الأجل أوصى السلطان أحمد
بابنه الأصغر فضل بن عبد الله، فقام السلطان بالوصية وجمع كلمة العقارب على
انتخاب الشيخ فضل شيخاً لهم بعد وفاة والده رغماً عن احتجاج عمه الشيخ
علي بن حيدر مهدي لدى حكومة عدن، ودعواه بأنه أبو النوب والعقارب عياله.
ثم أرضى السلطان أحمد الشيخ علي وأصلح بينه وبين ابن أخيه.

أنت يا شيخ أبو النوب وولدنا فضل اليَعْسُوب. وأنعم على مشيخة
العقارب بستين روبية معاشاً شهرياً، وأصبح العقارب والعبادل بعد ذلك بنعمة الله
إخواناً، والسلطان أحمد فضل أول من تنبأ من أمراء العرب بقرب أفول نجم
الأتراك العثمانيين في جزيرة العرب، وما سيحدث بعد ذلك بين أمراء العرب من
النزاع، فاستوثق من جاره في المستقبل الإمام المتوكل على الله بوثيقة الاعتراف
باستقلال لحج.

وأول من سعى لمد السكة الحديدية من عدن إلى لحج وتعز، وأرسل
السيد حسن بن علوي الجفري إلى مكة عام (١٣٢٧) لمفاوضة أميرها

الحسين بن علي في أن يتوسط لدى الحكومة العثمانية أن تمنح السلطان وشركاه امتيازاً بمد السكة الحديدية إلى تعز، حيث تتصل بالسكة الحديدية التي تنوي الحكومة مدها من الحديدية إلى صنعاء. وكانت وفاة السلطان أحمد فضل قبيل إعلان الحرب العظمى، وعند مَسِيَس حاجة البلاد إلى الانتفاع بذكائه ودهائه ونفوذه لتخفيف مصائب الحرب العظمى، كارثة على السلطنة العبدلية.

وخلفه السلطان علي بن أحمد بن علي يوم وفاته، وشأقه أولاد السلطان أحمد المتوفى، وامتنعوا على أموال الدولة، وأحدثوا منازعات بين الأسرة، وبعد التي والتياً تم فصل تلك المنازعات على يد السلطان علي بن أحمد بن علي ورؤساء القبائل أولي الحل والعقد.

وكان هذا السلطان حليماً خيراً كريماً وديعاً رحيماً، خدم بلاده ووطنه على عهد عمه السلطان فضل بن علي، وعلى عهد عمه السلطان أحمد فضل محسن خدمات جليلة يعرفها الخاص والعام من أهل بلاد لحج.

وفي شهر القعدة ١٣٣٢ هـ أنعمت دولة بريطانيا العظمى على السلطان علي بن أحمد بإطلاق أحد عشر مدفعاً تحية له، وبنشأن إمبراطورية الهند كي سي أي مع لقب سر.

الفصل السادس عشر

الحرْبُ العَظْمَى. فتيانُ الجونِ تورك. بريطانيا في حالة حرب مع تركيا. حركةٌ غير اعتيادية في اليمن. سياسةُ الإمام. سعي السلطان علي لِدَرِّءِ الحَظَرِ. الهيئةُ في جَوْلٍ مَدْرَم. كتابُ والي اليمن للسلطان، وعدُّ ووعدٌ. أسبابُ مهاجمة لَحْجٍ. الأمامُ والميثاقُ. الإنذارُ من الضالع. الخطةُ: الاستيلاءُ على لَحْجٍ فقط. مواربة الحَوْشَبِي والفضلي. هزيمةُ العَبَادِلِ في الدُّكَيْمِ. سقوطُ الحُوطة بيد الأتراك. قوةُ حملة سعيد باشا. خسارةُ البلادِ اللَّحْجِيَّةِ. إخلاصُ بني الشيخ علي. إخلاءُ الشيخ عثمان.

* * *

لم تمض بضعة شهور من تاريخ تولية السلطان علي بن أحمد بن علي حتى قصفت رعود الحرب العامة والمصيبة الطامة، وزلزلت الأرض زلزالها، وأبرزت أهوالها بعد حادثة (سَرَايِ بُوسْتَنَة) (١) المشؤومة، فنزل القدر على البشر، وأرسلت الحرب شرراً أصاب معظم أقاليم الدنيا. وكنا نرى أنه ليس للمسلمين في هذه الحرب ناقة ولا جمل، وأن لطف الله شمل العرب أمة المختار، ورزقهم اجتناب

(١) يشير إلى أسباب الحرب العالمية الأولى، وأنها بسبب مقتل ولي العهد النمساوي وزوجته في

«سرايفو» عاصمة «البُوسْتَنَة والهَرَسْكَ» في ٢٨ يونيو ١٩١٤ م.

مصائب شرر هذه النار. ولكن أحداث تركيا الفتاة (فتيان الجون تورك) لا سامحهم الله، كانوا لِقَلَّةِ دراياتهم وعدم اختباراتهم قد قطعوا لألمانيا ميثاقاً قُبِيلَ إعلان الحرب أن ينضموا إلى صفها في حروبها. قال كبيرهم (طلعت باشا) في مذكراته التي نشرت بعد قتله: لما صدَّقنا على تلك المعاهدة لم يكن منتظراً قط وقوع الحرب، ولكن عندما وقعت تلك الحوادث الهائلة علمنا أن ألمانيا لم تطلب الاتفاق معنا إلا لأنها ظنت أن الساعة قد دَنَّتْ، وأنها نظرت إلى المستقبل بعين تخترق حجب الغيب. ولم تمض بضعة شهور حتى رأينا بوق الحرب يُنْفَخُ في دول أوروبا فيهب. وللحال شعرنا بحرج موقفنا، لأنه بمقتضى المحالفة التي عقدناها قبل وقوع الحرب كان يجب علينا أن ننضم إلى أحد الفريقين المتحاربين، فكان يزورنا في كل يوم سفيراً ألمانيا والنمسا ليسألانا:

أي متى تخوضون غمار الحرب معنا، فتبرهنون بذلك على إخلاصكم وتقومون بوعدكم؟

لو شئنا لكان في إمكاننا أن نجيب أن حكومة إيطاليا أحد أعضاء المحالفة الثلاثية لم تشهر الحرب على أعدائكم، وألمانيا أيضاً لم تحترم إمضاءها في المعاهدة التي تقضي ببقاء البلجيك على الحياد، ولكن كنا نتحاشا جواباً مثل هذا لأنه بمثابة رَفْضٍ باتٍ لمعاهدتنا الجديدة. اهـ.

فكلام طلعت باشا صريح في أن العذر كان متيسراً لهم لو أرادوا التَّمَلُّصَ واجتناب خطر هذه الحرب، ولكنهم برغم نصائح أهل الإسلام واحتجاج الخاص والعام ألقوا سفينة الدولة العثمانية المنهوكة القوى بين أمواج طوفان الحرب العظمى ضياعاً للأوطان وإغضباً للرحمن وإرضاءً للألمان.

وفي شهر القعدة سنة ١٣٣٢هـ أبلغ الجنرال شو والي عدن السلطان علي بن أحمد بن علي أنه من سوء الحظ أصبحت دولة بريطانيا العظمى في حالة حرب مع دولة تركيا، وأصدرت حكومة عدن منشورًا وعدت فيه العرب بالمحافظة على حرمة البلاد المقدسة وحرمتها.

واستاء السلطان السر علي بن أحمد بن علي لهذا النبأ، وتعجب من مسلك الأتراك، كما سرّه وَعَدُ بريطانيا العظمى باحترام حرية الحرمين الشريفين، والمحافظة على كرامة البلاد المقدسة، وأن ذلك مما يزيد ويؤكد إخلاصه للدولة البريطانية العظمى. وكنا قد شعرنا قبل ذلك بحركة غير اعتيادية في ولاية اليمن، وأن عددًا من الضباط يصلون من جهة القسطنطينية إلى الحديدية ومعهم ذخائر كثيرة لليمن، مما دلّنا على أن الأتراك ينوون الانضمام إلى صف ألمانيا في هذه الحرب، وفي الشهر المذكور بَلَّغْنَا أن ضباطًا من دائرة أركان الحرب مع بعض مشايخ اليمن طافوا الحدود، وأن والي ولاية اليمن أنفذ إلى جهة لَحْجِ من يستطلع الأخبار ويكشف الأحوال، وأنه اتفق بالإمام يحيى للمذاكرة وتم بينهما الاتفاق على ما يرام، وأن الإمام بذل مساعدته لحماية حدود ولاية اليمن، وأن الوالي أشار عليه بتقوية الشيخ سعيد.

وَبَلَّغْنَا أن المشايخ أحمد نُعْمَانُ ومحمد ناصر والسيد أحمد باشا. تعهدوا بحماية الحدود، وأنهم لا يطلبون من الدولة إلا سلاحًا وذخيرة، وإنما فعلوا ذلك لعدم رغبتهم في أن تُرْسِلَ إليهم الدولة عساكر أتراكًا في بلادهم.

وَبَلَّغْنَا أن الأتراك أنزلوا مدافع من صنعاء إلى تعز. ثم توَسَّلَ محمود بك نديم والي اليمن بالإمام يحيى أن يسعى في استمالة سلطان لحج إلى جانب

الأتراك، وأن يكفل له أن الأتراك سيوفون بالوعود والتعهدات التي سيقطعونها للسلطان علي بن أحمد. وكان السلطان علي بن أحمد قد سبق وكتب للإمام يحيى بأن الدولة العثمانية خاطرت بكيانها بسبب دخولها هذه الحرب، وأن معظم أهل الإسلام يكرهون ذلك لأن مصالح الإسلام والمسلمين مرتبطة بمصالح بريطانيا العظمى وحلفائها، وعلى الأقل فليس للمسلمين في هذه الحرب نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ. ومع أن الإمام كان عالمًا بنية السلطان علي لم يَسْعُهُ إِلَّا أن يكتب للسلطان علي بما ترجاه فيه محمود بك نديم اسْتِرْضَاءً لخاطره. وأرسل هذا الكتاب مع مندوبه السيد محمد علي شريف الذي كلفه أن يكتشف الأحوال في هذه الجهة.

أما سياسة الحضرة الإمامية آنئذٍ فكانت التآني والتظاهر بالحياد المُشْرَبَ بالعطف والميل إلى حكومة محمود بك نديم والي اليمن، دون أن يتعرض لعداء بريطانيا العظمى وحلفائها، وانتظار الفرص المناسبة للاستفادة من هذه الحرب بمقتضى تغيير الأحوال ومساعدة الظروف.

وحاول السلطان علي بن أحمد بن علي بِحُسْنِ نِيَّةٍ أن يسعى لأن يتجنب عربُ اليمن مصائب حرب ليس لهم فيها صالح. ففاتح مشايخ اليمن المتممين لدولة تركيا في هذا الأمر، وبعد مخابرة بين السلطان والباشا محمد ناصر أرسل السلطان علي السيد علي بن محمد الجفري لمقابلة الحاج علي الكَمْراني المندوب من قبل الباشا محمد ناصر، فوصل السيد إلى المَسِيْمِيَرِ في شهر محرم سنة ١٣٣٣ هـ.

أخبرنا السيد علي بن محمد الجفري قال: وبعد أن تخابرت مع الحاج علي الكَمْراني اتفقنا جميعًا على أن ضرر نزول الأتراك لمحاربة عدن سيكون ضررًا

عائداً على أهل بر اليمن بسبب الحصر البحري الذي تضربه بريطانيا العظمى على سواحل اليمن. والأولى أن يسعى مشايخ اليمن في تسكين حركات الأتراك ويقنع السلطان حكومة عدن أن لا تحصر سواحل اليمن، وتعتبر ولاية اليمن أرضاً عربية محايدة. وختمنا المقابلة باستصواب هذا التدبير ووجوب نزول الباشا محمد ناصر إلى لحج لمقابلته بالسلطان علي وإتمام هذه المكرمة. وبعد مدة جاء الحاج علي إلى لحج ومعه مندوب الباشا محمد ناصر وأشاروا على سلطان لحج أن تظهر حكومة عدن نفسها بمظهر القوة لكي يتمكنوا من إقناع الأتراك. اهـ.

وفي جمادى الآخرة وصل الباشا محمد ناصر مقبل والقاضي عبد الرحمن والشيخ أحمد نعمان والشيخ قايد صالح والشيخ صالح الطيّري باشا إلى «جول مدرّم»^(١) من أرض الحواشب، وطلبوا مقابلة سلطان لحج أو مندوبه، فقابلهم الصنو محسن فضل، وكان المذكورون بصفة هيئة أرسلت لاستمالة سلطان لحج بالوعد والوعيد وتشويقه إلى أن يشترك معهم في الحرب ضد حكومة بريطانيا العظمى وحلفائها. وكان برفقهم كتاب من والي اليمن لسلطان لحج نصه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أمير الأمراء الكرام ذو المجد والاحتشام، محبنا العزيز السلطان علي بن أحمد المحترم حفظه الله. من بعد السلام التام ورحمة الله على الدوام.

نبدي قبلاً صدرَ إلى جنابكم كتاب حضرة الإمام الهمام حفظه الله، مع كتاب من طرف حضرة العلامة الفاضل قاضي لواء تعز عبد الرحمن أفندي عن

(١) جول مدرّم: منطقة في أعلى وادي تبن، وهي تضم «المسيير» و«عقّان» و«حبيّل السويداء».

أمرنا. وبهما موضح المرام والحقائق. وبهذه الدفعة صار إغزام القاضي المومئى إليه وبمعيته رؤساء مجاهدي لواء تعز، وهم محمد ناصر باشا قائمقام (١) القَمَاعِرَة. وأحمد نعمان بك قائمقام الحجرية. ووكيل قائمقام قعطبة الشيخ قايد صالح، وشيخ مشايخ قضاء رداع صالح طَيْرِي باشا لأجل الاتفاق والمذاكرة مع حضرتكم بما يرضي الله ورسوله وإعزاز دين الإسلام واتحاد الكلمة. وقد أعطيناهم التعليمات اللازمة بهذا الشأن تـرجو من دياتكم وديانة كافة إخواننا أمراء لحج وجميع عائلتكم الكريمة البدار لنصرة الدين الحنيف، وإن أردتم التشريف لتسريع وإكمال الأمور بهذا الطرف للمذاكرة من الرأس نكون لحضرتكم من الشاكرين، والله يحفظكم ويوفقنا جميعاً لما فيه الرضى، ودمتم فوق ما رمتم في ١٤ جماد آخر سنة ١٣٣٣ هـ و١٦ نيسان سنة ١٩١٣ م.

قومندان الحركات العسكرية والي اليمن

ميرالاي علي سعيد محمود نديم (٢)

قال المرحوم الصنو محسن: الذي ظهر لي أن هؤلاء الجماعة جاءوا ومعهم معروضات تساخوا فيها، حتى قال لي بعضهم: إنهم يسلمون لنا عدن بعد فتحها وطرده الإنكليز منها. قال: ثم ما أسرع أن اقتنعوا أن قوة الأتراك في اليمن لا تستطيع مهاجمة حصن عدن الحصين. ولكنهم حاولوا أن يجربوا مغالطات لا أعلم هل كانوا يعتقدونها حقاً أم كانوا يموهون بها على البسطاء، فقالوا: إن الأسطول الألماني سيهاجم عدن من البحر يوم يهاجمها الأتراك من البر. وقالوا:

(١) القائمقام: رتبة عسكرية وهو الموظف الإداري دون المحافظ.

(٢) انظر لمحمود نديم «مجلة المنار» (١١ / ٦٤٦).

إن أسرابًا من الطيارات تصل يومئذ من برلين إلى عدن وتجعلها رمادًا، وأن فيالق عديدة شاهانية زاحفة برًا إلى اليمن، وأن مدافع حصن الشيخ سعيد العظيمة سترسل مقذوفاتها الجهنمية فتحرق حصون عدن. ثم قابلهم الصنو محسن أفرادًا وتبين يومئذ أن مشايخ اليمن الشافعية لا يكرهون الإقلاع عن الحرب. وأن الأتراك ساقوهم إليها، وأن ليس في وسع الأتراك العدول عن مهاجمة عدن لأنه وصلتهم أوامر مشددة من أنور أن يقلقوا راحة الإنكليز في عدن ويجبروهم على إرسال عسكري إليها، وأن يشغلوهم في اليمن بقدر الإمكان، وكأنهم أرادوا بذلك أن يشغلوا في عدن جانبًا من المدد الذي يظنون أن الهند سترسله إلى السويس لكبح جماح حملة أحمد جمال باشا على مصر، وقال لي بعضهم: إن علي سعيد باشا هو الذي أشار بمهاجمة لحج والاستيلاء عليها لأنه خشي أن يتعطل الفيلق في اليمن ولا تكفيه حاصلات اليمن المحصورة فيموت جوعًا، فرأى أن يستولي على لحج المشهورة بكثرة حبوبها وأرزاقها في اليمن لضم حاصلاتها إلى حاصلات اليمن لسد حاجة الفيلق وعائلات الضباط.

ومن اطلع علي ما نقلناه في آخر هذا الكتاب من مكاتبات علي سعيد باشا والقومندان أحمد توفيق ومحمود نديم يتأكد لديه أن الأتراك مع ما نهبوه وسلبوه واقترضوه واستولوا عليه بأي وجه كان من حاصلات لحج وأملاك السلطنة العبدلية ورعاياها ومن غيرها من بلدان اليمن والنواحي التسع - كانوا في ضائقة شديدة في اليمن كما يفهم ذلك من النزاع الذي قام بينهم بخصوص توزيع الحاصلات بين الفرق العسكرية والملكية.

وكان الأتراك قد آمنوا جانب الإمام يحيى وأرضوه بما أراد، فلذلك لم تظهر

من سيادته رغبة في أن يجتنب اليمن مصائب حرب لمصلحة ألمانيا، ولأنه كان يومئذ مقيداً بميثاق ائتلاف العشر السنوات الذي عقده مع أحمد^(١) عزت باشا.

وكان يرى أيضاً أن الفرصة قد سنحت لأن يستلم عاصمة ملك أجداده مدينة أزال صنعاء الجميلة، وأن موعد استلامها يَدُنُو بَدُنُو اشتباك الإنكليز والأتراك في حرب حول عدن. فذهبت محاولة أهل الخير لأجل تسكين الفتنة سدى، وبدأت عساكر الأتراك تدخل في حدود حامية عدن وتقلقل راحة الجيران من أمراء العرب، وحاول الأتراك بجميع الوسائل الممكنة أن يدفعوا الإمام يحيى إلى ميدان الحرب في صفهم فلم يفلحوا ولازم الحياد.

ولكنهم فازوا بأن يركنوا إليه في ضبط جانب من بلاد اليمن واحتمال جملة من المهام، بصفة مفوض من طرف الخليفة، وهي خدمة ثمينة مكنتهم من أن يتفرغوا لمحاربة أعدائهم، وتمكنوا أن يقترضوا منه ما احتاجوا إليه من الحَبِّ والنقد.

ولو انتصروا للاقى كما لاقى مُعْجِرٌ أُمَّ عَامِرٍ. فلو نجح سعي السلطان علي بن أحمد لكان ذلك أصلح للطرفين من الحركة العقيمة التي قام بها الباشا علي سعيد على لَحْجٍ ثم ركذ ذلك الركود المشين. ولما وصل الأتراك إلى الضالع في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٣ هـ كتب الأمير نصر إلى السلطان علي يقول: إن الحركة قوية جداً، وجيوشاً تركية وإمامية ويمانية «لا لها قدر» (كذا) وأن

(١) له ترجمة في: «الأعلام» (١/ ١٦٩) للزركلي.

الدولة العثمانية أخذت مصر والخُور^(١) وأقفلت باب المندب (كذا) وحصنته بالعساكر. والآن جهزت عساكرها من طريق اليمن وواصلين إلى قَعَطَبَةِ وَمَاوِيَةِ والرَّاهِدَةِ^(٢):

وطريقهم الدَّرِيَجَةَ والرَّاهِدَةَ ومن حدودنا. والآن الثورة والحركة قوية بالمرة ظاهرًا وباطنًا، ومتوجهين عدن، ونحن قد رفعنا للإنكليز بالحقائق، وأيضًا سمعنا أنكم عاونتم الدولة البريطانية بخمسين ألف. ورؤساء الترك سمعوا بذلك واغتاطوا للمعاونة منكم للإنكليز. وسمعنا من بعضهم أن عند وصولهم قريب لحج بأنهم يطلبون منكم تسليم المعاونة بالمشنى. الآن حيننا إعلامكم بذلك وعندما يصلوا قريب لحج لازم علينا قوام العهد وتداخل بينكم بموجب المَخُوَّة^(٣) وتصلح جميع الأمور وندخل أوجاهنا لكم ولهم. اهـ. بنصه.

ولكن الأتراك لم يحسنوا معاملة هذا الأمير المحسن الظن فيهم، بل أخرجوه من بلاده وولَّوا عليها رجالًا من آل خَرْفَةَ أقارب الأمير نصر، وجعلوا أمرها للشيخ محمد ناصر مقبل الصَّرَارِي، والتجأ الأمير نصر إلى حَالَمِينَ وَرَدْفَانَ. وَحَقِيقَةً كَانَ الْأَتْرَاكُ الْمُحْصُورُونَ فِي الْيَمَنِ الْمُقْطُوعُونَ مِنَ الْإِتِّصَالِ بِدَوْلَتِهِمْ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الْحِجَازِ يَعلَنُونَ فِي الْيَمَنِ أَنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى قَنَاةِ السُّوَيْسِ

(١) يريد قناة السُّوَيْسِ. المؤلف.

(٢) الرَّاهِدَةُ: هي في جنوبي تعز، وهي على ممر الطريق التجارية بين عدن وتعز وغيرهما من المُدُن.

(٣) أَي: الأُخُوَّة.

وجميع الإقليم المصري، وأقفلوا باب المنذب ليوهموا العرب أن عدن هي المحصورة. وكانوا يجدون في خِراف قحطان الضالة كثيراً مِمَّنْ يُصَدِّقُ ذلك. هكذا تظاهر الأتراك بأنهم يقصدون إلى مهاجمة عدن. ولكن السلطان علي بن أحمد أدرك أنهم ما كانوا يقصدون إلا الاستيلاء على لحج فقط. وقد أكد ذلك للأصدقاء الذين كانوا يكتبونه ويدعونه لإطاعة الأتراك، وأنهم يتوسطون لإصلاح شئونهم مع حكومة ولاية اليمن.

ثم تحققت نية الأتراك فيما بعد من إقرار القائم مقام رؤوف بك عند بعض رجال حكومة عدن أنه لم يكن في عزمهم القدوم على عدن إلا إذا حصلت لهم إمدادات كبيرة من العرب، وإنما كانت خطتهم الاستيلاء على لحج^(١) ليستولوا على نفوذ السلطان، فلذلك كان مقاومة السلطان والتجاؤه إلى عدن ضربة على علي سعيد باشا، وسبباً لبقاء أكثر عرب المحمية على موالاته حكومة عدن.

وفي أواخر جمادى الآخر تأكد قرب نزول عساكر الأتراك على لحج وناصر السلطان جملة من أصدقائه على المصالحة، ورأيت فيما كتبه بعضهم: إننا نعجب من عزمكم على مناطقة الجبل بالقارورة، فإن كنتم واثقين بأن دولة بريطانيا ستقابل بجنودها جنود آل عثمان وتحميكم وإلا فخير لنا أن نسعى بإصلاح شأنكم مع الأتراك، فإننا والله لا نرضى عليكم بإهانة، فأنتم آباؤنا وفضلكم علينا سابق ولاحق.

(١) ذكره الكولونل جكيب عن رؤوف بيك في الفصل التاسع من كتاب «كنجس» أوف ارييا «ملوك بلاد العرب» المؤلف.

وَبَلَغَ السُّلْطَانَ عَلِيَّ (١) مَانِعَ الْحَوْشِيِّ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَرْسَلَ الْأَمِيرَ عَلِيَّ بْنَ صَالِحِ بْنِ هَاشِمٍ لِيَتَخَابَرَ مَعَ الْأَتْرَاقِ وَيَقْدِمَ لَهُمُ الطَّاعَةَ.

وَفِي شَهْرِ رَجَبٍ جَاءَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى عَدَنٍ طَامِعًا فِي حِمَايَةِ حُكُومَةِ عَدَنَ لِبِلَادِهِ بِمَقْتَضَى الْمَعَاهِدَاتِ.

وَلَمَّا تَحَقَّقَ السُّلْطَانَ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ وَصُولَ عَسَاكِرِ الْأَتْرَاقِ وَالْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَةِ إِلَى مَاوِيَةِ فِي أَطْرَافِ الْحُدُودِ، وَجَّهَ الْأَمِيرَ مُحَمَّدَ سَعْدِ بْنِ سَالِمٍ مَعَ فِرْقَةٍ مِنَ الْعِبَادِلِ وَالْعَوَالِقِ وَأَهْلِ شَمْعَةَ (٢) إِلَى الدُّكَيْمِ.

وَكَتَبَ السُّلْطَانَ حُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَضْلِيِّ إِلَى السُّلْطَانَ عَلِيَّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ كِتَابًا قَالَ فِيهِ: إِنَّهُ عِلْمٌ مِنَ عِلْمِ الرَّمْلِ (٣) أَنْ لَا حِيلَةَ مِنْ اسْتِيْلَاءِ الْأَتْرَاقِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ عَلَى لَحْجِ بِلَادِكُمْ، وَسَتُخْرَجُونَ مِنْهَا مَقْهُورِينَ، وَأَنَّهُ لَهُ فِي الْحِسَابِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا وَيُحْكَمَ فِيهَا وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا، ثُمَّ إِنَّكُمْ سَتَعُودُونَ إِلَى بِلَادِكُمْ ظَافِرِينَ وَيَتَوَسَّعُ حُكْمُكُمْ فِي الْيَمَنِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ سَابِقًا.

وَفِي ٣ شَعْبَانَ أَرْسَلَ السُّلْطَانَ جَمِيعَ الْعِبَادِلِ إِلَى الدُّكَيْمِ، وَكَانَ عَدَدُ مَا حَشَدَهُ

(١) هُوَ سُلْطَانُ الْحَوَاشِبِ فِي وَقْتِهِ لَمَّا رَأَى الرِّيحَانِي فِي رِحْلَتِهِ إِلَى الْيَمَنِ سَنَةَ (١٣٤٠هـ) قَالَ فِي وَصْفِهِ: «نَحِيلٌ كَالْخِيَالِ، عَصْبِي الْمَزَاجِ حَادِ الطَّبَعِ حُرُّ الْكَلِمَةِ»، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي: «الْأَعْلَامُ» (٤/ ٣٢١).

(٢) أَهْلُ شَمْعَةَ: هُمُ بَطْنُ مِنْ «أَلِ بَاكَازِمٍ» مِنَ الْعَوَالِقِ يَسْكُنُونَ فِي مَنطِقَةِ الْمِحْفِدِ مِنْ مَدِيرَةِ «مُودِيَةَ» وَأَعْمَالِ أَبِيْنَ.

(٣) هَذَا مِنَ التَّنْجِيمِ الْبَاطِلِ، وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا هُنَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْجَهْلِ الَّذِي كَانَ فَاشِيًا وَمُتَشَرِّبًا بَيْنَ النَّاسِ.

سلطان لحج نحو ألفي مقاتل، وأرسلت حكومة عدن فرقة من عسكريها الخيالة (Aden Troop) تحت قيادة (السردار ملك داد خان الهندي) ثم سحبتهم إلى لَحْجٍ وأبقوا من طرفهم نفرًا للمخابرة بالهليو.

واكتشف العبادل كتابًا ورد من طرف الأمير علي بن صالح الحَوْشَبِيّ للسلطان علي مانع الحوشبي وهو يومئذ بلحج. وفي طيه كتاب من علي سعيد باشا قائد الحملة التركية يدعو السلطان الحَوْشَبِيّ للرجوع إلى المَسِيْمِيْر ثم إليهم حالاً، لإتمام المخابرة التي خاضوا فيها مع الأمير علي بن صالح بخصوص إعطاء الحواشب جهة زائدة من أرض العبادل، وتحقق بذلك عدم إخلاص السلطان الحوشبي.

وعاد السلطان الحوشبي بعد ذلك إلى بلاده وقد تحصل على زَانَةَ (١) وبنادق قليلة من حكومة عدن، ولكنه يتس من حماية الدولة البريطانية، وعقد النية على الإذعان للأتراك ومصالحتهم، كما صرح بذلك لمقبل عبد الله القَطِيْبِيّ ومحمد بن الأمير حسن اللذين أرسلوا من الدُّكَيْمِ لكشف نيته. أنه ما لم تصل جنود بريطانيا العظمى وعساكر لَحْجٍ لصد الأتراك عن بلاده فإنه عثمانى مُصَالِحٌ الأتراك.

وبينما كان بعض العبادل يَبْنُونَ مَتَارِيْسَ وخنادق في مَحَجَّةِ الطريق اليمني بالخذنق إذ أقبلت قافلة مسعود وابن الأحمر المَرْقَشِيّ الفَضْلِيّ واصلة من قَعَطْبَةِ، فعرفوا بين العبادل عَقِيْلَ بن سعيد العُلَيْسِيّ، فناده بعض أهل القافلة: ماذا

(١) الزانة: رصاص البنادق.

تصنعون يا عَقِيلُ؟ قال: نصنع ما ترون، فقال له: اذُنِ مِنِّي يا عَقِيلُ. فلما دنا منهم قال لعَقِيلُ همسًا: والله لقد رأينا الأتراك وعددهم وعددهم فهذا جمعكم الذي ذكرت لا يقف أمامهم مدة حَلْبَةِ شَاةٍ، فإذا لم تكونوا واثقين من مساعدة الإنكليز وإمدادتهم فلا تعبثوا بأنفسكم. وأقبل مسعود قال: ماذا تقولون؟ قلنا: كذا كذا، قال: نعم يا عَقِيلُ، هذه نصيحة، ولقد كتب السلطان حسين بن أحمد الفضلي سلطاننا معي كتابًا للأتراك وسلمته ليد الباشا محمد ناصر، وإني أحمل إليه جوابه في حقيتي، فانصح أصحابك العبادل أن لا يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة، فإن الناس ذَاهَنْتُ وَسَالَمْتُ. فرجع عَقِيلُ وأبلغ الصُّنُو عبد الكريم فضل سلطان لحج الحالي. وهذا رفع ذلك إلى السلطان المرحوم السر علي بن أحمد بن علي.

قال عَقِيلُ بن سعيد الغُلَيْسِي: وقد تكلمت مع المراقشة الذين وصلوا بصفة إمداد من أْبَيْنَ وأكدوا لي أن السلطان حسين قال لهم: أن لا يجازفوا بأنفسهم مع العبادل. فقد سبقت العبادل واعتدوا على أْبَيْنَ وساعدوا الإنكليز علينا وسافحونا إلى شُقْرَةَ^(١)، فإن رأيتم أنهم ظافرون فتظاهروا بالمساعدة، وإلا فلا تكرهوا أن يأخذ الله لنا منهم على يد الأتراك.

جميع هذه الأخبار علمناها في الدُّكَيْمِ، ولو يسر الله بوصول إمداد عدن إلى الدُّكَيْمِ لما سمعنا شيئًا من ذلك، ولقاتل أولئك المنافقون ضد الأتراك بيقين. وكان صد حملة علي سعيد باشا في الدُّكَيْمِ ممكنًا، ولكن قلوب أصدقاء عدن

(١) شُقْرَةَ: مدينة ساحلية في منطقة حَمَار من مديرية خَنْفَر وأعمال أْبَيْنَ، وهي مدينة المقاطعة التي

كانت مقر سلاطين آل الفضلي.

كانت يومئذ مكسورة، لأن عدن خذلت أصدقاءها عند وصول قوة علي سعيد باشا لأمر أراده الله، وما كنت أدري سبباً لذلك الخذلان، مع أنه لو أمكن هزم الأتراك في الدُّكَيْمِ لكان في تلك الهزيمة القضاء التام على الحملة التركية اليمينية إلى النهاية.

ولكان ذلك في مصلحة عدن، ولتمكنت الدولة إما من اقتصاد الآلاف الذهب التي كانت تنفقها على الجنود للدفاع تحت حصون عدن، وإما من إنفاقها لشأن أعظم نفعاً.

وفي عصر يوم ١٧هـ شعبان وصلنا إلى الدُّكَيْمِ كتاب من سلطان الحواشب وقد أحرق أطرافه إنذاراً بالخطر وحثاً لطلب المدد حالاً، قال: وإلا فإنه لا يلام بعد ذلك. وكتب مثل ذلك لحكومة عدن ولسطان لحج، وبينما كنا نتداول في تدبير إرسال مدد من الدُّكَيْمِ إلى المَسِيْمِيْرِ وصلت إلينا كتب أخرى حوالي الساعة العاشرة ليلاً من السلطان المذكور كذَّب فيها خبر وصول الأتراك إلى حدوده، وحذرنا من إرسال أي مدد إليه، لأن الحاجة لا تدعو إلى إرساله، فالتجأنا ساعتئذ لأن نرسل من طرفنا من يكشف لنا حقيقة الأمر إذا لم يبق لنا أي اعتماد ولا ثقة بالحواشب، فوجهنا في الحال أربعة من الخيالة إلى الدَّرِيْجَةِ. ولما وصلوا إلى السلطان الحوشبي في المَسِيْمِيْرِ سألوه أن يرفقهم ببعض من عسكره إلى الدَّرِيْجَةِ فامتنع وذهبوا بأنفسهم، ورأوا جميع قرى الحواشب التي على الطريق قد أُخْلِيتْ وَفَرَّ سكاها بمواشيهم وأثاثهم وأرزاقهم إلى شوامخ الجبال فراراً من معرفة الجيوش، وتحققوا أن الأتراك قد مدوا السلك التلغرافي إلى جهة الدريجة، ورأوه بأعينهم في فَرْحَانَ تحت حَيْلِ السَّرَابِي، ورأوا الشيخ قايد صالح ومعه فرقة من

الأعراب في المليح قبلي الدريجة، ثم عادوا إلى الدريجة ومكثوا فيها إلى بعد الظهر في الرَّهْوَةَ^(١) عند محطة القات حتى وصل إليهم الشيخ ناجي بن صالح الفتاحي، فعرف أحدهم وصافحهم وناصحهم أن يرجعوا قبل الوقوع في قبضة الأتراك. وكان الشيخ قايد صالح وفرقته اقتربا من الدريجة على مسافة ربع ميل ورأوا العساكر الأتراك النظامية نازلة من حَيْبِلِ العَرَابِي إلى جهة الدريجة، وصاروا منها على مسافة ميل، فعاد إلينا الخيالة بهذه الحقيقة.

وفي ١٩ شعبان كنا على يقين أن الأتراك دخلوا الحدود، فلبثنا في انتظار هجومهم من يوم إلى آخر.

وفي يوم السبت ٢١ شعبان هاجمنا الأتراك في الدُّكَيْمِ^(٢) بعدد عظيم من قبائل اليمن العثمانيين والحواشب والأصباح والجنود النظامية التركية، فلم نَقُوتَ على دفعهم لكثرة عددهم وعددهم، وحقيقة كان حالنا وحالهم كمن يناطح بالقارورة الجبل، ولما أبطأت مساعدة عدن أبلغ السلطان حكومة عدن انهزام عسكره في الدكيم، وأنه سيصبح بيته غداً تحت وابل قنابل مدافع الأتراك، فأجابوا أنهم سيرسلون غداً من يصل إلى لحج لأجل تعزيز مياه الآبار. ولكنهم عادوا فأرسلوا فرقة من عسكرهم باتت في الشيخ عثمان وبَكَرَتْ يوم ٢٢ شعبان إلى لحج.

(١) الرَّهْوَةَ: اسم مشترك بين عدد كبير من القرى في بلاد «لَحْجٍ» و«شَبْوَةَ» و«أَبِين».

(٢) الدُّكَيْمِ: من قبائل «لَحْجٍ» يسكنون في أعلى وادي «تُبْنِ» في قرية «نُوبَةَ دُكَيْمِ» الواقعة شمال

«العَدَنَ» بمسافة (٨) كيلو.

وفي الساعة الحادية عشرة بدأت الطوابع تناوش عسكر السلطان حوالي مدينة الحوطة. وفي الساعة الرابعة بعد العصر هاجم الأتراك مدينة الحوطة، وأطلقوا عليها المدافع واحتدم القتال بين الطرفين، وكان قد وصل إلى المدينة جانب من العسكر الهنود والبريطانيين لمساعدة سلطان لحج، ولكنهم مع الأسف وصلوا بعد فوات الوقت، ولم يتمكنوا من إيصال مدافعهم ولوازمهم. ولا يزيد عدد الذين دافعوا عن المدينة من عسكر السلطان وعسكر عدن أكثر من سبعمائة مقاتل، ولكنهم قاتلوا قتال الأبطال.

ولقد بلغني عن بعض كبار قواد الأتراك أنه سأل عن عدد عسكر البريطانيين الذين اشتركوا في القتال يوم لحج. فقيل له: ثلاثمائة وخمسون إلى أربعمائة. فقال: لا أصدق، بل هم أضعاف ذلك، فلما اقتنع بأن عددهم لا يزيد عن ما قيل له قال: إن صح ذلك فقد أتوا بالعجب العجاب، والله لقد كنت أحسبهم أضعاف ما ذكر لي.

ودخل الأتراك والعرب الجانب الغربي من مدينة الحوطة نحو الساعة العاشرة من ليلة الاثنين، واستدام الكفاح في الجانب الشرقي إلى قبيل الصباح، وخرج السلطان علي بن أحمد بن علي قبل الفجر، فَمَرَّ بِكَمِينٍ من الهنود ظنوه من الأعداء، فأصابوه بسبع رصاصات، وقتلوا فرسه وأعيد مجروحًا إلى القصر وبقي فيه إلى بعد شروق الشمس حيث أخرجه من بقي من العسكر في القصر محمولًا على الأكتاف، وكان الأتراك وأعاونهم من العرب يرمونهم بالبنادق من أطراف المدينة، فأصابوا بعض الذين يحملونه بجروح خفيفة وساروا به على تلك الحالة إلى قرب الرباط حيث التقته سيارة حملته إلى عدن.

واستمر إطلاق المدافع على المدينة إلى الساعة العاشرة ضحى يوم

الاثنين، وأبيحت المدينة للناهبين ثلاثة أيام، وجمع الأتراك من الأرزاق المنهوبة مقدارًا عظيمًا أودعوه خزانة أرزاق (الأنبار).

وأصبحت المدينة خرابًا، وأهلها فقراء، ففشيت المجاعة في البلاد، وضجت العباد، واضطر العاهل علي سعيد أن يبيع إلى العبادل جانبًا مما غنم منهم من الحبوب، وكانت الخلائق من الأهالي تتزاحم لشراء ما يسد الرمق بأغلى الأثمان، حتى فتح الله لهم الطريق إلى سوق عدن.

وكان عدد أعوان الأتراك من العرب لا يقل عن ستة آلاف مقاتل ينقسمون إلى جملة فرق:

(الأولى) تحت قيادة القائمقام محمد ناصر باشا، وهم قبائل قضاء القماعة.

(والثانية) تحت قيادة السيد أحمد باشا، وهم قبائل حوالي تعز ومن جبل صبر.

(والثالثة) تحت قيادة عبد الله بن يحيى، وهم قبائل الضباب وجبل حبشي.

(والرابعة) تحت قيادة القائمقام يوسف حسن، وهم قبائل قضاء العدين.

(والخامسة) تحت قيادة القائمقام إلياس بك، وهم قبائل إب وجبله ونواحيهما.

(والسادسة) تحت قيادة القائمقام عبد القادر نَعْمَان، وهم قبائل الحُجْرِيَّة الذين جاءوا من طريق عَقَّان^(١) والتقوا بالقوة الكبرى في بلاد الحواشب.

(١) عَقَّان: جبل أعلى منطقة المسييمير في شمال وادي لحج.

(والفرقة السابعة) تحت قيادة السلطان علي مَنايع الحَوْشِي، وهم قبائل الحواشب، هؤلاء كبار رؤساء فرق الباشبوزك الذين أطلق عليهم المجاهدون لقب رؤساء المجاهدين، ويتبعهم عدد كبير من المشايخ تحت إمرتهم. ويلحق بالعرب الطابور الملي قدر أربعمئة نفر تحت قيادة اليازباشي إسماعيل الأسود، ومع هؤلاء لفيق من الأصابع ويافع، وفوق ذلك قوة نظامية تقدر بنحو ألفين وثلاثمئة عسكري أترًاكًا وشوامًا، وهي عبارة عن ثلاثة الآيات.

يتألف من الطابور (١، ٢، ٣) من الآي ١١٦. ومن الطوابير (١، ٢، ٣) من الآي ١١٨ تحت قيادة القائمقام سامي بك، وكان في الجناح الأيمن يقابل غربي مدينة الحُوطة.

ويتألف من الطوابير (١، ٢، ٣) من الآي ١١٥، ومن الطابور (٣) من الآي ١١٩ آخر تحت قيادة القائمقام رُووف بك وكان في القلب.

ويتألف من الطوابير (١، ٢، ٣) من الآي ١١٧، ومن الطابور ١ من الآي ١١٩ وبلوكين من الآي ١٢٠ الآي ثالث تحت قيادة محمد حسني بك وكان في الجناح الأيسر.

ومع هذه القوة من المدافع السريعة الطلق ثمانية. وعادي جبل اثنا عشر. وما تنتلي ستة. وهاوان اثنان. وأوبوس اثنان، ومعهم عشرون متر الياز (ماشنجن) وطابور استحكام وفرقة صغيرة من السواري.

وكان مجموع الجنود المهاجمة من الباشبوزك^(١) والنظام فوق ثمانية آلاف

(١) مثل ما يسمّى اليوم الكتبية أو الفرقة، ويكون معها عتاها من الأسلحة.

ولم يتخلف من هذه القوة إلا رتبة صغيرة في الدُّكَيْمِ وزيادة.

وذكر الكولونل هورلد جيكب في كتابه (كينجس أوف ارايبا) عن القائمقام الأسير رؤوف بك أن عدد المدافع التي كانت مع القوة اثنان وعشرون مدفعًا، أوصلوا منها إلى لحج خمسة عشر واستعملوا منها في المعركة ستة فقط، ولكنه لم يذكر من العرب غير أهل الحُجْرِيَّةِ، وزاد أن معهم طابورًا من الأتراك تحت قيادة عبد القادر نُعْمَانِ، مع أن رؤساء الباشبوزك المذكورين اشترك جميعهم في الهجوم، وملئت بيوت المدينة برجالهم، ولبثوا فيها إلى يوم ستة عشر من رمضان حين رفع مأمور الأنباء تقريرًا للقائد العام شكاه فيه كثرة ما يصرف من الأرزاق للعرب، وأن الاستمرار على بقاء جمع مثل هذا يؤدي إلى نفاذ الأرزاق وتجويع العساكر النظامية، فأصدر الباشا أمرًا للرؤساء العرب أن يرجعوا إلى بلادهم لأجل العيد. فعاد إلى اليمن المشايخ المذكورون وهم: الشيخ مقبل بن علي باشا، والشيخ ناجي بن محسن أبو راس، والشيخ حمود بن عبد الرب سنان، ومحمد إسماعيل باسلامه، والشيخ حمود الدغار، والشيخ علي بن عبد الرب العتابي، والشيخ عبد الرب بن علي البدوي، والشيخ فارع عايض، والشيخ حمود البتر، والشيخ محمد عبد اللطيف الشيببي. مع جملة مشايخ غيرهم، وجميع من يتبعهم من الرجال المقاتلة، وحملوا معهم إلى بلدانهم من الغنائم والمحاسن والذخائر والمفارش والأثاث والملابس والكتب شيئًا عظيمًا.

وقد رؤي كثير من أجلاف اليمن يلبسون أقمصه نساء لحج المذهبة ويتبخثرون بها في الأسواق. وخسرت البلاد اللُّحْجِيَّةُ فوق الخسارة المادية خسارة أدبية عظيمة لما ضاع في هذه الحرب بأيدي الناهبين من الكتب النفيسة النادرة

الوجود، فلم يتركوا من مُدَخَّرَاتِ هذه المدينة ونفائسها ومكاتبها شيئاً حتى مفارش المساجد وقناديلها، وأخربوا أكثر جدران بيوت الحُوطة بحثاً عن الكنوز بين جدرانها، وارتكبوا من الفظائع ما يتعالى عنه أهل الإيمان. غير أنه -والحق يقال- لم يخطر على بال أحد من هؤلاء المجاهدين أن يسبي ولدًا من الأولاد اللَّحَجِيِّين لأجل بيعه، أو بنتاً ليمتّع بها باعتبارها ملك يمينه، كما كان يفعل المجاهدون البقارة من أصحاب المهدي والخليفة التعايشي بأهل السودان، والله الحمد.

فَإِنْ سَلِمَتْ رُؤُوسُ الرَّجَالِ مِنَ الْأَذَى فَمَا الْمَالُ إِلَّا مِثْلُ قَصِّ الْأَظْفَرِ

وممن اشتهر بالثبات والإخلاص للعبادل في مَعْرَكَتِي الدُّكَيْمِ والحُوطة وأمراء يافع بنو الشيخ علي، واستشهد منهم محسن بن عبد الله وحسين بن علي بن سالم وجرح ناصر بن عبد الله بن محمد. ثم بقى السلطان وحاشيته في عدن ضيوفاً على دولة بريطانيا العظمى.

وفي أواخر شعبان أَخَلَّتْ الحامية البريطانية مدينة «الشيخ عثمان»، فجاء إليها بعض العرب من أهاليها وغيرهم وأوسعوها نهباً وقتلوا بعض التجار وذهب بعضهم وجاء بِثُلَّةٍ من الجند التركي احتلت «الشيخ عثمان» ومنعت النهب والسلب وأحسنّت صُنْعًا.

الفصل السابع عشر

السلطانُ عبد الكريم. المهاجرونَ في عدن. الأتراكُ في لحج. الرايةُ العثمانيةُ في بير أحمد. خرابُ بير أحمد. حالةُ الحَصَمَيْنِ. ولاءُ العبادل لسلطانهم. ولاءُ القبائل للدولة البريطانية. الكُولونل جيكب والأميرُ نصر. الشروعُ في مَدِّ السَّكَّةِ الحَدِيدِيَّةِ إِلَى لَحْج. السلطانُ عبد الكريم في عدن. سفرُ السلطانِ إلى مصر.

* * *

وفي ليلة الأربعاء غرة شهر رمضان توفي السلطان علي بن أحمد بن علي، وخلفه ابن عمه السلطان عبد الكريم فضل بن علي.

وكان يومئذ قد وصل إلى عدن الجنرال ينج هزبند بقوة من السويس وما كاد يتم نزولها من المراكب حتى أمر باسترجاع مدينة «الشيخ عثمان» فاستردها في اليوم التاسع من شهر رمضان وطاردوا الأتراك إلى مسافة في البر. وبعد أن ناوش الأتراك مرارًا في الوَهْط وغيرها تحقق أن قوة الأتراك التي في لَحْج لا تستطيع أن تهاجم عدن مهاجمة خطيرة فعاد بقوته إلى السويس وأبقى في عدن ما يكفي للدفاع.

ولما تَوَضَّح^(١) للناس أن الأتراك لن يتمكنوا من مهاجمة عدن مهاجمة

(١) أي: اتضح وظهر.

خطيرة غيَّر الأتراك لَهْجَتَهُمْ، فقالوا: إنهم جاءوا لكي يحافظوا على أرض اليمن المقدسة من اعتداء النصارى.

وبلغني أنه سأل بعض اللّٰحْجِيِّينَ تركياً: أي متى تستولون على عدن؟ فأجابه على الفور: عندما تتسلق بغلتي هذه تلك النخلة، وأشار إلى نخلة طويلة كانت على بعد منه.

وهاجر مع السلطان نحو أربعة آلاف نفس أو يزيدون، وهم أعيان البلاد وساداتها وحاشية السلطان وأقاربه ومن رؤساء القبائل، فتفرقوا في البلاد بين عدن و«مَعَلًا» و«بِير أحمد» و«الشيخ عثمان» و«العِمَاد» و«أَبِين» و«صُهَيْب» وتركوا أراضيهم وبيوتهم وأموالهم ومواشيهم، واستولى الأتراك على جميع ذلك، وبحثوا على الديون والرُّهُونَ^(١) التي للمهاجرين عند الناس، وطالبوا بها المُرَاهِنِينَ والمَدِينِينَ، ونال أذى عظيم خلقًا كثيرًا لِتُهْمَتِهِمْ بأن لديهم أموالاً أمانةً أو دُيُونًا لأحد المهاجرين.

نذكر من ذلك قصة (الشيخ عبد العليم بن محمد با نافع) على سبيل المثال لغيرها، أما إذا تتبعنا أعمال الأتراك وأخبارهم بلحج فلا يستوعبها مجلد ضخم، وربما وفق الله بعض العبادِلِ إلى كتابة ذلك. ولقد رجوت الشيخ عبد العليم بن محمد با نافع أن يكتب قصته بقلمه فكتب ما يأتي:

ولما دخلت الأتراك لحجًا خرجت الأهالي وأنا من جملتهم، وتوجهنا إلى

(١) جمع رهن وهو ما يضعه الشخص عند آخر مقابل ما أخذه منه من مال أو غيره ليبقى عنده حتى يعيد ذلك الشيء الذي أخذه.

قرية المَجْحِفَة يوم الأحد ٢٢ شعبان سنة ١٣٣٣هـ، وفي يوم الاثنين ٢٣ منه خرجنا من المَجْحِفَة إلى «بير صالح» في طريق أَيْنٍ ومكثنا في الخَبْتِ ثلاثة أيام، ثم رجعنا إلى المَجْحِفَة خائفين نترقب لئلا يأخذونا كما أخذوا أموالنا التي نهبوها وأخرجونا كيوم ولدتنا أمنا، ولم نزل على هذه الحالة حتى بَلَّغْنَا أن «الوَهْط» صالحت الأتراك، وهي مأمّن لكل من قصدها، فقصدناها في ١٢ رمضان من السنة المذكورة، ولبثنا بها إلى نهار ٢٠ رمضان، فلم نشعر إلا وقد أحاطت العساكر الأتراك بالبيت الذي نحن فيه وهو بيت الشيخ علي بن محمد با نافع، حيث كنت فيه أنا وجماعة من أهالي الحوطة منهم صالح بن فضل العاصي وزَيْن بن أحمد زين فقيه «مسجد الدولة»، فدخلوا علينا الضباط شَاهِرِينَ السيوف ونحن نيام صيام، وقالوا: أين الشيخ عبد العليم؟ فانتبهنا مذعورين، ولأجل أن يمضي قضاء الله وقدره عليّ قلت: أنا الشيخ عبد العليم، وأما أصحابي فمنهم من ذهل ومنهم من خرس ومنهم من اختل عقله من رهبة الداخلين علينا بهيئة عسكرية موحشة منذرة بالقتل والسب. فدنا مني ضابط يقال له: رسول آغا كان مدير عسكرية في قَعْطَبَة، فوضع السيف في عنقي وقال: أنت الشيخ عبد العليم؟ قلت: نعم. فقال: هَيَّا يا عاصي الدولة، يقول الباشا: إما فلوس وإلا رءوس.

الآن هات فلوس الجفري وفلوسك وإلا فإننا نقطع رأسك. فقلت له: لا يوجد عندي فلوس للجفري، وليس من أمثال السيد علوي الجفري أن يستجير بي ويضع أمانته عندي، بل هو الرجل الذي تضع الناس عنده أماناتها وتستجير به، وأما فلوسي وأموالي فقد نهبت ليلة دخلتم لَحْجًا، فما أبقيتم لنا لا طعامًا ولا دراهم ولا ذهبًا ولا فضة ولا أثاثًا، وقد قدرت قيمة ما انتهب من أموالي يوم لَحْجٍ

أربعين ألف ريال، فاغتازوا من ذلك وأطلعوني إلى أعلى البيت المذكور، ودخل جانب منهم يطوف في البيت بين النساء فأخذوا كل ما وجدوا من حلي وفراش وغيره من ملك أهل البيت، حتى إنهم أخذوا غذاء الصبيان من الميفاً^(١) فأكلوه.

ثم علمت في ذلك الوقت أنهم قد ذهبوا في نفس ذلك اليوم إلى المجحففة طائنين أني باقى بها حسبما أخبرهم الوشاة وأنهم قد أحاطوا بالمجحففة، فلم يأذنوا لأحد بالذنو منها ولا بالخروج منها ريثما يفتشوا عني، وبالصدفة كان رجل من الماجيد من غير أهالي المجحففة حين علم وصول الأتراك إلى المجحففة خرج منها هارباً فظنوه عبد العليم، فصبوا إليه بنادقهم وقتلوه ودخلوا القرية المذكورة وقبضوا على خمسة عشر شخصاً، وأوثقوهم في عجالات المدافع، ثم سألوهم: أين عبد العليم؟ وأين مال السيد علوي الجفري الذي أودعه عبد العليم عندكم؟ فأخبروهم أنه في الوهط، وأن المال الذي تزعمونه أخذه معه. قالوا ذلك لأن يتخلصوا من يد الأتراك، ولكن لات حينَ خلاص^(٢)، فساقوهم موثقين إلى الوهط وجعلوا في المجحففة نصف طابور بصفته رتبة، وجاءوا بالموثقين والنصف الطابور إلينا في الوهط وكان ما تقدم أعلاه.

وأخيراً سلمت إليهم صندوقاً صغيراً وقلت لهم: هذا الذي سلم معي وكنت أنقله من مكان إلى مكان، وفتحناه وفيه قليل ذهب مصاغ لنا ولغيرنا أمانة وكسباً للأولاد الصغار، وكهْرَب^(٣) قليل ومصاغ فضة، فلما رأوا ذلك احتقروه

(١) وهو التنور.

(٢) أي: ليس الحينَ حينَ خلاص.

(٣) هو نوع من أنواع ما يسمّى بـ«الأحجار الكريمة».

فقالوا: ما لنا حاجة بهذا. أين نقود السيد الجفري التي عندك التي قدرها خمسة وأربعون ألف جنيه ومثلها حقك؟ فقلت لهم: لم يبق معنا إلا هذا، وكل ما سوى ذلك من ملكتنا فقد نهبه المجاهدون، وما للسيد علوي عندنا مال ولا أمانة. فلم يصدقوا بل قالوا: إننا قد وقفنا على خط من الجفري مرسول إليك وفيه يذكر لك أن ترسل إليه بالذهب الذي أودعه عندك صحبة عبده فلان.

وأخذوا يتهددوننا ويتوعدوننا بالقتل والضرب ثم ساقونا معهم إلى المجحفة، وكان لي حمار أخذته لأركبه لأنني كنت صائماً ولا أستطيع المشي إلى المجحفة، فأخذوا الحمار وأركبوا عليه بعض العسكر وساقوني ماشياً في الشوك إلى المجحفة، ووكّلوا بي عسكرياً يحرسوني وضابطاً يضربني ضرباً أليماً بكرباج كان بيده من جلد البقر، ولم يزل ذلك الجلاد يجلدني حتى أشرفت على الموت. وكان يقول لي بعد كل ضربة: هات مال الجفري ومالك وإلا ستضرب إلى أن تهلك، وكنت أستغيث بالله واستمر على ذلك، فلم يرفع عني سوطه حتى لم يبق محل في جسمي لم يصبه السوط. وكان الوقت بعد الغروب، فخرج من عندي وبقي يهدد المؤثمين الخمسة عشر. فقال لي العسكر الذي عندي: إن هؤلاء الخمسة عشر، هم الذين أخذوا مالك ومال الجفري، وكنت أقول لهم: لم يأخذ مالي من المجحفة إلا المراقشة، وأما الذي في الحوطة فقد أخذه المجاهدون، فيقولون لي: لماذا لا تقول: مع هؤلاء الخمسة عشر، فيصيح الموثقون: رحماك يا عبد العليم، لا تظلمنا، وكنت أبرئهم وهم يضربونهم إلى الساعة العاشرة من الليل، فأخرجوني وقالوا: جاءنا أمر بقتلك، فقلت: حباً وكرامة، ذلكم أهون من هذا العذاب، فربطوا يدي وعيني وأبعدوني قليلاً حتى صيروني كالنیشان، وقابلني

العسكر بالبنادق، وطالبوني بجنيهات السيد علوي وإلا سينفذون الأمر. فقلت: افعلوا ما أمرتم به فلم يبق معي جواب. فتهددوني مدة، وكنت أرى -والحق يقال- أن الموت في تلك الساعة أحلى من الحلوى لهول ما قاسيته من امتحاناتهم وتشديداتهم وعذابهم.

ثم عادوا وأدخلوني بين العسكر وأطلقوا عشرة من الموثقين وأبقوا معي خمسة من أصهاري، وأمسينا بين العسكر إلى الساعة الرابعة صباحاً، وساقونا إلى الحوطة مشياً على الأقدام، وسلمونا إلى يد رئيس الطابور الذي كان في بستان السلطان محسن، وأقمنا هناك طول يومنا في الشمس المحرقة في جوع وظماً وتهديد وتشديد إلى غروب الشمس، فخرج إلينا شاوش من مدينة الحوطة وقال: أين الشيخ عبد العليم وأصحابه؟ فأشاروا إلينا، فأبرز لهم كتاباً من الباشا يأمرهم أن يسلمونا إليه.

وبعد استلامنا ساقونا العساكر إلى بيت السيد علوي بن حسن الجفري الذي اتخذته الأتراك يوماً سجنًا للمسلمين، وأطلعوني إلى البيت فوجدت السطح قد غص بأشراف الأهالي ورؤساء قبائل العبادل مسجونين فيه. ثم قابلنا ضابط أسود يقال له: إسماعيل أغا، فاستنطقنا وتهددنا ثم قال: بيتوا هنا إلى الصباح غداً إن شاء الله نقطع رأس الشيخ عبد العليم. وكنا لا نجيب إلا مرحباً مرحباً، أمسينا بلا قوت ولا ماء، وفي الليل دنا منا محبوس من العزبيّة قد أخفى قليلاً من الماء فأعطانا ما بل ألسنتنا.

وفي صباح ٢٢ رمضان أنزلوني إلى محل إسماعيل أغا الأسود الذي أعاد علي الاستنطاقات والتهديدات، فلما وجدني ثابتاً على الإنكار ومدعيّاً ببراءتي

قال: حسناً غداً نخرجك إلى الميدان ونقطع رأسك لتكون عبرة لأهل لحج ليعلم ذلك كل من عنده أمانة للعباد أو المهاجرين معهم فيأتي به إلينا قبل أن نقطع رأسه كما قطعنا رأسك. ثم أودعوني السجن شهرين ونصف، كنا في عذاب مهين واستنطاق وتهديد، فأحياناً يقولون: أكتب وصيتك قد صدر الأمر بقتلك، وتارة يقولون: جاءنا الأمر بإبعادك إلى صنعاء.

وفي أثناء تلك المدة توسلت بالسيد محمد علي مَنْصِب الوَهْط وبعض ضباط الأتراك كالقائمقام يوسف حسن والقائمقام إلياس بك، لكي يراجعوا الباشا ويثبتوا لي براءتي، مع أنه لو ثبت أن عندي للجفري أمانة ليس لهم حق باستلامها، ومع ذلك فلم يكن للجفري عندي شيء ولا غيره. وكان الباشا مصرّاً أنه لا يطلقني حتى أسلم الخمسة وأربعين ألف جنيه، لأن الوشاة بلغوه زوراً وهبتاً أن عبد العليم هذا من المقربين عند العبادلة وهو من كبار التجار وذوي النفوذ عند السلطان، وهو صديق السيد علوي بن حسن الجفري ومتمشيع له وسافر معه مرة إلى أرض العوالتق، وجاءوا بعسكر من تلك البلاد لحربكم، وأنه كان يحث الناس على قتال الأتراك.

ومن جملة ما وشوا به أنني ألقى خطبة يوم خروج العساكر لمقابلة الأتراك إلى الدُّكَيْم. ولو كان لدى الباشا أدنى تَبَصُّرٍ وأقل إنصاف لتمكن من معرفة كذب أولئك الوشاة، وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّوءِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَّ. وصبرنا على أمر الله حتى أراد الله لنا بالخلاص، وكان ذلك على يد السيد محمد علي مَنْصِب الوَهْط بمقابل رشوة قدرها ثلاثمائة ريال على أن لا نهرب من لحج ما دام الأتراك فيها، وأن نكون حاضرين كل يوم لطلب المحكمة، فلهذا السبب لم نتمكن من

إحراز فضيلة المَهَاجِرَةِ مع من هَاجَرَ، فأقمنا بين الأتراك حتى سلموا أنفسهم إلى الإنكليز، وقد عرف علي سعيد باشا غلظه أخيراً، وقد قال لي مراراً: سامحني يا شيخ عبد العليم فيما جرى منك، لأن الناس غرونا «انتهى ما كتبه الشيخ عبد العليم بقلمه».

وارتكب الأتراك كثيراً من أمثال هذه الجرائم، فلم يتركوا من أموال المهاجرين من العبادل قِطْمِيْرًا، بل مدوا أيديهم إلى أموال الأهالي الذين بقوا تحت رحمتهم. فكانوا يأمرّون أحياناً بالقبض على بعض الأعيان وسجنه لمجرد تهمة فارغة توسلاً للحصول على المال ثم يطلقونه، فيعلنون في جريدة صنعاء أن التاجر فلان تبرع بمبلغ كذا وكذا ألف ريال لمجاريح الجيش أو لبناء مستشفى أو غير ذلك، كما فعلوا بسعيد علي عَوْن من أعيان «نوبة عياض»^(١) وبغيره أيضاً، والله يعلم أنهم إنما أخذوا تلك الأموال قهراً لا تبرعاً.

ولما بلغهم أن الفقهاء ينكرون عليهم نهب أموال المسلمين استصدروا فتوى من شيخ الإسلام بالأستانة صرح لهم فيها بإباحة أموال المهاجرين لأنهم فروا من بلاد المسلمين إلى بلاد النصراني، وبعبارة أخرى من منطقة الخوف إلى منطقة الأمن. فقد تعجب الفقهاء في اليمن من جُرْأة هذا الرجل على الدين. وجاهر بعضهم بفساد هذه الفتوى إذ لم نسمع من قبل أن مفتياً يفتي باستحلال أموال المسلمين ودمائهم، وطلب الشيخ فضل بن عبد الله العَقْرَبِي لنفسه

(١) هي إحدى قرى مديرية «تَبْن» بمحافظة لَحْج، وقد كُتِبَ عنها كتاب بعنوان «الوادي الفياض من طرائف نوبة عياض» لمؤلفه الدكتور جمال السَّيِّد.

ولِعَقَارِبِ^(١) بئر أحمد الأمان، فَأَمَّنَهُ الباشا على أن يرفع الراية العثمانية على حصن بئر أحمد، فخفقت الراية العثمانية على دار الشيخ فضل أياماً حتى رأتها الخيالة الهندية البريطانية فأنزلتها وجاءوا بالشيخ فضل إلى عدن يحتجون على فعله، ثم أطلقه والي عدن على أن لا يعود إلى رفع راية الترك في بئر أحمد.

وقد رأيت الشيخ فضل يومئذ وقد جاء لمقابلة السلطان عبد الكريم منفعلاً مدهوشاً محتاراً في أمره، ماذا نعمل يا أحمد؟ قلت: هذه أيام محتتنا، والصبر حكمة، فَلِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الأثر. جاء هؤلاء الأتراك من أعالي جبال اليمن متيقنين بعجزهم عن أن يمسوا عدن الحصينة بسوء، فلا يقصدون غير أذيتنا في بلادنا ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢)، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣) قال: آمين.

فلما عاد إلى بئر أحمد أرسل إليه الباشا بلوكين من الأتراك وأعوانهم وقادوه إلى سجن لحج، وعاملوه بما لا يليق بمثله، ثم أبقوه أسيراً إلى ما بعد الصلح، ولكنهم أحسنوا معاملته في الآخر. وبقيت بئر أحمد أثناء الحرب مأوى لجواسيس الأتراك وطوالعهم، ولقربها من المراكز الإنكليزية دعا والي عدن أهالي بئر أحمد أن يدخلوا إلى عدن والشيخ عثمان والمُعَلَّا، وأن يبقوا في ضيافة الدولة، وأمر بهدم بئر أحمد فهدمت. ودخل الشيخ علي بن حيدرة مهدي

(١) تقدم التعريف بقبيلة «العقارب».

(٢) آل عمران: ١٤١.

(٣) [الشعراء: ٢٢٧].

أبو النُّوبِ وجميع عياله العقارب إلى الشيخ عثمان والمعلاً وعدن، وبينهم الشاعر العجوز السجيني، وقد قال يعاتب من بقي تحت حكم الأتراك شعراً:

يَا ذِي جَلَسْتُوا فِي مَحْكَمِ التُّرْكِي مَنْ بَعْدَ مِحْسِنِ جَلَسَهُ بِلَا نَامُوسِ (١)

ولبت العقارب في عدن إلى ما بعد الصلح. ومات الشاعر السجيني في المعلاً وهو يتمنى أن يعود إلى بلاده بير أحمد الغبراء المشوكة (٢).

لَا شَا الْمَعْلَا وَلَا عَدَنَ اسْكُنْ شَالِي بِلَادِي عَبْرًا وَفِيهَا شَوْكُ

وتوفي في عدن الشيخ علي بن حيدر مهدي العُقْرَبِي وهو يتوجَّر ماء البمبة، (٣) ويتمنى شربة ماء من ماء بئر المالحه.

ولو استثنينا معركة ٢١ شعبان التي تم بها الاستيلاء على مدينة الحوطة فالمعارك التي صارت حول عدن إنما هي معارك محلية وغزوات صغيرة، إذ لم يحاول الأتراك مهاجمة عدن أو «الشيخ عثمان»، وكذلك الإنكليز فلم يروا في إخراج الأتراك من لحج بالقوة فائدة أو فصلاً في الحرب العظمى، فلذلك قال الجنرال ويليام ولتن (قائد الجيش البريطاني في عدن) في منشوره المؤرخ مايو سنة ١٩١٦م: «إنه ليس لضعفنا امتنعنا عن حرب الأتراك الذين في لحج، ولكن مملكة الدولة الإنكليزية واسعة جداً، ويلزمنا معاملة الميادين التي فيها العدو

(١) الناموس عندهم «الشَّرَف» فقلوه: «بلا ناموس» أي: «بلا شَرَف».

(٢) أي: ذات الشَّوك.

(٣) يتوجَّر أي أنه يشربه مُتَكَلِّفًا مُكْرَهًا و«ماء البمبة»: هو ماء مُقَطَّر، وكان يقال له أيضاً: «بمبة

مقطَّر»، وينظر كتابي: «خدمة وطن في مطار مدينة عدن» ص ٣١.

واحدًا بعد آخر بالتعاقب بحسب الخطط التي رسمتها الدولة، فنحن قد استولينا على أرض الكمرون وعلى الجزائر الكائنة في البحر الأوقيانوس، وعلى إفريقيا الجنوبية الغربية، والآن نحارب الجرمن في إفريقيا الشرقية، وعندما ينجز عملنا هناك وسينتهي في مدة أشهر قليلة بعد ذلك سيأتي الوقت الذي نفكر فيه بمصير الأتراك في أرض العرب، وعلى كل حال فلا تكون الموقعة الفاصلة في أرض العرب بل هي في فرنسا».

ونشرت جريدة لندن ديلي تيمس بتاريخ ٢٥ و٢٦ جولاي سنة ١٩١٧م مقالاً تحت عنوان (أرض حماية لم تحم) شرحت جواب اللورد كرزن على سؤال اللورد لمتجين في المجلس بخصوص عدن.

ذكرت الرأي العام أن بندر عدن البحري المهم الكائن على الطريق الرئيسية البحرية إلى الهند وأستراليا محصور بالأتراك من الجهة البرية منذ سنتين. قالت: فلا يمكن أن يقال: إن رواية حركاتنا العسكرية بقرب عدن أكسبت الجيش البريطاني شهرة أو مجداً، بل بالعكس، فإننا دُحِرْنَا إلى حصوننا حيث نقيم الآن تاركين جيشاً ضعيفاً للعدو يطوف في الأرض كيف شاء بين القبائل المشمولة بحماية عدن لأسباب عَجَزْنَا عن حمايتهم. فعلي سعيد باشا والي الأتراك في اليمن انحدر من الجبال في شهر يونية سنة ١٩١٥م، وقاتل في لحج أقرب نقط الحماية لعدن جزءاً من حامية عدن القليلة على مسافة خمسة وعشرين ميلاً من حصن عدن، فاندفعت قوتنا إلى الورا واستولى الأتراك على «الشيخ عثمان» الواقعة على مسافة سبعة أميال من حصن عدن. وفي تلك الأثناء قُتِلَ سلطان لحج الغيور على مصلحة الدولة البريطانية، وتخرّب جانب من عاصمته الصغيرة، وبعد

مدة قصيرة طردنا الأتراك من «الشيخ عثمان» إلى مسافة في البر حيث جمعوا قواهم وتمسكوا بلحج واستداموا يحومون حول البندر.

ذكر اللورد كرزن في المجلس أن الأتراك قاموا في الستة أسابيع الماضية بغزوتين عقيمتين، وأنهم لا يستطيعون أن يهددوا عدن تهديداً خطيراً، وهي الآن آمنة مطمئنة. وهذه هي الحقيقة.

وقال: إن غالب القبائل الذين هم تحت الحماية لا يزالون مخلصين لجانب الدولة البريطانية. فهذه المسألة هي موقع الاستفسار.

لماذا لا ينبغي لهم الإخلاص؟ لأننا بموجب المعاهدات تعهّدنا لهم بالحماية، ولكنهم تُرِكُوا منذ سنتين تحت ضغط الأتراك، نحن نحجم أن نشير بأي مظاهرة ثانية في جهة الشرق في هذا الوقت الضيق، ولكن الحالة الحاضرة بعدن مخزية ومعيبة، فالأتراك يسحبون لِحَانًا^(١) حيث يشاءون، وأصوات مدافعهم تسمع إلى سطوح مراكب البريد في حال كون مخابرات علي سعيد باشا مع دولته مقطوعة ولا تصله ذخائر جديدة بسبب الثورة الحجازية، فهلا يمكننا تمزيق جيشه والوفاء بمعاهداتنا مع القبائل، فلولا معارضة اللورد مورلي في مدّ سكة حديدية ضيقة إلى مسافة ستين ميلاً في برّ عدن لأمكن منع العدو عن احتلال أرض الحماية. اهـ.

فكذلك كانت الحالة حول عدن، وكان علي سعيد باشا يتجول بتلك القوة الصغيرة بين العربان بنية استعمار هذه البلدان العربية، ومد يد الأتراك إلى بر

(١) جمع لِحِيَّةٍ ويريد بذلك أن يعبر عن الدُّلِّ الحاصل لهم من جهة الأتراك.

الصومال والدناقلة إذا تم النصر لألمانيا وحلفائها، ولكنه كان مقتنعاً بعدم كفاءة القوة التي معه لمهاجمة عدن الحصينة.

ولما توالى الأخبار بانهزام الجنود العثمانية في ميدان العراق وميادين الشام وإخفاق ألمانيا وحلفائها، كان علي سعيد باشا يتلقى أخباراً صحيحة بهذا الخصوص، فتمكَّنَ في فؤاد علي سعيد باشا الإيمان بسوء خاتمة دولته، حتى قال يوماً لبعض أصدقائه وقد مضى عامان من أعوام الحرب: انقطع الآن رجائي بنصر ألمانيا، فقد وجدت بريطانيا المدة الكافية لأن تحشد جيوشها في ميادين فرنسا.

وسلط الله على جنود الباشا الأمراض والحُمَمَات ففتكت بهم فتكاً ذريعاً حتى أفنت منهم عدداً عظيماً، وضاعت بهم المقابر اللَّحَجِيَّة، وأحدثوا مقابر عديدة في أنحاء البلاد، فسبحان الصبور الغيور. وبقيت كافة قبائل العبادل على الولاء التام لسلطانها، ولو اتسعت لهم المهاجر لما بقى في لحج إلا النزر اليسير، واستمر فريق منهم على مقاتلة الأتراك إلى نهاية الحرب وكان مركزهم في «العِمَاد».

ولما هاجمها الأتراك في ١٠ صفر سنة ١٣٣٥ هـ قاومهم العبادل فيها مقاومة شديدة. ولم يَمِلْ إلى محبة الأتراك من أهل البلاد اللحجية إلا الأوحاش أهل الوَهْط، فلم يبق منهم على ولائه لسلطانة ومحبة وطنه إلا من هداه الله. اتبع الأوحاش السيد محمد علي زين فخرج بهم عن سيرة السلف، وجعل الله شتاتهم وهتك محارمهم وخراب بيوتهم على يد الأتراك.

وبعد أن تم للباشا الاستيلاء على لحج أمر بمنع دخول القوافل إلى عدن، ثم عدل عن ذلك فضرب على البضائع الداخلة من لحج ضرائب فادحة، وأذن بدخولها إلى عدن. ولبقاء البلدان المجاورة للحج على ولاء عدن كان يخرج باسمها بضائع وأرزاق من عدن يصل جانب منها إلى الأتراك في لحج.

وفي الحقيقة فإن أكثر القبائل بقيت على ولاء الدولة البريطانية وولاء سلطان لحج. والذين قبلوا يد الأتراك كالأمير نصر وعلي مانع الحوشبي وإنما أخذوا بالمثل: «يد لا تقدر تعصرها بوسها» وقد كان الأمير نصر وعلي مانع الحوشبي يومئذ في حالة لا يُحسدان عليها، وما عاونًا الأتراك عن طيب خاطر، وإنما «إذا عكرت العيس عصرت»، وبلا شك فقد نال الأمير نصر من الأتراك مشاق كبيرة، ولكنه عندما يئس من مساعدة دولة بريطانيا وعرف أنه ترك للأعداء ألزمه الضعف بأن ينافق للأتراك الذين أظهروا أنفسهم في بداية الأمر من خيار المسلمين، وتحايلوا بالترغيب والترهيب على كثير من الناس حتى قضوا منهم وطراً. فلما طلب السلطان علي مانع من علي سعيد باشا الوفاء بالوعد بخصوص أرض زائدة أجابه أنه قد تحقق لديه ثبوت ملكها للعبادل، وليس في وسعه أن يملكها للحواشب، فقتع السلطان علي مانع من الغنيمة بالإياب.

وقد أفرط الكولونل جيكب في تحامله على الأمير نصر فقال في كتابه «كينجس اوف ارابيا»: إن الأمير كان يتمثل (بأينما دارت الزجاجة درنا) وأنه قال مرة: (كنادر^(١) الأتراك أقوى من طيارات الإنكليز) ورؤي مرة في لحج سنة ١٣٣٥هـ

(١) الكنادر: هي الأحذية والأتراك كانوا يقاتلون وليس لديهم طائرات.

لابسًا بدلة تركية. قال: لا تأمن بيت الخرفة ولو حلفا. اهـ.

فلا أدري ما حملة عليّ كتابة ذلك مع أنه يعلم أسبابًا كافية لعذر الأمير نصر وغيره من الذين تركوا أعوامًا تحت رحمة الأتراك عندما كانت قوة ضعيفة للأعداء تطوف بأمان واطمئنان بين قبائل حِمَاية عدن، أجبرتهم أن يساعدوا الأتراك عن رهبة لا عن رغبة، ولو تظاهرت عدن بمظهر الحذر والاستعداد لكانت قصة حملة علي سعيده خلاف ما كتبنا، بل ربما كان الأتراك لا يصلون إلى لحج ولا يتحرشون بأرض الحماية. وتوالت كتب قبائل يافع المَوْسَطَةَ والظُّبِي والعوالت إلى السلطان عبد الكريم في عدن بعرض كل ما يقدرون عليه من المساعدة وبذل الرجال المقاتلة والتدابير لإرغام الأتراك على الخروج من لحج ونواحيها. وفي سنة ١٣٣٤هـ شرع الإنكليز يمدون السكة الحديدية إلى لحج.

وفي شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٤هـ وردت للسلطان عبد الكريم فضل

القصيدة الآتية: من السلطان عبد الله بن علي اليافعي وهي:

إلهي سَلِّكْ بِالْمَخْتَارِ تَسْمَعُ	دُعَا عَبْدِكَ وَكُنْ لَهُ حَيْثَمَا كَانَ (١)
وَبَادِرِ مِثْلَ لَحْظِ الْعَيْنِ وَأَسْرِعْ	تَجَلِّئَهَا بِفَضْلِكَ وَأَصْلِحِ الشَّأْنَ
وَصَلُّوا مَا الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ تَطْلَعُ	عَلَى النُّورِ الْمُسَمَّى نَسْلَ عَدَنَانَ
يَقُولُ الْهَرْهَرِيُّ يَا هَاجِسِ أَبْدَعْ	وَهَاتِ أَيْبَاتِ بِانْشَرَحَهَا الْآنَ

(١) قوله: «سَلِّكْ بِالْمَخْتَارِ تَسْمَعُ» يريد بالمختار النبي ﷺ، فهو يتوسل إلى الله بالنبي ﷺ وهذا

من التوسل المُبْتَدَع، فالتوسل يكون بأسماء الله الحسنی، وبالأعمال الصالحة، وبدعاء الرجل

الصالح. أما بالمخلوقين كما فعل هنا الشاعر فهذا لا يجوز، فتنبّه.

مِنْ الْحُوَطَةِ وَمِنْ صَيْرِهِ وَسَمْسَانَ
 مُوَجٍ مُتَلَاطِمِهِ غَبْرًا وَحُمْرَانَ
 مِنْ الطَّنَّانِ لَا الثَّغْلَبَ وَعِمْرَانَ
 وَتَاكَ الْبُنْقَلَةَ بِالشَّيْخِ عَثْمَانَ
 مِنْ الدَّرْبِ الْمُتَيْفِ فَوْقَ هَمْدَانَ
 حِلَالِ أَهْلِ النَّكْفِ شَيْبَةَ وَشُبَّانَ
 وَسَيْفِكَ بَيْسَرَكَ وَالرُّمَحَ بِيَمَانَ
 تَحْصِّلُهُمْ شَوْكَ هِنْدِي وَأَبَانَ
 عَلِيَّ (بْنِ فَضْلِ) ذِي قَامُوهِ سُلْطَانَ
 بَكْرَمَةَ وَالسَّخَا كَمَ قَدَمَ أَحْسَانَ
 مَعَهُ الْأَعْمَامَ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَانَ
 جَمَائِلَ تَحْفَظُ الْقُرْبَةَ وَجِيرَانَ
 كَمَا شَرَعَ الدَّوْلَ خَزَنَةَ وَخَزَانَ
 وَبَاتِلِقُوا بِهِمَا دَائِرَ وَحِيطَانَ
 وَطَاسَةَ وَالْمَزِيكَةَ تَرْهَبُ الْجَانَ
 يَشُوفُ الْأَرْضَ مَشْعُولَهُ بِنِيرَانَ
 وَعَادَ الْكَيْسَ بِالْحَيَّاتِ مَلَانَ
 وَيُخْرِجُ مِنْهَا جَائِعَ وَعُزْيَانَ

رُغُودَ اتْحَطْرَمَةَ وَالْبَرْقَ يَلْمَعُ
 وَلَا حَنَّهُ مَيَّازِرَ وَالْفَ مَدْفَعُ
 عَسَى عَوْدُهُ وَذَاكَ الْوَقْتَ يَرْجَعُ
 وَتَاكَ الْمَحْكَمَةَ وَالْحَيْلَ تَرْبَعُ
 وَيَا عَازِمَ سَرِيَّ وَالنَّاسَ تَهْجَعُ
 عَلِيَّ عَالَمَ حَبَبَهُ عَالِيَّ تَمْنَعُ
 كَانَتْكَ بِالْمَرَّاحِلِ صَقْرٍ يَسْفَعُ
 وَلَا السَّيِّدَةَ مَقْفَلُ دُقْ وَأَفْرَعُ
 وَتَوَّكَ لَا عَدَنَ وَأَنْشِدُ تَوَقَّعُ
 طَلَعَ صَيْتَهُ عَلِيَّ مِنْ قَبْلِ وَأَفْرَعُ
 وَخُصَّةً بِالسَّلَامِ آفَ وَأَجْمَعُ
 وَقُلْ خَالِكَ يَقُولُ الصَّبْرَ وَأَصْنَعُ
 وَشَفْتُ أَنْ الْوَسْلَ يَرْفَعُ وَيَنْفَعُ
 وَلَا أَنْتُوا فِي جَزِيرِهِ بَأْتَوْسَعُ
 وَبُنْدِيرِهِ مَعَ بَيْرَقُ وَمَرْفَعُ
 تَعَنَّوْا قِنَعُوا مَنْ كَانَ يَطْمَعُ
 يَسَافِرُ مِنْ بَلَدِكُمْ خَيْرٌ يَقْتَعُ
 وَلَا يَأْمَنُ بِحِيٍّ لَهُ سَيْلٌ يَرْدَعُ

يُقُولُ الصَّدْقَ لَا صُورَ وَلَا أَفْرَعُ
 وَجَدِّي ذِي عَبْرَ عَالِنَّاسِ يَقْطَعُ
 وَبَعْدَ الْفَرْقِ وَالْفِتْنَةِ تَرْفَعُ
 وَمَا تَجَدَّدَ بِيَاغِ الْيَكِ يَتْبَعُ
 وَخَتَمَ النَّظْمِ صَلُّوا عَلَى الْمَشْفَعِ
 وَنَا بِالْمَحْجَبَةِ مِنْ رُوسِ هَمْدَانَ
 بَصْنَعًا لَا الْمَخَالَ لَا أَرْضِ نَجْرَانَ
 وَبَاقِي مِنْ جُبْنَ لَا قُرْبَ رَدْمَانَ
 وَخَطَّكَ خَتْمَهُ عِلْمَهُ وَعِلْوَانَ
 وَآلَهُ وَالصَّحَابَةَ كُلَّ الْأَحْيَانَ

وأمرني المولى المعان أن أجيب عليه بهذا الأسلوب فكتب ما يأتي:

طَلَبْنَا اللَّهَ ذِي يَنْزِلُ وَيَرْفَعُ
 وَذِي يَرْحَمُ وَذِي يَخْرُقُ وَيَرْقَعُ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَدَدَ مَا الْبَرْقُ لَعَلَّعُ
 وَبَعْدَهُ يَا رَسُولِي سِيرَ وَاهْرَعُ
 وَإِنْ حَصَلَتْ عَبْدَ اللَّهِ تُوقِعُ
 وَعَادَ النَّاسَ حَدَّ يَنْهَبُ وَيَطْمَعُ
 وَحَدَّ سَدُّوا طَرِيقَهُ أَيُّنَ يَجْزَعُ
 وَنَا يَا حَالَ لَا هَايِبَ وَلَا أَفْرَعُ
 كَفَانَا فَخْرَ لَوْ قَالُوا لَكَ اسْمَعُ
 وَإِنْ عَانَ الْمُهَيِّمِينَ قُلْتَ بِهِ قَعُ
 وَمَاشِي عُذْرَ بَارُوحَ وَبَا أَرْجَعُ
 وَجَيْشَ التُّرْكَ بِيَّحْمِلُ وَيَرْفَعُ
 وَذِي إِنْ قَالَ لِلْمَخْلُوقِ كُنْ كَانُ
 وَذِي يَنْشِي سَحَابِيبَ تَرْسَلُ امْزَانَ
 عَلَى طَهَ نَبِيِّ الْإِنْسِ وَالْجَانُ
 وَشَلَّ الْخَطَّ لَهُ مِنْ حَيْدِ شَمْسَانَ
 وَقُلْ لَهُ بَايَعُ لِلثُّوبِ صِبَّانُ
 وَحَدَّ دَاخِلَ عَدَنُ يُفْتَقُ عَلِيمَانَ
 وَحَدَّ سَوَى بَضَاعَةَ لَهُ وَدُكَّانُ
 فَعَلْنَا بِكُلْنَا وَاللِّي خَفِي بَانَ
 خَبَرَ حَرْبِ ابْنِ مُحْسِنَ وَابْنِ عَثْمَانَ
 سَجَعَ فَوْقَ الْكَزَابَةِ قُمْرِي الْبَانَ
 قُدَا الْحُوطَةَ وَسِي لِلْحُكْمِ دِيْوَانَ
 وَيَرْجَعُ مَاوِيَهُ مَقْطُوعِ الْآذَانَ

فَمَنْ قَصَّرَ قُصْرُ مِنْ هَوْنٍ اهْتَانُ
 وَمَدْفَعْنَا يَحْدِي خَلْفَ سُفْيَانُ
 وَلَا رَبَّكَ وَهَبْ لَهُ عَقْلَ لُقْمَانَ
 وَبَايَدَا الَّذِي فِي الْحَيْدِ بَرْدَانُ
 مِنْ اجْسَامِ الْهَمَاشِرِ ذِي بِالْأَطْيَانُ
 قَبْلُ مِنْ مَيْفَعَهُ لَا حَيْدَ رَدْفَانُ
 وَحَقَّ اللَّهُ مَا ابْنُهُ بَاتَ نَدْمَانُ
 مَلِكُ أُمَّ الْقُرَى ذِي قَامَ بِالشَّانُ
 وَصَلَّ لَمَّا الْمَدِينَةَ يَطْفَحُ الْحَانَ
 وَنَتَلَّهُمْ زَوْنُهُمْ ذِي بِالْأَثْبَانُ
 وَقَامَ الشَّرْعُ سَا مُصْحَفٍ وَقُرْآنُ
 قَضَاهَا اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ مِيزَانُ
 مِنَ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ خَيْرَةَ إِنْسَانُ
 وَحَدَّ يَذْكُرُ شُجُونَهُ بَاتَ حَزْنَانُ
 وَقَدْ حَانَ الْقَضَاءُ قَامُوا لَهُ الْآنُ
 وَمَرَكَبٌ بَعْدَ مَرَكَبٍ وَأَلْفُ رُبَانُ
 وَهَذَا قَالَ شُبَّهٌ وَازْكِيمَانَ

وَذِي فَاعِلٍ مَعَهُ سَكَّيْنٍ يَقْطَعُ
 تَجَمَّلُ قُلُوبٌ لِيَاغِ عَيْبٍ تَقْنَعُ
 وَخَضَمِي مَا مَعَهُ شَيْءٍ قَوْمٌ تُبَعُ
 وَعَادَ الشَّمْسُ بِاتِّشْرِيقٍ وَتَطْلَعُ
 وَعَادَ الطَّيْرُ بِاتِّنْهَشٍ وَتَشْبَعُ
 وَذِي عَادَهُ يَبَا الْمَنْفُوعِ يَنْفَعُ
 بِدَالِ الْوَاحِدِ بَا يَدْفَعُ أَرْبَعُ
 وَشَيْءٍ جَاكُمُ خَبْرٌ سَبَطَ الْمَشْفَعُ (١)
 مَلِكُ مَكَّةَ وَمَا جَاوَزُ وَمَطْلَعُ
 وَخَلَا بُقْعَةَ الْأَثْرَاكِ بَلْقَعُ
 وَكَسَّرَ كُرْسِي الْقَانُونَ الْأَشْنَعُ
 وَذِي عِبْرَةٍ لَهُمْ تَزُجْرُ وَتَرْدَعُ
 فَإِنَّ اللَّهَ مَا يَطْرُدُ وَيَدْفَعُ
 وَهَبْ بَعْضَ الْعَرَبِ يَحْشِدُ وَيَجْمَعُ
 كَمَا أَنَّ الْهَمْشَرِيَّ كَمْ نَاسٍ قَرَّعُ
 وَعِلْمُ الْحَرْبِ مَدْفَعٌ بَعْدَ مَدْفَعُ
 وَذَا يَفْقَعُ وَذَا يَقْرَحُ وَيَضْقَعُ

(١) الملك الحسين بن علي رضي الله عنه. المؤلف.

جَمَعَهَا مِنْ سِيَامِهِ لَا خُرَاسَانَ (١)
 وَجَابُوا سُودَ مَنْ يَمُّ وَمَنْ يَمُّ وَسُودَانَ
 يَسِيلُ الدَّمُ يَوْمَ الْحَرْبِ وَدِيَانَ
 وَبَا يَبْصُرُ لَهَا مِنْ لَهَا أَعْيَانَ
 وَعَادَ الْجَيْشَ لِلشُّوفَاتِ رَغْبَانَ
 إِلَى يَافِعِ إِلَى حَمِيرٍ وَهَمْدَانَ
 مَنْ اسْتَعَجَلَ نَدِيمٍ مِنْ صَوْنِ أَصْتَانَ
 رُغُودٍ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ شَنْتِ أَمْرَانَ
 وَمَنْ لَازِمَ طَرِيقَتَهُمْ بِإِحْسَانَ

وَجَيْشِ الْإِنْكَلِيزِيِّ أَيْنَ يَجْزَعُ
 وَأَهْلِ الصِّينِ لَفَلْفَلُهُمْ وَوَزَعُ
 وَجَابُوا حَمْرًا مِنْ شَافٍ يَفْجَعُ
 وَعَادَ الْحَرْبِ بِاتِّصَالِي وَتَقْرَعُ
 فَلَا بَعَّ صُلْحٍ شَيْ مَسْهُونَ يُوقَعُ
 وَتَالِي مَا صِنِّي بَا أَكْتَبُ وَبَا أَرْفَعُ
 تَمَهَّلْ لَا تَقَعُ مَعْجُولٍ فَيَسَعُ
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى أَحْمَدَ مَا تَقَعَّقَعُ
 وَاللَّهُ كُلُّهُمْ وَالتَّابِعِ اتَّبَعُ

وللحاج أحمد بن إبراهيم الجبشي في واقعة لحج. الأبيات الآتية:

وَسُكَّانًا أَصَابَهُمْ أَنْهَزَامَا
 عَفَّتْ إِلَّا الدَّعَائِمَ وَالثَّمَامَا
 وَأَتْرَاكَ شَوَارِبُهُمْ زَمَامَا
 وَفِي جَدْبِ السِّنِينَ لَهُمْ عَمَامَا
 عَلَى مَا الدَّهْرُ خَانَهُمْ عَلَى مَا
 أَلَا حَيِّ الْمَنَازِلِ وَالخِيَامَا
 مَنَازِلٌ قَدْ خَلَّتْ عَنْ سَاكِنِيهَا
 مَحْتَهَا مَدَافِعٌ وَرِجَالٌ قُطِرِ
 وَكَانُوا لِكُلِّ مَلْهُوفٍ غِيَاثَا
 فَخَانَهُمُ الزَّمَانُ فَلَسْتُ أَدْرِي

وبلغت أبياته إلى عدن فأجابه الأمير صالح بن سعد بن سالم بالأبيات

الآتية:

(١) سِيَامِهِ: هو الاسم القديم لـ «تاييلاند».

وَهَلْ أُعْطِيَ لِمَنْ ذَهَبُوا ذِمَامَا
 وَهَلْ أَعْدَاؤُهُ إِلَّا الْكِرَامَا
 فَيُوسِعُهُمْ هَلَاكًا وَأَنْتِقَامَا
 وَكَانَتْ فِي الْعُلَا أَبَدًا تَسَامِي
 يُوَلِّي أَمْرَهُ قَوْمًا طَغَامَا
 عَجِيبٌ يَسْتَبِينُ لِمَنْ تَعَامِي
 فَلَا عَتَبًا تَزِدُهُ وَلَا مَلَامَا
 وَحُكْمًا جَارِمًا مَاضٍ تَمَامَا
 لَكَانَ بَقَاؤُنَا حَتْمًا دَوَامَا
 وَنُلْقِمُهُ إِذَا اشْتَدَّ الْحُسَامَا
 فَهَلْ كَانَ الْوَفَا فِعْلًا حَرَامَا
 دَعِ الدُّنْيَا وَدَعِ عَنكَ الْحُطَامَا
 وَحُسْنُ الظَّنِّ بِالرَّحْمَنِ قَامَا
 فَتُلْقِي عَن لَطْفِي الْهَيْجَا اللَّثَامَا
 وَتَمَلَا الْجَوِّينَ عَكْرٍ قَتَامَا
 نِظَامًا زَا حِفًّا يَتَلَوْنَ نِظَامَا
 مَدَا فِعْنًا فَتَضَطَّرُّمُ اضْطِرَامَا
 جَزَاهُ حَيْثُ يَخْزُونَ النَّدَامَا
 عَلَى حُسْنِ الصِّفَا فِينَا أَقَامَا

وَوَقِيتَ الْجَهْلَ هَلْ لِلدَّهْرِ عَهْدُ
 وَهَلْ صَافِي الْمُلُوكِ عَلِمْتَ يَوْمَا
 يُخَوِّلُهُمْ رِيَاشًا ثُمَّ يَغْدُو
 عُرُوشًا نَلَّهَا ذَهَبَتْ وَبَادَتْ
 وَكَمْ مِنْ صَالِحٍ وَكَبِيرِ قَوْمٍ
 وَفِي حَرْبِ الْإِمَامِ وَالْحَرْبِ
 كَذَا شَأْنُ الزَّمَانِ عَلَى بَيْنِهِ
 قَضَاءٌ مُبَرَّمًا لَا شَكَّ فِيهِ
 وَلَوْ أَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى كَرِيمٍ
 سَنُعْطِي الدَّهْرَ إِبْرَامًا وَنَقْضًا
 وَفِينَا بِالْعُهُودِ لِمَنْ عَهْدُنَا
 إِذَا كَانَ الْوَفَا شَرَفًا وَعِزًّا
 لَنَا فِي اللَّهِ ظَنُّ مُسْتَبِينٍ
 قَرِيبًا تُصْبِحُ الْغَارَاتُ تَشْرِي
 وَتَدْنُو الْحَيْلُ مِنْ لَفْحِ الْمَنَايَا
 وَيَبْدُو مُكْفَهَرٍ الْمَوْتِ قَسْرًا
 تَرَى النِّيِّرَانَ تَقْذِفُهَا رُجُومًا
 هُنَا كَمْ يَنْدَمُ الْجَانِي وَيَبْدُو
 وَبُشْرًا لِلْوَفِيِّ وَمَنْ نَرَاهُ

وكتب المؤلف بعد الصلح هذه الأبيات: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾
 أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ
 حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ
 النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴿١٧﴾.

هَبُّوا لِحُجِّ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَا	فَقَدْ كَشَفَ السُّرُورَ لَهَا اللَّثَامَا
وَقَدْ ذَهَبُوا أَعَادِيهَا جَفَاءً	وَوَضَّلَ مُلُوكُهَا فِيهَا دَوَامَا
هَبَاءً يَذْهَبُ الزَّبَدُ وَيَبْقَى	بِهَآ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ الْكِرَامَا
فَهَا لِحُجِّ تُحِيِّي ابْنَ فَضْلِ	وَصَنَعَا الْيَوْمَ تَعْتَبِقُ الْإِمَامَا
وَهَا الْأَثْرَا فِي عَدَنِ أُسَارَى	وَقَدْ تَرَكُوا الْمَنَازِلَ وَالْخِيَامَا
وَقَدْ بَاعُوا الصَّوَارِمَ وَالْعَوَالِي	فَقُلْ لِلدَّهْرِ خَانَهُمْ عَلَى مَا

وفي ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٥ هـ دعا الميجر جنرال جي إم استيورت عدداً كبيراً من الضباط العسكرية والملكية وقناصل الدول وأعيان عدن لحضور احتفال تقديم حسام الشرف للسلطان عبد الكريم المهدي إليه من اللورد ويلنجدن والي ولاية بومباي. ولما غص المكان بالأعيان ألقى الجنرال استيورت في المجتمع الخطاب الآتي:

يا حضرة السلطان عبد الكريم والجنرال دولتن والضباط والأعيان، إنكم تعلمون بشهرة الخدم السابقة التي أدتها العائلة العبدلية، ففي أثناء النيّف والسبعين سنة التي قضوها حلفاء للدولة كان الوفاء والمودة سجايا ملوكهم، ومن جملة

الأمرء الأجلء من العائلة المذكورة بدون محابة نشير على الخصوص إلى خدمات المرحومين السلطان فضل بن علي، والسر أحمد فضل، والمأسوف عليه السر علي بن أحمد بن علي الذي فَقَدْنَا حديثاً مساعدته الثمينة جداً التي بذلها من صميم فؤاده. أما خدمات الحاكم الحالي أعني السلطان عبد الكريم بن فضل بن علي المقيم الآن بعدن، فإنها مما لا يُقَدَّر له ثمن، مع أن وجوده هنا شؤم عليه، ولكنه سَعَدُ علينا. ومن دون مباحاة أقول: إن أعماله الشاقة في مراسلاته مع أهل البرِّ قد حفظت جداً مصالح كلا الطرفين، وقد أعاننا في تشكيل شردمة من رجاله الذين هم الآن مشاركون في العمل ضد العدو. فسعادة اللورد ويلنجدن والي بومبي سمع بخدماته، وإقراراً باعتراف الدولة تكرم سعادته بإهداء حسام الشرف لسمو السلطان المذكور. وقبل أن أقدم لكم السيف يا سلطان عبد الكريم أحب أن أضيف كلمة من ذات نفسي، فأقول: إني أنا وأسلافي وكل من اتلف مع عائلتكم الكريمة بهذا المقام مرتاحون جداً لإقرار الامتيازات الممنوحة لجنابكم، ونسأل الله الكريم أن يرينا عاجلاً رجوعكم إلى مملكتم التي سيكون غيابكم عنها مؤقَّتاً.

واسمحوا لي باسم سعادة اللورد ويلنجدن، أن أسلم لكم السيف وأتمنى لكم طول العمر في تقلده، وأن تنالوا أضعافاً من الشرف زيادة على ذلك. اهـ.

ثم قام سمو السلطان عبد الكريم فتلا الخطاب الآتي:

أيها الجنرال استيورت والجنرال دولتين والكولونل جيكب والضباط والأعيان الحاضرون، إني لا أدري كيف أشكر سعادة والي بمبي اللورد يلنجدن

شكرًا كافيًا على إهدائه حسام الشرف إلي. بل على إظهار تحننه نحوي. وإني كذلك أظهر ثنائي لكم يا حضرة الجنرال استيورت على ذكركم بالإطناب الخدم الصادرة من أسلافي في الماضي، والعمل الحقير الذي صدر مني في أثناء إقامتي الوقتية هاهنا. فإني حقيقة مغمور بالإحسان الذي بذلتموه وأسلافكم وصديقي الكولونل جيكب، فالجميع قد قام بالممكن لتطبيب خواطرنا في ملجانا، وإني لم أتوقع مثل هذه الهدية الكريمة من الدولة مع أنه خطر ببالي أن أعمل القليل الذي في استطاعتي عمله لمساعدة الدولة، وإنه ليسوءني حالة كوني في الحالة التي أنا فيها مبعد عن وطني وعن قبائلي لست قادرًا على القيام بما هو فوق ذلك، ولكنني أشعر بتسلية عظيمة لأن الدولة وجنابكم استحسنتم وفائي، وأن ذلك إرث ورثته عن عائلتي، وإني أرجو بمعاونة الله الكريم أن أتمكن من إقامة البراهين الدائمة على الإخلاص الذاتي، وإني لا أشك في أن هذه الحرب الهائلة ستنتهي بالظفر لجلالة الملك الإمبراطور وحلفائه الأبطال، وأن الدول ذات المقاصد السيئة ستنال العقاب الذي تستحقه، وأشكر جميع الحاضرين لتشريفهم هذا المحفل. اهـ.

وفي شهر جمادى الأولى ١٣٣٦ سافر السلطان عبد الكريم فضل إلى البلاد المصرية بدعوة من نائب ملك بريطانيا العظمى لمقابلة صاحب السمو الملكي (الديوك أوف كونت) وقد حضر إلى مصر خصيصًا من قبل جلالة الملك ليقلد رجال دولته وأصدقاءها الأوسمة والنياشين بالنيابة عن الملك، فسافر سموه وبمعيته أخوه الصنو محسن فضل بن علي وابن عمه أحمد منصر محسن والشيخ

محمد فضل العزيبي والأمير صالح بن سعد بن سالم. ومن طرف حكومة عدن الميجر ريلي^(١)، وأقام بمصر أيامًا محوطًا بكل إكبار وإكرام.

وفي أثناء هذه الأيام دُعِيَ مرة إلى غرفة البرنس الديوك أوف كونت في دار النيابة البريطانية، ومرة أخرى للاحتفال لتقليده (نشان إمبراطورية الهند من الدرجة الثانية كي سي آي مع لقب سر). ودعي مرة ثالثة لوليمة أُوْلِمَتْ في دار النيابة حضرها عظماء مصر.

وسلطانها^(٢) يومئذ جلاله فؤاد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا ورجال دولته، ونائب جلاله الملك بمصر حينذاك (السر وينجت باشا) والميجر جنرال استيورت والي عدن والميجر ريلي رفيق السلطان عبد الكريم في سفره والصنو المرحوم محسن فضل. ثم قابل عظمة سلطان مصر في قصر عابدين ونال من الإكرام والإجلال ما يليق بمقامه. وفي أثناء هذه المقابلات وَصَّحَ السلطان عبد الكريم للمعتمد البريطاني وجوب ضم القسم الشافعي من اليمن إلى القسم الزيدي تحت سيادة الإمام يحيى. وكان بعض أولي الرأي من العرب والإنكليز يميلون إلى عدم ضم القسم الشافعي من اليمن إلى حكم إمام صنعاء،

(١) هو والي عدن الآن، وهو على جانب عظيم من اللطف والهمة ومحبة العرب والإمام بسائر أحوالهم. (المؤلف).

قلت: وأيُّ حُبٍّ ولطفٍ، وهو مستَعْمِرٌ باغٍ مغتصبٌ للأرض وخيراتِها ومضطهدٌ لأهلها وأحرارها!!

(٢) هو حضرت صاحب الجلالة الملك المعظم أحمد فؤاد، كبير الإسلام وحمي شريعة سيد الأنام صاحب النيل والأهرام أيده الله بنصره ووفقه لإعلاء كلمته وأقر عينه بسمو ولي عهده الأمير فاروق وحفظ سائر أفراد الأسرة الملكيّة الكريمة. المؤلف.

ويستحسنون إعانة الشوافع على الاستقلال التام عن السلطة الزيدية، وكان السلطان عبد الكريم والمرحوم الصنو محسن من ألد خصوم هذه الفكرة احتفاظاً بوحدة اليمن تحت سلطة واحدة، هي سلطة إمام صنعاء، ولولا ما قاما به من الجهود الجدية كما يعلمه عارفو الحقائق من المشتغلين بالقضية العربية وعلى الخصوص قضية اليمن، لكانت للشوافع اليوم دولة في اليمن على رأسها ملك مستقل، وتفصيل ذلك عند الذين ساهموا في قضية اليمن، وَحَدَّ اللهُ صَفُوفَ الْجَمِيعِ وَقَضَى عَلَى أسبابِ الْفِرْقَةِ، وَأَلْهَمَ الْقَائِمِينَ بِالْأَمْرِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ الْيَمَنِ الْحُكْمَ بِالْعَدْلِ وَالسُّوِيَّةَ بَيْنَ الْجَمِيعِ بِلَا فَارِقٍ بَيْنَ سُنِيِّ وَشِيعِيِّ أَوْ شَافِعِيِّ وَزَيْدِيِّ أَوْ تَهَامِيِّ وَجَبَلِيِّ، ثُمَّ عَادَ السُّلْطَانُ عَبْدُ الْكَرِيمِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى عَدَنِ فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي ٢٥ مِنْ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ.

* * *

الفصل الثامن عشر

بعد الضيقِ فرَجٌ. حديثُ الهدنة. اعترافُ علي سعيد بانهزام دولته. الهدنةُ المزورةُ. الإمامُ يدخل في الموضوع. الشافعيةُ يتمسكون بالدولة العثمانية. علي سعيد يصير على التسليم. محمود نديم يخدم فكرة الإمام.

* * *

صَافَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

في ظهر يوم ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٦هـ (الموافق ٣١ سبتمبر سنة ١٩١٨م) شاع في عدن أن الهدنة عقدت بين دولة تركيا ودولة بريطانيا وحلفائها وتحققت الإشاعة في مساء ذلك اليوم.

وفي صباح اليوم التالي كتب صاحب السمو السلطان عبد الكريم إلى الميجر جنرال استيورت والي عدن قال: إنني في قلق عظيم منذ البارحة لعدم إشعاري بكيفية قبول الهدنة مع بقاء بلادنا تحت يد الأعداء.

وفي الحال أجابه الجنرال استيورت بقلم يده بما مضمونه:

أن الذي بلغني رسمياً هو أن الهدنة عقدت أمس بين تركيا وبريطانيا وحلفائها، ولم أتلق أدنى تفصيل، إنما مما لا ريب فيه أن معنى الهدنة هو أن تركيا قبلت جميع شروط دولتنا. وفي تلغرافات اليوم العمومية أن تركيا سلّمت بلا قيد ولا شرط. وإني

على يقين من أن جنابكم ستكونون قابضين على زمام مملكتكم في أقرب وقت.
وأرسل الجنرال استيورث خبر الهدنة رسمياً إلى علي سعيد باشا مع أحد
العبادل وهو عبد الله بن علي بن أحمد البان من أهل الحمراء الذين هاجروا مع
سلطان لحج ولكنه تأخر لسبب أن الأتراك قبضوا عليه في دار عبد الله بن أحمد،
وأمره بالمبيت هناك إلى صباح اليوم التالي حين أذن له علي سعيد باشا
بالوصول إليه.

وكان اللفتنت كولونل (اس جي دبليو هوم) أمير ميون وقد أبلغ حقي بك
قومندان باب المنذب ما ترجمته^(١):

سيدي العزيز،

إذا كنتم إلى الآن لم تأخذوا خبراً فإني أفيدكم أنه بناء على أمر الحكومة
الإنكليزية المؤرخ (٣٠) تشرين أول سنة ١٩١٨ صار التبليغ من رئيس قومندان
البحرية في البحر الأبيض في (٣١) تشرين أول سنة ١٩١٨ وقت الظهر مضمونه:

إن الهدنة عقدت بين الدولة العثمانية ودولة الإنكليز وحلفائها وقد أعلنت
الكيفية إلى جميع الجهات بتوقيف المحاربة. ونظراً لأحكام هذا التلغراف فإن
الصلح سيكون في أقرب وقت حسب ظني وتخميني، فبالطبع إن وقوعها إنما
لأجل إجراء المذاكرات الصلحية خاصة وإني أعرض هذا التلغراف مع إبرازي
الود الصميم لكم وإني بكل سرور سأقبل كل من يرغب الوصول من ضباطكم
إلى ميون بالصورة الودية وسيعاملون أحسن المعاملة.

(١) راجع الأصل التركي رقم (١) في آخر الكتاب.

وتفضلوا بقبول فائق احترامي ،

صديقكم القائم مقام

هوم

ورفعه قومندان^(١) باب المنذب من حينه إلى علي سعيد باشا قومندان لَحْجِ
جواب أمير اللواء علي سعيد باشا لقومندان مَيُون^(٢) .

منطقة الحركات قومندا نلخي أركان حربية سي قسم ٣٠ / ٨ / ٣٣٤ لحج
بواسطة باب المنذب إلى جناب قومندان مَيُون^(٣) القائم مقام هوم دام بَقَاه، تناولت
بيد السرور تبليغكم المشعر بعقد الهدنة بين الدولة العثمانية وبين دولة إنكلترة
العظمى وحلفائها بتاريخ ٣١ تشرين أول سنة ١٩١٨ ثم وصلنا التبليغ المذكور
بعينه بعد مرور ثلاثين ساعة من طرف حضرة والي عدن مؤيداً إشعاركم. فأشكر
اهتمام جنابكم على سبقكم. وأيضاً أقدم لكم تشكراتي الخاصة على تلتفكم
بالمساعدة لمن يرغب الوصول من ضباطنا إلى مَيُون لأجل المزاورة، وقد أمرنا
ضباطنا بدخول من يرغب منهم كما أننا أمرناهم بالاجتناب عن كل ما يسوء
الطرفين. فرجو من الباري التوفيق بعقد صلح شريف مديد ودمتم محروسين.

قائد الجيوش العثمانية بلحج

أمير اللواء

علي سعيد

(١) أي: مسؤل.

(٢) نقلاً عن الأصل العربي. المؤلف.

(٣) تقدم التعريف بـ«مَيُون».

ولما كان علي سعيد باشا موقناً بسوء خاتمة ألمانيا وحلفائها لما يتلقاه من الأخبار الصحيحة. وبما أنه ليس له غرض غير خدمة دولته والقيام بواجبه العسكري كما يلزم الناموس والشرف، ورأى أنه قد أتم ما عليه من الواجبات لم يشأ أن يعطل خدماته بمخالفة أوامر الدولة في الوقت الذي وجب عليه أن يعاونها أيضاً بالإذعان لأوامرها، وأن يجري عليه ما جرى عليها، وبما أن الإصرار على العناد والاحتفاظ بلحج بعد انتصار جيوش الحلفاء في جميع الميادين الكبرى سينتهي ولا بد بإكراه علي سعيد على التسليم أو إخراجه من لحج مشيئاً بفضيحة الهزيمة، فلذلك لم يتردد في قبول أمر الجلاء عن لحج والتسليم لأقرب والي إنكليزي بحسب الأوامر التي وصلت إليهم من أحمد عزت باشا، التي أكد فيها غاية التأكيد أن التهلكة محققة إذا لم يسلموا. فتوجه علي سعيد باشا بنفسه إلى عدن لمقابلة الجنرال استيورت وتحقق وقوع الهدنة ومغلوبية دولته، وكتب في ٤ تشرين ثاني إلى قائمقام الحُجْرِيَّة تلغرافياً ما ترجمته^(١):

من سعيد باشا إلى قائمقام الحجريّة عبد الوهاب نعمان بك.

نفيدكم مع الأسف أن الدولة العلية وحلفاءها قد تحقق انكسارهم، وأن الألمان عقدوا الهدنة وتوقفت الحرب العمومية. والسبب الوحيد لهذا الانكسار هو أن إخواننا العرب أهل الحجاز وفلسطين وسورية والعراق قاموا على حكومتنا السنوية بالحرب، واشتركوا مع العدو فعلاً، وقد قبلت دولتنا اضطراراً سرعة إخراج عساكرها التي في اليمن وعسير والحجاز وفلسطين وسورية والعراق

(١) راجع الأصل التركي رقم (٢) في آخر الكتاب. المؤلف.

كما هو في شروط الهدنة. وبما أن حكومتنا قد أعطت الحكم القطعي بذلك فنحن مجبورون على ترك تربة اليمن المقدس وأهله إخواننا المجاهدين المحترمين الذين اشتركوا معنا منذ أزيد من أربع سنين^(١)، وإن كنا نفدي بأرواحنا ودمائنا في سبيل المحافظة على تلك التربة المقدسة، ولكن من حيث إن حضرة الإمام مخالف للأمر ولسرده بعض الأسباب ابتدأت المخابرة مع «دار السعادة» في هذا الباب، وستكون الحركة ضرورية بموجب الأوامر الصادرة والجواب الذي سيؤخذ.

فإذا نحن تركنا هذا اليمن المقدس فإننا نتمنى لإخواننا في الدين الاتحاد والاتفاق التام، وأن لا يقبلوا تولية النصارى قطعياً لكون على الدوام في سلوان بحسن فعلهم ولو سمعاً. وقد امتنت لبيانكم من أنكم ستعاونونا وستخدمونا.

أما والي اليمن وقومندانها فمن يوم وصولهم إلى منطقتنا (أورثوا السكته) لإدارة وإعاشة عساكرنا بحصرهم عموم التحصيلات والقروض لنفوسهم النفيسة، وتعقبوا المسلك الذي يهدد بمجاعة منطقتي، ولكنكم ستجعلونني ممتناً للغاية فيما إذا عاوتنمونا بخمسة أو ستة آلاف ريال، وسأرسل لكم حالاً سنداً مخصوصاً بذلك، لأن ضباطنا وعساكرنا متضايقون، وفي حاجة إلى الدرجة النهائية، وهؤلاء أبناء العثمانيين الذين دافعوا عن هذا اليمن المقدس بدمائهم وأرواحهم، وقد أصبحوا اليوم مُعَرَّضِينَ للأمراض والجوع والعُريِّ، فإذا قدمتم له خيراً ليكون نهاية لخدماتكم فسيطر اسمكم جلياً في التاريخ. وإذا لم تقدرُوا على

(١) كان إخلاص شوافع اليمن للأتراك لسبب لا يخفى على من يعرف اليمن. (المؤلف).

هذه المعاونة فأكتفي أن أقابلكم بالشكر لخدماتكم التي قد بذلتموها نحونا إلى الآن ودمتم. حرر في ٤ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ هـ.

أما الوالي محمود نديم بك وأحمد توفيق قومندان الفَيْلَقِ (١) وأشياعهما فأظهروا أنهم ارتابوا في صحة التبليغ، وزعموا أن إشاعة الهدنة تزوير وخديعة من الإنكليز، وعاتبوا علي سعيد باشا لمقابلته والي عدن الجنرال استيورت، ورماه بعضهم بالخيانة، فأشاعوا في اليمن خيانة علي سعيد باشا وميله للأعداء. وكتب أحمد توفيق قومندان الفيلق إلى علي سعيد باشا تلغرافياً ما ترجمته (٢):

من قومندان الفيلق إلى علي سعيد باشا.

ج (٢٤) تشرين أول سنة ١٣٣٤ رومي، إن التلغراف المرسل من مِيُون إلى المَنْدَب ومنها مفتوحاً إليكم الذي رفعتموه إلينا لم يكن فيه شيء عن شروط الهدنة غير أنه يذكر وقوعها فقط. فمثل هذه الإشعارات الواصلة من المصادر الإنكليزية يحتمل أن تكون غالباً مصطنعة من طرف العدو الذي يعمل لأجل إحداث الثورة في اليمن حتى يتيسر له استرداد لحج، فكان يجب تكذيبه وَرَدُّهُ ما لم يصل الأمر من مركز سلطنتنا، وأنتم بالعكس أشغلتكم الأفكار ونسيتم أن من يتواجهون في المناطق المحايدة هم مندوبو الأمة من الطرفين فقط، فمساعدتكم بوصول أركان وأمراء الإنكليز إلى نقطة صَبْرٍ وحتى دخولكم عدن بخلاف أمرنا مع أركان حربكم

(١) الفَيْلَقِ: يطلق على الكتبية الكبيرة الضخمة.

(٢) راجع الأصل التركي رقم (٣) بآخر الكتاب. المؤلف.

وياوركم^(١)، وزعمكم صحة الأقوال الطبيعية التي سمعتموها من قائد العدو وإلقاء معيتكم في الخوف والتشويش، واقتراحاتكم الغير صائبة على من هو فوقكم، كل هذه لا يأتلف بأي صورة مع المبادئ العسكرية بالخصوص مع القيادة، وقد وصل الإشعار بعينه إلى منطقة تهامة وأجيب عليه حتى من أحد اليوزباشية جواباً يليق بالعسكري، وكما هو واقع في سائر المناطق المُعَسَّكِرُ بها فيلقنا، وكذلك الأفراد والضباط والأمراء في لحج يحبون وطنهم، وبمدافعاتهم الفعالة وبتضحياتهم المستمرة أثبتوا أنهم لا يقبلون الإهانة، وإني قانع بأنهم لا يتقهقرون شبراً عن خطواتهم التي تقدموها، وأنهم ليسوا من أولئك السُّدُج الذين تنطلي عليهم حيلُ العَدُوِّ ودسائسه الثابت أمثالها مراراً، وأن كل واحد منهم يفهم الحقائق، فليس هنالك ما يوجب قَطُّ إنزال عيالهم وعائلاتهم المتفرقة في مختلف البلاد إلى السواحل بهذه السرعة، فأنا والوالي والركن الأعظم للإسلام وهو حضرة الإمام الذي اتفق مع الحكومة موجودون هنا، ونحن نعتبرهم كلهم أولادنا، ونحن المسئولون عنهم مادياً وأدبياً إذا وقع حال مثل ذلك لا سمح الله.

أما الضباط الآن فليس لهم أن يفتكروا في غير العدو الذي أمامهم ووطنهم وواجباتهم العسكرية، حافظوا على ثباتكم كما أمرناكم قبلاً، فأنتم وحدكم المسئولون مادياً ومعنوياً عن العواقب الوخيمة التي تنتج إذا فعلتم شيئاً من ذات أنفسكم بدون أن نأمركم، وبناء على الأمر الصريح القطعي الذي سيصل من حكومتنا بالشفرة، وأما مسألة الفلوس التي اقترضناها من «العُدَيْن» أعطينا القسم

(١) أي: حارسكم وكلمة ياور تعني «حارس» بالتركي.

الأعظم منها إلى منطقتكم، والذي تحصلنا عليه من «زبيد» من قرض وغيره أعطي منها ثمانية وأربعون ألف ريال لإعاشة العساكر الجائعة في تهامة لمدة كم شهر، والعشرون الألف الباقية للمأموين الملكية في صنعاء والعساكر الموجودة في المركز، وإعاشة عائلات الأمراء والضباط الموجودين في مختلف المناطق، والذين تراكت مرتباتهم من أربعين إلى خمسين شهراً، فالمائتان والثلاثمائة ألف ريال التي سمعتم عنها من أفواه أفراد العسكر ومن أفواه بعض الناس لو كانت هي من زَلَطٍ (١) الحجارة لا يمكن جمعها، فإيمانكم بمثل هذه النقولات وعدم اعتمادكم على أمركم الذي تعهد من كل الوجوه مقررات هذا الفيلق، ليس فقط لا يتفق مع المبادئ العسكرية، بل لا يتفق مع أي مسلك آخر، فالقسم الأعظم من أموال لواء تَعَزٍ وخصوصاً سبعة آلاف وخمسمائة ريال من محمد ناصر باشا وأموال لَحْجِ الزراعية والجمركية، كل هذه تركت إلى منطقتكم، ولم نسألكم عنها حساباً، ولولا حصول اللزوم القطعي لمواجهة حضرة الإمام لشرعنا في إجراء التحقيق والتفتيش عن كل هذا لأجل إظهاره، وإذا كان العساكر حسب إشعاركم جياً وعرايا فذلك لأنه قد وقع سوء الاستعمال في هذه الأموال.

وخلاصة القول أن الزمان غير مساعد للمناقشات القلمية الطويلة العريضة نأمركم بالانقياد إلى الأمر وبالطاعة العسكرية.

قائد الفيلق

أحمد توفيق

(١) كانوا يطلقون على الأموال النقدية «زَلَطٌ».

وأَبْرَقَ أحمدَ توفيقَ إلى علي سعيد باشا صورة كتاب زعم أنه وصله من

طرف الإمام يحيى ونصه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضرة قومندان الفيلق الهمايوني الهمام الأكبر أحمد توفيق حرسه الله. شريف السلام التام ورحمة الله صدورها، بعد اطلاعنا على ما وصل إلينا من مقام الولاية ومنكم نقلاً عما رفعه حضرة قومندان منطقة لحج علي سعيد باشا، وما معه من مواد المتاركة ومن التبليغ المحرر إلى حضوركم بالشفرة من حضرة عزت باشا، وصورة ذلك بامضاء المومى إليه عن مسند الصدارة العظمى إلى حضرة قائد لحج، وتأملنا ما فيه الأمر بلزوم تسليم القطعات العسكرية الموجودة بهذه القطعة إلى من يستلمها من طرف حكومة الإنكليز وتعجبنا لذلك كثيراً: أولاً لعدم ورود شيء إلينا من مسند الصدارة. ثانياً أنه لم يرد إلينا ما ذكره قائد لحج من التبليغ من والي عدن. فأنتم تعرفون ما بيننا وبين الحكومة العثمانية من الائتلاف المتعلق ببعض مواد العسكر وغيرهم، مع ما لنا لدى الحكومة من المطلوبات المتكاثرة البالغة مبلغاً عظيماً لا يمكننا معه الإذن بإعزام نفر واحد.

بناء عليه فقد حررنا إخطاراً إلى حضرة والي الولاية وحررنا هذا لحضرتكم إعلماً أن أعزام العسكر من المستحيل، وأنه إن كان منكم أو أحد من معيتكم التصميم على ذلك فلا بد لنا من المنع على أي وجه كان، وقد حررنا تلغرافاً إلى والي عدن وقومندانها، وبيننا له ما ذكر، وأفدناه أنه لم يصل إلينا ما ذكره سعيد باشا من التبليغ، وأنا نمنع أيضاً عزم أحد من الضباط وعائلاتهم، فليكن منكم إغلاق هذا الباب وإجراء الإخطارات الشديدة إلى جميع المأمورين، فإننا لا نريد تكدير

خاطركم لكن للضرورات أحكام، وقد عرفتم ما قمنا به مع الحكومة من لُدن الائتلاف إلى التاريخ ودمتم. والسلام عليكم ورحمة الله.

وكتب الإمام إلى علي سعيد باشا تلغرافياً ما نصه:

من عبد الله الإمام يحيى إلى حضرة قائد المنطقة بلحج سعيد باشا حرسه الله، بلغ إلينا من حضرة الوالي والقومندان باشا عدم حسن تحريرنا إلى والي عدن ذلك التلغراف المرسل بواسطتكم، لذلك أحببنا الإيضاح لحضوركم، اعلموا أنه لما كان الاطلاع على مفاد حضرة عزت باشا وعرفنا مفاد كتابكم إلى حضرة الوالي والقومندان أحمد توفيق باشا، حصل معنا التصميم على القتال حتى الممات من دون خوف ولا مراقبة لغير الله.

وحشدنا القبائل واتخذنا لذلك جميع الوسائل، وأمر^(١) ما إذا أعداء الله الإنكليز هو محفوف بغرابة الكذب، لكنه لما رأينا فيما كتبه حضرة عزت باشا من أنه إن لم يكن التسليم إلى الإنكليز فإن التهلكة محققة، أردنا صون جانب الحكومة ومأمورين اليمن عن مسئولية الدولة، ورضينا تحمل تلك المسئولية، وتلونا قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ ٥٥ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مِمَّن دَابَّتْ عَلَيْهِ الْآهَاءُ أَخَذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥٦ ﴿فمثل هذا يحمل على غير خدمة الدين والوطن، وهل يرضى أحد من أهل الديانة والامتانة الإسراع إلى التسليم إلى الكافرين والدخول تحت ذمتهم وقد بقي له مجال لمنع ذلك، على أن الأمر كما أسلفنا محفوف بغرابة الكذب، ثم إنه لو فرض صدق ذلك الأمر على بُعده، وكان

(١) كذا في الأصل. المؤلف.

منا جميعاً القيام بالدفاع، لكان استحسان ذلك لَدُن الخلافة الإسلامية خصوصاً بعد أن نزهنا الحكومة ومأمورين اليمن من المسؤولية، أما ما في بيننا وبين الحكومة فالطريقة واحدة والمسلك واحد والملة واحدة، ولم نرد التوصل إلى شيء يغير بالحكومة حالاً ومالاً، بل أردنا دفع ذلك كلياً.

أما إذا كنتم مصممين على التسليم كما ظهر من طلب العائلات إلى لحج، فليكن منكم التصريح بذلك، وأي مانع عن إرسال الحكومة هيئة لتبليغ الأوامر اللازمة التي يغلب الظن بصدقها؟ ثم أي مانع للإنكليز عن بث الجرائد الحرة لنشر الأخبار المُدعَاة؟ فالأمر مفتقر إلى دقة النظر وإحالة سَلِيَمَاتِ الفِكْرِ. والسلام عليكم ١٧ صفر سنة ١٣٣٧هـ.

وَأَبْرَقَ بَعْضُ الْمَوْضُفِينَ وَتِجَارَ لَوَاءِ تَعَزَّ إِلَى عَلِيِّ سَعِيدِ بَاشَا مَظْهَرِينَ اسْتِيَاءَهُمْ مِنْ تَغْيِيرِ الْحَالَةِ وَتَبْدِيلِ الْحُكْمِ الْعُثْمَانِيِّ فِي الْيَمَنِ وَتَخَوُّفِهِمْ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ بِمَا نَصَبَهُ:

حضرة القائد الكبير للجيش الإسلامية بلحج سعيد باشا دام نصره.

قد علم العموم أن دولتكم السبب الوحيد لإحياء حفظ هذه النقطة اليمانية عن تعدي الأعداء إليها. وأنها لولا ما أبرزتموه من الثبات والامتانة الدينية وبذل النفس للجهاد في سبيل الله حتى صرتم مظهرًا للتوفيق والنصر الإلهي والظفر الغير المتناهي، فقلدتم أعناق ساكن القطعة اليمانية طوق الامتنان الذي لا يقوم بشكر أقلها الشأن، وأصبحتم شمسًا مشعةً على هذه القطعة يهتدي بنوركم في ليل الخطوب، فاجتذبتكم أزمة القلوب، وحزتم أعظم الأجور من علام الغيوب، وبينما العموم يشكرون فعلكم الجميل إذ شاعت أخبار مفعجة وحركات مدهشة، فأظلم

لِيلُ الخَطْبِ واعْتَكَرَ بعد أن كان فجر الإصباح أَسْفَرَ، وتأيدت تلك الإشاعات بسحب الموجود في المركز من القوة، وتعطيل المستشفى وبيع الأشياء الأميرية، وأخذ الأمراض إلى غير ذلك مما ترى معه الأفكار مضطربة والآراء مشتتة والعقول مختلفة والأخبار غير مؤتلفة، والعموم ناظرون إلى رأيكم الصائب ودهائكم العظيم، واليقين العام بديانتكم وشهامتكم عدم الاعتماد على إلقاءات الأعداء، مع أنه يتصور خديعتهم بكل خبر مشابه للصدق وتزويراتهم غير مجهولة، ولو كان ذلك حقاً فلا يخفاكم حينا للدولة العلية العثمانية قديماً وحديثاً، وارتباطنا بعاصمة الخلافة الإسلامية لا نستبدل به غيره، وقد بذلنا أهالي هذا اللواء النفس والنفيس في المظاهرات والمعاونات بأمر الجهاد والأمل العمومي بديانتكم أن لا تتركوا التبليغ إلى مقر الخلافة بأننا مرتبطون بها وغير منفكين عن سلطتها، ونسألکم بالله أن لا تتحركوا حتى تعلمونا السبب الباعث لترك هذه القطعة هملاً، ويتر عضو من الإسلام، ونرجوكم تسكين روعة العموم بإنبائنا بالنتيجة. وها نحن منتظرون التفاتكم الكلي علينا ببذل مزيد العناية بالمراجعة إن كان لهذه الإشاعة صحة. فرمان ٢٠ صفر سنة ١٣٣٧ هـ ١٧ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي. عن كافة أهالي وأشرف وعلماء:

مدير صبر	محكمة كاتبی	أمين صندوق
عبد العزيز	يحيى بن علي الحداد	عبد الإله
باشكاتب	رئيس بلدية	تجار
محمد	محمد	محمد خياط
تجار	تجار	علماء
نوري	محمد مصلي	عبد الولي

هذا ما ذهب إليه القومندان ووالي الولاية وأشياهم في ارتياهم بصحة الخبر، ورأى العنبري مدير الشيخ سعيد طريقة أخرى، فقد زعم صحة خبر الهدنة وأن الدولة العلية العثمانية اتخذت ذلك حيلة كادت بها بريطانيا وحلفائها سحقت بها أساطيلهم. ولذلك هو ينصح سعيد باشا أن لا يسلم للإنكليز إذا لم يبق حاجة للتسليم. وإليك نص برقيته إلى علي سعيد باشا بحروفها.

غايث مستعجلدر. لحجده منطقة الحركات قوماندا نلغه.

يومنا هذا استخبرنا من بعض المعتمدين بأن بَوَائِرِ أعداء الله الإنكليز والفرانسيين مقدار مائة إلى مائة وخمسين بابورًا نقلي وحربي، قبل أسبوع قصدت «دار السعادة»^(١) سرًّا، يريدون التعرض على جناق قلعة ودار السعادة، وظاهرًا لأسباب المِتَارَكَةِ للمُصَالِحَةِ، ففتح لهم «باب البوغاز»^(٢) ودخلوا لِحَتَّىٰ توسطوا بالبوغاز، وعند توسطهم بالبوغاز حتى جناق قلعة لبعض أسباب ظهرت بتلك الساعة أغلق باب البوغاز، وأطلق عليهم عموم المدافع المرتبة بالبوغاز، فأهلكوا بعضهم في يوم أمس، وصلت هذه الأخبار بمَيُّون سرًّا لأعداء الله والدين، فاشتدت أحزانهم وغضبوا غضبًا هائلًا، وأيقنوا بهلاكهم وأظهروا عويلهم. فنسترحم من دولتكم الإيقاظ لعموم المواقع المرتب بها العساكر لدولتنا المنصورة بالانتباه عن الغفلة، ولأجل المعلومات تجاسرت بالعرض. فرمان ٤

(١) ينظر كتاب «صيرة» ص ٤٠٣ لمُحَيَّرِز.

(٢) وهو المعروف بـ«باب المَنْدَب»؛ لأن «بوغاز» يطلق على معانٍ منها «مضيق المدخل البحري» مما يصدق على «باب المندب».

تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي.

مدير الشيخ سعيد

ناصر عنبري

وأما علي سعيد باشا فإنه أعلن انتهاء الحرب بينه وبين الإنكليز، وأن وظيفته قد ختمت في اليمن، فلا يقبل أن يبقى بصفته محاربًا بدون مأذونية دولته، وأصر على التسليم، كما يتبين للمطلع من الجوابين الآتين اللذين كتبهما لأحمد توفيق ولحسين باشا المتقاعد.

ترجمة تلغراف جواب من سعيد باشا إلى قومندان القول أوردو بصنعاء^(١)
ج ٢٧ تشرين أول سنة ١٣٣٤ رومي.

أن القلاع المهمة والأراضي التي استردناها من الإنكليز مثل قلعة باب المنذب والشيخ سعيد وسواحل المَحَا وَذُبَاب^(٢) وكذا النواحي التسع الموجودة الآن تحت أشغالنا وتأثيرنا وهي:

لَحْجِ وَالصَّبِيحَةَ وَالْحَوَاشِبَ وَالصَّالِحَ وَيَافِعَ العُلْيَا وَالسُّفْلَى وَبِلَادِ الفَضْلِي
تلك النواحي باعتبارها أوسع من لواء تعز في داخل جنوبي اليمن، وعلى الساحل من باب المَنْدَبِ إِلَى شُقْرَةَ ما عدا شبه جزيرة عدن، فجميع هذه الأراضي المذكورة في قبضتنا ونحن المحافظون عليها، وأما البلدان التي تعود تابعيتها إلينا

(١) راجع الأصل التركي رقم (٤) بأخر الكتاب. المؤلف.

(٢) ذُبَاب: بالضم، ولعله «ذُوبَاب» قرية وميناء صغير شمال باب المَنْدَبِ بمسافة (٣٦) كيلو وفيها قلعة.

حضر موت وبلاد الصومال حتى بلاد الدناكل، وقد عقدت مقاولاتهم بتابعيتنا، وأوراق المقاوله المعقوده محفوظه بأيدينا تحت أسماء كل من الأمراء ومشايخ وعقال وأهالي البلدان المذكورة. أما المواقع والخطط الحربية والنقط المهمة الموجودة فيها قوتنا العسكرية وعليها المدار والمُقَابَلَة لِيبابِ عَدَنَ و«الشيخ عثمان»، فهي كما سيأتي:

(الدَّرب. وبيير ناصر. ودار هيثم المسمى دار المشايخ. والمجْهالة. وكَدَمَة الأصلع. وبيير جابر. والمحاط) وبما أن حكومتنا المتبوعه قد قبلت أساسات الصلح مع حكومة إنكلتره وحلفائها، وعقدت الهدنة بتاريخ ١٨ تشرين أول سنة ١٣٣٤ رومي، وبعد أن رست مراكب الإنكليز وحلفائهم في مراسي «دار السعادة» بالصورة الودية، وسُوِيَتْ أمور وضع المهادنة، فبهذه الصورة التي هي عن قواعد الهدنة المبلغة رسمياً من حكومة إنكلتره حصل هيجان عظيم بين العساكر والأهالي، وفي داخل الخطط الحربية، فَتَلَفَيْتُ (١) الأمر مسرعاً لأجل تسكين ذلك الهيجان. ولكي نفهم من قريب نوايا العدو وكان ضرورياً أن تلاقيت مع والي وقومندان عدن لأجل هذا الغرض، ولتأمين المخابرة بين اليمن ودار السعادة، لا لغرض آخر يوجب الشك وسوء الظن. وكما ظهر لي من جواب سيادة الإمام بتعبير كلمة (لقد ساءنا) قاصداً بهذا التعبير تقبيحي وما حملة على ذلك إلا مقاصدكم وأغراضكم الخصوصية لبعض أسباب، كاشتراككم مع والي ولاية اليمن بنشرياتكم وإشاعاتكم غير اللائقة والمخالفة للحقيقة، قاصدين

(١) أي: احتوى الموقف وتغلب عليه.

بذلك إهانتني عند عموم أهالي اليمن المحترمين الذين ليس لهم وقوف على الحقيقة لسوء تفسيركم لها، ولكنني قانع وقائل أن كل ذلك ليس له عندي أهمية بمثقال الذرة، لما لي من سوابق الخِدم خصوصًا في هذه التربة المقدسة اليمانية، وما قمت به من المحافظة والمدافعة والثبات والمحاربة المتواصلة ضد العدو في باب المنذب وباب عدن منذ أربع سنوات، وكل ذلك بمساعدة ومظاهرة رؤساء مجاهدي وأهالي لواء تعز، لِمَا بذلوا من أرواحهم وأموالهم خدمة للدين والوطن. أما حضرة الإمام ووالي الولاية وجنابكم فلم يكن لكم نصيب في شيء من المعونة المادية أو الفعلية نحونا سوى الكلام لا غير، مع حرماننا من كل شيء. ويشهد على ذلك كل من أرباب الشرف وأصحاب الوجدان من عموم أهالي اليمن من ذكر وأنثى حتى الصبيان. وفوق كل شيء فالتواريخ والوثائق ستبين ذلك بالصراحة.

والحاصل أن لليمن مفتاحين مهمين: هُما «لَحْج» و«باب المنذب» اللذين هما من أهم ما يكون لسلامة ومحافظة عموم اليمن، فكل من له علاقة وصلاحيّة من الذوات فليشرف سريعًا للاستلام: أما نحن فقد أمرت حكومتنا المتبوعة المفخمة بإجازتنا وختمت وظيفتنا، فلسنا مأذونين بالبقاء بصفة محاربين في هذا الوطن الذي نعتبره وطننا الثاني. وقد كفانا ما لاقيناه نحن والعساكر العثمانيون والفدائيون في هذه المدة الطائلة من المتاعب المضنية للأجساد والمفاداة بأرواحنا العزيزة ضد العدو، وتحت قذائف الطائرات والمدافع (والمكائِن)، وبين الرمال والخُبُوت من غير ماء في أيام الصيف الجهنمي، ونحن معرضون للحمّيات لشدة الرطوبة في داخل الخنادق أيام الشتاء من جهة، ومن الجهة

الأخرى كل هذه الدماء التي أرقناها والأرواح التي أزهقناها في هذا السبيل إنما هي للمحافظة على عرض وشرف ووجدان أهل اليمن المقدس، الذي هو من ضمن الحرمين الشريفين من تجاوز الأعداء. والحالة هذه مع كوني لا زلت ولم أزل مضحياً بروحي ليلاً ونهاراً في سبيل الدين والوطن، وبحسب الوظيفة مع الحرمان الكلي ففوق كل هذا يرموننا من بعيد بما يسهل على طباعهم، ولكنه عندنا من أغلظ القول، مُشِيعِينَ في جزم وإصرار أي لمقابل بعض المنافع الخسيسة سأعيد لحجاً وما حوالياً للأعداء. فأنا أرجوكم خاصة أن تفضلوا بالتبليغ لمن يلزم ليسارع بإرسال أي كائن يكون ممن له حمية وطنية قهرمانية بالوفود إلى باب المندب وإلى لحج لاستلامهما قبل فوات الوقت. ومع أي لا أقبل أصلاً أن أكافأ بالتهمة المهينة التي يقصدون بإذاعتها وافترائها أن يلصقوها بي، ولكن المفتريات مردودة ومعادة لمذيعيها وقائلها وناشريها بتمامها.

٢ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي.

جواب آخر من علي سعيد باشا إلى حسين باشا^(١):

حضرة أمير اللواء حسين باشا المتقاعد بصنعاء.

ج ٧ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي، إن إشعاركم بخصوص وقوع بعض مظاهرات وطنية في صنعاء كما وقع في بداية الحرب العمومية وفي حرب طرابلس الغرب، وإن تأمينات حضرة الإمام القوية في غاية الوطنية والديانة لهو موجب للسرور.

(١) راجع الأصل التركي رقم (٥) بآخر الكتاب. المؤلف.

إن مثل هذه المظاهرات لم تبد لحد الآن فعلياتها التامة بالمال والرجال لمصلحة الحكومة السنية. نتمنى أن نسمع ونرى تحقيق وقوعها بعد الآن وإجرائها فعلاً وتاماً من أصحاب البلاد الحقيقيين، أريد أن أوّمل بعد هذه المظاهرات أن أولاد اليمن لا يكونون متفرجين كما كان الواقع منذ أربع سنين، ولسان حالهم يقول: نحن نرتاح وعساكر الترك يحافظون على حدود بلادنا، بل يسعى كل صغير وكبير منهم ويتقدم بالغيرة التي لا تعرف الملل إلى إيفاء واجباتهم الدينية والوطنية. أما نحن الأعراب فجهادنا المملوء بالشرف في الدفاع داخل الخنادق مع الحرمان التام من الوسائل قد ختم. ومن الآن فإن دور الجهاد حربيًا وسياسيًا وإداريًا لإخواننا العرب. فالوظيفة الإنسانية الأولى التي تترتب على عموم أولاد اليمن أن يقوموا بالمعونة من كل الوجوه للعثمانيين في إيصالهم إلى أوطانهم وأحضان أمهاتهم سالمين، وأن يبذلوا المروءة والسعي في ذلك شكرًا ومكافأة للعثمانيين للمحافظة على وطنهم إلى الآن، واستشهاد الآلاف منهم في سبيل دفع العدو من أن يستولي على شبر من أرضهم.

وأوّمل أن يعترف بذلك حضرة الإمام قبل كل أحد، أن الواجبات القطعية للأحوال العمومية والأوامر الصريحة من مركز السلطنة يستلزم -مع الأسف- وداع العثمانيين لإخوانهم العرب المحترمين بعيون دامعة. ولم يبق محل هناك للتفسير والتأويل. وإني أنتظر وصول كتابكم الذي ذكرتموه، ولكنني أستغرب التوصية لنا بالثبات من جانبكم. فالتمدح بالنفس عيب. وإنما التلغرافات الواردة من كل الجهات أجبرتني على القول بأنه لا ينكر أحد ما لقيناه في اليمن مدة أربع سنين من دروس الثبات والغيرة والشجاعة، وما بعثناه في هذا الفيلق الذي كان في

حالة العجز والجمود في بداية الحرب من روح الحركة والفتح والاسترداد للبلاد، وجعلناه مثلاً لمن يقتدي به ويعترف لي بذلك حتى المخالفون أهل الحسد، وإن كنت أشكر كلمات جنابكم وكلمات حضرة الإمام اللطيفة، ولكنني أحتج على مثل تلك التواصي من الذين لا عمل لهم ولا أمل منذ أربع سنين، سوى إملاء رؤوسهم ومعدهم ببخار العرقي (الخمير) وملء صناديقهم بذهب هو ثمن دماء أولاد العثمانيين، إن العساكر جميعاً بلحج مراض ومسبو مصائبنا هم بصنعاء، فإذا أمكن انتظارنا في لحج للأمر الأخير من حكومتنا فسنجتهد يا حضرة الباشا المحترم.

قائد منطقة الحركات بلحج

١٢ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي

أمير اللواء / علي سعيد

فمن ذلك تبين أن علي سعيد باشا رفض أن يعمل أي حركة تكون مصلحتها لغير حساب دولته، وفيه تصريح على أنه يجب على أمراء العرب والمشايخ سواء الذين أخلصوا لتركيا وقاتلوا معها بالنفس والنفيس كأهالي لواء تعز وغيرهم من الذين كانوا متفرجين أن لا ينتظروا أي مساعدة من الأتراك.

ويرى أنه آن الأوان لأهل البلاد اليمانية صغيرهم وكبيرهم أن يقرروا مصيرهم، كما يشاؤون، ويتمنى أن يسمع عنهم ما يسره، بخلاف خصمه محمود نديم والي اليمن، فإنه توسط بنفوذه لخدمة أغراض الحضرة الإمامية، فكتب تلغرافياً بواسطة علي سعيد باشا إلى الميجر جنرال استيورت قومندان والي عدن

جواباً على كتاب الجنرال رقم ٥ تشرين ثاني سنة ١٩١٨ م هذه ترجمته^(١):

بواسطة قائد منطقة الحركات في لحج إلى حضرة ذي الأصالة قائد عدن اطلعت على شروط الهدنة المطوية بكتابتكم، وقد أمرتنا حكومتنا قبل الحرب أن نجري جميع الحركات في اليمن بالمشاورة مع حضرة الإمام. وبناء عليه فقد تواجها مع حضرته للمذاكرة بخصوص الهدنة وكانت نتيجة المذاكرة كما يأتي:

١- لم يصل إلينا ولا إلى حضرة الإمام أمر من حكومتنا في حركة العساكر العثمانية بهذه الصورة مع ترك السلاح بموجب المادة ١٦ من شروط الهدنة، ومع اعتمادنا على صحة تبليغكم العالي فإنكم تُسَلِّمون معنا بأنه لا يمكن تحركنا من دون أن يبلغنا أمر.

٢- من حيث إن أمر البلاد في يد حضرة الإمام فالأمر الوارد إلينا المنقول صورته أعلاه والتلغراف المرسل منه إلى جنابكم العالي المؤرخ ١٠ صفر سنة ١٣٣٧ هـ يتضمن عدم إمكان خروج فرد واحد من العثمانيين من هنا ذكراً أم أنثى فضلاً عن العسكر.

٣- في المادة ١٦ من شروط الهدنة وفي المادة (٥) المصرح بها وفي عموم شروط الهدنة لا يوجد إيضاح ولا حتى إشارة أن تترك الحكومة الملكية أمور الإدارة.

٤- بالنظر إلى أن حقوق إيفاء شروط الهدنة اليوم هذا في يد حضرة الإمام

(١) راجع الأصل التركي رقم (٦) بآخر الكتاب. المؤلف.

لا أرى وسيلة لتنفيذ ذلك سوى وصول مأمور مخصوص من دار السعادة وجلب أمر تلغرافي واضح بالشفرة التي بينه وبين الصدارة.

٥- إذا وجب خروج الحكومة الملكية من هنا سواء كان في أثناء الهدنة أو في خلال عقد الصلح يتوقف نقل المأمورين وعائلاتهم على تسوية مطلوبات حضرة الإمام، وينحصر على استحصال رضاه القطعي وعلى تأمين داخلية البلاد. وهذا لا يتأتى إلا بالقوة العسكرية، والقوة المعاونة التي يضاف عليها من طرف حضرة الإمام برضاه واختياره. ومع أني مقتنع بهذه النظرية أرجو استحصال رضاه حضرة الإمام وإبقاء العساكر الموجودة هنا لتأمين داخلية البلاد بموجب المادة (٥) من شروط الهدنة.

٦- حيث إن المادة (١٢) من شروط الهدنة تسمح بالمخابرة الرسمية أطلب حق المخابرة مع حكومتي للقيام بواجبي بحكم مناصبي المودع في عهدتي، وأرجو التفضل بقبول احتراماتي الخالصة سيدي.

٣ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي و١٦ تشرين ثاني سنة ١٩١٨م

والي اليمن / محمود نديم

وكتب إلى الباشا محمد ناصر، شيخ القماعة التلغراف الآتي:

صورة تلغراف الولاية

الحذر أن تسمعوا أقوال المفسدين، وتعلمون درجة محبتي لكم منذ خمسة عشر سنة، حضرة الإمام قائم معنا بالمال والروح مع إعلاء شأنكم فوق ما أنتم

عليه الآن قاضي اللواء قريباً مُتَوَجِّهٌ إليكم وسيفهمكم التفاصيل. الحذر أن تسمعوا أقوال أحد المأمورين أو غيرهم، من الآن وصاعداً إن صدر لكم إشعار من المأمورين بأي وجه كان من دون الاستئذان منا بالشفرة لا تعمدوا، وهذا سنداً بيدكم أماناً منا وتأكيداً لكم ودمتم.

والي

نديم

والتمس من حضرة الإمام يحيى أن يحرر للبasha محمد ناصر التلغراف

التالي:

صورة التلغراف الوارد من حضرة الإمام

أفادنا حضرة والي الولاية بأنه حصل لكم بعض شبهات من هذا الجانب، ولم نَدْرِ مِنْ أَيِّ طَرَفٍ حَصَلَ عَلَيْكُمْ هَذَا الْوَهْمُ. وَلَا نَظُنُّ تَحْقِيقَ ذَلِكَ لَدَيْكُمْ. فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ رَفِيعِ الْمَقْدَارِ وَأَنَّهُ لَا يَسَاوِيكُمْ لَدَيْنَا أَحَدٌ مِنْ مَنْسُوبِنَا لَصِدَاقَتِكُمْ وَرَابِطَتِكُمُ الْقَوِيَّةَ لَنَا. وَلِذَلِكَ أَسْرَعْنَا بِهَذَا بِشْفَرَةِ الْوِلَايَةِ بِالصُّورَةِ السَّرِيَّةِ نَعْلَمُكُمْ أَنْكُمْ لَا تَزِيدُوا لَدَيْنَا إِلَّا رَفْعَةً وَوَقَارًا، وَقَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَرُونَ مَا يَسْرِكُمْ مِنْ إِعْلَاءِ مَقَامِكُمْ فَوْقَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، وَذَلِكَ قَرِيبًا، وَاعْتَمِدُوا تَلْغِرَافَ الْوِلَايَةِ الصَّادِرِ إِلَيْكُمْ يَوْمَنَا هَذَا، وَلَا تَخْدَعُوا الْمَأْمُورِينَ الَّذِينَ هُمْ بِجَوَارِكُمْ، لِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ رَأَيْنَا بَعْضَ مِيلَانٍ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَاحْفَظُوا مَا لَدَيْكُمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ وَلَا تَفْرَطُوا بِشَيْءٍ قَطْعِيًّا، وَلَا تَسَاعِدُوا إِلَّا إِذَا كَانَ إِلَى هَذِهِ الْجِهَاتِ أَوْ إِلَى نَفْسِ تَعَزُّ. وَفَهْمَكُمْ وَدِيَانَتَكُمْ كَافِيَةٌ وَكَافِلَةٌ لِذَلِكَ، وَمُحِبُّكُمْ الْوَالِي مَشْتَرِكٌ مَعَنَا بِهَذَا الْفِكْرِ

والدوام معنا إلى ما شاء الله لمحافظة الدين والوطن المقدس اليمني.

وهذا سرًّا إلى الغاية، وأنا نحب منكم إعلامنا بمقدار موجود المهمات الحربية والآلات الأفراد وغيرها من الأشياء ليستقر بذلك الخاطر، فإننا نَعُدُّ ما سَرَّكُمْ سَرًّا إن شاء الله ودمتم^(١).

ولما اطلع الباشا محمد ناصر على صورة التلغرافين المذكورين كتب إلى سعيد باشا ما نصه:

غاية مهم ومستعجلدر. حضرة قومندان باشا.

ورد إلينا تلغراف من حضرة الإمام والولاية، فلأجل اطلاع دولتكم صار تقديم صورتها أعلاه نرجوكم تعرفونا بما نعتمد، وما يكون جوابنا لهم فرمان ١٣ تشرين ثاني سنة ١٣٣٤ رومي.

محمد ناصر

أما والي عدن فلم يقبل توسط محمود نديم لفتح المخابرة مع الإمام لاعتباره محايداً، وأفهم محمود نديم أن قبول تركيا لشروط الهدنة جبر، وهذه ترجمة جواب الجنرال استيورت على محمود نديم من الأصل التركي^(٢).

أصالتو محمود نديم بك والي ولاية اليمن.

أخذت تلغرافكم المؤرخ ١٦ تشرين ثاني سنة ١٩١٨م فليكن معلوماً لدى

(١) انتهى بِنَصِّه. المؤلف.

(٢) راجع الأصل التركي رقم (٧) بآخر الكتاب.

أصالتكم أن قوة النفوذ العسكري في زمان الحرب مرجحة على كل القوى. وكذلك عموم شرائط المُتَارَكَةِ التي من طرف العسكرية ليست على تركيا وحدها فقط. فألمانيا أيضًا قد قبلت تلك المُتَارَكَةَ جبراً. ولذلك لم نرفع الكيفية لأصالتكم، فلا نرى لزوم أن نذكر أمراً آخر بخصوص الإدارة الملكية ليتوقف أمرها وتابعيتها للعسكرية. وبما أن حكومة إنكلتره وحلفاءها لا ترى لزوماً لإجراء مقابلة أخرى مع الإمام لكونها لا تعده متفقاً مع تركيا. بل تعده محايداً إلى الآن. فقبول تركيا بشروط الهدنة جبر، وبما أن بين حكومة إنجلترا والإمام وداد قديم كنت قد أخبرته بشروط الهدنة من طرف الحكومة وبينت له أن الحكومة تنتظر منه بذل المعاونة الكلية بخصوص جلاء الإدارة الملكية وقوة الأتراك العسكرية.

وأخبرته أيضاً أن الحكومة الإنكليزية قررت أنها ستحل المسائل المالية والأرضية في المستقبل.

وأما المادة الخامسة فليست عائدة لليمن، فالذي تعود لليمن وتحتوي على الشروط فهي المادة السادسة عشر فقط، القسم الأخير منها يعود إلى (أطنه) أما الأمر الذي أخذته من نظارتنا الحربية في لوندرة يتضمن إرسال عموم المخابرات التلغرافية التي نأخذها منكم من اليمن بواسطتها لأجل نقلها إلى استانبول، ومع هذا أعرض لكم احتراماتي الخالصة.

والي عدن/ استيورت

وانتهت هذه المخابرات بإخراج القوة العسكرية والإدارة الملكية العثمانية

من اليمن وعسير. وسلم علي سعيد باشا نفسه وعساكره ومدافعه وذخائره لوالي
عدن في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٧ هجرية. بعد أن باعوا جميع الحبوب
المخزونة في المخازن من مزروعات لحج، وباع الضباط أسلحتهم وأثاثهم
بأبخس الأثمان حتى بلغ قيمة السيف خمسة قروش مصرية. واستلم الجنرال
(بتي) لحجًا، وعسكر في (أمّ القفع).

* * *

الفصل التاسع عشر

رُجُوعُ السُّلْطَانِ إِلَى لَحْجِ. العُثُورُ عَلَى الوَثَائِقِ. مَحْسِنُ فَضْلٍ. حَمَلَةٌ إِلَى الرَّجَاعِ. جِيكِبُ فِي القَحْرَةِ^(١). آدَمُ يَزُورُ لَحْجِ. السَّيِّدُ عَلَوِي فِي صِنْعَاءِ. فِتْنَةٌ فِي أَطْرَافِ الحُدُودِ. سَفَرُ السُّلْطَانِ إِلَى الهِنْدِ. عَلِي سَلَامٌ وَالسُّلْطَانُ مَحْسِنٌ. سَفَرُ السُّلْطَانِ إِلَى أوروْبَا.

* * *

فِي يَوْمِ (١٢) ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ خرج السلطان عبد الكريم فضل وجماعة من العائلة العبدلية والأمراء والوزراء صحبة الميجر جنرال استيورت والي وقومندان عدن ومعاونيه وأركان حربه وجملة من الضباط البريطانيين، ودخل السلطان عبد الكريم فضل مدينة الحوطة باحتفال عظيم وموكب جسيم.

وألقى الميجر جنرال استيورت الخطاب الآتي:

يا صاحب السمو. إني ها هنا أرحب بكم في هذا اليوم إلى عاصمة مملكتكم من طرف الدولة البريطانية، ولأكون وسيلتها في إقعادكم على كرسي سلطنتكم الذي انتخبتم له من ذوي الكفاءة المعتمدين.

فمنذ يولية سنة ١٩١٥م كانت عساكر الأتراك محتلة لبعض محلات في

(١) سيأتي أنها «القحراء».

مملتكم والمذكورين سمح لهم بل شجعوا على أن يبقوا فيها بناء على الخطة الحربية التي صدرت من القيادة العمومية للعساكر البريطانية التي تنبأت بأنه لا بد من مجيء الوقت الذي ستسلم فيه تلك العساكر لا محالة. ولقد حان ذلك الوقت لحدوث الفاصلة النهائية في ميادين الحرب الكبرى، وانكسرت الجيوش المتحدة ضدنا وضد حلفائنا انكسارًا تامًا، ونتج من الشروط المفروضة على الجرمن والنمسا والمجر والأتراك والبلغار الإذعان مطلقًا. ففي هذه الدائرة المحلية الصغرى كانت قيادة العساكر التركية منوطة بسعادة الميجر جنرال علي سعيد باشا، والمذكور برهنَ في جميع حركاته من البداية إلى النهاية بأنه جندي ذو شرف وبسالة. وبوفائه قبل الشروط التي أجريت على دولته ثم نقلت إليه فسلم نفسه مع جميع العسكر والمدافع والآلات الحربية التي كانت بيده.

أما سموكم فقد انتظرتم ولزمتم الصبر والوفاء في كل هذه المدة الطويلة، وإني شاكر لسموكم عن نفسي لمساعدتكم ومناصحتكم لي، وقد كان سموكم معتقدًا بأن الظفر سيكون في العاقبة في جانب البريطانيين، وكان الأمر كما اعتقدتم، وفي هذا النهار يجتني سموكم ثمرة إخلاصكم المتين. وإني أهني سموكم على استعادتكم لمملكتم وأقدم أقصى تمنياتي القلبية بدوام خير واستقامة حكومتكم بأمنية تامة، وعلامة لاحترام سموكم ذاتيًا سمحت الدولة بإطلاق أحد عشر مدفعًا تشریفًا لسموكم، فيا صاحب السمو، إنه من امتيازي أن أبلغكم الرسالة الآتية من جلالة الملك الإمبراطور وهي:

أهني سموكم تهنئة صميمية على ارتقائكم كرسي سلطنتكم في قاعدة مملكتم، ولقد سمعت بسرور عن إخلاصكم الذي هو سجية عائلتكم على ممر

الأزمان، ولقد قاسى سموكم محناً في السنين الغابرة، ولكن الآن تم لنا النصر، فكل رجائي أنه سيعود الخير لأهالي لحج عاجلاً بحسن تدبيركم السديد، وتنمو لهم السعادة كما كانت سابقاً، ثم نهض السلطان عبد الكريم فألقى الجواب الآتي:

يا سعادة الجنرال استيورت، إني من صميم فؤادي أقدم الشكر الجزيل لجلالة الملك جورج الخامس إمبراطور الهند على تهنئته السامية، وعلى هذه التعطفات الملوكية نحونا، وإني اليوم كُليُّ ألسنُ ثناء على وفاء دولة جلالته بإعادتي إلى وطني وعلى حسن الجميل الذي قوبلنا به مدة إقامتنا بالحفاوة والتكريم في عدن. فهذا الصنيع والتكريم العظيم يجعلني وسائر عائلة العبادل مدينين لجلالته وقيد إخلاص نحو دولته ما دمنا في هذا الديار. وأرجوك يا سعادة الجنرال استيورت أن تفضل فتنقل عني عظيم الشكر والممنونية لجلالة الملك، وتؤكد لجلالته ولاءنا وإخلاصنا القلبي الدائم نحو جلالته. وأقدم شكري لسعادتكم أيها الجنرال استيورت على تهنئتك وحسن تكريمك إياي بهذا القدوم السعيد عند إعادتي إلى وطني، فإنها لن تبرح ذاكرتي أبداً. وإليك يا سعادة الجنرال (بتي) أبدئ شكري الوافر على حسن الاعتناء من سعادتكم بتوطيد الأمن، وعلى تحملكم تكاليف الاعتناء هنا باحتفال استقبالي.

وكان المؤلف فيمن رافق السلطان وحضر ذلك الاحتفال، ففي ذلك اليوم عدنا إلى بلادنا بعد أن غبنا عنها أربع سنين فوجدنا مدينتنا الحوطة وقد تخرب نحو نصفها، وأقفرَ النصف الآخر، حتى إننا أقمنا ليلتئذ مولداً للنبي ﷺ فاحتجنا إلى مجامر للبخور ففتشنا في سوق لحج وفي بيوتها بالشراء أو بالعارية فلم نجد

مجمرة واحدة، فأحرقنا العود في أشقاف^(١) الأباريق المكسرة، وذلك لما صارت عليه حالة المدينة حينئذ من عبث الأتراك وأعوانهم.

واستلم السلطان عبد الكريم زمام مملكته، وأعان الله أهلها على عمرانها، والأرض موعودة بالحياة كما أن الإنسان موعود بالممات. وهناك عثر المؤلف في أسلاب الأتراك على المخبرات بين علي سعيد باشا ووالي اليمن التي نقلناها آنفاً بالأمانة في هذا الكتاب. ثم رأينا الأتراك يفارقون الإقليم اليماني حتى لم يبق في اليمن إلا ذكرهم، والأمل وطيد بأن إخراج الأتراك من اليمن الذي هو نتيجة انتصار بريطانيا العظمى وحلفائها يكون بركة لعدن^(٢) وأصدقاء عدن ولعموم البلاد العربية.

ولما تحقق اليمانيون الشافعية جلاء الأتراك عن البلاد اليمانية ذعروا، وجاء كثير من أعيان اليمن الأسفل من مشايخهم وساداتهم وزعمائهم إلى عدن يستفهمون عن مصيرهم، فلم يوافق طلبهم هوى السياسة، وأعرض عنهم الوكيل السياسي في عدن وعادوا خائبين. ولم يُجدهم إخلاصهم للأتراك وجهادهم بالنفس والنفيس مع علي سعيد باشا نفعاً. فلم يعنهم الأتراك على نيل أمانهم بل أعانوا الإمام عليهم. وحاول بعض الشافعية المقاومة فلم تتحد كلمتهم، وساق الإمام جيشاً من قبائل الزيدية وضباط الأتراك على حُبَيْش. فنشبت معاركة دموية استدامت ستة أشهر، ثم هزمت جموع الشافعية، وأذعن جميعهم لحكم الإمام

(١) أي: قطع.

(٢) من متى قد كان استعمار المستعمر بركة على من استعمرهم وإنما هو الذل والإهانة.

والسيطرة الزيدية على كُرِّهِ منهم ما عدا الحديدية وملحقاتها كما سيأتي ذكر ذلك في محله.

أما علي سعيد باشا فبقي مأسورًا في عدن مدة ثم ساقه البريطانيون مع من سلَّم من الأتراك أسراء إلى مصر.

ولما بلغه أن الصنو محسن فضل متأثر في بعض مستشفيات القاهرة استأذن في زيارته، فزاره بالمستشفى وبالغ في ملاطفته، وما أخفى تألمه مما ستصير إليه حالة أهل اليمن الأسفل، وتمنى لو يتمكنون من تقرير مصيرهم بأنفسهم، وأنه يتمنى للحج وعبادتها مستقبلًا حسنًا فوق ما تؤمِّله، ورجا الصنو محسن أن يبلغ فاتق سلامه لسمو سلطان لحج وأهدى إليه صورته.

وكان الصنو محسن فضل بن علي -رحمه الله تعالى- هو العبدلي الوحيد الذي اتخذته الأتراك عدوهم الأكبر، لزعمهم أنه الوزير الذي أصر على الانحياز إلى بريطانيا والإخلاص لها، فلذلك لم تجد عثمانياً من رجال حملة علي سعيد باشا وأشياعهم من أهل اليمن إلا وقد عرف محسن، وإذا ذكر ذكروه بالعداء التام، ومع ذلك فقد ثبت من بعض خيار ضباط الأتراك كالقائمقام حسين حسني أركان حرب الباشا علي سعيد، أنه كان يمنع السفهاء من شتمه لسابق معرفة بينهما أثناء الحرب الطرابلسية عندما جاء القائمقام المذكور مفوضًا من طرف حكومة اليمن للاطلاع على ترتيب حساب الوارد لليمن من الآستانة عن طريق عدن ولحج، ونزل ضيفًا على الصنو محسن.

ومما يحسن ذكره أني تعشيت ليلة معهما حينئذ في بستان الصنو محسن

المسمى (بستان السركال) فجزنا ذكر حرب طرابلس الغرب إلى المقابلة بين قوى دول العالم، فوصف القائم مقام قوى ألمانيا وكأنه يصف قوة السماء، ثم قال: ليأتين يوم تتحارب فيه صديقتكم بريطانيا مع ألمانيا، ولعل ذلك اليوم قريب، ولتسحقن ألمانيا بريطانيا وحلفاءها، قال: وسنسترد عندئذ جميع ممالكنا المسروقة منا ظلماً وعدواناً. وقال له الصنو محسن: ربما أنكم تخسرون البقية الباقية إذا انحزتم إلى ألمانيا. وذكر جملة أسباب معقولة ترجح انتصار بريطانيا العظمى.

ثم لما استولى الأتراك على لحج والتجأنا إلى عدن أرسل القائم مقام إلى الصنو محسن من يُدكره بمخابرة البستان^(١)، فأجابه أن الأمور بخواتيمها، ولما تم الصلح بانكسار ألمانيا وحلفائها عاد الصنو محسن فذكر القائم مقام. وكان الصنو محسن -رحمه الله تعالى- واحد البلاد وزعيمها الذي عليه الاعتماد، وكانت وفاته بدار الأمير في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٨ هـ من أعظم خسائر البلاد اللحجية، أو كما قال في رثائه السيد سليمان بن عبد الباري:

خَطْبُ أَلَمٍ بِرُكْنِ الْمَجْدِ فَانْهَدَمَا أَبْكَى عَيْونَ الْمَعَالِي وَالْفَخَارِ دَمَا
بَدْرُ الْهُدَى لَيْتَ فِي كَفِّ الرَّدَى شَلْلٌ عَن مِثْلِ شَخْصِكَ أَوْ فِي نَاطِرِيهِ عَمَى

وفقدت لحج في ذلك اليوم المشئوم خير رجالها في أوان أشد حاجتها إليه. ولقد رأيت -رحمه الله تعالى- مراراً يشتغل في عدن، وقد أخذ المرض يفتك به، والأطباء ينهونه عن أقل الأعمال، وكان يقول: الوقت وقت أن أعمل، ويكفيني

(١) أي: الحوار الذي حصل في البستان المذكور آنفاً.

بعد ذلك أن أجد قبراً في لحج. ثم رأيتُه بعد استرداد لحج يشتغل من الصباح إلى نحو الساعة الثانية عشر أو الواحدة بعد منتصف الليل، حتى لحق برئيسه وابن عمه السلطان علي^(١) بن أحمد بن علي، فمات شهيداً مثله في محبة الوطن. وقد رثاه الإمام يحيى بن محمد حميد الدين بالقصيدة الآتية:

يَا دَارَ أَشْرَاكِكِ مَنْصُوبَةٌ تَصِيدُ وَالصَّيْدُ نُفُوسُ الْعِبَادِ
لَا تَرْهَبِينَ الْمَلِكَ فِي دُسْتِهِ مِنْ دُونِهِ الْبَيْضُ وَسُمْرُ الْجِلَادِ
وَلَا تَخَافِينَ أَمِيرَ الْوَعَى يَرُوعُ بِالْبَأْسِ فُؤَادِ الْبِلَادِ
دَامَ الدُّجَا حَتَّى مَ ذَا يَنْقُضِي قَدْ لَبَسَ الْأَفْقُ ثِيَابَ الْجِدَادِ
أَحْزَنَهُ مَا رَاعَ مِنْ مُحْسِنٍ مَضَى وَغُصْنُ الْعُمْرِ فِي أَرْزَادِ
وَاخْتَرَمَتْ أَيْدِي الْمُنُونِ الْفَتَى مِنْ أَهْلِهِ وَالشَّيْخُ فِي الْإِنْتِقَادِ
الْحَازِمُ الصَّائِبُ فِي رَأْيِهِ إِنْ أَقَلَ الرَّأْيَ وَقَلَّ السَّدَادِ
يَا آلَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَرْحَبٍ^(٢) وَالشُّمِّ فِي أَطْوَادِهَا وَالْعِمَادِ

(١) له ترجمة في «الأعلام» (٤/ ٢٦٢) اعتمد فيها مؤلفه ما جاء عنه هنا.

(٢) يشير إلى ما ظنه القاضي حسين بن أحمد العرشي في بلوغ المرام شرح قصيدة مسك الختام عند قوله:

وَالْعَبْدِيُّ بِلَحْجٍ مِنْ غَوَائِبِهَا قَدْ أَلْبَسَتْهُ ثِيَابَ الْوَشْيِ وَالْحَلْلِ

العبدليون سلاطين لحج وكانوا سلاطين عدن، وأصولهم من الرتبة القاسمية، ولعلمهم ينسبون إلى آل عبد الله من أرحب. اهـ. وأغرب من هذا ما يذيعه الآن بعض الكتاب في بعض الصحف المصرية أن الشيخ فضل بن علي العبدلي مؤسس السلطنة العبدلية كان زيدي المذهب وحاكماً عاماً من طرف الإمام المنصور على جميع اليمن الأسفل، وأنه ترك المذهب الزيدي

عَزَاؤُكُمْ فِيمَنْ قَضَى تَارِكًا أَمْثَالَكُمْ وَالْحَيْمِ خَيْمِ الرَّشَادِ
 اللَّهُ يَوْمَ مَاتَ فِيهِ الَّذِي أَوْلَى مِنَ الْهَمَّةِ فَوْقَ الْمُرَادِ
 وَعَالَهُ الْمَوْتُ وَفِي مَوْتِهِ رِمَايَةُ الْمَجْدِ بِشُؤْمِ الْكَسَادِ
 وَالْمَوْتُ نَقَادٌ عَلَى كَفِّهِ جَوَاهِرُ يَخْتَارُ مِنْهَا الْحَيَادِ
 وَالْكُلُّ رَهْنُ الَّذِي ذَاقَهُ طَالَ الْمَدَى أَوْ قَصَرَ الْاِمْتِدَادِ
 وَأَنَّ فِي اللَّهِ تَعَالَى عَزًّا مِنْ كُلِّ فَنٍ وَإِلَيْهِ الْمَعَادِ
 وَفِي ادِّخَارِ الْمَرْءِ مِنْ رَزْئِهِ وَتُؤْفُقُهُ بِاللَّهِ نَعَمَ الْمَعَادِ

وأبرق صديقة الحميم فضيلة الأستاذ السيد محمد^(١) الغنيمي التفتازاني

شيخ السادة الغنيمية من مصر بالبيتين الآتين رائيًا:

أَدَّيْتُ وَاجِبَكَ الَّذِي قَدَرْتَهُ وَعَرَفْتَهُ فَفَدَيْتَهُ بِالرُّوحِ
 نَمَّ مُحْسِنٌ فِي خُلْدِ رَبِّكَ هَادِيًا وَدَعَّ السُّهَادَ بِقَلْبِي الْمَجْرُوحِ

وفي شهر شعبان سنة ١٣٣٧هـ جرد السلطان عبد الكريم فضل حملة من العبادل لتأديب قبائل الرّجّعة، وحاصر العبادل حصون الرّجّاع ستة أيام، ثم سلم الرّجّعة أنفسهم وقربتهم إلى يد المؤلّف بالشروط الآتية بناء على أن الرّجّعة من

إلى المذهب الشافعي طمعًا بالإمارة والاستقلال، وكل ذلك لا أصل له. فالشيخ فضل بن علي عبدليّ من العبادلة السّلاميين القبيلة المشهورة في لحج من قبل أن تقوم الدولة القاسمية، لا من آل عبد الله الأرحبيين، وذلك ما لا يجله أحد في لحج، وقد بينا أنساب قبائل لحج في الفصل السادس، فراجعه إن شئت. تعليق المؤلّف.

(١) له ترجمة في «الأعلام» (٦ / ٣٢٥) للزّركلي.

عيال السلطان عبد الكريم، وأن البلاد بلاده يلزم أن يسلموا القرية على الشروط الآتية:

- ١- تسلم حصون امرِجَاع فوراً إلى يد عسكر السلطان.
- ٢- أن يجعل السلطان حامية امرِجَاع عند الحاجة من أخيار العبادل الذين لا يؤذون أهل القرية.
- ٣- كل ما أتلَف من المزارع في امرِجَاع أو فات من بَوش^(١) وغيره من أموال الرجعية عند معرة الجيش وفي أيام الحصار فلا حساب فيه.
- ٤- كل ما هو باق من المواشي فقط في المَطْرَح^(٢) إما بأيدي العساكر النظامية أو القبائل يعاد إلى أهله.
- ٥- للسلطان أن يهدم حصون الرِّجَاع إذا لم ير صالحاً في بقائها.
- ٦- يسعى السلطان لدى والي عدن في أن يطلق الشيخ صالح بعوض الرِّجاعي من الأسر.
- ٧- بعد إطلاق الشيخ للسلطان أن يربطه^(٣) بما شاء من الشروط لأجل أمان الطرق ودوام إذعان امرِجَاع و امرِجِيعَة.

وفي شهر الحجة سنة ١٣٣٧هـ سافر الوفد البريطاني من عدن برياسة

(١) وهي المواشي والبهائم.

(٢) المَطْرَح كان قديماً يطلق على القرية فيقال: مَطْرَح آل فلان.

(٣) أي: يُلْزَمُه ويُوَقَّعُه.

الكولونل هورلد جيكب، ومن رجال الوفد الميجر رايلي والقبطن نصير الدين والسرदार ملات دادخان، وقد كان قصدهم الوصول إلى صنعاء لعقد اتفاق مع حضرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين وحَسْم مسألة حدود الحماية البريطانية في اليمن وتقرير مصير الحُدَيْدَة التي احتلتها الجنود البريطانية لإجبار الأتراك على الجلاء عن اليمن وتسليمها للإمام يحيى مقابل جلاء جند الإمام عن الضالع وأطراف حدود محمية عدن، فوقع اختيار الكولونل جيكب على أن يكون السفر من طريق الحديدة رغماً عن نصيح أصدقائه بأن يسير من طريق مأوِيَة، فلما وصل الوفد إلى بَاجِلْ^(١) احتج قبائل القحرة^(٢) على ما ينويه الإنكليز (من تسليم أمرهم للإمام يحيى وجعل الحديدة وملحقاتها تابعة لصنعاء) بالقبض على الوفد، وحالوا دون وصوله إلى صنعاء، فبادر الإمام يحيى بإرسال الوالي السابق محمود نديم لتخليص الوفد من أيدي القبائل المذكورة وتسهيل وصوله إلى صنعاء، وازدادت الطينة بلة عندما أسَرَ القبائل محمود نديم^(٣) مع الوفد، ثم بعثت حكومة عدن الميجر ميك أحد معاوني الوالي للمفاوضة مع القبيلة المذكورة، وبعد الجهد الجهيد وصرف مبالغ وافرة من النقود توفيق الميجر المذكور إلى فكك المأسورين بعد أن اقترحت قبائل القحرة شروطها، منها أن لا يكون للإمام يحيى

(١) بَاجِلْ: مدينة تهامية في الشمال الشرقي من مدينة الحديدة بمسافة (٤٧) كيلو .

(٢) هي القَحْرَاء: وهي قبيلة تسكن مدينة باجل ولمزيد معرفة عنها ينظر «معجم البلدان والقبائل

اليمنية» (٢/ ١٢٤٧).

(٣) هو محمد نديم باشا وينظر «مجلة المنار» (١١/ ٦٤٦).

سيطرة عليهم^(١) ولا على بلادهم، وأن يكون السيد عبد القادر الأهدل مَنْصِبُ المرأعة رئيسًا لهم وحاكمًا مستقلًا على الحديدية وملحقاتها.

أخبرني من أتق به أن أولي الحل والعقد في صنعاء يؤكدون عدم إخلاص الوالي محمود نديم للحضرة الإمامية في هذه المرة، ويتهمونه بالاتفاق سرًا مع قبائل القحرة لمنع الوفد من الوصول إلى صنعاء. ثم استمال الإمام الإدريسي زعماء القبائل التي حوالي الحديدية فبايعوه، وتعذر بذلك إمكان وصول الجند الإمامي إلى الحديدية، ثم أخلى البريطانيون الحديدية وسلموها للسيد الإدريسي^(٢) على كره من أهل الحديدية الذين كانوا لا يرغبون في حكم إمام صنعاء ولا إمام صبيًا.

وكان القاضي عبد الله العرشي مندوب الإمام يحيى في عدن أثناء الحرب العظمى. ثم لما فشلت بعثة الكولونل جيكب عاد القاضي عبد الله العرشي إلى عدن واستأنف المفاوضات مع حكومة عدن لعقد معاهدة بين حضرة الإمام ودولة بريطانيا.

وفي سنة ١٣٣٩هـ زار لحجًا آدم أبو البشر السلطان غالب^(٣) بن عوض القُعيطي وعقد مع السلطان عبد الكريم فضل معاهدة دفاعية، والسلطان غالب بن عوض بن عمر القُعيطي من أصدق أصدقاء السلطان عبد الكريم والسلطان علي

(١) لأنهم شافعية المذهب.

(٢) ينظر «الأعلام» (٦ / ٣٠٣) للزركلي.

(٣) له ترجمة في «الأعلام» (٥ / ١١٤).

والسلطان أحمد فضل، وأصفى أصفيائهم، كما أن والده السلطان عوض بن عمر من أصدقاء السلطان فضل محسن والسلطان فضل بن علي، وكان السلطان غالب لا يمر بعدن إلا ويزور لحجًا، وصفات السلطان غالب وحسن أخلاقه أوسع من أن يحويها كتاب ويحررها الكتاب، فلقد كان رحمة الله رجل حزموت المعداد، وأباها المفقود، أحبه الخاص والعام، لكرمه وحلمه وعدله وحنانه وحزمه، حتى سماه أهالي جهة حزموت (آدم أبو البشر) وكانت وفاته في الهند في شوال سنة ١٣٤٠، وخلفه أخوه السلطان عمر^(١) بن عوض القعيطي.

وفي شهر صفر سنة ١٣٤٠هـ سار السيد علوي بن حسن الجفري إلى صنعاء لتبليغ هدية والي عدن.

وفيها نزلت العساكر الإمامية بأمر من أمير الجيش السيد علي بن عبد الله الوزير واحتلت مُعَادِنَ والفرشَه^(٢) من بلاد الأصابع فنشبت بينهم وبين الأجرية والوحشة معارك متعددة افتتح لأجلها يومئذ مخابرة^(٣) بين والي عدن وإمام صنعاء، ثم انسحب العسكر الإمامي عن الفرشة.

وفي شهر ربيع الأول أرسل السلطان عبد الكريم فضل فرقة من عسكره بقيادة المؤلف لتسوية الخلاف الحادث بين الأصابع وعسكر الإمام وزجر الأصابع عما يزيد الطين بلة، وإلزامهم بالسكون ريثما تصل المخابرة إلى نتيجة

(١) له ترجمة في «الأعلام» (٥ / ٥٨).

(٢) الفرشَه: قرية في عرض مرتفع جبلي أعلى «طُور الباحة» في غربي وادي لحج.

(٣) أي: حوار ونقاش.

انسحاب عسكر الإمام عن معادن.

وقد تحصل السيد علوي بن حسن الجفري على أمر من الحضرة الإمامية بانسحاب العسكر الإمامي من وادي مُعَادِن، غير أن أمير الجيش لم ينفذ الأمر حالاً وأصر على المطالبة بأشغاذ^(١) المجاهدين قبل الانسحاب، وبعد رجوع عسكر السلطان إلى لحج عادت العساكر الإمامية واستولت على الفَرَشَة، فتجمعت قبائل الأصباح في نُوبَة المرجي للدفاع عن بلادهم، وتوترت العلاقات بين عدن وصنعاء لسبب مهاجمة العسكر الإمامي نُوبَة المرجي، ثم أخلت قبائل الأصباح نوبة المرجي بعد قتل الشيخ شاهر بن سيف، وعادت العساكر الإمامية إلى الفَرَشَة بعد إحراق نوبة المرجي، وزحف أمير الجيش بجانب من العسكر الإمامي على أرض الحَوَاشِب، فنشبت المعركة بين العسكر الإمامي والحواشب في الدَّرِيَجَة، فازدادت بذلك الطينة بلة، وأرسل والي عدن على الزيدية طيارتين رمتهم بقنابلها ففرقت جموعهم وارتدوا مهزومين إلى ماوية.

ثم أخلت العساكر الإمامية مُعَادِن بعد ذلك وترك فصل الخلاف فيما يخص أشغاذ المجاهدين لنظر السلطان عبد الكريم فضل والقاضي عبد الله العَرَشِي.

وفي شهر شعبان سنة ١٣٤٠ هـ سافر السلطان عبد الكريم إلى البلاد الهندية وزار مدينة بومباي للمرة الثانية (فإنه قد سبق وزارها مع عمه السلطان أحمد فضل

(١) أشغاذ: كلمة استعملها الأمير يومئذ في كتبه يريد بها كل ما وقع في أيدي الأصباح من عددٍ

وذخائر الجنود الإمامية. المؤلف.

محسن وحضر معه حفلة تتويج الملك جورج الخامس إمبراطوراً على الهند) ثم وصلتته دعوة من صديقه السلطان غالب بن عوض بن عمر القعيطي فسار إلى حيدر آباد الدكن ثم عاد إلى بونة ومصيف مبلشوار، ورجع إلى لحج في شهر رمضان من السنة المذكورة، وامتدحه أثناء وجوده في الهند السيد أبو بكر بن

عبد الرحمن شهاب الدين بهذه القصيدة:

أَعِدْ ذِكْرَ سَلْمَى وَالرَّبَابِ وَزَيْنَبَا
وَرَمَزِمَ بِذِكْرِي جَيْرَةَ الشَّعْبِ وَأَزُولِي
فَتَمَّ السُّرَاةُ الصَّيْدُ مَنْ أَمَّ سَوْحَهُمْ
وَتَمَّ الْحِسَانُ السَّاحِبَاتُ ذُيُولَهَا
فَلِي شَغْفٌ فِي حُورِ تِلْكَ الْبِقَاعِ لَمْ
سَلُّوا زَائِرِي تِلْكَ الْأَبَاطِحِ كَمْ رَأَوْا
خَرَاعِيْبُ يَسْحَرْنَ النَّدِيمَ بِنَظْرَةٍ
مُنْزَهَةً أَعْرَاضُهُنَّ وَإِنَّمَا
رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلَيَالِيَا
إِلَى أَنْ قَضَتْ نَفْسِي وَصَادَقَ عَزْمُهَا
فَفَارَقْتُ تِلْكَ الدُّورَ لَا عَنُ مَلَالَةٍ
وَيَمَّمْتُ قَبْلَ الْأَمْسِ حَيِي عَقِيلَةٍ
إِلَى الْهِنْدِ فِي عِزِّ أَتَتْ وَكَرَامَةٍ
وَسِرْتُ إِلَيْهَا مُسْتَشِيرًا وَزَائِرًا
فَفِيهِنَّ مَا أَشْهَى الْحَدِيثَ وَأَطْيَا
عَرَائِبَ أَسْحَارِ الْأَعَارِبِ مُعْرَبَا
يَجِدُ عِنْدَهُمْ أَهْنَى مَقَامٍ وَأَرْحَبَا
عَلَى التُّرْبِ حَتَّى ظَنَّ مِسْكًَا وَأَشْهَبَا
يَذُرُّ فِي صَمِيرِي مِنْ سِوَاهُنَّ مَطْلَبَا
بِهَا جُودٌ ذُرًّا يَسْبِي الْعُقُولَ وَرَبْرَبَا
فَيُؤْمِنُ مَنْ بِالسَّحْرِ كَانَ مُكَذِّبَا
جَعَلْنَ عُقُولَ الْأَشْعَبِيِّنَ مَلْعَبَا
أَسَاجِلُ مَنْ فِيهِنَّ غَنَى وَشَبِيَا
لِنَيْلِ أَثِيلِ الْمَجْدِ أَنْ أَتَعْرَبَا
وَمَا زِلْتُ حَتَّى الْآنَ صَبًّا مُعَذِّبَا
كَرِيمَةٍ أَصْلٍ مِنْ فَصَائِلِ تَعْلَبَا
كَمَا ارْتَحَلْتُ بِالْعِزِّ بَلْقَيْسُ مِنْ سَبَا
وَأَشْفَقْتُ أَنْ تَرْتَابَ أَوْ تَتَحَجَّبَا

وَتَسْتَعْلِمُ الْجَارَاتِ هَلْ نَمَّ مِنْ نَبَا
 إِذَا نَاوَلْتَنِيهَا الْبَنَانَ الْمُخْضَبَا
 وَجَاءَتْ سَرِيعًا قَبْلَ أَنْ تَنْقَبَا
 مِنَ الْعَسَلِ الْمَادِي بَلْ كَانَ أَعْدَبَا
 وَلَوْ حَلَبَ شَاةٍ فِي الدُّخُولِ إِلَى
 فَقَالَتْ نَعَمْ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبَا
 مَوَارِدِ تَابَاهَا الْمُرُوءَةُ مُشْرَبَا
 سَأَزْدَادُ إِنْ شَرَفْتَ عِزًّا وَمَنْصَبَا
 نَرَى نُفْرَةَ طَوْرًا وَطَوْرًا تَحْبَبَا
 وَتَلْوِي الرَّبَابِ الْحِيدَ مِنْ نَعْتِ زَيْنَبَا
 حَرَائِرِ عَيْبُ أَنْ تُدَاعَ وَتُكْتَبَا
 حَكِيمًا قَدِ اسْتَفْتَى حَكِيمًا مُجْرَبَا
 وَدَادٍ وَإِلَّا كَانَ وَضَلًا مُدْبَدَبَا (١)
 وَلَمْ تُبَقِ لِي الْإِيَّامُ فِي الْهِنْدِ مَأْرَبَا
 وَأَتَّخِذُ الْفُلُكَ الْبُحَّارِيَّ مَرْكَبَا
 حُقُوقُ إِذَا أَهْمَلْتَهَا كُنْتُ مُذْنَبَا
 حُمَاةَ فَسِيحِ الْمُلْكِ بِالسُّمْرِ وَالظَّبَّابَا

فَأَلْفَيْتُهَا فِي الْخَدْرِ تَطْوِي حِمَارَهَا
 فَنَادَيْتُ هَلْ مِنْ شَرْبَةٍ عَلَّ أَنْ أَرَى
 وَأَعْجَلَهَا صَوْتُ الْمُنَادِي فَبَادَرْتُ
 وَمَدَّتْ بِكَأْسٍ فِيهِ مَاءٌ كَأَنَّهُ
 وَقَالَتْ هَنِيئًا قُلْتُ هَلْ تَأْذِينِ لِي
 لِنَشْرِ مَطْوِي الْحَدِيثِ مُلَخَّصَا
 فَنِي وَجْهَكَ الْوَضَّاحِ سِيمَا الْعَفَافِ عَنْ
 تَقَدَّمَ عَلَيَّ اسْمِ اللَّهِ وَادْخُلْ فَإِنِّي
 فَقُلْتُ اشْرَحِي حَالَ الْغَوَائِبِ فَإِنَّنَا
 إِذَا رَضِيَتْ لِي لِي اشْمَأَزْتُ بُثَيْنَةَ
 فَقَالَتْ رَعَاكَ اللَّهُ إِنَّ سَرَائِرَ الْـ
 وَخُذْ جُمْلَةَ يُغْنِيكَ تَفْصِيلُهَا وَكُنْ
 شَبَابُ الْفَتَى ثُمَّ الْغِنَى عُرْوَتَانِ
 فَقُلْتُ لَهَا عَفْوًا وَهَذَا أَنَا رَاحِلٌ
 سَأَطْوِي هَضَابَ الْبَرِّ يَوْمًا وَلَيْلَةً
 إِلَى عَدَنِ ثُمَّ الْبِلَادِ الَّتِي لَهَا
 صَحِبْتُ بِهَا فَضْلًا وَفَضْلًا وَأَحْمَدًا

(١) لعله «عروتان لِدوداد»...؛ لأن الوزن فيه رَحْف.

وَأَبَائِهِمْ سَادَتْ بُنُو الْقَيْلِ يَعْرُبَا
 نُسُورَ الْفَلَاحِ رَاكِبِي الْخَيْلِ شَرْبَا
 وَهَلْ يَلْبَسُونَ التَّاجَ إِلَّا الْمُهْدَبَا
 وَأَصْبَحَ شَمْسًا بَعْدَ أَنْ كَانَ كَوْكَبَا
 لَهُ الْأَسَدُ خَوْفًا وَالسَّبْتِيُّ تَتَلَبَّأَا
 عَلَى الْمُجْتَرِي صِرًّا وَلِلْمُجْتَدِي صَبَا
 عَلَى الْعَرْشِ لَا زَتَدَ الْمُغِيرُونَ خُبْيَا
 وَذَلُّوا وَخَافُوا الْقَتْلَ وَالْأَسْرَ وَالسَّبَا
 إِلَى حَيْثُ لَا يَدْرِي وَهَذَا مُعْرَبَا
 غَمَامٌ وَيَانَ الرَّعْدُ وَالْبَرْقُ خَلْبَا
 مُعَادِيهِ يَمْشِي خَائِفًا مُتَرَقِّبَا
 وَجَيْشٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَهْمَا تَغَضَّبَا
 عَلَى الْكُومِ تَطْوِي الْبَرَّ قَفْرًا وَسَبَسَا
 كَلَيْثِ الشَّرَى عَزَمًا وَنَابًا وَمُخَلَّبَا
 بِهِ وَلَمَاضٍ حُكْمُهُ لَا مُعَقَّبَا
 بِهَا شَخْصُهُ فِي عَالَمِ الذَّرِّ رُكَّبَا
 وَسُمْرًا وَكَنْزُ التَّبْرِ أَشْبَهُ بِالرَّبَا
 مَوَدَّةُ أَعْلَامِ الْهُدَى خَمْسَةَ الْعَبَا
 وَيَدْفَعُ قَدْرًا مَنِ أَنْابَ وَأَوْبَا

بَنِي عَبْدِ بَيْضِ الْوُجُوهِ الْأَلَى بِهِمْ
 بُنَاةُ الْمَعَالِي سَابِقِي حَلْبَةِ النَّدَى
 وَعَبْدُ الْكَرِيمِ اللَّابِسُ التَّاجَ بَعْدَهُمْ
 سَعَى مَا سَعَى حَتَّى تَرَبَّعَ فِي الذُّرَى
 مَلِيكَ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ تَضَاءَلَتْ
 إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ مِنْ حِمَاهُ تَحَوَّلَتْ
 وَلَوْ كَانَ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبِ قَدِ اسْتَوَى
 وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا تَوَلَّى تَصَاغَرُوا
 وَحَارُوا إِلَى أَنْ فَرَ هَذَا مُشْرِفًا
 بِهِيَّتِهِ أَنْجَابَ الْقَتَامِ وَمُزَقَّ الْـ
 وَمَا زَالَ فِي عَرْضِ السِّبْلِ وَطُولِهَا
 مُؤَيَّدُهُ الْبَارِي بِحَازِمِ رَأْيِهِ
 وَمَهْمَا دَعَا الشُّوسَ الْأَعَارِبَ أَفْبَلَتْ
 بِهِمْ كُلُّ قَرْمٍ صَيْدِهِ قَادَةَ الْعِدَا
 حَكِيمٌ يَقُولُ الْفَضْلَ وَالْحَقُّ صَادِعٌ
 لَهُ الْجُودُ وَالْإِقْدَامُ وَالْحِلْمُ فِطْرَةٌ
 خَزَائِنُهُ مَلَأَى وَلَكِنْ قَوَاضِبَا
 وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى وَحَبْلُ اعْتِصَامِهِ
 يُعْظَمُ أَهْلَ الْعِلْمِ أَنْتَى تَدَيَّرُوا

أَيَادِيهِ فِي الدُّنْيَا تَجُولُ وَذَاتُهُ
 فَيَا لَحْجٍ تِيهِي بِابْنِ فَضْلِ فَقَدْحُهُ
 إِذَا أَنَهَلَ وَبُلٌّ مِنْ شَأْيِبِ كَفُّهُ
 وَإِنْ مَرَّ فِي وَادٍ جَدِيدٍ فَجُودُهُ
 يُمُونُ الْيَتَامَى وَالْأَيَامَى كَأَنَّهُمْ
 بَيْتٌ سَمِيرًا لِلْمَسَرَّاتِ ضَيْفُهُ
 حَوَالِيهِ مِنْ أَهْلِيهِ كُلُّ سَمِيدِعٍ
 أَوْلَيْكَ بَيْتُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ مُحْسِنٍ
 أَيَا خَيْرٍ مَنْ يَعْلُو الْجِيَادَ وَيَرْكَبُ الْـ
 وَأَسْرَعَهُمْ لِلْمُسْتَعِيثِ إِجَابَةٌ
 وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَنْدَاهُمْ يَدًا
 إِلَيْكَ اعْتِدَارِي عَنْ قُصُورِ تَأْخِرِي
 وَلَكِنْ جَنَانِي وَاللِّسَانَ كِلَاهُمَا
 وَدُونِكَ يَا ابْنَ الْغُرِّ بَكْرًا تَزَيَّنْتُ
 فَإِنْ صَادَفْتُ مِنْكَ الْقَبُولَ فَحَبِّدَا

بِلَحْجٍ فِيهَا السَّعْدُ وَالْمَجْدُ طَنَّبَا
 عَلَيَّ كُلِّ قِدْحٍ قَدْ عَلَا وَتَغَلَّبَا
 فَبَشِّرْ بِأَنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَا
 يَعُودُ بِهِ الْوَادِي مَرِيعًا وَمُخْصَبَا
 عِيَالٌ لَهُ كَانُوا وَكَانَ لَهُمْ أَبَا
 عَلَيَّ سُرْرٍ مَرْفُوعَةٍ مُتَقَلَّبَا
 يُعَدُّ إِذَا اشْتَدَّتْ لَطَى الْحَرْبِ مَقْنَبَا
 مُلُوكٌ سَعِيدٌ مَنْ لَدَيْهِمْ تَقَرَّبَا
 مَطَايَا وَمَنْ قَادَ الْجِيُوشَ وَالْبَا
 وَأَعْلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ رَأْيَا وَأَصُوبَا
 وَأَعْدَلُهُمْ حُكْمًا وَأَمْضَاهُمْ شَبَا
 لِأَنِّي ضَعِيفُ الْجِسْمِ وَالرَّأْسِ شَيْبَا
 إِلَيَّ نَزَعِ رُوحِي عَنْكَ لَنْ يَتَغَيَّبَا
 بِمَدْحِكَ كَالْعَذْرَاءِ فِي صَبُورَةِ الصَّبَا
 وَإِلَّا فَقُلْ إِنَّ الْجَوَادَ بِهَذَا كَبَا

وفي التاسع والعشرين من شهر الحجة سنة ١٣٤٠ هـ توفي السلطان علي بن
 مانع الحوشبي، وجاء رؤساء قبائل الحواشب حسب العادة إلى لحج وقد بايعوا
 السلطان محسن بن علي الحوشبي، فطلبوا موافقة سلطان لحج علي ولاية
 السلطان الجديد، وأن يمدهم بفرقة من جنوده لمساعدتهم علي حفظ الأمن

وزجر المخالفين من الحواشب، ولذلك الخصوص أرسل السلطان عبد الكريم فرقة من عسكره إلى المَسِيْمِيْر بقيادة المؤلف.

ولم تصل عسكر السلطان إلى المَسِيْمِيْر حتى أذعن من عصي من الأحذور والتزموا بأمان الطرق والمحافضة على أموال التجار والمسافرين وأرواحهم، فعدت عسكر السلطان إلى لحج بعد عشرة أيام.

وبعد ذلك استصرخ علي بن سَلَام الفَجَّاري قبائل الظنابر وبعض الأصابع وصار بعقيرته إلى رَدْفَان، وادعى السلطنة على الحَوَاشِب. ثم جاء به الشيخ محمد صالح الأخرم إلى لحج مع كافة مشايخ الظنابر وعُقَال ردفان، وفي نيتهم أن يتحصلوا على رضا السلطان عبد الكريم بسلطنة علي بن سَلَام على الحواشب. ولما صاروا في الطريق بقرب لحج اعترضهم الشيخ عبد الله بن فريد العَوْلَقِي.

وكان يومئذ أمير حامية العند. فقال شعراً:

مَا قُلْتُ يَا رَدْفَان إِلَّا عَلَى مَسْتَخْبِرِكَ عَمَّا تَقُولُهُ
مَا تَسْمَعُكَ قَلْعَةَ حُمَادِي إِنْ قُلْتُ بِنِ سَلَامٍ دَوْلُهُ (١)

حدثني الشيخ محمد صالح الأخرم شيخ آل قطيب قال: نزلنا وقبائل ردفان إلى لحج وهم مجمعون على تولية علي بسَلَام ولو برغم إرادة الحواشب، وكنت عارفاً في نفسي باستحالة تنفيذ مقصد القبائل الأجعود، ولم أستطع مفاتحتهم بما في نفسي ولا مراجعتهم فيما هم عليه من الإصرار على العِنَاد، حتى قابلنا الشيخ عبد الله بن فريد العَوْلَقِي ففتح لي باب مغلق وأرشد القبائل إلى الصواب. اهـ.

(١) دولة يراد بها السلطان. المؤلف.

وبما أن الحواشب كانوا قد بايعوا السلطان محسن بن علي باختيارهم واعترفت بذلك سلطنة لحج خرج علي بن سلام الفَجَّاري من لحج وفي نفسه شيء، فجمع من أطاعه من الظنابر وقبائل ردفان على الفساد، وأعانه الشيخ سالم بن طاهر الظنبري ومقبل عبد الله القَطِيبِي، وهاجموا المسيير واستولوا على قرية الذَّنْبَةِ^(١)، فاجتمعت قبائل الأحدور والأعمور حول السلطان محسن بن علي، وحمل بهم الأمير محمد بن غالب الأقرعي على علي بن سلام وأصحابه ففرقهم شَذَر مَدَّر، وكاد يقع علي بن سلام بنفسه في الأسر، واستمرت أذية علي بن سلام في الطرق حتى استنجد السلطان محسن بن علي الحوشبي بسلطان لحج، فجرد الحملة الشعواء إلى الدُّكَيْمِ وأمر بالقدوم إلى الرَّاحَةِ على علي بن سلام، ولما بلغ علي بن سلام ذلك جاء إلى الدُّكَيْمِ بنفسه مع الأمير عبد الحميد بن شايف ومقبل عبد الله القَطِيبِي، وأصلح السلطان عبد الكريم شأنهم في الدكيم.

وفي سنة ١٣٤١هـ وصل إلى عدن الجنرال كلايتين مندوب الدولة البريطانية لمفاوضة الإمام يحيى، وتوجه إلى صنعاء، ولم تسفر مفاوضاته عن نتيجة مرضية لتمسك الإمام بمدينة الضالع وجبل جُحَاف، وكان الأمير نصر أمير الضالع بعد أن أخرجه الأتراك من الضالع - كما تقدم - مقيماً في ردفان. ثم لما توفي عبد الله محمد جاء إلى لحج لمراجعة علي سعيد باشا، فلم يتَوَقَّق، وبقيت بلاده تحت رحمة محمد ناصر مقبل. ثم لما ضاق بالأمير الحال توجه إلى صنعاء

(١) الذَّنْبَةُ: قرية في ردفان وينسب إليها نقيب الذنبة في الطريق الصاعد إلى جبل جُحَاف بالضالع.

لعرض شكواه على الوالي محمود نديم وحضرة الإمام يحيى، ثم عاد إلى لحج، وبرفقة الشيخ مقبل عبد الله القطيبي وبناءً على توصية الوالي محمود نديم كتب علي سعيد باشا إلى محمد ناصر باشا كتاباً أرسله مع الشيخ مقبل عبد الله القطيبي بخصوص إرجاع الأمير نصر إلى بلاده، ورَفَعَ عسكر الشيخ محمد ناصر عنها.

وبعد أن ارتفعت عسكر الشيخ محمد ناصر مباشرة أعلنت الهدنة، ولم تطل مدة إقامة الأمير المنكود في الضالع حتى جاءت العساكر الزيدية واحتلتها، فالتجأ الأمير إلى رَدْفَانَ مرة ثانية واستفز القبائل وتقدم بهم على الزيدية فأجلاهم عن الضالع. ثم أعاد الزيدية كرتهم على الضالع فاستردوها بعد يومين، وانحدرت جنود الزيدية على ردفان للانتقام من الأجعود. واستمرت المعارك عامين كاملين استولى الزيدية في البداية على كافة أرض القَطِيبِيِّ والبَكْرِيِّ، وانحاز الشيخ محمد صالح الأخرم إلى نَحْلَيْنِ، ثم كَرَّتْ القبائل على الزيدية وأخرجوهم من أرض القطيبي، وتمسك الزيدية بِنَقْطِ مَحْصَنَةٍ في بلاد البَكْرِيِّ كانت سبباً لقلق الشيخ محمد صالح الأخرم.

وحدث شبه هدنة بسبب المفاوضة المستمرة يومئذ بين والي عدن والحضرة الإمامية بواسطة القاضي عبد الله العَرَشِيِّ، فلذلك لم تساعد حكومة عدن شيخ آل قَطِيبٍ لإخراج تلك الحامية المقلقة لردفان وقبائله طمعاً في نجاح المفاوضة. واغتنم أمير جيش قَعْطَبَةَ فرصة استياء الشيخ محمد صالح ووجود مندوبهم العَرَشِيِّ في عدن. فدعا الشيخ محمد باسم السُّلَمِ على شروط مرضية سنة ١٣٤١، فلبى الشيخ محمد صالح الدعوة وسار إلى الضالع وفرح به الأمير، فأطلقت المدافع وضربت الطبول تحية وتكريماً له، وجعلوا له راتباً شهرياً قدره

ستين ريالاً، وربع العشر من زكوات.

قال أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» عند ذكر هذه الحادثة: إن حضرة الإمام إذا ثابر على هذه الخطة لَمِنَ الفائزين بما يبغيه من الإنكليز، فهو يقتدي بهم فيحاربهم في اليمن الأسفل بتلك السياسة التي هي عندهم رأس أسباب السيادة. ألا وهي سياسة الولاء والعطاء ثم الاستيلاء، وتراه لا يقصر حتى في الجزاء والإكرام، فيرفع إلى المناصب العالية المشايخ والعُقَّال، ويدفع لهم المشاهرات^(١)، ويخصهم فوق ذلك بجزء من الزكوات. أي دهاة الإنكليز عندنا المدافع نطلقها مرحبين بإخواننا المسلمين. اهـ. ولكن هيهات أن يفهم مثل عامل الضالع هذه السياسة، بل ليتنا جميعاً نعتصم بحسن المعاملة والكياسة، ولكن الطبع يغلب التطبع، فلم يعد الشيخ محمد صالح إلى بلاده حتى وضع أعز أقاربه رَهِيْنَةً، ولم تمض أشهر حتى ملأ السيد يحيى أمير جيش قعطبة السجون من أبناء الأشراف الردفانيين وغيرهم يسوقهم العريفة بالحبل والسوط مكبلين بالحديد كالمجرمين، وأذاقوهم من سوء المعاملة والغطرسة ما لا يتحمله الأحرار، بل ما دونه حريق النار. ولم ينج من سوء المعاملة حتى الشيخ محمد صالح الأخرم نفسه، اعتقلوه في قعطبة سبعة أشهر ولم يرحموا ضعفه ولا شيخوخته، ولم يتخلص إلا بعد أن افتدى نفسه وأتباعه بوافر المال ورهن خيرة الرجال.

فلذلك عاد آل قطيب إلى حضن الحماية البريطانية بلا إطلاق مدافع ولا ضرب طول كما سيأتي ذكر ذلك في محله.

(١) أي: المعاشات والرواتب.

(حكاية) أخبرنا الشيخ مقبل عبد الله القطيبي قال: بينما كان العرائف الزيود يسوقون الرهائن الشافعية يوماً وهم مكبلون بالحديد بدت فرق من الجند الإمامي ينشدون أهازيجهم الحماسية، وتَحَمَّسَ لذلك الشبان الرهائن من يافع وغيرهم فاصطفوا غير مكترئين بمن يسوقهم من العرائف، وتوسطهم ابن الشيخ الحِمَيْقَانِي مرتجلاً:

يَا ذِي الْكُتَائِبِ ذِي بَدَيْتِي مَالِشْ مِنْ السُّنِّي سَلَامَهُ
اللَّهُ عَلَّيْشِ الْيَوْمَ أَكْبَرُ قَامَتْ عَلَى بُؤُوشِ الْقِيَامَةِ^(١)

وفيها قدم إلى لحج شيخ السادة بمكة المكرمة السيد محمد بن علوي السقاف لينوب عن صاحب الجلالة الملك الحسين بن علي في تقليد سلطان لحج نشان الاستقلال من الدرجة الأولى، وقلد السيد الأصيل الوزير الكبير الجليل علوي بن حسن نشان الاستقلال من الدرجة الثانية، والسيد المشار إليه هو السيد خان بهادر علوي بن حسن بن علوي الجفري السابق ذكره، وأزر السلطان فضل بن علي والسلطان السر أحمد فضل محسن والسلطان السر علي بن أحمد بن علي والسلطان السر عبد الكريم فضل ومعاضدته لسلاطين لحج في مهامهم أشهر من أن يُنَوَّهَ بها كاتب، وأكثر من أن يحصيتها حاسب، وحمل هدية والي عدن إلى أمير المؤمنين إمام صنعاء يحيى بن محمد حميد الدين كما تقدم. ورافقه في رحلته الأمير صالح بن سعد بن سالم، وأنعمت عليه الدولة

(١) ينطقون الكاف شيناً. المؤلف.

قلت: وهذه لَهْجَةٌ آلِ حِمَيْقَانَ وعامة أهل مدينة البيضاء وما جاورها من مديرياتها كذلك.

البريطانية بوسام خان بهادر اعترافاً بفضله وَنُبْلِهِ، حفظه الله تعالى، آمين.

وفي ١٧ شهر شوال سنة ١٣٤٢هـ سافر السلطان عبد الكريم إلى أوروبا، واستصحب نجله الأمير فضل ووزيره خان بهادر السيد علوي بن حسن الجفري، ومر في طريقه على البلاد المصرية حيث قابلته حكومة مصر بالاحترام اللائق، وأقام بمصر أياماً زار في أثنائها جلالة ملك مصر فؤاد الأول بن إسماعيل، وسعادة اللورد ألمبي معتمد دولة بريطانيا العظمى في مصر، وقابله اللورد بمزيد الحفاوة. وفي مصر تأثر السيد علوي بن حسن فأذن له السلطان بالعودة إلى لَحْجِ المحروسة، واستدعى ولده السيد عبد الله بن علوي بن حسن، ثم واصل السلطان سفره إلى الديار الأوروبية، وقصد مدينة لندرة، وقابله صديقه اللفتنت جنرال اسكوت والي عدن في محطة (فكتوريا)، وأقام السلطان في هذه المدينة العظيمة أياماً زار في أثنائها جلالة الملك الإمبراطور جورج الخامس زيارة خصوصية في (بكينجهام)، ورافقه في هذه الزيارة نجله الأمير فضل، ثم حضر هو ونجله عزومة أقامها جلالة الملك في جنينة القصر. وحضر معه نجله والسيد عبد الله علوي في عزومة الوزارة في (الرويل انشتيون) وعزومة أقامها رئيس الوزارة المستر رمسي مكدونلد في (همتن كورت)، وزار البرلمان البريطاني ورجال وزارة دولة بريطانيا العظمى، ثم طاف أوروبا فزار عواصمها باريس ورومة وبرن. وبعد أن قضى ثلاثة شهور سائحاً في فرنسا وسويسرة وإيطاليا عاد إلى وطنه فاستقبلته البلاد استقبالاً لم يسبق له نظير مساء اليوم التاسع من شهر المحرم سنة ١٣٤٣هـ، وألقى المؤلف بين يديه يومئذ القصيدة الآتية:

طَلَعَتْ أَنْوَارُ لَحْجٍ مِنْ عَدَنٍ فَاسْتَقْبَاهَا يَا أَيُّهَا الْوَادِي تُبْنَ

وَتَوَارَى الْحُرُنُ عَنْهَا وَالشَّجَنُ
 فِيكَ تَكْفِينَا مُلَمَّاتِ الْفِتَنِ
 بِحَنَانِ صَوْتِ أُنْبَاءِ الْوِطَنِ
 حُبِّ مَوْلَاهَا كَفَرَضٍ وَسُنَنِ
 سِرِّ بِنَا بِالرَّفْقِ فِي النَّهْجِ الْحَسَنِ
 أُسْوِيَسِرَ وَلَنَدْبُؤُسُ كَالِيَمَنِ
 فِي شَقَى جَهْلٍ وَكَرْبٍ وَمِحْنِ
 زُوا بِهُدَاهُ فَتَلَقَّوْا كُلَّ فَنِّ
 قَدْ بَدَلْتُمْ فِي التَّحَرِّيِّ مِنْ ثَمَنِ
 بَرَقَ حَتَّى أَدْعَنَ الْبَرْقُ وَدَنِّ
 جَمْرَةً مِنْ نَارِهِ تَكْوِي الْإِحْنِ
 مَجْدٍ دَاعٍ بِالْهُدَى فِي النَّاسِ مَنْ
 كَلَّمَا حَسَّ شَقَاءَ الْعَرَبِ أَنْ
 شَامِخَاتِ السُّودِ تَجْرِي بِالْغَدَنِ
 طُرُقًا تَحْتَ الثَّرَى ذَاتِ شَجَنِ
 يَخْتَفِي بَيْنَ سَحَابَاتِ طِبْنِ
 تَمَلُّ الْجَوِّ دُخَانًا وَدَخْنِ
 خَيْمِ الْجَهْلِ عَلَيْهَا وَدَفْنِ
 زَكَوَاتٍ أَنْفَقُوهَا فِي دَدَنِ

جَاءَ مَوْلَاهَا فَوَلَّى كَرْبَهَا
 أَنْتَ مَوْلَانَا وَمَنْ أَمَلْنَا
 رَحَبْتَ لِحَجِّ بِكُمْ فَاسْتَقْبَلُوا
 عَرَفْتَنَا أَنْ مِنْ آدَابِهَا
 بِكَ فَلنَحْيَا وَفَلنَحْيَا بِنَا
 كَيْفَ أُوْرُوبَا وَمَا شَاهَدْتُمُوهُ
 أَعْرَاةُ أَجِيَاعِ أَهْلِهَا
 أَمْ رِجَالُ أَحْرَزُوا الْعِلْمَ وَقَا
 أَدْرَيْتُمْ كَيْفَ فَاقُونَا وَهَلْ
 كَيْفَ طَارُوا فِي السَّمَاءِ وَاسْتَخْدَمُوا أَلْ
 هَلْ جَلَبْتُمْ مَعَكُمْ مِنْ قَبْسِ
 مَنْ لِقَحْطَانٍ وَعَدْنَانٍ إِلَى أَلْ
 إِنَّ قَلْبِي لَمْ يَزَلْ فِي أَضْلَعِي
 هَلْ تَرَى السَّكَّةَ وَالْقَطْرَ عَلَى الشِّ
 أَوْ لِسَيَّارَاتِنَا قَدْ حَرَّقَتْ
 وَنَرَى طَيَّارَنَا تَحْتَ السَّمَاءِ
 أَوْ نَرَى دُورَ الصَّنَاعَاتِ هُنَا
 أُمَّةَ الْمُخْتَارِ وَالْهَفِي لَقَدْ
 كُلُّ مَا جَمَعَهُ أَرْبَابُهَا

فِيكَ آمَالٌ لَنَا قَدْ عُقِدَتْ
 سِرُّنَا فِي مَنَهِجِ الْخَيْرِ فَقَدْ
 سِرُّ إِلَى الْخَيْرِ بِلَا مَهَلٍ وَإِنْ
 إِنَّ أَصْلَ النُّورِ بِالْمُضْبَاحِ فِي
 لَوْ شَكَتْ لَحْجٌ مِنَ الزَّهْوِ فَقَدْ
 عَبَثٌ مِنْهُ الْقُرَى قَدْ أَقْفَرَتْ
 فَأِلَى اللَّهِ مُنَاجَاةُ الْقُرَى
 أَنْتَ رَاعِينَا فَحَقَّقْ ظَنَّنَا
 يَا أَبَا الْفَضْلِ وَدُمْ فِي عِرَّةٍ
 وَطَنِي أَفْدِيكَ لَحْجٍ مِنْ وَطَنِ

ثم تلا الأبيات الآتية:

أَيُّهَا النَّجْلُ الْمُنَارُ الزَّاهِي
 مَرْحَبًا أَهْلًا بِكُمْ مِنْ رُفْقَةٍ
 كَانَ نَرْدِيرًا الَّذِي يَجْرِي بِكُمْ
 فَاقْبَلُوا تِرْحَابَنَا إِذْ أَتْنَا
 وَالْحَيِّبُ الْغَوْتُ عَبْدُ اللَّهِ
 مَعَ مَوْلَانَا الْعَرِيضِ الْجَاهِ
 مَآخِرًا فِي الْقَلْبِ لَا الْأَمْوَاهِ
 فِي سُرُورٍ بِكُمْ وَاللَّهُ

ثم وقف العلامة الشيخ أحمد بن قاسم النخلاني خطيب جامع لحج ومفتي ديار اللّحجّية فقال: إني أتشرف أيها السلطان بأن أقوم بين يدي سموكم لإملاء هذا المثثور والمنظوم عن لسان مملوكم الأمير معبراً بذلك عن لحج وأهلها مما شملته العبارة، فلتسعدوا بالإصغاء.

أَهْلًا وَسَهْلًا ثُمَّ أَهْلًا وَسَهْلًا، بِمَوْلَانَا السُّلْطَانَ.

أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَوْلَانَا ابْنِ مَوْلَانَا، الْفَضْلَ نَجَلَهُ.

أَهْلًا بِالرَّفِيقِ ابْنِ الْوَزِيرِ.

تاريخ القدوم (أهلاً وسهلاً بمولانا السلطان عبد الكريم قدوم سعيد مبارك سنة ١٣٤٣هـ).

أيها المولى المعان، اليوم لا يستطيع اللسان، ولو أَسْعَدَتْهُ الجوارح أن يعبر
بعبارة تفي بما حواه ضمير المُخْلِص من السرور بمقدمكم السعيد من سفركم
البعيد، الذي وإن كان يعد بالأشهر فإننا نعهده بالسنين والأعوام. وكيف لا وأنتم هو
الروح الساري في أجزاء المملكة، أنتم هو النفس الحية، أنتم هو الجوهر المنعش
للدولة، أنتم هو السيف المصلت في الكف الصلبة الحديدية، أنتم هو الراعي وها
نحن كلنا الرعية. أنتم الساهرون إذا ناموا، وأنتم القائمون إذا قعدوا، وأنتم
السائرون إذا تخلفوا، أنتم المحسنون إذا أساءوا، أنتم حماتها وكماتها، أنتم رعاتها
وسراتها. فليحيى السلطان عبد الكريم ونجله الفضل.

لحج وما أدراك ما لحج، ذرفت لفراقكم دموعها، وحتت لبعدكم أحيائها
وربوعها. ومن ذا يلومها وقد غاب عنها هذه المدة زعيمها وعظيمها. راجح
الميزان في الرأي والتدبير، وجامع الإحسان بالحزم والتقدير. رافع أركانها ومشيد
بنيانها، ومعيدها بعد الاندثار، ولأمُّ شعثها بعد الانتشار. (فليحيى السلطان
عبد الكريم ونجله). فالיום هدأ حنينها، وسكن أنينها، واطمأن بالها، وقامت
تكرر آيات الترحيب. وتلبس حلي الشباب بعدما كلفها الفراق المشيب. فأهلاً

وسهلاً بسيدنا ومولانا ليعش وليحيى مولانا السلطان وليحيى فضل عبد الكريم.

ثم تلاه الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبادي أستاذ مدرسة الترفي

المحسنية فتلا قصيدته هذه:

أَهْلًا بَمَنْ شَرَّفَ الْأَوْطَانَ مَقْدَمُهُ
وَطَالَعَ السَّعْدِ إِذْ مَا سَارَ يَقْدَمُهُ
بَدْرٌ أَهْلٌ عَلَيَّ لِحَجِّ فَنَوَّرَهَا
حَتَّىٰ أَنْجَلَنِي مِنْ مَعَانِي الْقَطْرِ مَظْلَمُهُ
يَا مَرْحَبًا بِقُدُومِ زَادِنَا فَرَحًا
لَمْ أَسْتَطِعْ مِنْ ذُهُولِي أَنْ أُتْرِجِمَهُ
بِالْيَمْنِ وَالْأَمْنِ وَالْإِقْبَالِ شَرَّفَنَا
بِعَوْدَةِ مَنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ تَحْدُمُهُ
فَالْغُصْنُ يَرْقُصُ مِنْ أَفْرَاحِهِ طَرَبًا
لَمَّا أَتَتْهُ رِيَّاحُ الْبِشْرِ تُعَلِّمُهُ
وَالْكَوْنُ أَبْهَجَ مِنْ أَنْوَارِ طَلْعَتِهِ
فِي مَنْزِلِ السَّعْدِ حَيْثُ الْمَجْدُ مُعَلِّمُهُ
يَا أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمَيْمُونُ قَدْ طَلَعْتَ
شَمْسُ الْأَمَانِي لِلَيْلِ الصَّدِّ تَهْزِمُهُ
مَوْلَى الْفَضَائِلِ سُلْطَانَ الْأَنَامِ لَهُ
فِي رِبْوَةِ الْمَجْدِ رُكْنٌ قَدْ تَسَنَّمُهُ
حَيَّاهُ مِنْ مَلِكٍ بِالْمَجْدِ مُتَّصِفٌ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ وَالْأَنْجَالُ أَنْجُمُهُ
مَا غَبَتْ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ أَنْتَ غَامِرُهُ
بِالْمُكْرَمَاتِ وَخَصْمٍ أَنْتَ مُؤَلِّمُهُ
وَمَا خَصَمْتَ كَرِيمًا فِي الْوَرَى أَبَدًا
حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ عُذْرٌ فَيَزَعُمُهُ
وَإِنَّمَا أَنْتَ كَهْفٌ لِلْكَرَامِ غَدَا
حِصْنًا مَنِيعًا يُؤَاوِي مَنْ يَمَمُهُ
أَكْرَمٍ بِمَقْدَمِ شَهْمِ آبٍ مِنْ سَفَرٍ
لِلْخَيْرِ فِيهِ مَعَ التَّوْفِيقِ يُلْهِمُهُ
هَذَا الْهَيْلَالُ بَدَا وَالنَّاسُ تُرْقُبُهُ
لَا يَمْتَرِي فِيهِ حَتَّىٰ مَنْ بِهِ كَمَهُ
هَذَا ابْنُ فَضْلِ أَبُو فَضْلِ غَدَا عَلَمًا
لِلْمُكْرَمَاتِ وَكُلُّ النَّاسِ تَعَلَّمُهُ

لَا يَسْتَطِيعُ امْرُؤٌ يُخْفِي مَكَارِمَهُ
 أَبْنَاءُ شَعْبِكَ يَا مَوْلَايَ فِي فَرَحٍ
 قَدْ تَاهَ كُلُّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ بِلَا فَرَحٍ
 أَنْقَذْتَ بِالْوَصْلِ أَرْوَاحًا مُعَذَّبَةً
 الْأَرْضُ سُرَّتْ وَأَهْلُهَا جَمِيعُهُمْ
 نِعْمَ اللَّيَالِي لِيَالِي الْوَصْلِ مُقْمِرَةً
 مَا أَبْرَكَ الْوَقْتَ إِلَّا مَا قَدِمْتَ بِهِ
 فَهَآكَ أَحْرَفٌ دُرٌّ قَدْ عَدَا كَلِمًا
 أَبْقَاكَ رَبُّ الْعُلَى فِي كُلِّ أَوْنَةٍ
 نَصْرٌ وَفَتْحٌ مِنَ الْجَبَّارِ عَوْدُكُمْ

٤٢ سنة ١٣٤٣هـ ١٤٠ ٢٣٧ ٩٠ ٤٩٤ ٣٤٠

وفي ٢٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٦ توفي الشيخ محمد صالح الأخرم شيخ آل قَطِيب، وهو من الرجال الكَمَل رحمة الله تعالى. واتفقت كلمة آل قَطِيب على مشيخة حفيده الشيخ حسن بن علي الأخرم. وكان قد نفذ صبر الرَدْفَانِين من سوء معاملة أمير جيش قَعَطَبَةَ السيد يحيى، فكتب الشيخ حسن علي إلى والي عدن بذلك وأن آل قَطِيب ما زالوا يتمسكون بالحماية مخلصين للدولة. ثم جاء الشيخ حسن علي وزعماء آل قَطِيب إلى عدن فأكرمهم والي عدن، وأمرهم بأن يعودوا إلى بلادهم، وأن لا يحدثوا أي اعتداء على الحماية الإمامية التي في بلاد البكري، بل يبلغوا الحكومة عن أي اعتداء جديد حالاً.

وفي شهر ربيع الثاني من تلك السنة أَلْقَت الطيارات البريطانية على مدن اليمن منشورًا أُنذرت فيه الزيود بأنه عند حدوث أي تعدد جديد من العساكر الزيدية سيقابل بإلقاء القنابل.

وفي شهر شعبان دخل جماعة من الزيدية إلى بلاد آل قطيب واختطفوا الشيخ مقبل عبد الله عم شيخ آل قطيب، والشيخ عبد النبي العلوي شيخ آل علي، فأُنذرت الطيارات أمير جيش قعطبة أن يرفع النساء والأطفال في ظَرْف ٢٤ ساعة. وابتدأ إلقاء القنابل بعد انتهاء تلك المدة فعلاً، واستمرت ثلاثة أيام، وفي ٢٥ رمضان أذاعت الطيارات المنشور الآتي نصه:

إلى أهل المذهب الشافعي في اليمن وفي المحمية البريطانية، بعد السلام:

لقد علمتم أنه بناء على انتهاك حرمة المحمية البريطانية من الإمام والزيود وتعددهم عليها، أُجْبِرْنَا على إلقاء القنابل على حامية الزيود.

ثانيًا: بما أن هذه الحاميات أقامت نفسها بينكم فلعلكم قاسيتم من تأثير هذه القذائف ما قاسيتم، فذالكم ذنب الزيود لا ذنبنا حسبما قد علمتم بذلك بدون شك.

ثالثًا: كل محل ليس فيه حامية زيدية لن يصير عليه رمي القذائف من طيارتنا إلا إن أعان سكان ذلك المحل الزيود بأي وجه من الوجوه.

رابعًا: لكي تُعَيِّدُوا في أمان نعلمكم أن طيارتنا لن ترمي القذائف في أيام العيد، وذلك بتاريخ ٢٩ و٣٠ رمضان، وتاريخ ١ و٢ شوال سنة ١٣٤٦ هـ الموافق ٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ مارس سنة ١٩٢٨ م، إلا إن حصل شيء من الزيود يؤدي إلى

لزوم الضرب، فإذا حصل رمي بالقذائف في تلك الأيام ستعرفون أن الزيود هم المسئولون بذلك.

خامساً: وبما أن طياراتنا ستطير في تلك الأيام ولكن ما لم يحصل شيء من الزيود كما ذكرنا أعلاه، فإن طيرانها سيكون للكشف لا لرمي القذائف، والسلام.

إمضاء الجنرال استيورت - والي عدن

ثم توسط السيد علي ابن الوزير أمير جيش تعز، والسلطان عبد الكريم فضل سلطان لحج وأطلقا الشيخين مقبل عبد الله وعبد النبي، وعقدت هدنة وفتح باب للمفاوضة بخصوص جلاء الجنود الإمامية عما تحتل في المحمية، وأن تكون حدود النواحي التسع كما كانت في عهد الأتراك.

وفي ٢٢ شوال سنة ١٣٤٦هـ توجه السلطان عبد الكريم فضل والميجر فاول معاون والي عدن والسيد علوي بن حسن الجفري إلى تعز للمفاوضة، ولم تسفر المفاوضات عن نتيجة، فلقد كان أمير جيش تعز لا يملك التفويض للبت في الأمر، بل رفع مضمون المخابرة للحضرة الإمامية، وعاد السلطان من طريق ماوية برآ، والمعاون من طريق المَخَا فكمَرَان فعَدَن.

وكانت أيام الهدنة على وشك الانتهاء، فطلب أمير جيش تعز مدَّ أَجْلِهَا، فقبلت حكومة عدن ومدت أجل الهدنة إلى ٢٩ المحرم سنة ١٣٤٧هـ على شرط أن تخلي الجنود الإمامية مدينة الضالع في ٢ منه.

وأذاعت منشورًا لمعلومية جميع السلاطين والأمراء والمشايخ في البلاد الكائنة تحت الحماية البريطانية نصه:

أن الحالة الحاضرة بين الحكومة البريطانية وسعادة الإمام هي أنه بناء على طلب الإمام، فحكومة جلالة ملك بريطانيا سمحت بامتداد أجل الهدنة إلى تاريخ ١٧ شهر جولاي سنة ١٩٢٨ م الموافق ٢٩ محرم سنة ١٣٤٧ هـ على شرط أن سعادة الإمام يخلي مدينة الضالع في تاريخ ٢٠ جون سنة ١٩٢٨ م الموافق ٢ محرم سنة ١٣٤٧ هـ كفالة لحسن نيته، حرر ٨ جون سنة ١٩٢٨ م.

إمضاء/ الميجر فاوول

قائمقام والي عدن

ثم بلغ حكومة عدن أن الزيود غير مستعدين للجلاء عن الضالع في الميعاد المضروب، وأنهم يستعدون للزحف على لحج وعدن إذا عاودت الطائرات إلقاء القذائف عليهم. وفي الحقيقة لم يكن في نية الإمام من صالحه الزحف على عدن، وإنما أرجفوا به ظانين أن ذلك سيحمل البريطانيين على تعديل خطتهم ويثنيهم عن عزمهم، فلما أمر سلطان لحج بالحشد للدفاع وبتحصين الحصون وإجلاء النساء والأطفال عن مواقع القتال، وبلغهم ذلك عرفوا أن الحبل قد انقطع، وأن الدولة البريطانية صممت على إلقاء القذائف، فانزعجوا لذلك وجلا سكان جميع مدن اليمن عنها حتى مدينة صنعاء نفسها.

وفي ٢ محرم انتهى الأجل المضروب فحلقت الطائرات البريطانية وأصلت مدن اليمن وابلًا من القنابل، رمت على الضالع وقعطبة والتأدرة وذمار ويريم وتعز وماوية وإب ومحلات أخرى^(١)، وأصاب اليمن محنة عظيمة وروعة

(١) ومنها: قريتي الصومعة وانظر تصوير ما حصل لها لأحد شعراء وأعيان تلك القرية في قصيدة

كبرى. ولما كان الحل الوحيد للمشكلة إجلاء الزيود عن الضالع وإعادتها لأميرها استعد الأمير نصر بن شايف بمعاونة حكومة عدن لاسترداد بلاده، وكتب قائمقام والي عدن الميجر فاوول إلى شيخ آل قطيب بأن يخرجوا الحامية الإمامية القليلة من حصن سُلَيْك الكائن على طريق الضالع، وحاول الشيخ مقبل عبد الله الحامية بحسن التدبير فَسَلَّمَتْ بدون حرب.

فحمي وطيس غضب أمير جيش قعطبة لذلك وَسَيَّرَ جيشًا بين سبع إلى تسعمائة مقاتل من الضالع لاسترداد الحصن وتأديب آل قطيب. وإذا أراد الله أمرًا هياً أسبابه، فبينما كان الجيش سائرًا في طريقه من الضالع إلى سُلَيْك كان الأمير نصر وعِيْرُهُ سائرًا من لحج إلى سُلَيْك لجمع قبائل رَدْفَانَ وَحَالِمِينَ وغيرهم والزحف بهم على الضالع، ولما بلغ جند الإمام ماء حَرْدَبَةَ قرب سليك مر بهم من أبلغهم أن الأمير نصر في الملاح على مقربة من سليك أيضًا. ومعه مِيرة وَذَخِيرة كثيرة بدون رجال مقاتلة، وأن ليس في السليك غير خمسين مقاتل من آل قَطِيب. فطمعوا في العير والنفير وهاجموا سليك من ثلاث جهات على حين غفلة، فَدَوَّت المدافع وَتَبَّت المُدَافِع، وأغارت القبائل وفرقوهم شذر مذر، فتقهقروا بلا نظام تاركين وراءهم ثمانية عشر قتيلًا وثمانية أسرى. وبعد هذه المعركة خُذِلَت الحامية الإمامية وأُخِلت القرى الكائنة تحت النقييل وهي (الطفوة وثوبة والرُدوع والمجبة والدمنة والمركولة والخريبة)^(١) بل وأصبحت حالة الجند الإمامي حتى

له في آخر كتابي: «ذكريات عن قريتي نَثَرْتَهَا جُعبَةً ذاكرتي».

(١) هذه الأسماء للأماكن المذكورة كلها تابعة لمدينة الضالع، ذكر بعضها المقحفني في «معجم

ما فوق النقييل من بلاد الضالع حولاء^(١) مما قاسوا من قذائف الطيارات.

وثبت لعامل الضالع أن ما يملك جنده من عددٍ وعدَدٍ وشجاعة لا يجدي نفعاً في مقاومة سلاح الطيران البريطاني والقذائف الجهنمية المهلكة، حتى سمع من غير واحد من رجاله من يقول له: نحن لا نحارب من في الأرض ومن في السماء.

ولما وصل الأمير نصر حسن سليك وجد القبائل ثملة بنشوة النصر، وتقدم بهم على الضالع ودخلها عنوة بمساعدة سلاح الطيران البريطاني صباح يوم ٢٧ المحرم سنة ١٣٤٧ هـ بعد أن جلت الحامية الإمامية ليلاً، ولم يكن مع الأمير نصر من الإنكليز غير الضابط الباسل فليت لفتنتت ريكارد ومدير اللاسلكي لمخابرة الطيارات، ولم تخسر قبائل الأمير غير قتيل واحد في زُبَيْد^(٢)، وخسرت الحامية ثلاثة قتلى في الضالع، وكان هذا الاقتصاد في سفك الدماء من فعل الطيارات التي جاءت بالعجب وروعت الطرفين المتخاصمين من العرب وأدخلتهم في الدَّبِّ، وأعدت للبلاد الطمأنينة المفقودة منذ انحدر الباشا علي سعيد من صنعاء بالقربعة والمجازيب ونهبوا لحج، وكان استرداد الأمير نصر للضالع حلاً للمشكلة. ثم رمت الطيارات على الشُّعَيْب^(٣) ومحكم العوابل فجلت عنها الحامية الإمامية، وبعد ذلك أذاع والي عدن وقائد جيشها الكولونل السر استيورت سيمس بأن إلقاء القنابل توقف نهائياً ما لم يحصل اعتداء جديد، وكفى الله المؤمنين القتال وأهوال القنبال، فليحكم الضالع أميرها مستقلاً عن صنعاء،

(١) لعل المقصود: «لا حول لهم ولا قوة».

(٢) زُبَيْد: بلدة في الضالع ينسب إليها طائفة من آل الزُبَيْدي.

(٣) الشُّعَيْب: أخذود جبلي في الجنوب الغربي من الضالع.

وساعة الوحدة العربية وإن بعدت آتية لا ريب فيها، ومَا مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ حَتْمًا مَقْضِيًّا.

ولن يحول تعدد ملوك العرب وأمرائهم دون الوحدة العربية، وإنما يحول دونها طمع قلوبهم بضعيفهم، ونفور بعضهم من بعض، ولا لوم على الضعيف إذا استعان لسلامته بأية قوة من الخارج، بل اللوم على ذلك القوي يخنق أخاه في الدار ويهضم حقه لكي يدخل جاره القوي بصفته فاعل خير ليرفع الخناق عن الرقبة ويفوز بالأجر والشكر والصدقة. ولا يكسب الإخوان إلا المنافرة والتفرقة. فلماذا لم يتسن للسيد يحيى عامل الضالع أن يرجع إلى قعطة بكامل الرضى لا مذمومًا ولا مدحورًا؟ لكي يحكم الضالع أميرها الحق أخوه الشافعي نصر بن شايف الحالمي الحميري القحطاني.

وفي سنة ١٣٤٨هـ وسنة ١٣٤٩هـ عقد في لحج سلاطين وأمراء ومشايخ لحج والحواشب وردفان ويافع وأبين وأحور والعوالق العُليَا والضالع والظَاهِر مؤتمرين حضرهما السلطان عبد الكريم فضل العبدلي والسلطان عبد الله بن حسين الفضلي والسلطان عيدروس بن محسن العفيفي والسلطان محمد بن صالح الهَرْهَرِي والسلطان فضل بن محمد الهَرْهَرِي والسلطان عوض بن عبد الله العَوْلَقِي عن أخيه السلطان صالح بن عبد الله العَوْلَقِي والسلطان صالح بن حسين بن جعيل العوذلي وأمير الضالع نصر بن شايف الحالمي والسلطان محسن بن علي مانع الحَوْشَبِي والشيخ بو بكر علي محسن المَوْسَطِي والشيخ سالم بن صالح الضُّبَيْبِي والشيخ قاسم بن عبد الرحمن المفلحِي والشيخ محمد محسن غالب الحضرمي والشيخ محسن بن سالم الضباعي والشيخ بو بكر بن

فريد العولقي والشيخ رويس بن محسن بن فريد العولقي والشيخ فضل بن عبد الله العقربي والشيخ حسن علي الأخرم القُطَيْبِي والشيخ عبد النبي العلوي.

ووقعوا على ميثاق التضامن على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشكيل مجلس تحكيم لحل مشاكلهم بصورة ودية. افتتح المؤتمرين والي عدن الكولونل سيمس ورأس جلساتها سلطان لحج، ثم أقام السلطان عبد الكريم في جنينة القصر احتفالاً شائقاً لتكريم السلاطين والأمراء والمشايخ، حضر ذلك الاحتفال كافة الأمراء ووالي عدن ورجال حكومته وضباط جيش الطيران، وكان يوم عشرين رجب من سنة ١٣٤٩ يوماً تاريخياً في لحج.

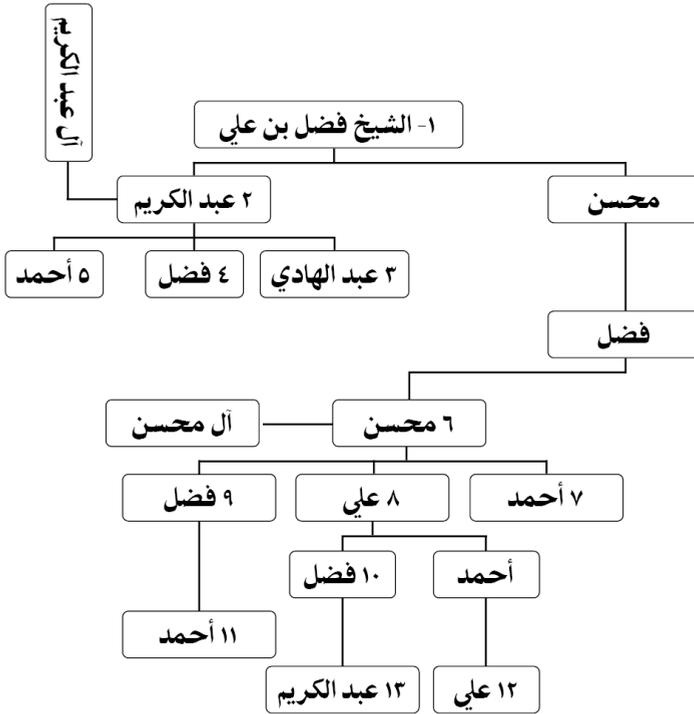
وفي شهر القعدة من السنة المذكورة أطلق الإمام كافة الرهائن والمعتقلين من أتباع إمارة الضالع وردفان ويافع وغيرهم. من جملةهم الأمير عبد الحميد بن شايف شقيق أمير الضالع.

وفي هذا العام أتم السلطان عبد الكريم بناء جامع مدينة الحُوَطَة وفتح أول مستشفى في لحج. وبدون محاباة أقول: إن السلطان عبد الكريم فضل سار بالبلاد في طريق التقدم شوطاً بعيداً عما كانت عليه الحالة في عصور أسلافه، فهو الذي نَظَّم المحكمة الشرعية وقضى على الأحكام الهمجية، ودرب الجيش العبدلي تدريباً نظامياً، وأسس المدرسة المحسنية^(١) ورَتَّبَ لها الأساتذة الأفاضل لتثقيف عقول أبناء اللحجيين وتهذيبهم ورَدَمَ المستنقعات للمحافظة على صحتهم،

(١) نسبة إلى صاحب فكرتها الذي وقفَ عليها ماله وأملاكه المرحوم الشقيق فقيد الشباب محسن فضل أنزله الله منازل رحمته. المؤلف.

وشرع في تجميل شوارع العاصمة وتشجيرها، وأدخل على البلاد نور الكهرباء ونازعات الماء والمحراث البخاري، وجلب أشجار الفواكه من الهند ومصر، وحرر الزراعة من جميع الضرائب التي كان يجيها شيخ الزراعة باسم السلطان بدون انتظام وهي: الفرقة والعشر والمباشر والخضار والضمان وعشر النخل وهو الآن يعمل بدون ملل لإصلاح رأس الوادي وتوزيع مياه الري.

وبالجملة فالسلطان المذكور رغمًا عن المشاكل التي حدثت بعد جلاء العثمانيين عن اليمن والقلاقل الزيدية وتأثير توتر العلائق بين صنعاء وعدن مرارًا صار بسلطته بقدوم ثابت في طريق الرقي والعمران - كان الله في عونته -، ومع ذلك فهو على جانب من الورع والتقوى يعرف ذلك الخاص العام.



جدول لحج وعدن وملوكها

حكمت		كرسي ملكها	عدد ملوكها	الدولة
إلى سنة	من سنة			
٤١٠	٢٠٦	زيد	٤	الزياديون
		لحج	٠	الأصبحيون
		زيد	١	مولي آل زياد
٤٤٠	٤١٠	عدن	٠	المعينيون «مستقلون»
٤٥٩	٤٤٠	عدن	٠	«المعينيون عمالاً للصليحيين»
٤٧٦	٤٥٩	عدن	٠	«الزريعيون عمالاً للصليحيين»
٥٦٩	٤٧٦	عدن	٨	الزريعيون «مستقلون»
٦٢٠	٥٦٩	القاهرة	٧	الأيوبيون
٦٢٩	٦٢٠			الرسوليون عمالاً للأيوبيين
٨٥٨	٦٢٩	تعز	١٤	الرسوليون مستقلون
٩٤٥	٨٥٨		٥	الطاهريون
١٠٤٠	٩٤٥ حوالي	إسطنبول	٨	العثمانيون
١٠٥٤	١٠٤٠ حوالي	عدن	٢	يفع
١١٤٥	١٠٥٤	صنعاء	٦	القاسميون (الزيدية)
لم يزالوا	١١٤٥	الحوطة	١٣	العبادلة
لم يزالوا	١٢٥٤	لوندرة	٣	الإنكليز في عدن

جدول سلاطين لحج العبادلة

إلى	من	
١١٥٥	١١٤٥	سلطان لحج وعدن السلطان فضل بن علي العبدلي
١١٨٠	١١٥٥	سلطان لحج وعدن السلطان عبد الكريم فضل العبدلي
١١٩٤	١١٨٠	سلطان لحج وعدن السلطان عبد الهادي عبد الكريم العبدلي
١٢٠٧	١١٩٤	سلطان لحج وعدن السلطان فضل عبد الكريم العبدلي
١٢٤٣	١٢٠٧	سلطان لحج وعدن السلطان أحمد عبد الكريم العبدلي
١٢٦٣	١٢٤٣	سلطان لحج وعدن السلطان محسن فضل العبدلي
١٢٦٥	١٢٦٣	سلطان لحج السلطان أحمد محسن فضل العبدلي
١٢٧٩	١٢٦٥	سلطان لحج وعدن السلطان علي محسن فضل العبدلي
١٢٨١	١٢٧٩	سلطان لحج وعدن السلطان فضل بن علي محسن فضل العبدلي
١٢٩١	١٢٨١	سلطان لحج وعدن السلطان فضل محسن فضل العبدلي
١٣١٥	١٢٩١	سلطان لحج وعدن السلطان فضل بن علي محسن فضل العبدلي (مرة ثانية)
١٣٣٢	١٣١٥	سلطان لحج السر أحمد فضل محسن فضل العبدلي
١٣٣٣	١٣٣٢	سلطان لحج السر علي بن أحمد بن علي بن محسن فضل العبدلي
...	١٣٣٣	سلطان لحج السر عبد الكريم بن فضل بن علي محسن فضل العبدلي

جدول ولاة عدن من طرف دولة بريطانيا العظمى

هجريّة		ميلاديّة			
إلى	من	إلى	من		
١٢٦٩	١٢٥٣	١٨٥٣	١٨٣٨	اس بي هينس آي إن	القبطان
١٢٧١	١٢٧٠	١٨٥٥	١٨٥٤	جيمس أوترام سي بي	كولونل
١٢٧٩	١٢٧٢	١٨٦٣	١٨٥٦	دبليو إم كو جهلن سي بي	برجيدير جنرال
١٢٨٣	١٢٨٠	١٨٦٧	١٨٦٤	دبليو إل ميروذر سي بي	لفتنت كولونال
١٢٨٨	١٢٨٤	١٨٧٢	١٨٦٨	آي إل روسل	ميجر جنرال
١٢٩٤	١٢٨٨	١٨٧٧	١٨٧٢	هي دبليو شنيدر	برجيدير جنرال
١٢٩٨	١٢٩٥	١٨٨١	١٨٧٨	فرانسيس لوش	برجيدير جنرال
١٣٠٣	١٢٩٩	١٨٨٦	١٨٨٢	جيمس بلير في سي	برجيدير جنرال
١٣٠٨	١٣٠٣	١٨٩١	١٨٨٦	أيه جي إف هوج	برجيدير جنرال
١٣١٢	١٣٠٨	١٨٩٥	١٨٩١	جون جوب	برجيدير جنرال
١٣١٦	١٣١٣	١٨٩٩	١٨٩٦	سي آيه كينج هام	ميجر جنرال
١٣١٨	١٣١٧	١٩٠١	١٩٠٠	أوه أم كريج في سي	برجيدير جنرال
...	١٣١٨	...	١٩٠١	سي اتش مورمو لينكس سي بي دي ايس أوه	برجيدير جنرال
...	١٣١٨	...	١٩٠١	اتش آيه بتن	برجيدير جنرال
١٣٢٢	١٣١٨	١٩٠٥	١٩٠١	بي جي ميتلند سي بي	ميجر جنرال
١٣٢٣	١٣٢٢	١٩٠٦	١٩٠٥	اتش إم ميسن	ميجر جنرال
١٣٢٨	١٣٢٣	١٩١٠	١٩٠٦	إي دبراث سي بي سي آي إي	ميجر جنرال
١٣٣٢	١٣٢٨	١٩١٤	١٩١٠	سر جيمس بيل كي سي في أوه	ميجر جنرال

هجريّة		ميلاديّة			
إلى	من	إلى	من		
...	١٣٢٣	...	١٩١٥	دي جي إل شو	ميجر جنرال
...	١٣٣٣	...	١٩١٥	سر جي ينج هز بند كي سي آي إي سي بي	ميجر جنرال
١٣٣٨	١٣٣٣	...	١٩١٥	سي إتش بريس سي بي	برجيدير جنرال
١٣٣٨	١٣٣٤	١٩٢٠	١٩١٦	جي إم استيورت سي بي	ميجر جنرال
	١٣٣٨		١٩٢٠	تي إي سكوت سي بي سي آي إي دي أس أوه	لفتنت جنرال
					ميجر جنرال
١٣٤٩	١٣٤٧	١٩٣١	١٩٢٨	سر استيورت جيمس كيه بي أي سي أم جي دي انش أوه	لفتنت كولونل
	١٣٤٩		١٩٣١	بي آر ريلي أوه بي أوه سي آي إي	لفتنت كولونل

أشهر القبائل والعائلات اللحجية

الأسلم	حضرمي	رعوي من أهل علي	صيعري	قريظي	مقاييل
أطروم	حميدي	رويسي	ضنبري	قزيفي	منتصر
أغبري	حنيشي	زبيرئ	آل طوير	قودري	نفيلي
أمبيلة	حويجبي	زغبرئ	ظفر	قيسي	نوم
بان	حيدري	زيدئ	عامري	كدش من العجالم	وادي
بانافع	آل أبي حيمد	آل زين	عبادئ	كديهي	وهيبي
باحليان	حيمدي	سرورئ	عربيد	كردئ	هارون
بجيصي	حيوري	بوسعد	عزيبي	كليبي	هدلان
بريكي	خضيري	سعيدبي	عفاري	كميت	هراني
بزاعي	خطيب	سفيائي	عقريبي	كور	هوب
بطينة	خليدي	سقاف	علاوة	لصيصي	هيشمي
بكيري	دباء	سَلَّامي	علاية	مجيدي	يحيائي
بقعي	دباشي	سوم	عميان	محاجفة	يماني
ثبتان	دجيني	سويدئ	عنبول	محارزة	
ثعلبي	دربي	شاکر	عواضي	محافض	
جبري	دعدع	شاطرئ	عياض	محامرة	
جبلئ	دميحي	ثميري	عيدان	مزاقمة	
جحزر	دَنَم ومنهم المخاربة	شداذي	غليبي	مساوئ	
جراد	دويح	شعبان	فجاري	مسودي	

جعدي	دوعاتي	شويهي	فدايم	مشاهرة	
جفري	دَيَّان	شهاب	فريجي	مضاربة	
حجازي	رِجَاعِي	صَمَّصَام	قُبَّاطِي	معاجمة	
حسيني	رجيشي	صويلحي	قريشي	مغارمة	

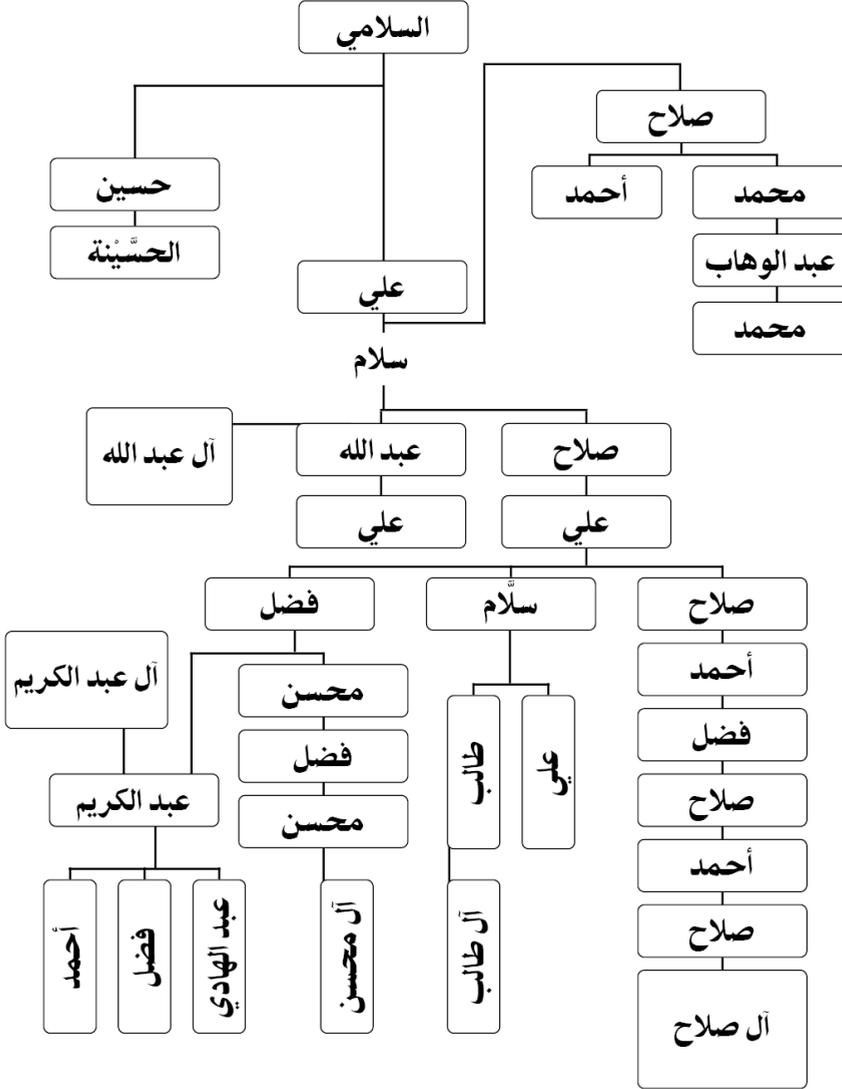
هؤلاء أشهر القبائل والعائلات اللحجية، وكلهم من عرب اليمن القحطانية وفيهم من العلويين من مضر. ولحج اليوم من أشهر أسواق اليمن تجد فيها من كافة بطون قحطان، فهي مهجر مبارك، قلماً يوجد فخذ من اليمن ليس منه فرد أو أفراد في لحج، فتجد فيها الأرحبي والحاشدي والحكمي والكثيري والذبيبي والعولقي والياضي ومن سائر عرب اليمن، وفيها من غير العرب قليل من يهود اليمن^(١)، وفيها بطون عديدة من العبيد السود الذين يأتون من (حَجْر) فيعرفون في لحج بالأحجور منهم باعجير وباعساس وباكليب وبأدباء وباهميل وبالحمير وبانفيل وباجبل وباحسن وباهرب وبابدو وباسهيل وباحب وباحيدان وباجامزة وبائات وباحويج وباخضر وباجناح وباجسير وبامروان باشعيب وباصليب وبافلاحة وباكندوح وغيرهم كثير. وهم من ممالك الحضارمة أعتقهم ساداتهم، فتشعب منهم نسل أسود في الجهات الحضرمية يعرفون هناك (بالصبيان). ولتباعد العرب عن الاختلاط بهم حافظ هؤلاء السود على ألوانهم وصورهم الأفريقية. وهم الآن ينتقلون من مقاطعة إلى أخرى، وكما يقولون: (بلدنا الخضراء) والعرب يستخدمونهم في كافة الأشغال الشاقة بأجرة تفوق أجرة العامل العربي،

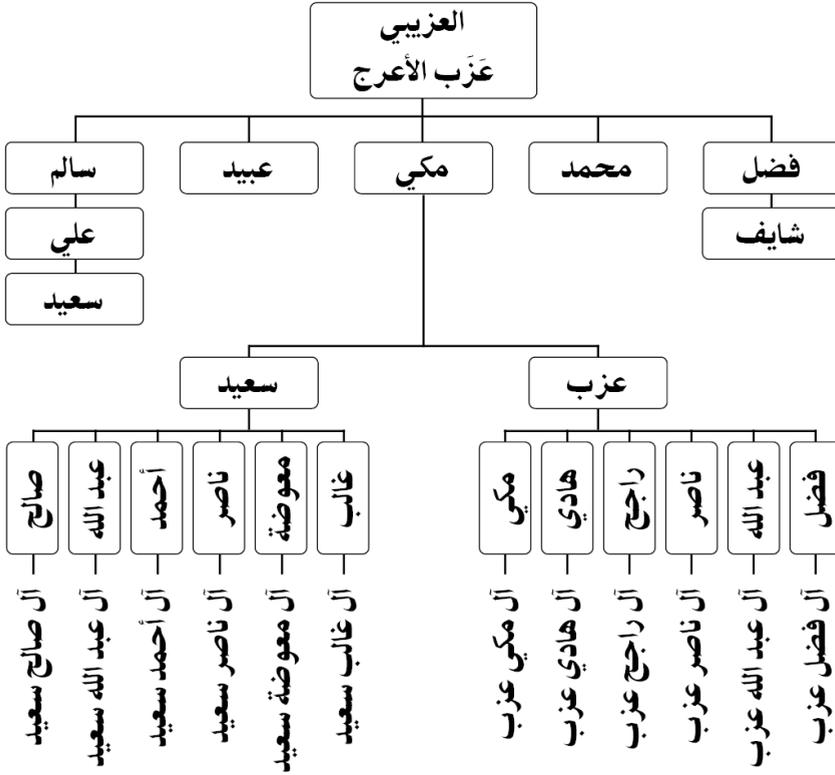
(١) الأرجح أن يهود اليمن قحطانيون لا إسرائيليون كما يزعمون، بل هم من بقايا قوم التُّبَّع يوسف ذي نُوَّاس. المؤلف.

ومنهم من اختلط بالعرب بالتدريج، فَمَنْعُ بيع الرقيق لا ينحصر في فضيلة احترام النوع الإنساني فقط، بل فيه أيضًا سلامة العنصر العربي من هذا الاختلاط المشين بالعقل واللون والصورة، فحبذا لو يتحالف أمراء العرب على منع النَّخَاسَةِ في بلاد العرب. فما بواقى النخاسة في بلاد العرب إلا مصيبة من المصائب الفادحة على أجسامنا وعقولنا وصورنا، ولا يبعد أن يكون تكاثر اختلاط العرب بهؤلاء الزوج من جملة أسباب انحطاط العرب بالنسبة إلى بقية الأمم السامية، ولا يكفي توقيف الشراذم التي يجيء بها النخاسون^(١) من وراء البحر، بل ينبغي الانتباه إلى الذين في بلادنا والمختلطين بنا حتى قال بعض المؤرخين: إن عرب اليمن خلط بلط.

* * *

(١) جمع نخاس وهو من يبيع الرقيق والحَمِير.

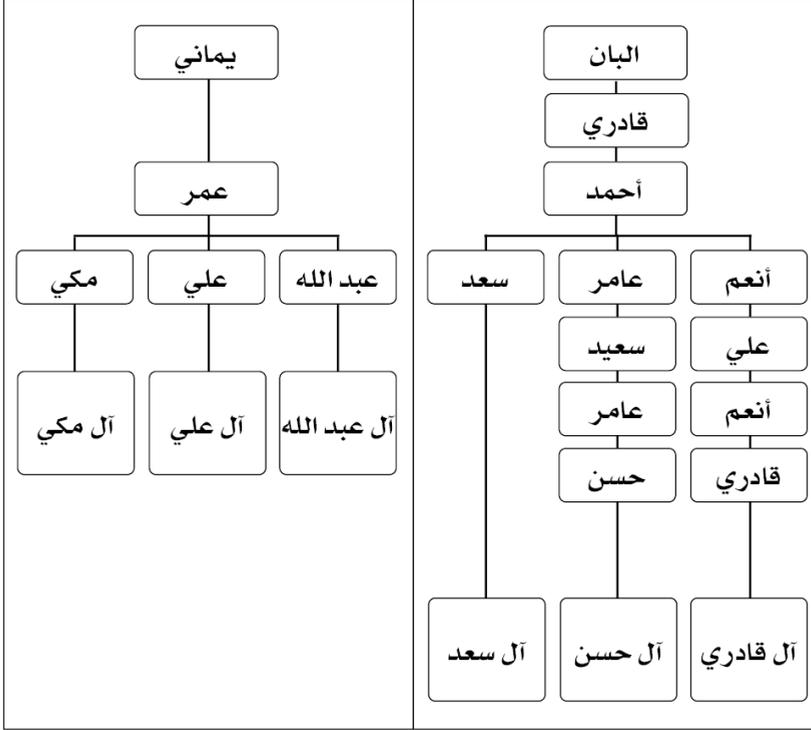




*

*

*



(١)

پريم حكومت قوناغي^(١)

٣١ تشرين أول سنة ١٩١٨

عزيز أفندم

سزهنوزبر خبر الماد يکز آيسه بحر سفيد إنكليزي فيلوسي باش قوماندا ٦
 – نلغندن إنكليز حكومتنك أمريله ٣٠ تشرين أول ١٩١٨ تاريخنده إنكليز لرله
 متفقري تركيا إيله متاركة عقد إيله دكلري ٣١ تشرين أول سنة ١٩١٨ كوني وقت
 ظهر ده هر جبهة ده محاربه توقف ايتديكي وكيفيتك هر طرفه بيلدير لديكي
 طرفمزه أمر وتبشير ايدلمشدر.

بو تلغرافك أحكامنه نظرًا صلحك پك قريب اولد يغني ظن وتخمين ايدر
 متاركة صرف مذاكرات صلحية نك أجراسي ايچون واقع أو لديغي طبعيدر.
 شايد معيت ضابطًا نكزدن پريمه كملك أر زوا يدن أو لورسه كوندر يکز
 بوندن بويلا سزي دوست اوله رق قبول وكله جك ضابطانه هر صورتله
 صميميت ابرازا يديله رك حسن معامله ايديله جكني عرض ايدر.

دوستكز قائمقام

هوم

(١) تقدمت ترجمته. المؤلف.

حج

(٢)

٣٣٤ / ٩ / ٤

منطقة الحركات قومندا نلغي

أركان حربية قسمي

عدد ٣٦٧٧

هجرية قائمقام وكيبي عبد الوهاب بكه

دولت عليه و متفقارينك دوجار مغلوبيت اولد قلري مع الأسف تحقق
 إيتدي المانارده متاركة عقد إيتد يلر حرب عمومي توقف إيتدي حجاز فلسطين
 سوريا عراقده كي عرب أخوا نمزك دشمانلر يمزله متفقا حكومت سنیه عليهنه
 حربہ قیام و دشمانلر يمزله فعلاً اشتراكي دولتمزك مغلو بيتنه يكانه سبب اولدي
 دولتمز متاركة شروطنده عراق سوریه فلسطين حجاز عسير ويمنده كي عسكر
 لريني همان چيفار - مق مجبور يتني قبول ايتدئ بوسبيله بزلر درت كسور سنة
 دن برئ جانمزي قانمزي اشتراكزله فدا ايدہ رك محافظة أيلة ديكمز مقدس يمن
 طوپرا غني ومحترم مجاهدين قار داشلر يمزئ آغلايه ترك ايتمك مجبور يتنده
 بولندير يله يورز حكومتتمزا أمر قطعي ويردئ انجق إمام حضر تلرئ بعضئ
 أسباب سر ديلة مخالفت ايتمكده اولد يغندن درسعادتله بوبابده مخابرة باشلة دي
 آله - جق جوابه وأمرلره كوره حركت ضرور يدر بزبو مقدس يمني ترك ايتسه ك
 بيله احوان دينمزمك تماماً اتحاد واتفاقى وتوليت نصارابي قطعياً قبول ايتمه مسنى
 تمنئ ودائماً ايشيتمكه ايشيتمكله متسلئ أو لمق ايستهرز. بزه معاونت وخدمت
 ايدہ - جكني بيان ايتد يككزه ممنون أو لدم. يمن والي وقومانداني منطقة مزة آياق
 با صد قلرئ كوندن برئ عسكر يمزك إداره وإعاشة سني سكتته دار ايدوب بتون

تحصيلات واستقرضاتي نفس نفيسلرينه تخصيص بيورديلر ومنطقة مي آج
 براقمق ملكني تعقيب ايتيلرا كربش التي بيك ريال بر معًا ونتكز أو لورسه حوق
 ممنون أو لا جغم. سند مخصوصة سني همان كونده ريرم. زيرا ضابطان وعسكر
 يمز صوك درجة بريشان ومحتا جدر.

بو مقدس يميني جابلري قانلري بها سنة مدافعة ايدن بو عثمان لي اولاد
 لري بوكون خسته لقله آچقله چبيلا قلقله بنجة له شيور صوك خدمت اوله رق
 بويله برأيبلك أيدرسه كزنار يخده اسمكزدها بارلاق يازيلير.

بومعاونته مقتدر دكل ايسه كزشدئ يه قدر ايتديكز خدمتله تشكر له.

لجده منطقة الحركات قومانداني

مقابلة واكتفا ايلرم افندم

ميرلوا/ علي سعيد

* * *

(٣)

لُحَجْدَه مَنْطَقَه الْحَرَكَاتِ قَوْمَانِدَا نَلْغَنَه

ج ٢٤ تشرين أول سنة ٣٣٤ بر بمدن مندبه إرسال ايديلان وسزه آجيق أوله رق بيلدير يلان تلغرافده متاركة شرائطنه دائر برشيلر أو لما يوب يالكز متاركة ايديلد يكدن بحث أولنه يوردي إنكليز منا بعدن نشر وتعميم ايله يمنده اختلال چيفا تمغه جالیشان و دشمانك لحجي استرداد ايجون أو يدير مه - می پک محتمل بولنان بوكبي أشعاري قبول ايمه يوب مرکز سلطنتمز دن أمر ألنمه دقجه تکذيب ورد ايمه کز لازم کلير کن بالعکس هر طرفي ولوله يه ويرمک وبوندن باشقه بويله بر متاركة زمانده انجق منطقه بي طرفيده طرفين پارله منتولرينک. کوريشه بيله جکني أو نوته رق إنکليز أركان وأمر اسنک صبر غرويمز قدره کلمه لرينه مساعده ايتمک وبوندن باشقه أركان حرب ويارو يکزی برابر آله رق تاعدنه قدر أمرم خلافنده کيدوب آوراده دشمان قوماندانک آغزندن ايشيتمه کزپک طبعي أو لان سوزلرک حقيقتنه ذاهب أوليويره - رک معيتکزي خوف وهراسته دوشوره جک حرکات وما فوقکزه قارشیده غير مصيب تکليفاتده بولنمه کز عسکر لک وبا خصوص قوماندا نلقله هيچ بر صور تله قابل تأليف دکلدر عين تکاليف تهامة منطقه سنة واقع أو لشمس وعسکر جه جوابني بريوز باشيدن بمله ألمشدر .

قول آورد ومزک ديکر منطقه لرنده أولديغي کبي لُحَجْدَه کي بالجمله أمرا ضابطان وعساکر شاهانه نک ده وطنارينه محبتي أولديغي وهيچ بر صور تله أهانتي خاطر لرينه کثير ميه جکلري بوکونه قدر دشمانک جيکر کاهنه باصديقلري

صار - صليماز خطوة لريني بر قاريش بيله كرى ألميه جقلري كبي دشمايك شمدي يه قدر أمثاليله ثابت بوكبي بيك در لو حيل و دسائسه قانيويره جك قدر ده صاف يوركلي عثمان لي ياور ولري اولمه دقلرينه وهو برينك حقيقتي اكلار برر آنش پاره جلادان اولد قلرينه قناعت كاملة واردر. يمن قطعه سنك بلاد مختلفة - سنده كي اولاد وعيا للريني سريعا ساحلله اينديرمه كي موجب هنوز بر سبب يوقدر. او نلري وديكر مناطقة كي ضابطان عائلة لريني دوشونه جك بوراده بن وارم والي بك أفندي وار وحكومته ائتلاف ايده رك حقيقة بر ركن اعظم اسلام او لأن امام حضر تلري وارادر او نللك جملة سي بزم اولاد لريمزدر لا سمح الله بويله برحال وقو عنده او نلرك مسؤل مادي ومعنوي سي بزض ضابطان شميدي آنجق قار شيسنده كي دشمني دو شونور وطني دوشونور وظائف عسكر يسني دوشونور. او لجه ويرديكم أمر وجهله متانتكزي محافظة أيد يكر حكومتز دن صريح وقطعي شيفوه او لا رق كله حك أمر رسمي او زرينه سزه طرفمدن أمر ويريلمه دكجة كند يللكز دن يابه حعكز حر كتك وبوندن تولد أيد جك مادي ومعنوي هر درلو فنالغك يكانه مسؤل سي سزاو لاجق سكر. پاره مسئله سنة كلينجه عديندن استقراض أيديله بيلز پاره بك قسم اعظمي منطقة كزه كونده ريلدي زبيد دن يابيلان تحصيلات واستقراضك ٤٨٠٠٠ قرق سكرزيك ريالي تهامة ده آچ بي علاج قالان قهرمان عسكر لريمزك برقاج آيلق أعاشه لرينه ويريلدي قالان يكرمي بيك كسور ريالده صنعاء مأمورين ملكية سيلة مركزة كي أفرادك وقرق اللي آيلق معاشرلي نداخله قالمش أمرا ضابطا نك ومناطق مختلفة ده فدائي جانه آمادة ضابطا نك حين حاجته عائلة لرينك لهش لرينه وير بله جكدر. سرك أفراد ودها

بعض كيمسه لرك أغبزلرندن أيشتد يككزاكيكي أوچ يوزييك ريال جاقيل طاشي أولسه طوپلانه ماز. سزك بوكبي كيمسه لرك سوزلرپنه اينانه رق بوقول آوردوا لادينك هرذولو مقدراتني در عهده ايتمش أو لان آمر يكك سوزلرينه عدم اعتماد كوسترمة كز عسكر لكله دكل هيچ بر مسلكله قابل تأليف دكلدر. تعز لو اسنك قسم أعظم وارداتي وبالخاصة ناصر پاشادن ما هيه ٧٥٠٠ يدي بيك بش يوز ريال ولحجك زراعت وإرادتي ديكر حاصلاتي هب منطقة كزه ترك ايديلمشدر وهيچ بر حسابده صور ولما مشدر إكر إمام حضر تلري نزيدنه اينمك لزوم قطعيسى أولسه ايدي بونلرك هبسي تحقيق وتفتيش ايديله رك ميدانه چيقاريله جقدي أشعار يكر وجهله أكر عسكر آج وچيلاق بر حالده ايسه بو واردات سوء استعماله أو غراد يلمش ديمكدر. خلاصة اوزون أوزادية مناقشات قلمية ايلة أو غرا شمغه زمان مساعد دكلدر الديقكز أمره انقيادي ومو جبنجة عسكرجه اطعاعتي أمر ايدرمد ٢٥ تشرين أول سنة ١٣٣٤ هـ.

قول آورد وقومانداني

أحمد توفيق

* * *

(٤)

ج ٢٧ / ٨ / ٣٣٤

إنكليز لردن استرداد إيديلن مندب وشيخ سعيد أرضي مهمة سيله قلعة -
لري ذباب ومخا سواحلي ولحج أيله صبيعة، حواشب، ضالع، يافع عليا
وسفلا دن وبلاد فضليدن عبارت نواحي تسعة يعني تعزلو اسندن دها واسع
جنوبي يمن وباب المنذب دن شقرة يه به قدر سواحل دخي عدن كورفزي وشبه
جزيرة سي خارج أو لديغي حالدة كاملاً اليوم تحت أشغال وتأثير مزدة بولنه يور
حضر موته بلاد صومالة ودنا كله وأرنجه يه قدر بتون أمراً مشايخ وعقلا وأهالي
ايله ده تابعيت مقاوله نامة لري عقد ايد يله رك يد مده محفوظ در. أمام حضر
تارينك شو صره ده اهمتيله محافظة لريني أمر وتنبيه بيورد قلري مواقع ونقاط
مهمة بونلر داخلنده در. عدن فپو سنده شيخ عثمان موضع مستحکم نه قارشو
تحكيم وأشغال وخارقه كبي محاربة لروير ديكمز خطوط ونقاط حربية كه بونلرك
أك مهملري درب، بير ناصر، ودار هيثم ويا دار مشايخ دخي تسميه أولنان
المجهالة، وكل تية وبير جابر ومحاط حوالي سيدر كاملاً قوة عسكرية مزله بند
وأشغال ومحافظة مزده حكومت متبوعة مزانكلتره ومتفقلر يله صلح سياساتي
قبول و ١٨ تشرين أول ٣٣٤ تاريخ خدنه متاركة عقد ايله ديكندن وانكلتره
ومتفقيني دونمالري در سعادت لما ننده دو ستانه دمير آتد قدن بش وكن صكره
موضعي متاركة أمور يني تسوية ودر سعادتله يمنك مخابرة سني تأمين ود
شمانك نياتني دها يقيندن أكلامق مقصد يله انكلتره حكومتندن رسما مبلغ هدنة

قواعد - نندن بلا استفادة عدن والي وقوماندا نيله ملاقات وخط حربدة عسكر وأهالي أره - سنده حاصل أولان هيجان عظيمي تسكين أيله مكلكم ذات ولا يتپنى وقول آوردوا قوماندا نلغنجه بعض أسباب بدن دولاي قصدًا إهانات كبي كوستريله رك أمام حضر تلرينك جانب هاشمانه لرينه فنا طرزده ياز لمش أو لمه سندن مشار إليه حضر تلري بوملاقاتي (لقد ساءنا) تعبير يله تقبيح بيورد قلري مرسل جوابنا - هاشمانه لري صور تندن أكلا مقله پک متأثر أو لدم عين زماندة عاجز لرینک إنکلیز لرله شو صور تله بک طبعي وضروري أو لان تماس حقیقته هنوز واقف أو لمايان بتون یمن أهالي محترمة سي طرفندن سوء تفسیر أیديله جک وجهله جانب دولتدر نندن نشریات وإشاعات ده بولو نلمه سي مقاصد خصوصية تحتنده أو لديغي معلوم ايسه ده عاجز لرینک بو مقدس یمن طوبری غني محافظة ومدافعة ایچون درت سنة دنبرو مسبوق بي نهاية فداء کار لغم ووثائقه تمامًا إثباته مقتدر أو لديغم جهلته أمام حضر تلري إيله یمن ولایت وقول آوردو سنک قولدن باشقه هر درلو فعلی معاونة مادية لرندن محروم أوله رق یالکز تعز لواسي رؤساء ومجاهدين وأهالي محترمة سنک مالا وبدنا إظهار وابدال أيله دکلري فوق العادة خدمات دينية ووطنية سایه سنده دشما نلر یمره قار شونه صور تله متماديًا محاربة لرویره رك باب المنذب ده وعدن قبو سنده ناصل مردانه ثبات ايله دیکم یمنده أركک قادين وصبیلده وارنجه یه قدر هرکسجه معلوم أولد یغندن بوکبي قصدي شایعات لایقه - نک ذرة قدر اهميتي أو لما یه جغنه قائل وقانعم وبو بابه بتون یمن أرباب ناموس ووجدانني استشهاد أیده رم. تاریخ ووثائق قریبًا هر شیئی دهها زیادة صراحة إبراز ایده جکدر. انجق یمنک أیکي

مهم مفتاحي أولان لحج ويا ب المنذب بتون يمنك محافظة سلامتته علاقة دار
وصلاحيتهار ذوات كيملرسه همان تشريف بيور سونلر كه تسليم أيدته بم دولت
متبوعه مفخمة مزترخيص مزه أمر وير مشدر وظيفة مز ختام بولدي أرتق بو وطن
ثاني مزده حربا قالمغه مآذون دكلز شمدي - يه قدر وطن لريني محافظة يه قدر
شتاب وبزه معاونت أيله مه دكلري حالده طاغله رينك آره سندن أو زاقدن بيوك
سوزلر صرفي كند يلرينه قولاي كلان وبز بيچله وفداكار عثمانلي عسكرلدي
دشمانك طوب وتفنك وما كينه لي تفنك وطياره اتشالري التنده يا زين جهنمي
قوطر وصوسز چوللر وقيشيني صيتمه لي ورطوبتلي خند قله ايچنده وجود مزي
عزيز جانلر يمزي فدا أيدته رك دين وناموس وطن وجدار حرمين الشرفين أولان
مقدس يمن وأهاليسي تجاوز أعدادن محافظة أيدر كن ديكر طرفدن بوقدر قان
دوكوب جان ويرد يكمز لحج وحواليسي بعض منافع خسيصة مقابلنده دشمانه
إعادة سنده إصراراً يدن وطن برور قهر مانلر هر كيملرسه بلا أفاته وقت مندبه
ولحجه كلمة لرينك وهر طرفي تسليم ايله ملرينك تبليغ بيورولمه سني خاصة رجا
وبنده لري دين ووطنه قارشو كيجه لي كوندوزلي أو غراشة رق مسبوق خدمات
جان سپارانه مك مكافأتي أوله رق قصداً أهانتله اتهام ايدلمه كي أصلا قبول ايتيمه
جكمدن بوكبي افتر الري إشاعة ايدن مسبب لرينه تماماً رد وإعادة أيله رم افندم

.٣٣٤ / ٩ / ٢

علي سعيد

* * *

لحج

(٥)

٣٣٤ / ٩ / ١٢

منطقة الحركات قومندا نلغي

أركان حربية سي قسم ١

عدد ٣٨١٨

صنعاء ده متقاعد ميرلوا حسين باشا حضر تلرينه

ج ٧ / ٩ / ٣٣٤ طرابلس غرب محاربة سنده وبو حرب عمومينك بدأ يتنده واقع أولاً نلر كبي بوكرهده صنعاء بعض تظاهرات وطن پروانه ده بو لنديغي وأمام حضر تلرينك تأمينات قوية سي بيك ديندار أنه وطن پروانه أيدوكي حقنده كي أشعار يكر بادئ سرور در شمدي يه قدر حكومت سنية لريمزه هر نملسه نه مالا ونه ده بدنا تمامي فعلياته أصلاً انقلاب أيله ما مش أولان بوكبي تظاهراتك بعد ما مملكتك صاحب حقيقيسي طرفندن فعلاً وتاماً أجر أو تطبيقني كورمك وايشيتمك بزم أپچون جداً شايان تمنى در.

بو تظاهر اتدن صكره يمن أولاد لرينك حدود لريني تورك نفر جكلري محافظة ايتسبون بز كيفمزه باقا لم ديه درت سنة دن برئ أولديغي كبي سيرجي قالمة يوب بويوك كوچوك هر كس وظيفة دينية ووطنية سني ايفايه شتاب ويور - ولمق بيلمزبر غير تله سعي وإقدام أيده جكني أيمد أيتمك ايسته رم يابا نجيلرك محر وميتلر وخذقلر ايچنده مدافعه وتعرضلرينه شرف وشانله مالي جهاد يمز ختام بولدي شمدي يرلي عرب أخو اتمزك محافظة وإدارة وطن ايچون سياسة إدارة حرباً جهادي زمانيد رعموم يمن أولاد لرينه شمدي دوشن إيلك وظيفة انسانيت كار أنه يمنده كي يتون عثمانليلره وطنلرينك برقاريش محلني دشمانة وبرمه - يوب بيكلرجه شهدا مقابلنده شمدي يه قدر محافظة أيلة دكلرينه مكافأة

وتشكرا هر در لو معاونتي أجزا وسالما أنا أو جاقلرينه إيصاله مروت كارانه بذل مساعي أيله مكدر. بوني هر كسدن أول إمام حضر تلري تقدير بيور رلر امید نده بم. حال ووضعت عمومية نك ايجابات قطعيه سي ومركز سلطنتك أوامر صريحة سي مع الأسف يمتده كي عثمان يليرك دين قادر اشلري أولان محترم عربلر - دن آغلايه رق وداعني مستلزمدر تأويل وتفسير امید لرئ قالما مشدر.

بيان بيويلان مكتو بكزه منتظم انجق ذا تكز ده بنده كزه ثبات توصية أيلة مكة لزوم كورعه كزه تعجب ايتدم. تمدح نفس عييدر فقط هرطر فدن كلان تلغرافلر مجبور أیده يور. درت سنة دن بري يمنده ثبات ومثانت غيرت وشجاعت درسني ویرن وابدایت حربدة عاطل وعاجز بر حالده بولنان بوقول أو ردوية تعرض وتجاوز فتح واسترداد بلاد روح وقابليتي ويروب نمونه امثال أولان عاجز لري أو لديغمي يمنده كيمسه إنكار أیده مز حسود مخالفلمده بوتي اعترافه مجبودرلر. هر حالده إمام حضر تلرينك وذا تكزك كلمات التفات كارانه كزه متشكر ايسه مده درت سنة دنبرئ قفا ومعه لريني راقبي بخاري أيله وقاصه لريني بيجارة عثمان لي أولاد لرينك قاتي بهاسنه التونلرله أملا دن باشقة أمل وعمللري أو لما يا نلرك ثبات توصية لريني برو تستوايده رم. بتون لحج عسكري خسته درلرو فلا كتلر يمزك مسبلر يده صنعاء ده درلر، حكومت متبوعة مزك صوك أمر لرينه لحجده انتظار ممكن أو لورسه غيرت أیده حكيم محترم باشا حضر تلري.

لحجده منطقة الحركات قومانداني

ميرلوا

علي سعيد

(٦)

لُحَجُّهُ مَنْطِقَةُ الْحَرَكَاتِ قَوْمَانِدَانِي وَاسْطَةُ سَيْلِهِ

اصالْتلو عدن قومانداني حضر نلرينه

٥ تشرين ثاني سنة ٩١٨ تاريخ لي مكتوبة جوابدر

ملفوف متاركة شرانطي مطالعة ايله دم. قبل الحرب حكومت متبوعة يمينده بالجملة حركاتك امام حضر تلريله بالمذاكرة اجراسي اميريني وبرمشدي.

مشار إليه حضر تلريله كور وشدم نتيجة مذكرات بروجه آتيدر:

١- متاركة نامة نك أون التنجي مادة سي موجب نجه ترك سلاح أيده جك عساكر عثمانية نك بوصول تله حركتي حقهده حكومت متبوعة مدن نه امام حضر تلرينه ونه مأمور يتمه برامز واقع اولما مشدر تبليغ عاليرينك صحتنه اعتماد ايتمكله برابر أمر آلمادن حركت ايتمه نك إمكاني أو لماد يغني تسليم بيور رسكز.

٢- مملكتك بتون مقدراني امام حضر تلرينك أئنده بولند يغندن مشار إليه دن آلد يغم وبلايه نقلا عرض آيله ديكم أمر يله ١٠ صفر سنة ٣٣٧ تاريخ لي مشار إليهم ذات أصيلانه لرينه يازديغي تلغرافنا مه عثمانلي عساكر نندن بر نفرك بيله دكل قادين وأركك هيچ بر عثمانلي بورادن چيفار يله ميه جغني متضمندر.

٣- متاركة نامة نك أون التنجي مادة سيله بونده مصرح بشنجي مادة سنده وبتون متاركة مادة لرنده حكومت ملكية إدارة لي ترك ايتمه سي حقهده نه إيضاح

ونه ده حتى' برا شارت موجودر.

٤- متاركة شرائطك ايفاسي حقنك بوكون تماميله أمام حضر تلىرى يندنه أولد يغنى' عرضيله مشار إليه آيلة مقام صدارت آره سنده موجود شفرة آيلة واضح برامر تلغرافي طلب وجلبندن ويا مشار إلهي إقناع آيده جك بر عثمانلي مأمور مخصوصنك در سعادتدن كثير لمة سندن بشقة بر چارة كوره مم.

٥- كرك متاركة وكركسه عقدى مقرر صلح أثناء سنده حكومت ملكيه نك بوردان چكيلمه سي إيجابى حالنده بتون مأمورين وعائلة لرك نقلي منحصرًا أمام مشار إليه حضر تلىرى نك بتون مطلوباتنك تسوية سنة ورضاي قطعيسك استحصالنه وأسايش داخلينك محافظة سنة منوط أولد يغندن قواي عسكرية يه احتياج قطعى كوروله جكي وانجق بو قوتله وأمام حضر تلىرى نك بالرضا ويره جكى قواي معاونة آيله مملكتك ترك وتخليه سي ممكن أوله جفى قناعت قطعية سنده بولند يغمدن مشار إليه حضر تلىرى نك رضا سنى استحصال ومتاركة نامه نك بشنجى مادة سي موججه بوراده موجود عساكرك أسايش داخلينك تاميننه تركني رجا ايدرم.

٦- بتون وظائف مودعة بي أيفاء آيده بيلحك ايجون متاركة نامه نك دردنجى مادة سي مخابرات رسمية يه مساعد أولد يغندن بوندن بالاستفادة حكومت متبوعة مله مخابرات حقني طلب واحترامات خالصا نه مك حسن قبولتى رجا ايلرم افندم. ٣ تشرين ثانى سنة ١٦٣٣٤ - تشرين الثانى سنة - ٩١٨

(٧)

يَمَنُ وَالْيَسَىٰ أَصَالَتُو مَحْمُودِ نَدِيمِ بَكِ حَضَرَ تَلْرِينَهُ

١٦ تشرين ثاني سنة ٩١٨ تاريخلى تلغراف أصالتنا مه لريني أدم ذات أصالت مآبلرى حرب زماني أو لديغنى ونفوذ عسكرية نك ديكر قوايه مرجح اولديغنى بيلمه ليدر. بتون شرائط متاركة قوائى عسكرية طرفندن يالكز تركيايه دكل اخيراً ألمانيا يه دخى جبراً قبول ايتدير لمشدر وذات أصالت مآبلرى طرفنه أخبار كيفيت ايدلمديكي بوندى نشأت ايتمشدر. إدارة ملكية نك عساكره متوقف اولديغى تذكر ايديله رك آيرى برامره لزوم كورو لمه مشدى. أمام شمديمه قدر بر ييطرف عدأ بدلمش و تركيانك متفقى عدا يدللمه مشدى تركيايه شرائط متاركة نك جبراً قبول ايتدير لمه سندن دولابى انكلتره حكومتى.

ومتفقرلى أمام ايله آيرى بر مقاوله اجراسنة لزوم كورمة مشلدر فقط أنجلتره حكومتك أمام ايله أولان أوزون بردوسلتغندن دولابى إنجلتره حكومتى بتم واسطة ايله كنديسنه شرائط متاركة بي أخبار ايتمش و تورك قطاعات عسكرية - سنك وإدارة ملكية سنك تخليه سي خصو صنده هر درلو معاونتى اعطا ايتمه سنه منتظر اولد قلرينى بيان ايتمشدر. كرك مالي و كركسه أراضى مسائلنك أيلريده كند يسيله حل اولنه جغنه دائر انجلتره حكومتك قرارينى كند ينسه أخبار ايتدم بشنجى مادة يمنه عائد دكلدر التنجى مادة يمنه عائد دكلدر التنجى مادة يمنه عائد بتون شرائطى محتويدر أشبو مادة نك نهايت قسمى يالكزاطنه يه عاندر.

يمنده بولنان والي وقومانندان استانبوله نقل ايدلمك ايجون آنان بتون
مخابرات تلغرافية لوندرد هده بزم حربية نظارتي واسطة سيله كوندريله جكنه دائر
أمر ألم. احترامات خالصانه في تقديم أيلرم.

عدندة إنكاييز حربية سي قومندانني

ميرلوا استيورت

* * *

بيان وثيقة

نشرنا في الصفحة ١٢٦ صورة الوثيقة التي تثبت أن أحمد صلاح أخو الشيخ علي صلاح كان حياً في لحج سنة ١٠٥٤، ولأن بعض كلماتها غير ظاهرة رأينا أن ننشرها، وهي:

اشترى أحمد صلاح بن علي من سعيد سيروان البائع عن نفسه بنفسه ما هو له وملكه، وذلك جميع الأرض المسمّى حيط السيروان المعروف له بشرح الفقر من عُبر بيزج وإليه أفلاج حريري، فالذي يحد أفلاج حريري قِبَلًا با عقبه وطائفة من رواد الصيد، وبحرياً ملك عبد الله حسن علي، وشرقياً العُبر، وغربياً أرض السيد أحمد ويس سفيان، والذي يحد حيط السيروان قبلياً الطيارة وفناح السفل، وشرقياً الطيارة، وبحرياً الطيارة، وغربياً شرح الفقر. هذه حدود الجميع بثمان وقدره وجملته ستون قرش عمال أَقَرَّ لدى البائع المذكور أنه قبض الجميع من أحمد صلاح حال البيع الواقع بينهما في عام أربع وخمسين بعد الألف شراء وبيعاً بجميع شروطه الشرعية.

ثم الشهود

* * *

إحصاء تقريبي لسكان النواحي التسع وحضرموت

عدد			
٥٠٠٠	العبادل	سلطانهم عبد الكريم فضل	عاصمتهم لحج
٢٠٠٠	الصبيحة	يدير أمرهم سلطان لحج	وهم مشايخ متفرقون
			وللسلطان فيها حدود مثل دار القديمي ومن سواحلها عمران والعميرة وجانب من رأس العارة
٢٥٠٠٠	الحواشب	سلطانهم محسن بن علي	عاصمتهم المسيمير
٣٠٠٠٠	الضالع	أميرهم الأمير نصر بن شايف	قبائل متفرقون
		قبائل ردقان	هؤلاء يديرون أمرهم
		شيخ قطيب حسن علي	بأنفسهم مستقلين
١٠٠٠٠		شيخ أهل عبد الله عمر سيف	وعاصمتهم الضالع
		شيخ أهل علي عبد النبي	
		شيخ أهل حجيل محمد ثابت	
		شيخ أهل داعر قاسم أحمد وسعيد حسن وأهل بكرى والضنابر	
٧٠٠٠٠	يافع الأعلى	سلطانهم محمد بن صالح بن عمر	عاصمتهم المحجبة
٦٠٠٠٠	يافع الأسفل	سلطانهم عيروس بن محسن العفيفي	عاصمتهم الغارة
٤٠٠٠٠	أهل فضل	سلطانهم عبد الله بن حسين	عاصمتهم شقرة
٤٠٠٠٠	العوالق العليا	سلطانهم صالح بن عبد الله	عاصمتهم نصاب
٢٥٠٠٠	العوالق السفلى	سلطانهم عيروس بن علي	عاصمتهم احوار
١٠٠٠٠	بيحان ومحلقاتها		
١٥٠٠٠		أهل عبد الواحد سلطانهم عبد الله بن محسن الواحدي	عاصمتهم بالحاف
٥٠٠٠	العواذل	سلطانهم صالح بن حسين جعبل	عاصمتهم الكور
٥٠٠٠٠		حضرموت والمكلا وبنادرها يحكمها القعيطي والكثيري	
		السواحل وعاصمتها	وسلطانهم عمر بن عوض القعيطي
		المكلا	
		والداخل وعاصمته تريم	وسلطانهم علي بن منصور الكثيري
	الجملة		

خاتمة

لك الحمد يا مستوجب الحمد، والصلاة والسلام على النور الدائم والمدد القائم، سيد الخلق محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد: فقد كانت مهمتي في تأليف هذا الكتاب شاقة، لحرصى كل الحرص أن أضمنه الشيء الكثير مما هو في بطون الطوامير التي طال عليها القدم، كما أنني حرصت على ألا أدون فيه إلا ما توثقت من رؤيته، أو ما سمعته بالسند الصحيح، أو ما رأيته بعيني وساهمت فيه بنفسى.

والله سبحانه وتعالى يعلم أنني لا أقصد من وضعه ولا أريد بطبعه ونشره إلا خدمة الحقائق والتاريخ، حتى يكون لدى الناطقين بالعربية مرجع المتعرف عن مخلاف جرى عليه ما جرى على سائر أنحاء الجزيرة العربية، بل هو في الواقع مخلاف حقيق بعناية أهله، إذ يدهشني أن أرى في سياحاتي من لا يعرف عنه شيئاً، كأن أهله من سكان المجاهل لا من سلائل الصيد الأوائل.

وكذلك أشهد الله على محبتي الكلية لأمتي العربية في طول البلاد وعرضها، وعلى أن كل أمنيته أن أرى العرب جميعاً وقد استعادوا مجد الأسلاف، وقضوا على كل أسباب التخاذل والخلاف، وعلى أن المسلمين جميعاً هم أهل قبلة واحدة، وأصحاب كتاب واحد، وأتباع نبي واحد بلغ رسالته منادياً قومه بلسان

ربه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١)، ونسأل الله أن يوحد صفوفهم ويقوي جبهتهم، وأن يتولى هدايتنا جميعاً إلى الصراط المستقيم، متمسكين بكتابه العظيم وسنة نبيه الكريم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فإن بصر أحد بما يؤاخذني به فشفيعي عنده حسن قصدي، وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، وسبحان الله وبحمده أولاً وآخراً، الحوطة بمحروسة لحج.

أحمد فضل بن علي العبدلي



(١) [الحجرات آية: ١٣].

قائمة المصادر والمراجع

- ١- «إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر»: لمحمد بن علي الشوكاني، نشر «دار ابن حزم» بـ«بيروت» ط: الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، تحقيق: خليل السبيعي.
- ٢- «الأعلام»: للزُّركلي، نشر «دار العلم» ط: ٢٠٠٢م.
- ٣- «إنباء العُمُر بأبناء العُمُر»: للحافظ ابن حجر، نشر «وزارة الأوقاف» بـ«مصر» ط: الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، تحقيق: حسن حشبي.
- ٤- «البلغة في تاريخ أئمة اللغة»: للفيروز آبادي، نشر «المكتبة العصرية» بـ«بيروت» ط: الأولى ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، اعتنى به بركات يوسف.
- ٥- «تاريخ الإسلام»: للذهبي، نشر «دار الغرب الإسلامي» بـ«بيروت» ط: الأولى ٢٠٠٣م، تحقيق: بشار عواد.
- ٦- «تاريخ ثغر عدن لبامخرمة»: نشر «مكتبة مدبولي» بـ«مصر» ط: الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٧- «تاريخ ابن خلدون»، نشر «دار ابن حزم» بـ«بيروت» ط: الأولى ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ٨- «تاريخ عدن واليمن عبر العصور إلى عهد العبادلة»: للدكتور محمد علي البار، نشر «كنوز المعرفة» بـ«جدة» ط: الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٩- «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»: لابن حجر، نشر «المكتبة العلمية» بـ«بيروت» دون تاريخ، تحقيق: محمد علي النجار وعلي محمد البجاوي.
- ١٠- «تفسير القرآن العظيم»: لابن كثير، نشر «مكتبة أولاد الشيخ» بـ«مصر» ط: الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، تحقيق: جماعة من المحققين.

- ١١- «الثقات»: لابن حبان، نشر «مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية» بـ«الهند» ط: الأولى (١٣٩٣هـ - ١٤٠٣هـ).
- ١٢- «الجامع لأحكام القرآن»: للقرطبي، نشر «مؤسسة الرسالة» ط: الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، تحقيق: جماعة من المحققين.
- ١٣- «غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة» للنهر والي، نشر «دار اليمامة» بـ«الرياض» ط: الأولى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- ١٤- «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»: لابن قَيِّم الجوزيَّة، نشر «دار عالم الفوائد» ط: الثانية ١٤٣٢هـ، تحقيق: زائد النشيري.
- ١٥- «خريدة القصر وجريدة العصر» لعماد الدين الكاتب، نشر «الدار التونسية» ط: الأولى ١٩٧١م، تحقيق: آذرتاش آذرنوش.
- ١٦- «درة الحجال في أسماء الرجال»: لأبي العباس المكناسي، نشر «دار التراث» بـ«القاهرة» ط: الأولى ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النُّور.
- ١٧- «رحلة ابن بطوطة»: نشر «أكاديمية المملكة المغربية» بـ«الرباط» ١٤١٧هـ.
- ١٨- «السلوك في طبقات العلماء والملوك»: للجندى، نشر «مكتبة الإرشاد» بـ«صنعاء» ط: الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ.
- ١٩- «سير أعلام النبلاء»: للذهبي، نشر «مؤسسة الرسالة» بـ«بيروت» ط: الحادية عشرة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٢٠- «صفة جزيرة العرب» للهمداني، نشر «مكتبة الإرشاد» بـ«صنعاء» ط: الثانية ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ.
- ٢١- «صهاريج عدن» لعبد الله محيرز ضمن «الأعمال الكاملة» له، نشر «وزارة الثقافة» بـ«صنعاء» ٢٠٠٠م.
- ٢٢- «صيرة» لعبد الله محيرز ضمن «الأعمال الكاملة» له، نشر «وزارة الثقافة» بـ«صنعاء» ٢٠٠٠م.

- ٢٣- «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» لقلقشندي، نشر «دار الكتب العلمية» بـ«بيروت» دون تاريخ.
- ٢٤- «طراز أعلام الزَّمن في طبقات أعيان اليمن» للخزرجي، نشر «الجيل الجديد ناشرون» بـ«صنعاء» ط: الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، تحقيق: جماعة من المحققين.
- ٢٥- «عدن لؤلؤة اليمن معالمها الدينية والتاريخية» لمحمد علي البار، نشر «كنوز المعرفة» بـ«جدة» ط: الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٢٦- «عدن في العصر الحديث» لمحمد علي البار، نشر «كنوز المعرفة» بـ«جدة» ط: الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٢٧- «العقبة» لعبد الله محيرز ضمن «الأعمال الكاملة» له، نشر «وزارة الثقافة» بـ«صنعاء» ٢٠٠٤م.
- ٢٨- «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي، نشر «دار الكتب العلمية» ط: الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء.
- ٢٩- «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي، نشر «دار الكتب العلمية» بـ«بيروت» ط: الأولى ١٤٠٤هـ.
- ٣٠- «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية»، نشر «مركز الدراسات والبحوث اليمني» بـ«صنعاء» ط: الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ.
- ٣١- «القاموس المحيط»: للفيروز آبادي، نشر «مؤسسة الرسالة» ط: السادسة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، تحقيق: فريق مكتب الرسالة.
- ٣٢- «قرة العيون بأخبار اليمن الميمون» لعبد الرحمن الدَّبَّيغ الزُّبيدي، نشر «مكتبة الإرشاد» بـ«صنعاء» ط: الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ.
- ٣٣- «قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» للطيب بامخرمة، نشر «دار المنهاج» بـ«جدة» ط: الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م عني به بوجمه مكري وخالد زواري.
- ٣٤- «مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» لعبد الله الحَبْشي، نشر «مكتبة الإرشاد»

بـ«صنعاء» ط: الأولى ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

٢٥- «المدخل إلى آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني» لعلي العُمران، نشر «دار عالم الفوائد» ط: الأولى ١٤٣٤هـ.

٢٦- «معجم الأدباء»: لياقوت الحموي، نشر «دار الغرب الإسلامي» بـ«بيروت» ط: الأولى ١٩٩٣م، تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

٢٧- «معجم البلدان» لياقوت الحموي، نشر «دار صادر» بـ«بيروت» ط: الثانية ٢٠١٠م.

٢٨- «معجم البلدان والقبائل اليمنية» لِلْمَقْحَفِيِّ، نشر «دار الكلمة» بـ«صنعاء» ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٢٩- «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» لِعُمَرَ كحالة، نشر «مؤسسة الرسالة ناشرون» بـ«بيروت» ط: الأولى (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).

٣٠- «المفيد في أخبار صنعاء وزبيد» لِعُمَارَةَ اليماني، نشر «مكتبة الإرشاد» بـ«صنعاء» ط: الرابعة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ.

٣١- «المنتخب المهذب من علماء عدن والواردين إليها» لمحمد بن علي الصومعي، نشر «دار الاستقامة» بـ«مصر» ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م.

٣٢- «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» لابن تغري بردي، نشر «الهيئة المصرية العامة للكتب» تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور. دون تاريخ نشر.

٣٣- «المؤتلف والمختلف»: للدارقطني، نشر «دار الغرب الإسلامي» ط: الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، تحقيق: موفق بن عبد القادر.

٣٤- «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للشريف الإدريسي، نشر «عالم الكتب» بـ«بيروت» ط: الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٥- «نزهة الألباب في الألقاب» للحافظ ابن حجر، نشر «مكتبة الرشد» ط: الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، تحقيق: عبد العزيز السديري.

٣٦- «وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءِ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ»: لابن خَلِّكَان، نشر «دار صادر» بـ«بيروت»

ط: الرابعة ٢٠٠٥م، تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

* * *

الفهارس العلمية

فهرس الشععر.

فهرس الأماكن والقباائل المعرف بها.

فهرس أسماء الرجال.

فهرس الألقاب والأنساب.

فهرس الموضوعات.

* * *

فهرس الشعر

رقم الصفحة	صدر البيت
١٥٢	أَبْدُلُ الْمَالِ فَلَا أَجْمَعُهُ
٣٠٩	أَحْمَدُ الْفَضْلِ سَيِّدُ النَّاسِ طُرًّا
١٧٢	أَخِلَّيِّ ضَاعَ الدِّينُ مِنْ بَعْدِ عَامِرٍ
٣٩١	أَدَيْتَ وَاجِبَكَ الَّذِي قَدْرَتُهُ
٢٩٥	إِذَا ابْنُ عَلِيٍّ حَلَّ بِأَرْضِ جَدِّ
٢٩٤	إِذَا بَرَزْتَ إِلَى الْفَضْلِ السَّرَايَا
٣٩٧	أَعِدْ ذِكْرَ سَلْمَى وَالرَّبَابِ وَرَيْبِنَا
١٢١	أَعْسَاكِرًا سَيَّرْتَهَا وَجُنُودًا
١٤٢	أَعْلَمْتَ مَنْ قَادَ الْجِبَالَ خِيولًا
٢٩٤	أَقْلِي مِنْ صُدُودِكَ يَا نَوَارَ
٨٢	أَلَا إِنَّ أَوْسًا قَاتِلَ الْجُوعِ قَدْ مَضَى
٢٠٢	أَلَا أَيُّهَا الْبَاغِي أَتَحَسَبُ غَفْلَةً
٣٥٢	أَلَا حَيَّ الْمَنَازِلَ وَالخِيَامَا
٣٤٨	إِلَهِي سَلِّكْ بِالْمَخْتَارِ تَسْمَعُ
١٨٠	إِمَامُ الْهُدَى الْهَادِي وَأَفْضَلُ قَائِمٍ

رقم الصفحة	صدر البيت
١٥٢	إِنْ يَكُنْ أَضَحَّتْ عَلَاهُمْ خَبْرًا
١٥٢	أَنَا شِبْلُ الْمَلِكِ زَيْنُ الْكُتُبِ
٤١٠	أَهْلًا بِمَنْ شَرَفَ الْأَوْطَانَ مَقْدَمُهُ
٤٠٩	أَهْلًا وَسَهْلًا ثُمَّ أَهْلًا وَسَهْلًا
٤٠٨	أَيُّهَا النَّجْلُ الْمُنَارُ الرَّاهِي
٢٤٨	بَا نُنَشِّدُكَ يَا ذِي الْفُجُوجِ الْعَرَبِيَّةِ
٥٢	بِالتَّعَكُّرِ الْمَحْرُوسِ أَوْ بِالْمَنْظَرِ أَلْ
٢٩٤	بَدَتْ فَأَغَاصَتِ الْقَمَرَ السَّوِيًّا
٣١٠	بَرَزَ السَّعْدُ فِي عَلَاكَ بَشِيرًا
١٧٢	تَحَطَّمْ مِنْ رُكْنِ الصَّلَاحِ مَشِيدُهُ
١٩٤	تَعَزَّ خَذَنَاهَا وَخَذَنًا قَعَطَبَهُ
٣٨	تَقُولُ عَيْسِي وَقَدْ وَافَيْتُ مُبْتَهَلًا
٩٥	تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا فَعْبَانِ مِنْ لَبَنِ
٣٠٣	تَشَّدْ عَلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ لَيْثُ هَائِلِ
٢١٦	جَاءَ الْبَشِيرُ فَطَبَ نَفْسًا بِمَا تَرَمِ
٢٥٤	جَدُ فُلُو الْعَبَادِلِ كُلِّ أَبُوهُمْ كَفَرِ
١١١	جَلَالُكَ الْبَسِّ الْعِيدِ الْجَلَالَا
٢٨٩	الْحَوْشِيِّ خُونًا وَلَا نَرْضَى عَلَيْهِ
١١٤	حَيَّاكَ يَا عَدَنُ الْحَيَا حَيَّاكَ
٣٨٩	حَطَبُ أَلَمِّ بَرُكْنِ الْمَعْجِدِ فَانْهَدَمَا

رقم الصفحة	صدر البيت
١١٠	حَلَّتِ الرَّعَاغُ مِنْ بَنِي الْمَسْعُودِ
١٩	حَلَّتِ الرَّعَاغُ مِنْ بَنِي الْمَسْعُودِ
٥٢	دَارٌ تُعْظَمُ بِالْمَعْظَمِ شَأْنُهَا
١١٥	ذِكْرُ الْعُدَيْبِ وَمَائِهِ وَقِيَابِهِ
١٩٤	رَأْسِي ضَرَبَ مِنْ حَنَّةِ الْمَدَافِعِ
٢٥٢	رَحْبُ بِنَا يَا مَطْرَحَ الْجَيْدِ الرَّلْبِ
٣٠٢	رَوَتْ عَنْهُ أَخْبَارُ الْمَعَالِي مَحَاسِنًا
٢٣٥	رَوْحَنَا مِنَ السَّعْدِيَّةِ
٢٦٢	سَأَطْلُبُ حَقَّ آبَائِي وَحَقِّي
٢٩٥	سَعِدَ الزَّمَانُ وَسَاعَدَ الْإِقْبَالَ
٢٩٥	سُلْطَانٌ لَحَجَّ أَعَزُّ النَّاسِ سُلْطَنَةً
٢٩٠	سِيرُوا حَيْثُنَا لِلْعُدُوِّ الْمُفْتَرِي
١٥٥	شَمَمْتُ نَسِيمًا مِنْ وَصَالِكَ لَوْ هَبَّا
٣٥٩	ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا
٣٥٠	طَلَبْنَا اللَّهَ ذِي يَنْزُلٍ وَيَرْفَعِ
٤٠٦	طَلَعَتْ أَنْوَارُ لَحْجٍ مِنْ عَدَنَ
٥٦	عُجَّ بِرِسْمِ الدَّارِ فَالطَّلَلِ
٢٩٥	عَرَّجَ بِقَصْدِكَ نَحْوَ الْفَضْلِ تَقْصِدُهُ
١٨٤	عَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا
٣٣٣	فَإِنْ سَلِمَتْ رُؤُوسُ الرَّجَالِ مِنَ الْأَدَى

رقم الصفحة	صدر البيت
١٣٠	فَأِنَّمَا يَرْفَعُ مِنْ نَاطِرِي
٢٩٤	فَحَلَّتْ مِنْ فُؤَادِي حَيْثُ أَلَقْتُ
٢٩٩	فَضَّلُ الْجُودِ وَبَيْتُ الْجُودِ حَامِي الْحِمَا
١١٣	فَلَكُ مَقَامُكَ وَالتُّجُومُ كُؤُوسُ
١٧٣	فَلَوْ كَانَ رُمْحًا وَاحِدًا لَا تَقْتِيهُ
١٦	فَمَنْ كَانَ يَبْكِي هَالِكًا فَعَلَى فَتَى
٨٩	قَالَ بُو سَيْفٍ بِيَدِي سَيْفٌ بُو فَتَقْتِيَنَّ
١٩٤	قَحْطَانَ ذِي يَشْبَهُ عَلِيٍّ بِالْمَهْدُ
١٩٩	قَدِ اجْتَمَعَتْ فِي عِيدِنَا لِأَمَانِنَا
١٢٩	قَدْ كُنْتُ أَكْتُمُ مَا يَجْنُ جَنَانِي
١١٢	قَسَمًا بِمَجْدِكَ إِنَّهُ لَمْ شَيْدُ
٣٠٣	كَتَرُ الْوُفُودِ أَبُو عَلِيٍّ عِمَادُنَا السُّدُ
٣٠٨	لَا تُجَارِ الْعُدُولَ مَهْمَا تَقُولُ
٢٠	لَا تَجْرُدِي الثَّوْبَ فَإِنِّي رَعْرَعِي
٣٤٣	لَا شَا الْمَعَلَّا وَلَا عَدَنَ اسْكُنْ
٨٠	لَقَدْ رُدْتُ صَيْدًا وَالسَّحُورَيْنِ بَعْدَهُ
١٧٣	لَمْ نُشَاهِدْ لِعَامِرٍ قَطُّ فِيمَنْ
٩٧	لَمْ يُدْرِكِ النَّارَ أَمْثَالَ ابْنِ ذِي يَزِينِ
١٥٣	لَمْ يَعْقِدُوا تَاجًا وَلَا إِكْلِيلًا
٢٩٤	لَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ يُدْعِنُ لِي كَمَا

رقم الصفحة	صدر البيت
١٢٥	لَوْلَا مَحَلُّكَ فِي قَلْبِي وَأَفْكَارِي
١٢٨	مَا بَدَأَ لِي شَخْصٌ وَلَا سَمِعْتُ
٤٠١	مَا قُلْتُ يَا رَدْفَانَ إِلَّا عَلَى
٩٧	مَنْ مِثْلَ كِسْرَى وَبَهْرَامِ الْجُنُودِ لَهُ
٣٠٠	نَادِي الْعَيُورِ لِهَتْكَ هَذِهِ الْحُرْمِ
١٣٢	نَسَخَتْ عَرَائِبُ مَجْدِكَ التَّشْبِيهَا
٢٩٢	نَضْرُ أَتَاكَ مِنَ الْإِلَهِ مُؤَزَّرًا
١١١	النَّضْرُ مِنْ قَرْنَاءِ عَزْمِكَ فَاعْزِمِ
١٥١	نَلْتُ أَنَا الْعِزَّ بِأَطْرَافِ الْقَنَا
٣٥٤	هَبُوا لَحْجَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَا
٢٩٢	هَذَا الَّذِي دَاسَ الْبِلَادَ بِعَزْمِهِ
٢٤٩	هَذَا مِنَ السَّيِّدِ وَيَسْمَعُنِي عَلِي
١٣٣	هَذِي صِفَاتُكَ يَا مَكِينُ وَإِنْ عَدَا
١١١	هَلْ لِلْفَضَائِلِ عَنْ مَدِيحِكَ مَعْدُلٌ
٧٩	هَلَّا وَقَفْتُ عَلَى الْأَجْزَاعِ مِنْ تَبَنِ
١٦	هُمْ قَتَلُوا عَزِيزًا يَوْمَ لَحْجِ
٣٠٩	هُوَ الْحَيُّ إِنْ بَلَغَتْهُ فَأَقْصِدْ أَلْحَانَا
١١٢	هِيَ الدَّوْلَةُ الْغَرَاءُ وَالْعِزُّ وَالنَّضْرُ
١٩٤	وَأَجْدَادَكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ
١٦	وَأَعْمَامِي فَوَارِسُ يَوْمِ لَحْجِ

رقم الصفحة	صدر البيت
١١٦	وَاقِيَ الرَّبِيعِ يُزْفُ فِي أَلْوَانِهِ
١٤٠	وَعَايِنَ النَّاسِ هَامَاتٍ مُتَوَجَّهَةً
١٢٧	وَفَارَقْتُ حَتَّى لَا أَبَالِي بِمَنْ نَأَى
١٥٥	وَفِي عَدَنِ قَامَتْ عَلَيْهِمْ قِيَامَةٌ
٢٨٩	وَقَفَ الْجَوَادُ بِمَنْ طَعَى وَتَمَرَّدَا
٣٥٣	وُقِيَتِ الْجَهْلُ هَلْ لِلدَّهْرِ عَهْدٌ
١٨٢	وَلَا يُعِيمُ عَلَيَّ ضَيْمٌ يُرَادُ بِهِ
٢٣٨	وَلِلْمُثَلَّةِ الْكُفَّارِ فِي عَدَنِ
٣٠١	وَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي بِقُوَّةٍ
١٤١	وَلَوْ لَا أَنَّ ضِدَّكَ مِنْكَ قُلْنَا
١٤٠	وَلَيْسَتْ بِبِكْرٍ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهَا
٢١٥	وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ
٢٠٧	وَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا
٢٩٦	يَا أَيُّهَا الْعَلَوِيُّ الْأَبِي الْفَدُّ الْأَجَلِّ
١٩٩	يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْإِمَامُ وَمَنْ لَهُ
٣٩٠	يَا دَارَ إِشْرَاكَكَ مَنْصُوبَةً
٤٠٥	يَا ذِي الْكُتَائِبِ ذِي بَدَيْتِي
٣٤٣	يَا ذِي جَلَسْتُوا فِي مَحْكَمِ التُّرْكِي
٢٥٥	يَا زَايِدَهُ تُوبِي وَأَنَا بَا تُوبِكَ
٢٩٧	يَا طَاعِنًا عَن مَكَّةٍ هَلْ مِنْ لُقَا

رقم الصفحة	صدر البيت
٢٥٧	يَا فَجَّ بَيْرَ أَحْمَدَ وَيَا سَاحِلَ عَدَنَ
٢٣٣	يَا لَاعْجَمَ اتَّرَزْجَمَ عَشِيَهُ فِي السَّبْخِ
٢٨٨	يَا لَمَرْبَعِي يَا ذِي تَقْلَعَهَا طِينُ
١٣٤	يَا مِدْرَةَ الْيَمَنِ الَّذِي بِمَقَالِهِ
٣٠٢	يَا مَنْصِبَ السَّادَةِ وَيَا تَقْدُومَهُمْ
١٥٤	يَا نَائِبَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
٣٠٢	الْيَوْمَ يَا اللَّهُ يَا أَهْلَ عَلْوِي بْنِ عَلِي

* * *

فهرس الأماكن والقبائل المعرف بها

رقم الصفحة	اسم المكان أو القبيلة
١٥٧	بنو السنبلِي
١٩٠	بِنِير
٢٧٨	بِير نَعْمَة
٢٧٠	التَّوَاهِي
٧٢	الثعلب
٦٩	تَعُوبَة
٢٧٠	جَبَل إِحْسَان
٦٧	جَبَل الرَّمَاء
٦٥	جَبَل السُّور
١٤٩	جَبَل حَدِيد
١٩٠	جُبْن
١٤٩	جَرَائِع
٦٨	جَرَبَان
٣١٨	جَوْل مَدْرَم
٧١	الحَاسِكِي
٦٩	حُرُز

رقم الصفحة	اسم المكان أو القبيلة
٢٤٦	أَبِين
٩٠	أَرْحَب
٦٩	أَسْحَم
٦٥	الأَصْنَعَة
٢٨١	آل الطَّمِيرِي
٢٨١	آل القرعي
٣١	آل تَبْتَان
٨١	آل ذَيْب
٢٨٠	آل فَجَّار أَوْ أَهْل فَجَّار
٢٣٢	أهل البان
٣٢٤	أهل شَمْعَة
٤٩	الأهواب
٧٠	بِلَة
١٧	بِنَا أَبَة
٤٩	البِتَادِر
٣٥	بنو البَرِيكِي

رقم الصفحة	اسم المكان أو القبيلة
٢٥	رَدْفَان
١٧	الرعارع
١٣	الرَّعَارِع
٣٢٨	الرَّهْوَه
٦٣	رَيْمَان
١٩٠	الرَّاهِر
٧١	زائِدة
٢٦	زَايِدَة
٤١٦	زُبَيْد
٢٣	زَنْلَع
٦٤	سَحْلَان
٦٣	السَّكَايِك
٩٦	سكسونيا
٣٥٢	سيامه
٢٤	السَّيْلَة
٧١	الشَّطِيف
٦٣	الشَّعْر
٤١٦، ١٩٣	الشُّعَيْب
٢٥٥	الشَّقَعَة
٢٨٢	الشَّوْهِي

رقم الصفحة	اسم المكان أو القبيلة
١٩٣	حَرِير
٢٧	الحِسْوَة
٦٣	الحُشَا
١٠٩	حصن الخضراء
١٤٢	حُقَات
٦٨	حَقْب
٦٥، ٦٤	حُمَر
٣٠	الحُوْطَة
٧١	الحَدَاد
١٩٠	حَرْقَة
٢٤	الدَّعَيْس
٣٢٨	الدُّكَيْم
٦٤	دَلَال
٢٨٤	الدَّهْبَلِي وآل الدَّهْبَلِي
٣٠٦	دِهْلِي
٦٨	دَابَة
٦٨	الدَّوِيَة
١٩٢	ذِي نَاخِب
٢٨١	الرَّاحَة
٦٥	الرَّبِيعِيَّيْن

رقم الصفحة	اسم المكان أو القبيلة
٦٨	عُهَامَة
١٨٩	عَيْنَات
١٧	الغبراء
٢٧٠	الغدير
٢٤٩	الفَجَّارِي
٣٩٥	الْفَرَسَةُ
٢٧٠	فُقُم
١٧	فُور
٢٨٤	القَمَاعِرَة
٧١	الكَدَام
٦٧	كَرِش
٦٤	الكلاع
٨٤	كَلْد
٦٦	لَأَلَاءَة
١٥	لَحْج
٢٣	لَحْبَة
٢٨	المِجْحَفَة
٢٤٢	المِجْرَاد
٨١	المِرَاقِشَة
٧١	المِسْجِد

رقم الصفحة	اسم المكان أو القبيلة
٨١	الصَّبِيحَة
٢٨٣	الصَّرَارِي
٧١	الصَّرَدَاح
٦٥	الصَّرْدَف
١٠٢	صُهَيْب
١٩٧	ضُورَان
١٩٢	الطرية
٢٤٣	طَهْرُور
١٩٣	الظاهر
٨٣	العارة
١٦٠	العَارَة
٧٢	عبر بدر
٢١	العَجَالِم
٦٧	العَرَضَة
٨١	العُق
٢٤	العقارب
٣٤	العَقَارِب
٦٩	عَلْصَان
٤٠	العِمَاد
٥١	العِنْدِي

رقم الصفحة	اسم المكان أو القبيلة
١٩٣	نَعَوَةٌ
٣٤١	نوبة عياض
٦٦	وادي الجنات
٨٣	وادي الجنّا
٦٣	وادي الرّغادة
٢٥	وادي مُعادن
٨٢	وَرَاخ
٢٥	وَرَزَان
٦٤	وَرَوَةٌ
٢٤	الوَهْط
٨١	يَرَامِس
٣٠٠	يَشْبِيم
٢٩٤	يَقْرُس
١٠٦	يُمَيْن

رقم الصفحة	اسم المكان أو القبيلة
١٠٦	مَطْرَان
٢٦٨	مُعادن
٨٨	المعزبة
١٩١	المِغْسَال
٢٨١	المَقْمَعِي
٢٧	الْمَنَاصِرَة
٦٥	مِنْجَل
٨٣	الْمَنْدَب
١٩٧	الْمَنْصُورَة
١٣	الْمِيَّه
٦٤	مَيْتَم
٢٢٤	مَيْوَن
٦٧	النُّبَيْرَة
٦٨	نُدْبَة

فهرس أسماء الرجال

رقم الصفحة	الاسم
١٩٠	أحمد بن قاسم شعفل
٢٨٢	أحمد بن مثنى العامري
٤١٠	أحمد بن محمد بن عوض
١٥٦	أحمد بن يوسف بن عبد الله
٢٨١	أحمد حيدر القزعي
٢٢٥، ٣١، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٤١	أحمد عبد الكريم
٣١	أحمد محسن
٢٩	أحمد محسن فُضِّل
٣١٨، ٣١٦، ٣١٩	أحمد نعمان
١٤٥	إدريس بن علي
١٧٧	إزدمر باشا
١٥٥	إسماعيل بن يحيى
٤٠٦، ٣٠٧	الإمبراطور جورج
٢٠٣، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٤	الأمير سنبل

رقم الصفحة	الاسم
١٩	إبراهيم بن أحمد اللخمي
١٢١، ٥١، ١٣١	أبو بكر بن أحمد العندي
١٨٩	أبو بكر بن سالم
٣٠٩	أبو بكر بن شهاب الدين
٢١٩	أبو بكر بن محمد
٢٨٢	أحمد السحام المعمرى
١٥٤	أحمد الناصر
٢٠٤	أحمد الوادعي
١٧٥، ٩١، ١٧٩، ١٧٨، ١٨١، ١٨٠، ١٨٢	أحمد بن الحسن
١٨٧	أحمد بن الحسن بن المنصور
٢٠٤، ١٩٨	أحمد بن المتوكل
٢٨٢	أحمد بن صالح الجاوي
٩١	أحمد بن صلاح السلامي
٣٥، ٨، ٢٩٣	أحمد بن علي السالمي

رقم الصفحة	الاسم
٤١٧	بو بكر علي محسن
٢٣٣، ٨٦، ٢٣٤	تركي بلماز
٢٤	تُورَان شاه
٤٣	جرجي زيدان
٤٣	جُرجي زيدان
١٢٠	جوهر المعظمي
١٩١	جوهر عبد السلطان
١٥٧	جياش بن سليمان السنبلي
٢٧٨، ٢٥٧	حسن إسماعيل
٣٠٠	حسن بن علوي بن علي
١٤٦	حسن بن علي الحلبي
٢٨٢	حسن بن عوض
١٨٠	حسين الرصاصي
٢٣	حسين الكردي
٣٠٧، ١٩١، ٣٢٦، ٣٢٤	حسين بن أحمد
٢٠١	حسين بن حسين بن صالح
٨٧، ٨٤، ١٧٨، ٩١، ١٨٣	حسين بن عبد القادر
٢٨١	حَيُويد بن ناصر
٤٠٦، ٤٠٥	خان بهادر
٤١٨	رويس بن محسن بن فريد

رقم الصفحة	الاسم
١٩٧، ١٨٦	الحسين بن الحسن
١٥٦	الحسين بن الظاهر
١٩٧	الحسين بن محمد بن أحمد
١٧٧	السر هنري
٢٣٧	السلطان عبد المجيد
١١٠، ١٠٤	السيدة بنت أحمد
٢٤٤	الشريف سعد
٢٤٤	الشريف سعيد
١٥٢	العباس بن علي المجاهد
١٩٨، ١٩٧	القاسم بن الحسين
٢١٧، ٢٠٩، ٢١٩، ٢١٨	القبطان بليفر
٢٢٢	
٢٣٥، ٢٢٥	القبطان هينس
٢٤٧	
٥١	المجاهد الغساني
١٨٦	المطهر بن عبد الرحمن
١٥٣	المطهر بن محمد
١٥٠	المفضل بن المجاهد
٤٠٤	أمين الرياحي
١٨٣	بدر بن عمر الكثيري
١١٢	بلال بن جرير
١٠٤	بلقيس الصغري
٤١٧	بو بكر بن فريد العولقي

رقم الصفحة	الاسم
١٨٥	صالح الرصاص
٢٨٢	صالح الوهبي
١٩٣، ١٨٩	صالح بن أحمد هريرة
١٨٦	صالح بن حسين الجوفي
٤١٧	صالح بن حسين بن جعيل
٢٨١	صالح بن سالم المعمرى
٣٥	صالح بن سعد بن سالم
٢٠٤	صالح بن عامر
٢٨٢	صالح بن محسن الطيرى
١٩٠	صالح بن منصور العولقى
٨١	صبيح بن أحمد
٤٧	صلاح الدين بن الحكيم
٣٠	صلاح الزبيرى
٢٥١	صلاح العزيبى
٢٨١	صلاح بن أحمد اليحيائى
٢٨٢	صويلح بن خبقان
٥١	طُعْتِكَيْن بن أيوب
١٦٧	عامر بن داود بن عامر
١٦٢، ٢٢	عامر بن عبد الوهاب
١٦٥، ١٦٤	
١٦٧	
١٦٢	عبد الباقي بن محمد
٣١٢	عبد الحميد النشان
٢٨١	عبد الصفي إبراهيم

رقم الصفحة	الاسم
٢٨١	سالم بن أحمد القمال
٢٩٧	سالم بن أحمد بن علي
١٣٨	سالم بن إدريس الحبوزى
٤١٧	سالم بن صالح الضبي
٢٨١	سالم بن صالح المقمعى
٢٨١	سالم عوض الأغبرى
٢٨٢	سعيد الزبيرى
٢٨١	سعيد بن سعيد الحدوري
٢٨١	سعيد بن عوض سرحان
٢٨١	سعيد بن ناصر المسهرى
٣٢	سفيان بن عبد الله الحضوري
٨٤	سَلَام بن علي العبدلى
٢٣	سليمان الرومى
٢٩٥	سليمان بن علي الهجّام
١٠٤	سيدة بنت أحمد
٩٧	سيف بن ذي يزن
٢٠٥، ٢٠٦	سيف بن عفيف
٢٠٧	
٨٥، ٨٤	سيف بن قحطان
٢٠١، ٩١	
٢٠٥	
٢٨٢	سيف بن مقبل العامرى
٣٠٦، ٢٨٧	شايف بن سيف
٣٠٧	

رقم الصفحة	الاسم
٢٢١، ٨٨	عزب مكّي
٣٢٦، ٣٢٥	عقيل بن سعيد الغليسي
٢٩٦، ٢٩٥	علوي بن أحمد بن عبد الرحمن
١٠٥، ١٠٤	علي الصليحي
١٠٧، ١٠٦، ١٠٩	علي بن أبي الغارات
١٩٣	علي بن أحمد بن علي بن سالم
١٠٤	علي بن الحسن الخزرجي
٥٠	علي بن الضحاك
١٩٧	علي بن المتوكل
٢٨٢	علي بن صالح السروري
١٨٠	علي بن صالح بن أبي الرجال
٢١٧	علي بن صلاح
١٠١	علي بن عبد الرحمن
١٩٩	علي بن عبد الله العبدلي
٣٣	علي بن عمر الزياتي
٨٤	علي بن عمر الشاذلي
٢٦٠، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٦١، ٤٠٠	علي بن مانع
١٠٣	علي بن محمد
١٩٣	علي بن محمد البعداني
٢٨٣	علي حمادي

رقم الصفحة	الاسم
١٧٩	عبد القادر اليافعي
٢٩	عبد الكريم فُضْل بن علي محسن العبدلي
٤٤	عبد الله ابن يوسف بن محمد
٣٩٦، ٣٩٤، ٤٠٣	عبد الله العرشي
١٥٥، ١٤٦	عبد الله المنصور
١٦٠	عبد الله بن أبي السرور
٦٨	عبد الله بن أبي ثومة
٦٨	عبد الله بن أحمد السكسكي
١٧٧، ٣٠	عبد الله بن علي السقاف
٤٠١، ٢٣٣	عبد الله بن فريد العولقي
٤١	عبد الله بن قلابة
٢٥٧	عبد الله حيدرة
٣٠٥	عبد المجيد بن فضل
٢٣	عبد الملك بن عبد الوهاب
١١٩	عبد النبي بن علي بن مهدي
٥٢	عبد الوهاب بن داود
٢٨٤	عبد الوهاب بن مطهر الذهيلي
٢٩٤	عبد صالح عضبي
٢٤٩، ٧٦	عبيد بن يحيى
٢٥٠	
١٣٥، ١٢١، ١٣٦	عثمان الزنجبيلي

رقم الصفحة	الاسم
١٤٠	عمر بن يوسف
٢٧١	عمر حسين قاضي
٣٩٥، ١٩٤	عمر عوض القعيطي
٢٧١	عمر معوضة
١١٩، ١١٣	عمران بن محمد بن سبأ
٢١٣، ٢٠٨	عوض سالمين
٢١٨، ٢١٧	
٢١٩	
٤١٧	عيدروس بن محسن
٢١٤، ١٦٨	عيسى بن لطف
١٣٩	غازي بن المعمار
٣٩٤، ٣٠٧	غالب عوض القعيطي
٣٩٧	
٢٨٢	فارع بن يحيى العامري
٢٥١	فضل بن أحمد محسن
٣٤	فضل بن عبد الله ابن حيدرة
٤١٨	فضل بن عبد الله المقربي
٣١، ٢٨	فضل بن علي العبدلي
٩١، ٨٥	
٢٠٨، ٢٠١	
٢٦٨	
٢٤٠	فضل بن محسن
٢٧١	فضل عبيد
٧٧، ٣١	فضل محسن

رقم الصفحة	الاسم
٣٢٣، ٣٢٠	علي سعيد باشا
٣٢٦، ٣٢٥	
٣٤١، ٣٢٧	
٣٤٥، ٣٤٤	
٣٤٧، ٣٤٦	
٣٦٢، ٣٦١	
٣٦٧، ٣٦٤	
٣٧١، ٣٦٩	
٣٧٥، ٣٧٢	
٣٨٣، ٣٧٧	
٣٨٧، ٣٨٥	
٤٠٢، ٣٨٨	
٤٠٣	
٣٦، ٣١	علي محسن
٤١٧	علي محسن الموسطي
١٦٨	علي هَرْهَرَة
١١٩، ١٠٨	عمارة
١٣٢، ١٣١	
١٧٧، ١٣٣	
١٤٦	عمر المظفر
١٤٧	عمر بن بلبال الدويدار
١٩٣	عمر بن جعفر الكثيري
١٩٥، ١٩٤	عمر بن صالح
٢٨	عمر بن عبد الله بن حسين

رقم الصفحة	الاسم
١٥٤	محمد بن إبراهيم بن يوسف
١٠٦	محمد بن أبي الغارات
١٩٨	محمد بن إسحاق بن المهدي
٢١٥	محمد بن إسماعيل بن محمد
١٤٦	محمد بن الأشرف
١٨٧	محمد بن الحسين بن المنصور
١٩٧، ١٨٨	محمد بن المتوكل
١٩٧	محمد بن المهدي
١٠٧، ٥١، ١١٠، ١٠٨، ١١٢، ١١١، ١٣٢، ١١٣	محمد بن سبأ
٢٠	محمد بن سعيد القرظي
١٦٠	محمد بن سعيد بن فارس
٤٠٣، ٤٠١، ٤١١، ٤٠٤	محمد بن صالح الأخرم
٧٧	محمد بن صالح الجريبي
٤١٧	محمد بن صالح الهزهرري
١٦٣، ١٦٢	محمد بن عبد الملك
٢٤٥	محمد بن عبد الملك بانافع
٥١	محمد بن عثمان بن علي
٣٠٠	محمد بن علوي بن علي
٣٠٧	محمد بن علي بن زيد
٣٣	محمد بن علي بن سفيان

رقم الصفحة	الاسم
٧٨	
٣٥٧	فؤاد بن إسماعيل
١٩٠	قاسم بن حسين بن مهدي
١٩١، ١٩٠	قاسم بن شعفل
٤١٧	قاسم بن عبد الرحمن المفلحي
٢٨٤	قائد أحمد الذهيلي
٢٥٣	قائد بن إسماعيل
٢٨١	قايد بن هادي الطميري
٨٨	قحطان بن سيف
٢٠٩، ١٩٨	لاروك
٢٦٢، ٢٦١، ٣٣٣	محسن بن عبد الله
٢٨٠، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٨٥، ٣٠٥، ٢٨٧، ٤٠٢، ٤٠٠	محسن بن علي الحوشبي
٢٨٧، ٢٨٤، ٤١٧، ٢٨٨	محسن بن علي مانع
٢٨٤	محضار سفيان
١٧، ١٥	محمد ابن سعيد بن معن
٢٣٤، ٢٣٣	محمد آغا
٣١٢	محمد الإدريسي
٣٨	محمد الحسن بن أحمد الهمداني
٨٨	محمد أمفضل

رقم الصفحة	الاسم
١٠٨، ١٠٧	منيع بن مسعود
٢٥٧، ٢٢١، ٢٦٩، ٢٦٨	مهدي العقربي
٣٤٣	
٢٨٢	ناصر بن أحمد المغربي
٢٨١	ناصر بن سالم المقمعي
٣٣٣	ناصر بن عبد الله بن محمد
٢٨٢	ناصر بن قائد الأروع
٢١٣	ناصر بهادي
٨٤	نمي بن عبد القادر
٢٨٢	هادي بن جابر الشويهي
٢٨١	هادي بن علي
٢٨٢	هادي بن علي مغرم
٢٨٢	هندي صميع
١٢٠	ياسر بن بلال بن جرير
١٦٨	يحيى السراجي
١٥١	يحيى المظفر
١٥٥	يحيى بن إسماعيل
٨٦، ٨٥	يحيى بن سلام

رقم الصفحة	الاسم
٢١	محمد بن موسى بن جامع القرظي
٢٨٧	محمد صالح جعفر
٢٣٧، ٢٣٤	محمد علي باشا
٢٤١، ٢٣٨	
٧٨	محمد عليو
٤١٧	محمد محسن غالب
٢٦٢	محمد محسن فضل
١٧٧	محمد مصطفى
٢٨٤، ٢٨٣	محمد ناصر
٣٠٦، ٣٠٥	
٣١٧، ٣١٦	
٣١٩، ٣١٨	
٣٦٦، ٣٢٦	
٤٠٣، ٤٠٢	
١٦٤	مرجان الظافري
٣٠٧	مزاحم بن أحمد
٢٣٤	مصطفى بك
٣٠٥، ٢٨٣	مقبل الصراري
٣٢٢	
٣٩	منذر بن سعيد
١٨٥، ١٨٠	منصر العولقي
١١٢	منصور بن المُفضَّل

فهرس الألقاب والأنساب

رقم الصفحة	اللقب أو النسبة
٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦	
٣٩٥، ٣٤٠، ٣٣٩	
٤٠٦، ٤٠٥، ٣٩٦	
٤١٣	
١١٩، ١١٠، ٢١	الجندي
١٤٨	
٣٥٢	الجيشي
٧١، ٣٢	الحاسكي
١٦	الحايك
١٥٠، ١٤٦	الحليبي
٩٤، ٦٨	الحميري
٢٥٩، ٢٥٨، ٢٤٢	الحوشيبي
٢٨٣، ٢٨٢، ٢٦٣	
٣٠٤، ٢٨٦، ٢٨٥	
٣٢٧، ٣٢٥	
١٤٥، ١٤٢، ١٤٠	الخرزجي
١٤٦	
٧٨	الدربي

رقم الصفحة	اللقب أو النسبة
٣٣	الأبيني
٤٧	الأزهري
١٨، ١٧	الأصبحيون
٧٤، ٢٣، ١٥	الأمدي
٢٠١	الأهنومي
٨٩، ٢٦	الباقري
٢٥٥، ١٧٦، ١٧٥	البدوي
٣٣٢	
٣٢	البركاني
٤٠٣، ١٩٤	البكري
٣٣٣	التركي
٧٨، ٣٢	الثعلبي
١٩١	الجبرتي
١٨٣، ١٨٠	الجبرشي
٧٧	الجريبي
٢٤٩، ٢٤٨، ٨٦	الجفري
٣٠٢، ٣٠١، ٣٠٠	
٣١٧، ٣١٢، ٣٠٧	

رقم الصفحة	اللقب أو النسبة
٢٨٢	الشويهي
٢٨١	الشياني
٦٦	الصداري
١٨٢، ١٧٩، ١٧٨، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤ ١٨٨، ١٨٧	الصفى
٤٢	الصقلي
١٢٦	الصلاحى
١٠٥، ١٠٤، ١٠٣	الصليحي
١٩٥	الضبي
٢٨١	الظميري
٣١٨، ٢٨٢	الظيري
٤٠٢، ٢٨٣	الظنبري
٢٨٦، ٢٨٢، ٩٠	العامري
١٠١، ٥٠	العباسي
٧	العبدلي
٢٣٨	العثماني
١٥٣، ٥٦	العدني
٤٠٣، ٢٣٨	العرشي
٢٥١	العزيبي
٢٨٣، ٢٣٤	العسيري

رقم الصفحة	اللقب أو النسبة
٢٨٤	الدهبلي
٢٥٠	الدوعني
١٤٦	الدويدار
٢٠١	الرسى
١٩٢، ١٨٠	الرصاصي
٢٨١، ٢٠، ١٩	الرعري
١١٩	الرعيني
٢٤٨	الرويسى
٢٨٢، ٣٠	الزبيري
١٣١	الزريعي
٣٣	الزنجاني
٣٤، ٣٣، ٢٦	الزيادي
٢٩٣، ٧٨، ٨	السالمي
٢٨٢، ٧٨	السروري
٢٩٦، ١٧٧، ٣٠	السقاف
٣١١، ٢٩٩	
٦٨، ٦٦	السكسكي
٢٢١، ٩١، ٨٨، ٨٧	السلامي
١٤٢	السلطاني
١٥٧، ١٥١	السنبلي
١٧٧	شاركي
٤١٧، ٤١٢، ٣٥٧	الشافعي

رقم الصفحة	اللقب أو النسبة
١١٩، ١٣٤، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧	الكبسي
١٩٤، ٤٢٥	الكثيري
٢١، ٣٣	الكناني
٥٠	الكوفي
٨	اللحجي
١٩	اللخمي
١٩	المازي
٢٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٠	المتوكل
١٠٩، ١١٢	المحمدي
٣٣	المزني
٢٨، ٣٠، ٢٠٨، ٢١٣	المساوي
٢٥٣	المسودي
٣٢٣	المصري
١٣٩	المظفري
٢٨١، ٢٨٢	المعمري
٣٣، ٢٨٢	المغربي

رقم الصفحة	اللقب أو النسبة
٢٢١، ٢٥٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٤١	العقربي
٥١، ٥٦، ١١٣، ١١٦، ١٢٠، ١٢٤، ١٣١، ١٣٣	العندي
٧٦، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ٢٣٣، ٢٤٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٤٠١، ٤١٨، ٤٢٥	العولقي
٣٢٥، ٣٢٦	الغليسي
٤٠١، ٢٤٩	الفجّاري
١٨٣، ٢٤٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٣، ٣١٤، ٣٧٢	الفضلي
٢٦٦، ٣٠٤، ٣٠٥	القديمي
٣٦	القرشي
١٥، ١٧، ٢٠، ٣٣	القرظي
٢٨١	القرضي
٣٢٥، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٨	القطبي
٣٢	القيسي

رقم الصفحة	اللقب أو النسبة
٣٣،٢٦	الهدابي
١٩٢،١٩١	هَرَهْرَة
٢٥،١٧	الهمداني
١٨٣	الواحدي
٢٠٦	الوادعي
١٨،١٧	الواقديون
٢٢٦	الوهابي
١٧٩،٩١،٨٨،٨٧	اليافعي
٢٤٢،١٨٣،١٨٠	
٤٢٥	

رقم الصفحة	اللقب أو النسبة
٢٩٦،٢٨٩،٦٦	المغلس
٣٠٣	
١٨٩	المفلحي
١٥٥،١٥٤	المقري
٢٨١	المقمعي
٢٠٢،١٩٧،١٩١	المهدي
١٢٦	الناصرى
٤٠٨	النخلاني
٣٥	النصرى
١٦٦	الهاشمى

* * *

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة التحقيق
٧	ترجمة المصنف
١٥	(الفصل الأول) - لحج مخلاف ومدينة، مدينة القريضيين، قرى لحج الدارسة، أصل مبية: بنا أبه، المراكب في ساحل لحج، سليمان الرومي، المشاريع من ضواحي لحج، حصن منيف، الزجاج في السيلة، حدود مخلاف لحج رأس الوادي القديم.
٢٨	(الفصل الثاني): الرعارع والحوطة، دار حمادي ودار عبد الله، سكان الحوطة، السادة آل مساوي، صبحية رجب، المنصوري والدارس، حارات الحوطة، قرى لحج، الشيخ سفيان الزياي، مجدد بير أحمد، مفتي لحج، قاضي لحج، الشاؤش.

رقم الصفحة	الموضوع
٣٨	(الفصل الثالث): عدن في ساحل لحج، لحج منتهى اليمن، أقدم أسواق العرب، قابيل في عدن، أبونا آدم وجنته في عدن، بئر معطلة وقصر مشيد، عدن والقسطنطينية، مخزن الرومان، الإحساء في الحسوة، إرم ذات العماد، العجب والذهب في اليمن، عدن جزيرة، قنطرة المكسر، لماذا سميت عدن أعظم مراسي اليمن، النار في عدن، قصور عدن القديمة، ابن بطوطة في عدن، عدن اليوم، الصهاريج.
٥٦	(الفصل الرابع) أدباء عدن: العندي والتكريتي، القصيدة التي لا تدرس.
٦٣	(الفصل الخامس): مأتى وادي لحج، الرغادة، الأحواض، ورزان، الجنات، حرز، حقب، ذابة، الذوية، علصان، رأس وادي لحج، الرعارع على عدوتي الوادي، سيلة بله، سد عرايس، رأس وادي لحج الجديد، الواديين وأعيارها، الزراعة في لحج.
٧٩	(الفصل السادس): لحج من مخاليف حمير، أنساب قبائل لحج، قرى آل سلام، آل محسن من آل سلام، معاصرة أحمد صلاح لحسين بن عبد القادر، قبائل لحج خليط من قحطان، الانتماء إلى العبدلة، أمراء الضالع من حالمين، علائق آل سلام بأمراء يافع.

رقم الصفحة	الموضوع
٩٢	(الفصل السابع) إذواء اليمن ودولة الكبرى، عاد وحمير، سقم تاريخ اليمن القديم، ذو نواس وأصحاب الأخدود، سقوط دولة حمير، مجيء الحبشة، سيف وكسرى، الإسلام في اليمن، إهمال الخلفاء أمر اليمن، قلاقل اليمن وفتنة.
١٠١	(الفصل الثامن): عمال بني العباس، حكم آل زياد، استقلال ابن أبي العلاء، علي بن الفضل القرمطي، دخول الإمام الناصر عدن، استرجاع الحسين بن سلامة للحج وعدن، دولة الصبيحيين في لحج وعدن، آل زريع ومعارك الرعاع.
١٢١	(الفصل التاسع): توران شاه في عدن، كتابه لصالح الدين، ولاية عثمان الزنجيلي، الأديب العندي، استفحال أمر الزنجيلي، نيابة عمر بن علي سول.
١٣٨	(الفصل العاشر) بنو رسول مستقلون، حملة من عدن على ظفار، حملة من ظفار على عدن، استقلال المؤيد بلحج، معركة الدعيس، المؤيد في عدن، طغر ظل والجحافل والعجالم، عمر بن بلبال والي لحج وفتنته، حصن منيف، يحيى والعقارب في باب عدن، وفاة الملك المجاهد في عدن.

رقم الصفحة	الموضوع
١٥٩	(الفصل الحادي عشر): دولة بني طاهر، دخول علي بن طاهر عدن، حملة من لحج إلى الشحر، إخراج يافع من عدن، خلاف عبد الباقي على السلطان، وصول البرتغال في البحر الأحمر، حصار البوكرك لعدن، هزيمة الجراكسة، استقلال عامر بن داؤد بعدن، حصار الإمام المطهر لعدن، استيلاء الوزير سليمان على عدن.
١٧٥	(الفصل الثاني عشر): دولة الأتراك في لحج وعدن، تغلب علي بن سليمان على عدن، طمع البرتغال في عدن، ثورة العدنيين على الأتراك، استرداد بيبي رئيس لعدن، الرعارع عاصمة لحج، أول سفينة بريطانية في عدن، أسر الأمير إلابي هنري في عدن، دولة يافع في لحج وعدن، دولة الزيدية في لحج وعدن، غنائم أحمد بن الحسن من لحج، الشافعية كفار التأويل، حرب الشافعية والزيدية، دولة آل هرهرة، اختلال أمر الدولة الأممية، البعثة الفرنسية، في عدن، عمال الإمام ومشايخ لحج، استقلال لحج.
	(الفصل الثالث عشر): شيخ لحج، اقتسام خراج عدن، الرأس المقطوع ركب الوحش، استقلال بير أحمد، مطامع نابليون، زيارة المستر سولت لسلطان لحج، أسطول الوهابية في عدن، معاهدة السلطان أحمد والسر هوم بوفهام، الأعجم

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠٩	يتزرجم، الإنكليز في البحر الأحمر، تركي بلماز، غرق دريا دولت، استيلاء الإنكليز على عدن.
٢٤٠	(الفصل الرابع عشر): انقراض آل عبد الكريم، معاهدة الإنكليز، ابن سلطان مكة، خلع عبيد بن يحيى، السلطان فضل محسن، فتنة عبد الله محسن، الأتراك في لحج، معاهدة زائدة، رجوع عبد الله محسن إلى لحج.
٢٦٨	(الفصل الخامس عشر): أصل العبادل، مشتري الشيخ عثمان، معاهدة الشيخ عثمان، معاهدة الحواشب، آل علوي بن علي، القومسيون، عصيان الوهط، خدمة القضية العربية، أبو النوب واليعسوب، السلطان علي بن أحمد.
٣١٤	(الفصل السادس عشر): الحرب العظمى، حركة غير اعتيادية في اليمن، سياسة الإمام، كتاب والي اليمن للسلطان، أسباب مهاجمة لحج، الإمام والميثاق، الإنذار من الضالع، الخطة الاستيلاء على لحج فقط، موارد الحوشبي والفضلي، هزيمة الديكم، سقوط الحوطة، قوة سعيد باشا، خسارة البلاد اللحجية، إخلاء الشيخ عثمان.
	(الفصل السابع عشر): السلطان عبد الكريم، المهاجرون في عدن، الأتراك في لحج، خراب بير أحمد، ولاء العبادل

رقم الصفحة	الموضوع
٣٣٤	لسلطانهم، جيڪب والأمير نصر، السكة الحديد إلى لحج، السلطان عبد الكريم في عدن، سفر السلطان إلى مصر.
٣٥٩	(الفصل الثامن عشر): حديث الهدنة، الإمام يدخل في الموضوع، الشافعية يتمسكون بالدولة العثمانية، علي سعيد يصبر على التسليم.
٣٨٤	(الفصل التاسع عشر): الرجوع إلى لحج، العثور على الوثائق، محسن فضل، حملة إلى الرجاء، في القحرة. آدم يزور لحج، السيد علوي في صنعاء، فتنة في أطراف الحدود، سفر السلطان إلى الهند، علي سلام والسلطان محسن سفر السلطان إلى أوروبا.
٤٤٨	خاتمة
٤٥٠	قائمة المراجع والمصادر
٤٥٥	الفهارس العلمية
٤٥٧	فهرس الشعر
٤٦٤	فهرس الأماكن والقبائل المعرف بها
٤٦٨	فهرس أسماء الرجال
٤٧٩	فهرس الألقاب والأنساب
٤٧٩	فهرس الموضوعات

رسالة فخره جلوه الموروثين ٢

هَدِيَّةُ السَّامِعِينَ فِي أَخْبَارِ الْمُلُوكِ لِحُجْرٍ وَعَدْلَانِ

تأليف
الأمير المؤرخ الشاعر الأديب
أحمد فضل بن علي نجيب البغدادي
الشهيد بـ «القيندان» المتوفى سنة (١٣٦٢هـ)
رحمه الله

يتناول
أخباراً عن عدلٍ ومن ملكها أو استعمرها وعن نبيج
وسلاطينها وقائع ونحروب وأحداث وتغير ذلك

وقد رُكِّه
وتحفي بتقريره لخصوصه والتعليق عليه
أوهبها محمد بن علي التتويحي البغدادي
عفا الله عنهما بميتة وإحسانه



صدر الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ